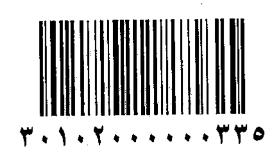
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
مكة المكرمة

***



دور اليهود في الفرق الباطنية

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص (الماجستير)
الى قسم الدراسات العليا
الشرعية

فرع العقيده

باشراف: فضيلة الشيخ / محمد الغزالي
اعداد : الطالب/ أحمد محمد أحمد مغربي





١٩٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

اللهم صلى علَى محمد وعلَى آل محمد كما صليت علَى ابراهيم وعلَى آل ابراهيم وبارك علَى محمد وعلَى آل محمد كما باركت علَى ابراهيم وعلَى آل ابراهيم في العالمين، انك حميد مجيد .

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

يايها الذين ءامنوا كونوا قومين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون *.

صدق الله العظيم

قال محمد رشيد رضا في تفسير (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) :

أي ولا يكسبنكم ويحملنكم بغض قوم وعداوتهم لكم أو بغضكم وعداوتكم لهم ، على عدم العدل في أمرهم بالشهادة لهم بحقهم ، اذا كانوا أصحاب الحق ، ومثلها هنا الحكم لهم به ، فلا عذر لمؤمن في ترك العدل وايثاره على الجور والمحاباة ، وجعله فوق الأهواء وحظوظ الأنفس ، وفوق المحبة والعداوة مهما كان سببهما . فلا يتوهمن متوهم أنه يجوز ترك العدل في الشهادة للكافر ، أو الحكم له بحقه على المؤمن .[1]

---

* سورة المائدة ٨

١. تفسير المنار ، جـ ٦ ، ٨ ط ٢ بالأوفست ، بيروت ، دار المعرفة ، د.ت ، ص ٢٧٤

كلمـة شكـر وعرفـــان

اعترافا بالفضل وشكرا لأهلـه ،أدعو الله خالصا أن يجــزي عني كل من ساهم في اظهار هذا البحث خيرما يجزَى بـــه المحسنون .

وعلى رأسهم :* فضيلة الشيخ محمد الغزالي المشرف علـى هذه الرسالة وموجهي الأول ، الذى منحني الكثير من علمه ،ومن وقته الثمين ، فقد أنفق معي ساعات كثيرة في منزله بمكة وبيتـــه بمصر اضافة الى الوقت الرسمي أثناء ساعات الاشراف ، فكـان نعم الأب ونعم الشيـخ .

* أخي وزميلي العزيز سليمان السلومي الذي أوقف مكتبتــه لمساعدتى، ولم يضن علي بمرجع توفر لديه .ورب أخ لم تلـــده أمـــك .

* الدكتورأحمد عبدالمجيد هريدي الاستاذ بجامعة المنيـــا بمصر،الذي فتح لي بيته ومكتبته ووهبني الكثيرمن علمه ، ولـــولا ه لكانت هذه الرسالة خالية من كثيرمن مراجعها الأساسية.

* الاستاذ عبدالله الحِبشي ، الباحـث بمركز الدراسات اليمنيـة بصنعاء الذي كان له الفضـل الأول بعد الله في الحصول علـى المصادر اليمنيـة للفرق الباطنيـة.

* والاستاذ صبّاح حامد صبّاح ،الذي تفضل بكتابة هـــــذه الرسالة على الآلـة الكاتبـة .

* كما أشكر كلية الشريعة والدراســات الاسلامية بمكة المكرمـــة فى شخص القائمين عليها ،حيث قُبلت طالبا بها .

* وكذا الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في شخص القائمين عليها ، حيث احتضنتني احتضان الوليد .

* كما أشكر اللجنـة الموقـرة ،التى تفضلت بمناقشة الرسالـــة.
وجــزَى الله المحسنين كل خير .

المقدمة

من نعم الله تعالى عليّ ان انتسبت لهذه الكلية العريقة - كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المشرفة - منذ ان طرقت ابواب التعليم الجامعي ومن نعمه تعالى ان قبلت في قسم الدراسات العليا بها ولما اكملت السنة المنهجية بهذا القسم لزمني اختيار موضوع اتقدم به لنيل درجة التخصص . فوفقني الله تعالى وهداني بارشاد استاذين لي جليلين هما الاستاذ محمد قطب والدكتور عوض الله حجازي لاختيار الموضوع الذي بين يديكم وهو :

(دور اليهود في الفرق الباطنية)

ولان الموضوع يمس جانبا خاصا في علم الفرق والمذاهب الفكرية فقد كان لاختياري له ردود فعل متباينة من اساتذتي وزملائي، بين مشجع ومشفق ومثبط . فزادني ذلك اصرارا عليه ورغبة في سبر غوره وعدت الى بطون الكتب استشف منها ابعاد الموضوع واجري عليه دراسة تمكنني من وضع مخطط اسير عليه فيه واقنع قسم الدراسات العليا به للموافقة عليه واجازته .

وهنا وفقني الله بموافقة شيخي المبارك الشيخ محمد الغزالي ليتولى مهمة الاشراف عليّ فازددت بنصحه وتوجيهه الابويين اقداما رغم مابدا من الدراسة الاولية لمظان البحث من الصعوبة والغموض .

وبعد ذلك مضيت مستعينا بالله الذي ماخاب من استعان به وجعلت امامي هدفا واحدا عنه لااريم، الا وهو ابتغاء وجه الله في معرفة الحقيقة في :

(١) عقائد الفرق الباطنية من حيث قربها وبعدها عن الاسلام .

(٢) ماقيل عن الدور اليهودي في ايجاد العقائد الغالية التي ظهرت في البلاد الاسلامية على يد الفرق الباطنية .

انطلاقا من الذي ثبت عند اهل العلم عن :

١ دخول بعض الافكار اليهودية الى التفسير والحديث وهي ما عرف بالاسرائيليات .

٢ التهم التي وجهها بعض المفكرين للفكر الشيعي عامة والعقائد الباطنية خاصة من حيث وجود علاقة ما بينها وبين الافكار اليهودية واشخاصها .

٣ التهم التي من بعض المعاصرين من مستشرقين وغيرهم الى اهل السنة خاصة تلك التي تقول بانهم كانوا يتجنون على الشيعة وخاصة الباطنيين منهم ويتهمونهم زورا بما ليس فيهم .

صعوبة الموضوع :

تجلت صعوبة موضوع هذا البحث بعد الذي تبين من انه احد المواضيع التي لم تطرق من قبله فحصرت ابعاده على النحو التالي :

البعد العلمي : ويتطلب الوقوف على عدد لا يستهان به من المراجع لجمع الجزئيات الصغيرة المتفرقة بين اكداس الورق المليئة بالاسطر .

البعد التاريخي : ويتطلب دراسة لفترات زمنية متلاحقة تبدأ ببزوغ الاسلام وتنتهي بالزمن الحاضر ، لان الفرق الباطنية في معظمها موجودة في العالم الاسلامي اليوم على حالها ، وعليه فوجدت انه يجب حصر البحث في فترة تاريخية معينة ، ولكن لما بدا ان ذلك غير ممكن باعتبار البحث مما يختص بعقائد مترابطة ، ولكني استبعدت ما يختص بوضع الباطنيين في العصر الحاضر .

ومن ناحية اخرى فقد وجدت ان البعد التاريخي للفرق الباطنية يتطلب تعقب التراث الفكري لتفريعات صغيرة نشأت في زوايا تاريخية مختلفة عن الفرق الباطنية الاساسية ، فاقتصرت الامر عليها رغم قصوره .

البعد الفكري : يستلزم الخوض في عقائد مختلفة مثل :

(١) الافكار الفلسفية وخط مسارها .

(٢) العقائد اليهودية ومصادرها .

(٣) العقائد التي ظهرت بها الفرق الشيعية الغالية التي لا يستبعد ان تكون منابع للفكر الباطني .

(٤) الدراسات المعاصرة الفكري منها وهو ما انتجته اقلام المستشرقين والباحثين في ديار الاسلام ، والمذهبي، وهو تلك التي تتحدث عن الحركة الاسماعيلية الباطنية من اهلها المعاصرين .

وقد زاد من هذه الصعوبات :

(١) استحالة الحصول على المصادر الباطنية التي لا تزال قيد السرية المطلقة فلا تمتد اليها ايدي عامة اهلها فضلا عن الغريب.

(٢) ان المصادر اليهودية لم تترجم بعد الى اللغة العربية في كثير منها (ر . التمهيد) .

ملاحظات على عنوان البحث :

اعتبر البعض عنوان الرسالة (دور اليهود في الفرق الباطنية) من باب الحكم والقطع بوجود دور لليهود في الفرق الباطنية ، وعلى هذا الاعتبار قالوا ان من شيمة الباحث النزيه ان لا يصدر حكما ثم يبني على ذلك الحكم موضوعا ، لانه بهذا وضع نتيجة وعليه ان يبحث في مقدماتها والعكس هو الصواب بمعنى ان كلمة البحث تعني ان على الطالب ان يستجلي الغوامض بالبحث والتنقيب والموازنة بين المعايير المختلفة والحيثيات المتقاربة والمتباعدة ليخرج بنتيجة سلبية او ايجابية .

اقول : ان رأي المعترضين حق وهو عين ما ذهبت اليه واتخذته منهجا اسير عليه في الرسالة ، ولم يصدر الى الان مني اي حكم بوجود الدور اليهودي او نفيه ، وكل ما في الامر ان :

عداوة اليهود للاسلام مما ثبت في امور اخرى وان المتقدمين تعرضوا للدور الذي لعبه اليهود لمحاربة الاسلام في جبهات مختلفة كما انهم - اي المتقدمين - تحدثوا عن مواقف فيها من الاشارة ما فيها الى وجود ذلك الدور ، ويبقى على الباحث هنا ان يقرأ في التراث الباطني

والتراث اليهودي كي تتبين مدى صحة ماقيل، والنتيجة المتوقعة تتراوح بين النفي لهذا الدور وحينئذ يكون ماذهب اليه المتقدمون مجرد اقوال لاقيمة لها وحسبهم الله في ذلك. او الاثبات فيصبح ماذهب اليه المتقدمون صوابا نتج عن علم ودراية وبحث وتمحيص، وفي كلا الحالتين علينا ان نتبع الحق فهو احق ان يتبع .

المقصود بالدور اليهودي :

ان المقصود بذلك هو ماقد يظهر من تراث الباطنيين في عقيدتهم ودعوتهم من افكار وجدت عن اليهود ولا فرق في ذلك ان تكون مما هو في اصل تراثهم او ما ادخلوه عليها من الافكار السائدة في ملل اخرى ولا يستقيم هذا المذهب اذا تبين لنا ان الباطنيين اخذوا فكرة ما من مصدر غير يهودي وان نفس ذلك كان من اليهود .

منهج البحث :

ان منهج البحث في هذه الرسالة يستند في عمومه الى الطريقة التي تحاول قدر الامكان الرجوع بالنقاط الى منطلقها وذلك عن طريق المتابعة، وهذه الطريقة تستلزم التجميع والتفريق والكر والفر وتناول امور قد يظهر منها للوهلة الاولى بعدُها عن بؤرة الموضوع .

فلا يستغرب بعد ذلك ماقد يجده القارئ فيظن انه خارجا عن الموضوع، كما هو الحال بالنسبة لموضوع الباب الاول الذي يتحدث عن الغلاة .

تقسيم الرسالة :

قسمت هذه الرسالة الى :

(١) تمهيد :

وضح الباحث فيه نبذة عن تاريخ هذا العلم، وعرج فيه نحو المصادر التي يمكن منها استقاء هذا البحث مايمكن اعتباره محاولة لمعرفة

تلك المصادر وقيمتها العلمية .

(٢) الباب الاول : الغلو الشيعي والفرق الباطنية .

يبدأ هذا الباب بتمهيد عن التشيع وظهوره في العالم الاسلامي .

والفصل الاول من هذا الباب : الصحابة والغلو الشيعي .

ويتحدث عن تركيب مجتمع عصر النبوة من حيث علاقة الصحابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم له وعلاقتهم بعضهم ببعض وخاصة علاقتهم بآل البيت النبوي ومحبتهم لهم .

كما تحدث عن وجهة نظر الصحابة في موالاة علي بن ابي طالب وتفسيرهم لها ووجهة نظر السلف الصالح لاهل البيت والمقصود بهم هنا علي والحسنين - من التشيع وهل شجع هؤلاء على التشيع ووجوده .

وختم الفصل بحقيقة التشيع ما هي ومما انبثقت .

الفصل الثاني : ظهور الغلو . وفيه :

تعريف بالمقصود من الغلو الشيعي، يتبعه تصنيف اجمالي لغلاة الشيعة .ثم دراسة عن عبد الله بن سبأ اليهودي واستعراض اقوال من انكر وجوده كليا ومن انكر وجوده جزئيا مثل من انكر كونه من اليهود ومن انكر دوره السياسي ومن احال مانسب الى ابن سبأ الى عمار بن ياسر على انه هو عبد الله بن سبأ ، وتخلل ذلك الروايات السنية والشيعية عن عبد الله بن سبأ ووجهة نظر الشيعة الباطنيين في هذه الشخصية .

الفصل الثالث : الغلو بعد عبد الله بن سبأ .

وهو يتحدث عن الفرقة الغالية المعروفة بالسبئية وعقائد هذه الفرقة ، وعن الفرق الكيسانية التي قالت بامامة محمد بن الحنفية وذريته مثل الكربية والهاشمية والبيانية والحربية والعباسية والجناحية وعقائد كل فرقة من هذه الفرق .ثم عرض هذه العقائد على ضوء الفكر اليهودي .

ثم جرى الحديث في هذا الفصل عن الغلاة في ذرية الحسن بن علي وهم الفرقة المغيرية وعقائدها على ضوء الفكر اليهودي .

يلي ذلك الذين غلوا في ذرية الحسين بن علي مثل :

المنصورية والخطابية بشتى فرقها وعقائد كل منهم وعلاقة تلك العقائد بالفكر اليهودي .

الفصل الرابع : ظهور الفرق الباطنية من الغلاة .

وهو استعراض للفرق التي ظهر فيها القول بالتأويل الباطني اكثر من ظهوره عند الغلاة فاستحقوا لذلك لقب الباطنيين وهم النصيرية والاسماعيلية والمباركية واصناف الاسماعيلية الذين ظهروا بعد ذلك مثل : الدروز والنزارية والمستعلية الداودية والسليمانية .

وفي ختام هذا الباب استعرض البحث اهم النتائج التي تم التوصل اليها .

(٣) الباب الثاني : عقائد الفرق الباطنية .

ويتعرض لتلك العقائد مبتدئا باهم عقيدة عن الباطنيين وهي " التأويل الباطني " لان جميع العقائد عندهم مبنية على ذلك وشمل هذا الفصل على تعريف بمدلول هذا الاصطلاح واهمية القول بالظاهر والباطن عند الباطنيين وما قيل عنهم بسقوط العمل بالظاهر .

ثم جرى الحديث عن اصل التأويل الباطني من وجهة نظر الباطنيين ومن وجهة نظر غيرهم يلي ذلك ما قيل عن وجود التأويل الباطني عند اليهود وعند غلاة الشيعة . ثم العوامل المشتركة بين اليهود والباطنيين بالنسبة للتأويل الباطني .

وقد ختم الفصل بنماذج للتأويل الباطني للقرآن الكريم كما اوردته كتبهم .

الفصل الثاني : التسبيع وهي احدى العقائد الباطنية وفيه توضيح لقيمة الرقم (٧) في عقائدهم ، يلي ذلك ما ذكروه من القول بالادوار السبعة وفي هذا ما فيه من القول الذي يذكرنا بمن قال بعدم فناء العالم . ثم علاقة التسبيع بالتناسخ . فنبذة عن تطبيق نظريات التسبيع على الواقع عند الباطنيين وفي ختام الفصل تحدثت عن اصل التسبيع وعلاقته بالفكر اليهودي .

الفصل الثالث : الاله عند الباطنيين، فيه حديث عن قصة

الخلق كما يصورها الباطنيون واهمية الملائكة ومن هم عند الباطنيين واليهود ، يليه الاشتراك اللفظي في اسم الله عز وجل وتعالى بين ذاته وسواه عند الباطنيين ومثيل ذلك عند اليهود ، ثم ظاهرة تأليه النصيرية لعلي بن ابي طالب ، والقول بحلول روح الله الذي نسب الى بقية الباطنيين ،

الفصل الرابع : عقيدة الباطنيين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم الانبياء والمرسلين، ومن هو آخر الرسل عند الباطنيين وقولهم بنسخ الشريعة ، ومكانة محمد صلى الله عليه وسلم عند الباطنيين .

الفصل الخامس : الامامة . تعريفها ومنزلتها في عقائد الشيعة يلي ذلك الامامة عند الباطنيين وفيه خصائص ائمهم من حيث تكونهم وصفاتهم ومعجزاتهم وعصمتهم كل ذلك بالاضافة الى علاقة ذلك بالفكر اليهودي، ثم حديث عن قول الباطنيين باستمرار الامامة امد الدهر بامام ظاهر او مستور والمقصود بذلك عندهم واسبابه .

الفصل السادس : يتحدث عن الائمة الباطنيين المستورين، ويشمل ترجمة لاسماعيل بن جعفر الذي ينتسب الاسماعيليون الباطنيون اليه ودوره في الفكر الباطني، يلي ذلك ترجمة اخرى لابنه محمد بن اسماعيل وفيها تعرض الباحث ايضا لدوره في الفكر الباطني . وقد ختم هذا الفصل بنبذة عن الائمة الباطنيين المستورين .

الفصل السابع : عقيدة المهدي المنتظر ، ويشتمل على مسألة المهدي المنتظر عند اهل السنة والجماعة ، ويليه ذات المسألة عند الشيعة ، ثم المهدي الباطني المنتظر وافضليته عندهم وعلاقته بالقيامة والبعث والنشور . يليه ذكر للاراء الباطنية في الثواب والعقاب وعلاقة ذلك بالفكر اليهودي . وهو آخر فصل في الباب الثاني .

وختمت الباب باستعراض لاهم النتائج التي ظهرت من دراسة هذا الباب .

(٤) الباب الثالث : الدعوة الباطنية ودعاتها .

يتحدث الفصل الاول من هذا الباب عن عماد الدعوة الباطنية وركنيها الاساسيين : السرية ووسائلها وعلاقة ذلك بالفكر اليهودي التدرج في الدعوة الباطنية بحيث يرتفع الباطني الى درجة من درجات دينهم قبل ان يكمل الدرجة التي سبقت ومعنى ذلك واهمية اخذ العهد على كل من ينتسب اليهم واسباب ذلك وعلاقة القمع الفكري باساليب الدعوة الباطنية . ثم موازنة الفرق الباطنية والجمعية الماسونية والعلاقة بين الماسونية واليهود وبينهم وبين الباطنيين في الدعوة .

الفصل الثاني : عن الدعاة الباطنيين وتنظيمهم ومراتبهم ، يلي ذلك تجاوزات من بعض الدعاة نسبت الى الفكر الباطني وشوهته وعلاقة ذلك بحقيقة العقيدة الباطنية ، ثم استعراض لما نسب الى بعض دعاتهم من وجود نماذج فكرية يهودية في تراثهم .

الفصل الثالث : يتحدث عن جانب هام من تاريخ الدعوة الباطنية من حيث علاقته بكون الخلفاء العبيديين ائمة من اهل البيت . وقد استعرض الباحث عملية ارسال الباطنيين الدعاة الى اماكن معينة في العالم ، وانتشار الدعوة الباطنية في اليمن والمغرب وتعيين مركز انطلاق الدعوة الباطنية . وجري الحديث في هذا الفصل عن مسألة النسب الفاطمي ومن اول من نفاه عن العبيديين هل هم اهل السنة باعتبارهم مناوئين للباطنيين ام غيرهم ، وفيه كيفية بداية تأسيس دولة العبيديين على يد عبيد الله المهدي وعلاقته بالخليفة الذي كان بعده وهو القائم بامر الله ، ثم عن علاقة العبيديين بالقداحيين ابناء ميمون القداح ويليه دراسة عن ذرية ميمون القداح وعلاقتهم بالدعوة الباطنية من وجهة نظر الباطنيين ومن وجهة نظر سواهم ، وختام الفصل كان استعراضا لما قيل في اصل القداحيين ونسبتهم الى اليهود كل ذلك من خلال مقارنة في ذلك بين المصادر الباطنية والمصادر الاخرى .

وفي نهاية الباب استعرضت اهم النتائج التي ظهرت في ختام هذا الباب وهو آخر ابواب الرسالة .

وبعد ذلك وضعت خاتمة للرسالة ، تحدثت فيها عن اشياء وجدتها على جوانب مختلفة من الرسالة ما يمكن اعتباره نقداً لها وختمت الرسالة بالنتائج العامة التي توصل البحث اليها والاقتراحات التي يأمل الباحث تحقيقها .

وقد وجدت رغبة في اضافة ملاحق للرسالة لنصوص باطنية رجع الباحث اليها وبعضها غير معروف من قبل ولكن لظروف اعتبرها خاصة امتنعت عن ذلك ولان الرسالة استفادت في مجموعها من تلك النصوص بقدر كاف ، الا ان هناك كتابا نشرته الجامعة الامريكية بالقاهرة منذ اكثر من عشرين سنة فيه رسالة من المهدي عبيد الله مؤسس الدولة العبيدية فآثرت نشره كما هو باعتباره وثيقة رسمية عبيدية باطنية حول مسألة النسب الفاطمي .

وبالله تعالى التوفيق ومنه نستمد العون ..

الرموز المستعملة في الرسالـــــة

ص : تأتى في الهوامش بعد ذكر المرجع وتعني صفحـة كذا .

ص ص : تأتى في الهوامش بعد ذكر المرجع وتعني أن المطلوب في المرجع أكثر من صفحـة .

فما : تأتي بعد ذكر رقم صفحة ما والمقصود احالة القارئ للرجوع الى الصفحة المطلوبة فما بعدها .

ق : تأتى في الهوامش بعد ذكر اسم المرجع الذي يكون هنا مخطوطا غير مرقـــم الصفحات ، وتعني ورقـة .

ق ق : تأتى في الهوامش بعد ذكر اسم المرجع الذي يكون هنا مخطوطا غير مرقـــم الصفحات ، وتعني أكثر من ورقه .

(ر.ص ...) = راجع صفحة كذا من البحـث وقد لجأ الباحـث الى ذلك منعـــا للتكرار ، وربطا لما له علاقـة بالموضـوع .

(ص) : تأتي بعد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهـي تذكير للقارئ بوجـــوب الصلاة والسلام عليه وقد تأتي بين النصوص المنقولة بعد اسمه (ص) أو بعـد اسم أحـد أئمـة الباطنيين .

(صلع) : تأتي في النصوص الشيعيـة عموما بعد ذكر النبى (ص) أو أحد الأئمة .

(ع) : تأتي في النصوص الشيعية عموما بعد ذكر أحـد الأنبياء أو أحـد الأئمـة أو الدعاة الباطنيين وتعني : عليـه السلام .

(عم) : " " " " " " " " " " " " " " " " " " ،

ـ ... ـ : ما بين العلامتين جملـة اعتراضيـة .

(ـ ...) : علامة ناقـص التى بين القوسين مع رقم يعني سنة وفاة العلم المذكـور ذلـك بعده .

[...] : ما بين الحاصرتين يأتي بين النصوص التي استشهد الباحث بها وهـــي اضافـة من الباحـث .

[كذا] : ورود كلمة كذا بين الحاصرتين يأتي بين النصوص المستشهد بها ، وهي اشارة الى أن العبارة وردت كذلك في النص الذي يتضح فيه وجود خطاء ما ، آثر الباحث الابقاء عليه ٠

جميع التواريخ في البحث بالتاريخ الهجري ، فهو تاريخ المسلمين الا أن ينوه على خلاف ذلك ماعدا هوامش المراجع التي أرخ لطبعها بالتاريخ المسيحي وهو واضح ومألوف ٠

تمهيد

ان دراسة عقائد الفرق من العلوم الاسلامية الجليلة ، التي ظهرت قديما .
وقد أشار فؤاد سزكين الى أن التأليف في هذا العلم يمتد الى القرن الأول حيث
ألف ابو الأسود الدؤلي (ـ ٦٩) رسالة في ذم القدرية (ر. تاريخ التراث
العربي ، ج ٢ الطبعة العربية ، ص ٣٤٥) .

وعلم عقائد الفرق ذو جوانب منها :

١ـ الردود : وهو الجانب الذي يهتم بالناحية الجدلية ، بالرد على عقيدة
ما أو ذمها أو حتى الدفاع عنها ، وربما كان هذا الجانب من أقدم الجوانب
في علم عقائد الفرق .

٢ـ الدراسات المقارنة : وهي تميل الى الحديث المجرد عن الفرق ومقالاتها
وهذا الجانب وان لم يخل من الناحية الجدلية الا أن له طابعا عاما هو
ما يمكن تصنيفه الى جانب الدراسات المقارنة ، كما أن له رافدا هاما ، يفيد
الذين يهتمون بتاريخ الحركات الفكرية . وأحسب أن ما تحدث به ابن قتيبة
(ـ ٢٧٦) في كتاب المعارف يمكن اعتباره نموذجا قديما قائما يصور لنا ذلك
(ر. ص ص ٦٢٢ ـ ٦٢٥ منه) .

وقد أطلق على الكتب التي اختصت بهذا النوع من الدراسات " كتب المقالات "
كما سُمّي مؤلفوها " أصحاب المقالات " . ولعلها اكتسبت ذلك من أول كتاب ألف
في هذا الجانب ، وهو كتاب الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي (ـ ٢٤٥ أو ٢٤٨)
المسمّى بكتاب المقالات (ر. سزكين . تاريخ التراث العربي ، ٢/٣٦٨ ، ٣٦٩)
وهذا الكتاب مفقود حاليا .

ومن كتب المقالات ما اتخذ الجانب العام وأعني به دراسة عامة للفرق وعقائدها
وبين يدي طلاب العلم في ذلك على سبيل المثال :

كتاب أبي الحسن الأشعري (ـ ٣٣٠) وهو : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين .

كتاب البغدادي (ـ ٤٢٩) وهو : الفرق بين الفرق •

كتاب ابي محمد على بن حزم (ـ ٤٥٦) وهو : الفصل في الملل والأهواء والنحل •

كتاب الشهرستاني (ـ ٥٤٨) وهو : الملل والنحل •

كتاب الفخر الرازي (ـ ٦٠٦) وهو : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين •

وقد استفاد البحث من هذه الكتب الكثير من علمها فيما يختص بالغلاة وبالفرق الباطنية •

ونجد في الكتب الموسوعية مقاطع هامة عن الفرق مثل :

كتاب ابن قتيبة • وهو : المعارف الذي سبق الحديث عنه •

كتاب الداعي الباطنى أبو حاتم الرازي (ـ ٣٢١) ، وهو : كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية والعربية ، الذى يعتبر القسم الثالث منه كتابا يكاد يكون مستقلا عن الفرق من وجهة نظر شخص باطني حاول أن يتجرد عن باطنيته ، وقد استفاد البحث منه فيما يختص بالغلاة •

ومن كتب المقالات ما اتبع الجانب الخاص ، وأعني بذلك اجراء دراسة عن فرق خاصة يجمعها رأى متقارب • ومن الممكن اعتبار واصل بن عطاء المعتزلي (ـ ١٣١) من أول المصنفين في هذا المجال حين ظهر بكتابه " " أصناف المرجئة " (ر• محمد محي الدين عبدالحميد • مقدمة لكتاب مقالات الاسلاميين • وسزكين ٢/ ٣٦٠) •

وأشهر الكتب حاليا في ذلك :

كتاب سعد بن عبدالله الأشعري القُمّي (ـ ٣٠١) ، وهو كتاب المقالات والفرق •

كتاب ابي الحسن النوبختي (ـ ٣١٠) ، وهو : فرق الشيعة

والكتابان من مصادر هذا البحث وهما يهتمان الى حد بعيد بفرق الشيعة خاصة ، أكثر من اهتمامهما بسواها من الفرق •

عن الفرق الباطنية خاصة يمكن القول ان معظم ما ألف فيها يعتبر من صنف الكتب

الجدلية " الردود " ·

وإذا نظرنا الى الفرق الباطنية من حيث نسبتها الى "الباطن" ومن حيث اعتمادها "السرية" و"الستر" منهجا لها - كما سيتضح في البحث - ، فان الكتب التي ألفت عن هذه الفرقة من غير أهلها تتميز بأسماء مقرونة " بالكشف " و"الهتك" و"الفضح " ، ولا ينسحب هذا بالضرورة على ما كان من قبل في كتب أصحاب المقالات عن الباطنية ، ولعل أقدم الكتب التي اهتمت بالفرق الباطنية خاصة :

كتاب ابى عبدالله بن رزام (عاش تخمينا في أوائل القرن الرابع - لويس ص ٥٧) ·
ان ابن النديم الذي نقل نصوصا عن هذا الكتاب لم يسمّه ولكنه وصفه بأنه : ردّ على الاسماعيلية وكشف مذاهبهم (ر· الفهرست ص ٢٧٨) · والكتاب مفقود حاليا الا أن ابن النديم (- ٣٧٨) نقل منه كما تقدم · وكذا المسعودي (- ٣٤٦) والمقريزي (-٨٤٥) ·(ر· الفهرست ص ٧٨ واتعاظ الحنفا ٢٢/١ ولويس · أصول الاسماعيلية ص ٥٨) ·

ويرى لويس ومن أخذ عنه أن ابن رزام أول من ربط بين ميمون القداح والخلفاء العبيديين كما يفهم من عبارته التي أقرنها بأن ذلك من حيث كتب السنة · ولكن الباحث يعتبر ذلك تجنيا على ابن رزام وأهل السنة ، لأن القاضي النعمان الباطني (- ٣٦٣) ذكر أن هذه المسألة مما ذكر في كتاب جاء به أحد الدعاة الباطنيين النائين الى المعز لدين الله (تولى الحكم ٣٤١) وأن هذا الداعي يعتبر مسألة ربط ميمون القداح بالخلفاء العبيديين مسألة مُسلَّمة (ر· المجالس والمسايرات ص ص ٤٠٩ ، ٤١٠) وبعيد جدا أن يكون ذلك صدًى لما ذكره ابن رزام ، الذي يعتبر خصما للباطنيين ، ويؤيد ذلك أن من المعروف أن " الميمون " اسم مرتبط بالدعوة الباطنية وزعمائها منذ أيام المهدي عبيد الله مؤسس الدولة العبيدية (- ٣٢٢) ، (ر· الملحق - ١) وان فُسّر على وجه آخر · وقد استفاد البحث من المقتطفات التي نقلت عن كتاب ابن رزام ·

كتاب ابى بكر الباقلاني (ـ ٤٠٣) ، وهو : كشف الأسرار وهتك الأستار• وهو مما يظهر أنه من الكتب المفقودة ، الا أن ابن حزم الظاهري (ـ ٤٥٦) ذكر في أكثر من صفحة نصوصا عنه تختص بعقائد الباطنية (ر• الفصل ٤/٢٢٢) كما ذكر تاج الدين السبكي (ـ ٧٧١) في طبقات الشافعية أن الباقلاني كشف في أول كتابه المذكور بطلان نسب الفاطميين ـ العبيديين (ر• هـ التمهيد للباقلاني ، تحقيق الخضيري ، القاهرة ، ١٣٦٦ ، ص ٢٥٩) •

كتاب اسماعيل بن أحمد البستي المعتزلي الزيدي (ـ ٤٢٠) ، وهو : كشف أسرار الباطنية • وقد اكتشف الكتاب مستشرق ايطالي هو : أ• جريفيني من ميلانو كما نُشر جزؤ منه علَى يد شيترن • (ر• سزكين ٢/٤١٣ ، ٤١٤* ومقدمة عبد الرحمن بدوي لكتاب فضائح الباطنية ط ٢) ، وعلى ذلك يمكن القول ان هذا أقدم الكتب الموجودة حول هذا الموضوع مع عدم وجوده في العالم العربي بشكل معروف•

كتاب ثابت بن أسلم النحوي الشيعي الحلبي (ـ ٤٦٠) ، الذى كشف فيه عن بداية الدعوى الاسماعيلية وقبائح هذه الفرقة ، مما دعا الباطنيين الى الانتقام من مؤلفه بقتله صلبا بمصر (ر• مقدمة عبد الرحمن بدوي • لكتاب فضائح الباطنية) ولا يستبعد فقدان هذا الكتاب اليوم •

كتاب ابن ابي الفضائل محمد بن مالك اليماني (ـ القرن الخامس) ، ويسميه أهل اليمن : محمد بن لك ، كما سمعت ذلك منهم ، و(ر• الحبشي • مصادر الفكر ص ٩٤) ، وأما الكتاب فهو : كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة وقد نشر كلاما بمصر وقدم له وحققه زاهد الكوثري (ر• الملحق ـ ٢) ، وميزة الكتاب أن مؤلفه اضطر الى اعتناق المذهب الباطني ليتمكن من تأليفه • وقد اعتمد على هذا الكتاب كثير ممن كتب بعد ذلك عن الفرق الباطنية ، وخاصة أهل اليمن منهم ، وقد استفاد البحث منه في بعض النقاط • والكتاب يعتبر الباطنيين والقرامطة شيئا واحدا ولا يخفَى علينا أن أهل اليمن لا يطلقون على الباطنيين الا اسم القرامطة الى اليوم •

* هناك بعض الأخطاء في الترجمة العربية لسزكين حول هذا الموضوع وللتحقيق راجع الطبعة الألمانية ١/٦٢٦ • كتبه [illegible]

كتاب أبي حامد الغزالي (ــ ٥٠٥) ، وهو : فضائح الباطنية • وقد هذا الكتاب ثلاث مرات ، الأولى على يد جولد زيهر الذي نشر جزءًا منه• والـ ـ : وهي الطبعة الأولى من طبعات الكتاب بكليته بتحقيق وتقديم عبد الرحمن بدوي• والثالثة : وهى الطبعة الثانية من طبعة عبدالرحمن بدوى وهى التى اعتُمدت فيما رُجع اليه منه في هذا البحث (ر• الملحق ــ ٢) •

ذكر الغزالي في كتابه هذا أن للباطنيين ألقابا عشرة :

١ــ الباطنية ٢ــ القرامطة ٣ــ القرمطية ٤ــ الخرمية ٥ــ الخرّمْدِينية ٦ــ الاسماعيلية ٧ــ السبعية ٨ــ البابكية ٩ــ المحمرة ١٠ــ التعليمية (ر• فضائح الباطنية ص ١١ فما) •

وسيلاحظ القارئ أن البحث لم يعتمد على هذا التقسيم في فرق الباطنيين، الذي يدل على أنها ألقاب لشيء واحد ، بل ان البحث ذهب حين قسم الباطنيين الى تصنيفهم من حيث اختلاف مقالاتهم وتفرق آرائهم (ر• البحث ص ص ١٤٢ ، ١٤٩ ــ ١٥٥) كما أن تقسيم الغزالي أدخل فرقا وأخرج أخرى من الباطنية مثل : البابكية والخرمية اللتين تجمعهما مع الفرق الباطنية بعض الأفكار وتفرق بينهم أخرى ، كما أنه لاعلاقة بين هتين الفرقتين بالفرق الباطنية التى يجمعها بالاضافة الى ما يجمعها القول بامامة أهل البيت من ذرية الحسين ابن على وما الى ذلك •

وذكر الغزالي أن السبب الباعث لهم على نصب هذه الدعوة ما يأتى :ــ

مما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب الى ملة ولا معتقد لنحلة معتضدة بنبوة ، فان مساقها ينقاد الى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين • ولكن تشاور جماعة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين ، وضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنهم ما نابهم من استيلاء أهل الدين ،

وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين حتى أخرس
ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم من انكار الصانع وتكذيب
الرسل . (ر . فضائح الباطنية ص ص ١٨ فما) .

ويمضي الغزالي في ذلك بأن اولئك القوم اختاروا الرفض مذهبا ينفذون منه
الى المسلمين واختاروا شخصا نسبوه الى أهل البيت وعصموه من الخطأ والزلل .

ولنلاحظ أن الذين تحدثوا عن هذه النقطة في أسباب نشأة الفرق الباطنية
ـ غير الغزالي ـ أشركوا اليهود الى جانب الفلاسفة والمجوس في مؤامرتهم ضد
الاسلام .

وقد حفلت كتب أخرى ـ قد تكون أكثر قِدما ـ بالحديث عن الفرق الباطنية،
ولكن بكيفية ضمنية من خلال حديث تلك الكتب عن الفرق المختلفة ، وهؤلاء
هم اصحاب المقالات الذين سبق الحديث عنهم . وليلاحظ القارئ الكريم
أن بعض أصحاب المقالات أعتبروا الباطنيين فرقة اسلامية وبعضهم مثل البغدادي
أعتبرهم من الفرق التي تنتسب الى الاسلام وليست منه .

كما حفلت كتب أخرى بالحديث عن عقائد هذه الفرق وأخبارها وأعني مالا يمكن
اعتباره من كتب المقالات ، مثل :

كتاب القاضي عبدالجبار المعتزلي (ـ ٤١٥) ، وهو : تثبيت دلائل النبوة،
والكتاب وان تحدث عن نقطة عقدية معينة يدل عليها عنوانه ، الا أن الكتاب
في جملته ملئ بالردود على أهل الفرق وخاصة الشيعة ، وفيه بعض من أخبار
عن عقائد الباطنية وتاريخها . والكتاب مطبوع عن نسخة وحيدة في المكتبة
السليمانية في اسطنبول ، بتحقيق عبدالكريم عثمان (ر . الملحق ـ ٢) . وقد
استفاد البحث من هذا الكتاب .

كتاب محمد بن الحسن الديلمي (ـ ٧١١) ، وهو : قواعد عقائد آل محمد .

يقول الحبشي : ان هذا الكتاب من أصول كتب الزيدية (ر. مصادر الفكر العربي ص ١١٢) . وقد طبع الكتاب طبعتين الأولى بتحقيق المستشرق شتروثمان الـذي قدم له بنبذة عن الصراع بين الباطنية والزيدية ذلك الصراع الذي كان من نتائجه أمثال هذا الكتاب . وليس كل الكتاب عن الفرق الباطنية بل ان قسما منه هـو الخاص بعقائد الباطنية وهو الذى نشر وطبع .

وذكر شتروثمان في مقدمته أن الديلمي استفاد من كتاب أحمد بن محمد المحلي الوادعي الشهير بالفقيه المحلي (-٦٥٣) المسمى : الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار (ر. مصادر الفكر ص ١٠٧) .

والطبعة الثانية للقسم الخاص بعقائد الباطنية فى كتاب الديلمي ظهرت فى القاهرة (ر. الملحق - ٢) وهي التي استفاد البحث منها فيما رجع اليه من هذا الكتاب .

ويتميز كتاب : قواعد عقائد آل محمد بأن مؤلفه رجع الى كثير من المصادر الباطنية الشهيرة ، وقد أعد الباحث قوائم لبعض النصوص التي استعملها الديلمي منها ، ولكن الباحث رأى بعد ذلك عدم اعتبارها واعتمادها في البحث لأنها نصوص مستقات من مرجع غير باطني ، وذلك منعا للملامة ويمكن الاستفادة منها بعد مطابقتها بنصوص باطنية مشابهة وهو ما يراه الباحث ممكنا . والقوائم رهن من يطلبها .

وهذا أهم ما يختص بالكتب التي ألفت في نقد الباطنيين ، وليس معنى ذلك عدم وجود غيرها .

في الأزمنة المعاصرة ظهرت دراسات أخرى عن الفرق الباطنية وعلى رأس تلك الدراسات ما كتبه المستشرقون .

تتميز معظم دراسات المستشرقين بالتعاطف مع الباطنيين والتحامل على أهل السنة

باعتبارهم العدو التقليدي للباطنيين ، ولا يدري الباحث سبب هذا الموقف الاستشراقي من الفرق الباطنية ، الا أن ذلك يتردد بين سلامة النية والرغبة في البحث العلمي النزيه وبين رأى من يقول انهم يبيتون أمرا ما لأهل السنة والجماعة في نفوسهم ٠

يأتي كتاب ديخويه ، وهو : القرامطة ٠ في مكانة عليا في الترتيب بين كتب المستشرقين بل هناك من يعتبر الدراسات الاستشراقية الخاصة بالفرق الباطنية مدينة بالعرفان لهذا الكتاب أكثر مِن مَن سبقه منها وأن هذه الدراسات في معظمها لاتزال كما هي عليه منذ تأليف ديخويه لكتابه هذا (ر٠ مقدمة حسني زينه لكتاب القرامطه) ، وقد آسف الباحثَ عدمُ حصوله على هذا الكتاب الا بعد الانتهاء من كتابه البحث ، فتعذرت الاستفادة منه ٠ ولكن لا بأس من الاشارة الى أنه موجود في طبعته العربية ، بترجمة حسني زينه ونشر دار ابن خلدون بيروت ١٩٧٨ ٠

ان شتروثمان المستشرق الألماني يعتبر ممن ساهم في الدراسات الاستشراقية الخاصة بالفرق الباطنية ويعتبر كتابه(أربعة كتب اسماعيلية) نموذجا لمجهوده في ذلك حيث قام بنشر أربعة كتب لباطنية اليمن وجدها في مكتبة الامبروزيانا وكانت من المراجع الهامة لهذا البحث ٠ وقد ألحق شتروثمان كتابه هذا بدراسة عنه باللغة الألمانية مما جعلني أتمثل بقول الشاعر :

كالعيس في البيداء يقتلها الضما * والماء فوق ظهورها محمول

لأن تلك الدراسة لاتخلو من جديد يمنعني عنه الجهل بهذه اللغة فتمنيت وجود مركز للترجمة في جامعتي يعين طلابها على استكمال بحوثهم على أكمل وجه٠

وقد نشر شتروثمان أيضا الجزء الخاص بعقائد الباطنية من كتاب الديلمي ٠ قواعد عقائد آل محمد ، الذي سبق الحديث عنه ٠

ايفانوف ٠ مستشرق روسي يمكن اعتباره شيخ المستشرقين المهتمين بدراسة الفرق الباطنية ، وقد كتب في ذلك كثيرا الا أنه متهم بالتحيز للباطنيين

ولعل أهم كتبه هو : The Guid to the Ismaili Literature

الذي غير عنوانه في طبعته الثانية (ر· الملحق ـ ٢) والكتاب عبارة عن فهرس للمؤلفات الباطنية على طريقة كتاب بروكلمان الشهير ، الا أنه باللغة الانجليزية وذلك سببٌ حَدّ من امكانية استعماله على أكمل وجه في البحث ·

ولايفانوف كتاب آخر هو: The Rise of the Farimides

وقد ختمه بنشر نصوص من كتب باطنيه عديدة (ر· الملحق ـ ٢) استفاد البحث من أكثرها ·

ونشر ايفانوف أيضا كتابين تاريخيين باطنيين هما :

كتاب : النيسابوري · استتار الامام وكتاب : اليماني · سيرة جعفر الحاجب (ر· الملحق ـ ٢) وقد استفاد البحث منهما كثيرا · كما استفاد من مقدمته لهما بعض الشيء وقد نشر الكتابان في مجلة كلية الآداب · جامعة القاهرة ديسمبر ١٩٢٦·

ولايفانوف كتاب آخر هو : القرامطة والاسماعيلية وقد حصلت علّي ترجمة عربية لها من أخي سليمان السلومي بآخرة مما حدّ من الاستفادة منه على الوجه المطلوب. ولهذا المستشرق انتاج كثير آخر لم أقف عليه مع الأسف ·

ويعتبر كتاب برنارد لويس ، وهو : أصول الاسماعيلية من أكثر كتب المستشرقين استعمالا في هذا البحث وبالرغم من تطرفه المستتر الى جانب الباطنيين الا أنه يحوي معلومات قل أن توجد في مثيل له(ر· الملحق ـ ٢) وقد حفل الكتاب بمقدمة عن المصادر التي استعملها ، وهي مما لا يستغني عنه باحث في الفرق الباطنية ·

ان باول كراوس يعتبر من المهتمين بالدراسات الباطنية وله في ذلك بحوث كثيرة لم أتمكن مع الأسف من الحصول عليها (ر· ص ٣٨٠ من البحث) ·

وعن الدراسات المعاصرة للفكر الاسماعيلي الباطني في العالم العربي يمكن القول انها تأثرت كثيرا بالدراسات الاستشراقية في معظمها •

في مصر مثلا نجد الرعيل الأول من دارسي الفكر الباطني ، ومن الممكن القول ان المصريين اهتموا بالفكر الباطني في أول الأمر انطلاقا من الناحية التاريخية فدولة العبيديين — الفاطمية — أزدهرت حضارتها في مصر • فصارت الدراسات الفاطمية هي المدخل الذي بدأت به البحوث الكثيرة عن الباطنيين • ويأتي في مقدمة الذين أهتموا بالفكر الباطني :

محمد كامل حسين ، ويعتبر بحق أبرز من عمل في هذا الحقل ، وهو يمثل نموذجا فريدا من نوعه ، فهو يتحدث عن الباطنيين فيسخر منهم حينا ويدافع عنهم ويعجب بحضارتهم أحيانا. ويصر على تسميتهم الفاطميين • وقد ساهم محمد كامل حسين في نشر الكثير من الكتب الباطنية ، من ذلك

الرسالة الواعظة للداعي الكرماني

المجالس المستنصرية للداعي علم الاسلام

ديوان المؤيد في الدين لداعي الدعاة المؤيد في الدين

السيرة المؤيدية " " " " "

(ر• الملحق — ٢) وقد كانت تلك مما استند البحث اليه واستفاد منه•

ولمحمد كامل حسين دراسات عدة عن الباطنيين ، نجدها في مقدماته للكتب الباطنية التي حققها وفي الكتب المستقلة الخاصة بالفكر الباطني مثل :

طائفة الاسماعيلية — تاريخها ، نظمها ، عقائدها

طائفة الدروز •

في أدب مصر الفاطمي •

(ر• الملحق — ٢) ولا يستغرب ذلك على محمد كامل حسين الذي كان يعتبر من القلائل غير الباطنيين الذين استطاعوا الحصول على مصادر باطنية مع ما عرف عن الباطنيين من استعمال السرية ومنع الأضداد من قراءة كتبهم • وعلى أي حال

فان كتب محمد كامل حسين تعتبر مما يهم الباحثين في الفرق الباطنية .

علي سامي النشار . من الذين اهتموا بدراسة الفرق عموما وقد تعرض في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام) الى الفرق الباطنية خاصة والشيعية عامة . وقد أفاد منه البحث لا سيما فيما يختص بالغلاة .

عبدالرحمن بدوي . في كتابه : مذاهب الاسلاميين الذين يعتبر الجزء الثاني منه مجهودا نادرا في دراسة الفرق الباطنية عموما . وقد استعمل هذا الكتاب كثيرا في هذا البحث وهو مع استقلاليته فقد ينهج نهج المستشرقين في معالجته للقضايا الاسلامية كأنه غريب عنه .

في سوريا ظهرت كتب باطنية ودراسات عنهم بأقلام أشخاص يمثلون الفكر الباطني النزاري (ر. ص ١٥١ من البحث) مثل :

عارف تامر : الذي أخرج العديد من الكتب التي تؤيد الفكر الباطني وتناصره من ذلك :

الامامة في الاسلام

القرامطة

وجل كتابات عارف تامر تعبر عن التعصب الباطني ضد أهل السنة والجماعة ، وقد أخرج بعض الكتب الباطنية القديمة في كتابه :

أربع رسائل اسماعيلية : التي قدم لها بمقدمة تلقي ضوءا ساطعا على حقيقة الدعوة الباطنية بقلم أحد أبنائها وقد استفاد البحث منها باعتبار تلك الرسائل من مصادر الباطنيين .

ونشر عارف تامر كتاب الداعي الكرماني . الرياض . وكتاب الداعي السجستاني . اثبات النبوات وكتاب الداعي أبي فراس . الايضاح . وهذه الكتب من الكتب الباطنية الفلسفية التي استعملت في هذا البحث الى حد ما .

مصطفى غالب . صورة أخرى من صور الباطنيين المعاصرين ولا يختلف

كثيرا عن عارف تامر . وقد ألف فيما ألف :

أعلام الاسماعيلية

تاريخ الدعوة الاسماعيلية

سنان راشد الدين .. شيخ الجبل

ان هذه الكتب كلها في تمجيد ائمة الباطنيين ودعاتهم الا أنها أعطتنا الكثير عن حقيقة الدعوة الباطنية وعقائدها لا سيما وأن مصطفى غالب باطني مطلع على كثير من الكتب السرية المحرمة على سوى الباطنيين . وقد حفل كتابه : سنان راشد الدين شيخ الجبل بنصوص باطنية هامة وجديدة ، وقد نشر مصطفى غالب كتبا باطنية قديمة منها :

الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا وهي مما يزعم الباطنيون أنه من مؤلفات أحد الأئمة المستورين؛ وهي تلقي ضوءا على العقائد الباطنية قبل نشأة الدولة العبيدية .

الهفت الشريف؛ وهو أحد كتب فرقة النصيرية وقد أضاف اليه مصطفى غالب مقدمة عن هذه الفرقة تعتبر فريدة من نوعها . (عن فرقة النصيرية ر. ص ص ١٤٢ ، ١٤٣ من البحث) .

وفي تونس قامت على نطاق ضيق بحوث تهتم بالفكر الباطني وربما انحصرت في تراث الداعي الباطني القاضي النعمان (ـ ٣٦٣) الذي يقال انه من مدينة القيروان (ر. ص ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ من البحث) . ويقيم التونسيون حلقة دراسية كل فترة زمنية حول القاضي النعمان يدعى اليها المهتمون بالتراث الباطني من مستشرقين وباطنيين وغيرهم . وقد ظهر من تونس كتابان للقاضي النعمان هما :

افتتاح الدعوة وقد حققه عبدالفتاح الدشراوي وهو يلقي الضوء على جزء كبير من تاريخ الدعوة الباطنية وتأسيس الدولة العبيدية .

المجالس والمسايرات وقد حققه مجموعة من المحققين كان على رأسهم الحبيب

الفقي وقد وُفقت بحمد الله للحصول على نسخة من هذا الكتاب تكرم الي بهــا مشكورا أحد محققي هذا الكتاب وهو : ابراهيم شبوح . والكتاب مقدّم له بمقدمة توضح الجهد المبذول فيها . والكتاب أضاف الكثير من المعلومات عن الدعوة الباطنية وتاريخها وعقائد الباطنيين وقد استفاد البحث من كتابَي القاضي النعمان هذين الفائدة المثلى .

ومن غير اولئك اهتم بنشر التراث الباطني :

محمد حسن الأعظمي وهو من الباطنيين المستعلية وقد نشر:

كتاب القاضي النعمان . تأويل الدعائم . مقدما له بدراسة عن الباطنيين يغلب عليها عنصر الدعاية.

كتاب الداعي الحارثي (ـ ٥٨٤) الأنوار اللطيفة في الحقيقة وهو من الكتب المُعرِقَة في التأويل الباطني ويلقى أضواء أخرى على العقيدة الباطنية مما لم يعرف عنهم من قبل . وقد استعمل الباحث هذا الكتاب في هذه الرسالة .

عادل العوا وقد نشر :

كتاب الداعي حاتم الحامدي (ـ ٥٩٦) . رسالة زهر بذر الحقائق وهو من الكتب الباطنية المعرقة في التأويل وتسمى عندهم كتب الحقيقة (ر . فهرست المجدوع . المقدمة ص ص ٧ ، ٨) والكتاب من مراجع البحث .

لا شك في أهمية الدراسات الخاصة بالفرق الباطنية العلمية ، سواء في ذلك ما ألفه بين سطور كتب المقالات ، أو ما ظهر في كتب مستقلة ، أو ما كتبه المستشرقون والباحثون العرب وغيرهم .

الا أن الأهمية الأكيدة تأتي في الدرجة الأولى من كتب الباطنيين أنفسهم أعني المراجع الأصلية التي تتحدث بلسان أهلها. وعلى الباحث في عقائد الفرق أن يعتمد على أكبر قدر ممكن من المصادر الأصلية للفرق التي هو بصدد البحث في أمرها .

ولكن قد تأتي من العقبات ما يمنع الحصول على المصادر الأصلية لأهل هذه الفرق ، وذلك لأسباب منها :

عدم وجود مصادر للفرقة المراد بحثها أصلا كما هو حال بعض غلاة الشيعة كالسبئية والكيسانية مثلا . وسبب عدم وجود مصادر لأمثال هذه الفرق - الا مما كتبه عنها مخالفوهم - ينحصر في نقاط أهمها أن تلك الفرق سرعان ما تتكون وسرعان ما تنفصل لتكوين فرق أخرى وأن الذين كانوا ينتسبون الى الفرق الشيعية الغالية كانوا لا يجدون حرجا في أن يتنقلوا أفرادا أو جماعات من هذه الفرقة الى تلك ، وقد أشار الى هذه الظاهرة برنارد لويس (ر. أصول الاسماعيلية ، ص ٨٩) وفرق كهذه يستبعد أن تلتقط أنفاسها كي تؤلف كتبا يرجع اليها أصحابها ، وعليه فان الكثير من مقالات تلك الفرق كما يبدو لم يعرف بعد .

فقدان المصادر الأصلية بفعل العوامل الطبيعية كالحرائق والكوارث أو بعوامل أخرى مثل استيلاء الخصوم على تلك المصادر واتلافهم لها وقد قيل ان ابا عبدالله الشيعي الذى مهد لقيام دولة العبيديين في المغرب أحرق كثيرا من كتب الخوارج .

المحافظة على سرية المصادر الخاصة بالفرقة - أيا كانت - ومنع سواهم من الاطلاع عليها ، وهذا واضح في الفرق الشيعية الباطنية (ر. ص ص ٣١٦ فما ، من هذا البحث) ، وقد نقل عن وجود مثل ذلك في فرق الخوارج (ر. ابن النديم ص ٢٧٢) .

لكل ذلك أصبحت كتب الخصوم في بعض الأحيان مما يمكن الرجوع اليه في مثل هذه الحالات ، ومهما يكن الأمر فهذا لا يقلل من أهمية مصادر الخصوم حتى يثبت أن ذلك الخصم نقل غير الحقيقة أو يظهر مصدر يكذب أقوال الخصم .

بالنسبة للفرق الباطنية فانها من الفرق التي يصعب الحصول على كثير من مصادرها للأسباب المذكورة آنفا ، وقد أفلتت كثير من مصادرهم من نطاق السرية

المضروب عليها ، ما أشير اليه من قبل في هذا التمهيد ونشر علَى يد المستشرقين وغيرهم ولكن الكثيرمنها لا يزال طيّ الكتمان .

وانطلاقا من الايمان باهمية الوقوف علَى مصادر الباطنيين حاول الباحث جاهدا الحصول عليها أوعلَى بعض منها ، وقد تكللت بحمد الله هذه المحاولات ببعض التوفيق فأمكن الحصول على بعض ما نشر من مصادر الباطنيين وذكر ذلك في هذا التمهيد من قبل ، كما أن هناك بعض المخطوطات الباطنية الموجودة في مكتبات العالم .

فقد حصلت مثلا على بعض الرسائل الخاصة بفرقة الدروز من مكتبة الامبروزيانا بايطاليا ، وهي موجودة لديّ في شريط مصغر (مايكروفيلم) ، ولكن منع عدم استعمالها جيدا في البحث لعدم وصولها في وقت كاف .

كما حصلت على مثل تلك الرسائل من دار الكتب المصرية مثل :

رسالة الانصناء

رسالة الايقاظ والبشارة

الرسالة الموسومة بالرضا والتسليم

رسالة الصبحة الكائنة .

رسالة النساء الكبيرة

كتاب تقسيم العلوم لاسماعيل التميمي .

رسالة خمار

رسالة التنبيه والتحذير

وقد تمكنت بحمد الله أيضا من الحصول علَى مخطوطة باطنية هامة من دار الكتب المصرية بواسطة استاذي فهيم شلتوت جزاه الله خيرا وهي كتاب الداعي جعفر بن منصور اليمن . الشواهد والبيان .

كما تمكنت من الحصول علَى بعض المخطوطات الباطنية من المكتبة الغربية بجامع صنعاء الكبير مثل :

كتاب القاضي النعمان . أساس التأويل فوقفت علَى جزء منه .

كتاب الداعي ابن الوليد الأنف . دامغ الباطل وحتف المناضل فوقفت علـى
جزء يسير منه .

كما تمكنت بتوفيق الله من الحصول على مخطوطة نصيرية هامة في مكتبة
جامعة كامبرج وهي لمؤلف نصيرى مجهول وهي بعنوان :
حقيقة حق اليقين في معرفة سر أسرار أمير المؤمنين .

وقد تمكنت من الحصول على بعض المخطوطات الباطنية من بلاد اليمن ، وهى
مخطوطات ذات أهمية ، مثل :

مجالس حاتم للداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي .

مجالس الحكمة وهو من الكتب التى لم تشر اليها كشافات قوائم كتب الباطنيين

حياة الأحرار وهو أيضا من الكتب التي لم تشر اليه كشافات قوائم كتب الباطنيين

كل ذلك ما استطعت توفيره خلاف المطبوع من مراجع الباطنيين والذي أشرت
اليه سابقا .

وحيث ان البحث يستوجب الوقوف على مراجع عن الفكر اليهودي فقد لجأت
أول الأمر الى الدراسات التي نشرت باللغة العربية عن اليهود وسأتحدث
عن ذلك فيما يأتى :-

لابد لنا هنا من الاحاطة ببعض المعلومات عن مصادر الفكر اليهودي ، التى
يأتي على رأسها .

العهد القديم

يضم العهد القديم تسعة وثلاثين سفرا تنقسم الى قسمين :

١- أسفار موسى الخمسة وهي :-

سفر التكوين ويتكون من خمسين اصحاحا أو فصلا .

سفر الخروج ويتكون من أربعين اصحاحا .

سفر اللاويين ويتكون من سبعة وعشرين اصحاحا .

سفر العدد ويتكون من ستة وثلاثين اصحاحا .

سفر التثنية ويتكون من أربعة وثلاثين اصحاحا .

وتأتي هذه الأسفار في الدرجة الأولى بين أسفار العهد القديم (ر. بدران محمد بدران . التوراة — العقل . العلم . التاريخ — ، القاهرة ، دار الأنصار ١٣٩٩ ، ص ص ١٥ — ١٩) .

وقد استشهد هذا البحث بصفة خاصة بسفرين من هذه الأسفار هما : سفر التكوين ، وسفر اللاويين .

يحكي سفر التكوين تاريخ الخليقة منذ خلق السموات والأرض حتى استقرار بني اسرائيل أرض مصر وفيه قصص آدم ونوح وابراهيم وذريتهم (ر. على عبد الواحد وافي . اليهودية واليهود . القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٧٠ ، ص ١٠) .

وأما سفر اللاويين فهو يهتم بالعبادات والقرابين والحلال والحرام وكيفية أداء الطقوس باشراف الكهنة اللاويين — الذين من ذرية لاوي بن يعقوب ابن اسحق — ومنهم موسى وهرون (ر. وافي . اليهود واليهودية ، ص ١١) .

وليلاحظ أن كهنة اليهود كما يوجب هذا السفر لابد أن يكونوا من ذرية هارون لعدم وجود ذرية لموسى ، ولذلك أهمية تقترن بجانب من الامامة عند الفرق الباطنية .

كما استفاد البحث من بقية أسفار موسى الخمسة في اماكن متفرقة .

وقد أثبتت البحوث الحديثة أن أسفار موسى الخمسة مما ألف في عصور متأخرة، فسفر التكوين مثلا الف بعد موسى بنحو خمسة قرون ، وأما سفر اللاويين فقد الف بعد ذلك بأربعة قرون . وعليه فينبغي التفرقة بين أسفار موسى وبين التوراة التي أنزلها الله عليه (ر. وافي ، ص ص ١٣ ، ١٤)

٢ — أسفار أنبياء بني اسرائيل وهي : —

سفر يشوع ويتكون من أربعة وعشرين اصحاحا .

سفر القضاه ويتكون من احدى وعشرين اصحاحا .

سفر القضاه ويتكون من احدى وعشرين اصحاحا .

سفر راعوت ويتكون من أربعة اصحاحات.

سفر صموئيل الأول ويتكون من احدى وثلاثين اصحاحا .

سفر صموئيل الثاني ويتكون من أربعة وعشرين اصحاحا .

سفر الملوك الأول ويتكون من اثني وعشرين اصحاحا .

سفر الملوك الثاني ويتكون من خمسة وعشرين اصحاحا .

سفر أخبار الأيام الأول ويتكون من تسعة وعشرين اصحاحا.

سفر أخبار الأيام الثاني ويتكون من ستة وثلاثين اصحاحا.

سفر عزرا ويتكون من عشرة اصحاحات .

سفر نحميا ويتكون من ثلاثة عشر اصحاحا .

سفر أستير ويتكون من عشرة اصحاحات.

سفر أيوب ويتكون من اثني وأربعين اصحاحا .

سفر المزامير ويتكون من مائة وخمسين اصحاحا .

سفر الأمثال ويتكون من احدى وثلاثين اصحاحا .

سفر الجامعة بن داود ويتكون من اثنى عشر اصحاحا .

سفر نشيد الانشاد ويتكون من ثمانية اصحاحات .

سفر اشعياء ويتكون من ستة وستين اصحاحا .

سفر أرميا ويتكون من اثنين وخمسين اصحاحا .

سفر مراثى أرميا ويتكون من خمسة اصحاحات .

سفر حزقيال ويتكون من ثمانية وأربعين اصحاحا .

سفر دانيال ويتكون من اثنى عشر اصحاحا .

سفر هوشع ويتكون من أربعة عشر اصحاحا .

سفر يوئيل ويتكون من ثلاثة اصحاحات.

سفر عاموس وهو اصحاح واحد .

سفر عوبيدا ويتكون من أربعة اصحاحات .

سفر يونان (يونس بن متى) ويتكون من أربعة اصحاحات .

سفر ميخا ويتكون من سبعة اصحاحات .

سفر ناحوم ويتكون من ثلاثة اصحاحات .

سفر حبقوق ويتكون من ثلاثة اصحاحات .

سفر صفنيا ويتكون من ثلاثة اصحاحات .

سفر حجي ويتكون من اصحاحين.

سفر زكريا ويتكون من أربعة عشر اصحاحا .

سفر ملاخي ويتكون من أربعة اصحاحات (ر. بدران ص ص ١٩ ، ٢٠)

وهناك ثمانية أسفار أخرى لم يعترف المسيحيون بها ولذلك فهي على ما يبدو مجهولة بالنسبة لقراء العربية لأن المسيحيين هم الذين ترجموا العهد القديم الى العربية وقد استعملت في هذا البحث نصوص متفرقة من : سفر يشوع وسفر صمويل الثاني وسفر الملوك الأول وسفر أخبار الأيام الأول وسفر أشعيا وسفر أرميا وسفر حزقيال وسفر دانيال وسفر يوئيل وسفر ملاخي .

والجدير بالملاحظة أن جميع أسفار العهد القديم - على ما فيها من حكم ومواعظ - فانها مليئة بالأخبار الخرافية المتناقضة وهذا ما أثبتته الدراسات الحديثة (ر. بدران ، ص ص ٢٣ - ٣١ وناجي . المفسدون في الأرض ، ط ٣ ، دمشق ، العربي للاعلان ، ١٩٧٣ ، ص ص ١٤ - ٢٠) ، وهو دليل آخر على أن هذه الأسفار ليست وحيا من الله بل هي من تأليف البشر ، وحتى الأسفار المنسوبة الى بقية أنبياء بني اسرائيل فانها قد ألفت حسب الظروف في أوقات مختلفة على يد أشخاص مختلفين وهذا ينطبق خاصة على سفر أشعيا الذي اشترك في تأليفه أشعيا الحقيقي وأشعيا الثاني وأشعيا الثالث حسب ما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة (ر. النبي أشعيا وأزمة الكيان الصهيوني - رسالة علمية - ص ١٢٧).

ولأن هذه الأسفار بشرية التاليف فقد حاول الباحثون العثور على المصادر الأصلية للعهد القديم، فتبين لهم أن من بين تلك المصادر .

ما كان يقرره اليهود في محافلهم فيضيفونه الى أسفارهم المقدسة .

الأساطير المنتشرة من قبل في المنطقة .

الفكر الفرعوني المصري .

الأفكار البابلية والفارسية القديمة .

قانون حمورابي . (ر. شلبي ، اليهودية ، ط ٤ ، ص ص ٢٦٠ ــ ٢٦٤) .

وعن أخذ العهد القديم ببعض الأفكار الفلسفية الفرعونية تبين أن ذلك واضح بعد اجراء مقارنة بين بعض نصوص العهد القديم ونصوص بردية فرعونية قديمة (ر. بدران ص ص ١٧٥ ــ ٢٠١)

بعد العهد القديم يأتي في الأهمية بالنسبة لمصادر الفكر اليهودي ، التلمود وهي كلمة عبرية تعني التعاليم ، وتأتي أهمية التلمود عند اليهود بعد العهد القديم ان لم تكن قبله عند بعض فرقهم (ر. وافي ، ص ٢٣ . وبالتفصيل ر. سعد ، همجية التعاليم الصهيونية بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ ، ص ص ٨٩ ــ ١٠٥) .

ويتكون التلمود من :

المشناه : وهي أصل التلمود وتعني الشريعة الثانية ، وهي خلاصة القانون الشفهي ــ وهو ما ينسبه اليهود الى أن موسى قاله ولم يُكتب ــ وتناقله الحاخامات منذ ظهور الحركة الفريسيه ــ في القرن الثاني قبل ميلاد عيسى والثقافة اليهودية الى اليوم تنسب في أكثرها الى الفريسيين هؤلاء ــ . ولفيلسوف اليهود ابن ميمون مقالة توضح مرحلة كتابة ما كان يسمّى بالقانون الشفهي (ر. ظفر الاسلام ، التلمود ص ص ١٢ ، ١٣ ، ٢٩ ، ٣١) . وقد ألفت المشناه في القرنين الأول والثاني لميلاد عيسى (ر. وافي ص ٢٣) وهذا العصر هو الذي نشطت فيه حركة الفريسيين .

صار اليهود بعد ذلك يضعون الحواشي على المشناه حتى تكوّن لديهم ما سُمي جيمارا ومعناها " التكملة " . وتطلق كلمة " التلمود " على المشناه وجمارا معا .

وهناك " جمارا " الفت في القدس وأخرى في بابل ، ولذلك نجد عندهم التلمود اليورشليمي والتلمود البابلي .

طبع التلمود بعدة لغات من لغات العالم (ر. وافي ص٢٥) ، ومعظم تلك الطبعات محرفة قصدا تنفيذا لقرارات مجمع بولونيا اليهودي ١٦٣١. ، والذي يدعيه العارفون:أن أكمَلَ طبعات التلمود هي طبعة البندقية(ر. مسعد ص ٩٨ و ر. ظفر الاسلام ص ٢٤) لأنها طبعت قبل المجمع المذكور ما بين سنتي ١٥٢٠ ـ ١٥٢٣ ولا يوجد من هذه الطبعة سوى ثلاث نسخ (ر. سهيل ديب . التوراه ، بيروت ، دار النفائس ، ١٣٩٢ ، ص ٨٣) .

وبالنسبة للغة العربية المشرفة فان التلمود لم يترجم اليها حتى الآن (ر. خليفة التونسي ، مقدمته على : همجية التعاليم الصهيونية ، ص ٦٥) .

الا أن في بعض الكتب التي ألفت عن اليهود باللغة العربية أو ترجمت اليها نجد استشهادات من التلمود ، وان يكن بعضها غير معزو الى جزء معين من التلمود ، الأمر الذي صعّب توثيق كثيرمن النصوص العربية المنسوبة الى التلمود . ومن الممكن العثورعلى شيء من النصوص التلمودية في الكتب العربية التالية :-

الكنز المرصود في قواعد التلمود ، وهو عبارة عن أكثر من كتاب مترجم من اللغة الفرنسية منذ ما يقرب من مائة عام ، وقد استفاد البحث من هذا الكتاب.

همجية التعاليم الصهيونية ، لمؤلفه : بولس حنا مسعد سنة ١٩٣٨، وهو قريب من كتاب الكنز المرصود الا أنه أكثر دقة بالنسبة لتوثيق المصادر، الذي آثر مؤلفه أن تكون باللغة الفرنسية التي كما يبدو كانت لغة تلك المصادر التلمودية . والكتاب مديج بمقدمة تغري بالقراءة لأنها بأسلوب الأديب اللغوي محمد خليفة التونسي . وقد استفاد البحث من هذا الكتاب أيضا .

التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الاسلام خان ، وهو دراسة علمية جدية حازت رضا بعض المصادر المختصة ، وهو مفتاح مناسب لمن أراد ولوج باب الدراسات اليهودية لذلك فقد كان من المراجع التي استفاد منها هذا البحث ٠

فضح التلمود ٠ كتاب ألفه أحد الآباء النصارى وهو : براناتيس وطبع سنة ١٨٩٢ وترجم الى اللغة العربية الشريفة على يد زهدي الفاتح أحد المهتمين بالدراسات اليهودية في العالم العربي ٠ والكتاب يحوي كثيرا من المعلومات عن التلمود وخباثة منبته ٠ وقد فات الباحث الاشارة الى محتوياته في هذا التمهيد ٠ وهو يحوي نصوصا تلمودية هامة ٠ الا أن مؤلفه كان يريده لقراء من النصارى وعليه فقد ركز على كراهية التلمود للنصارى ورغم ذلك فالكتاب مليء بنصوص تلمودية موثقه ، ومقدمة علمية شاملة على التلمود لا مثيل لها بين الكتب التي تتحدث عن ذلك بلغة العروبة ٠

دلالة الحائرين ٠ وهو من كتب الفيلسوف اليهودي الشهير : موسى بن ميمون القرطبي (ـ٦٠٢) وقد ألفه باللغة العربية مكتوبة بحروف عبرية ، وكأنه قصد بذلك أن لا يقرأه الا أشخاص معينون بلغوا مرتبة عليّة في الديانة اليهودية ، وقد نشره باللغة العربية من عدة أصول : حسين أتاي ودبجه بمقدمة مناسبة والكتاب مليء بنصوص تلمودية أورشليمية وبابلية ، وجعل لها ناشرا لكتاب جداول تسهل للقارئ تناولها ولكن تلك الجداول غير دقيقة مع الأسف ٠ وقد استعمل الباحث كثيرا هذا الكتاب باعتباره نصا يهوديا لعَلَم بارز من أعلامهم ٠

ومن مصادر التراث اليهودي سوى العهد القديم والتلمود ، ورد ذكر : الأسفار اليهودية الخفية : وقد كانت هذه الأسفار جزءا من العهد القديم ، الا أن أحبارهم رأوا وجوب اخفائها رغم اعترافهم بقدسيتها ، حتى لا يطلع عليها الناس ، وهذا هو ما ذكره الله تعالى عنهم في كتابه العزيز : (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى

نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ٠٠٠) " سورة الانعام ٩١ "
(ر. وافي ص ٢١) ٠

وهناك مرجع باللغة العربية تحدث باسهاب عن الأسفار الخفية ، التي اعتبرها من انتاج " القبالا " وهي فكرة يهودية تعتمد على السحر وطلاسم الحروف والأعداد وتجمع بين الدين والفلسفة ٠ وهذا الكتاب هو لشخص معاصر يدعى صبري جرجس، وعنوان الكتاب هو :

التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٧٠

وليلاحظ القارئ الكريم أن مصادر الفكر اليهودي : العهد القديم والتلمود مليئة بالمغالطات والتناقض والأفكار الغريبة ٠ ولمن أراد في ذلك معلومات أوضح عنها فليعد مشكورا الى المراجع التي تحدثت عن ذلك ، وهي الكتب التي أشير اليها آنفا ٠

وهناك كتب أخرى تتحدث عن اليهود بصفة عامة من حيث تاريخهم ومعتقداتهم ، وهي متوفرة باللغة العربية ٠ ومنها :

تاريخ يوسيفوس اليهودي ، وقد طبع هذا الكتاب في بيروت سنة ١٨٧٢ ويتكون من ثمانية فصول تتحدث عن تاريخ اليهود منذ وجودهم حتى خراب القدس على يد الرومان ٠

قصة الحضارة ٠ كتاب ألفه ول ديورانت وترجم الى اللغة العربية بقلم محمد بدران ، القاهرة ، جامعة الدول العربية ، ١٩٧٥ ، والجزء المقصود من هذا الكتاب هو الجزء الرابع عشر ويتحدث عن تاريخ اليهود وشيء من معتقداتهم من وجهة نظر مفكر غربي معاصر ٠

التاريخ اليهودي العام ٠ صابر طعيمة ، بيروت ، ١٩٧٥ ٠ ويتكون من جزئين الأول عن تاريخ اليهود قبل الاسلام ٠ والثاني عن تاريخهم مع الاسلام ومعتقداتهم ٠

تاريخ فلسطين القديم . ظفر الاسلام خان ، بيروت ١٣٩٣ ، ويعتبر هذا الكتاب بحق من الكتب القيمه فيما يختص بتاريخ اليهود على صغر حجمه .

اليهودية . أحمد شلبي وفي طبعته الرابعة : القاهرة ١٩٧٤ نجد أنه يتحدث بالاضافة الى مقدمة عن علم مقارنة الأديان ، عن : ملخص تاريخ اليهود حتى اليوم ، العقيدة اليهودية وأنبيائهم كما وردت في القرآن الكريم ، عقيدتهم وأنبيائهم من غير ذلك ، مصادر الفكر اليهودى : العهد القديم ، التلمود ، بروتوكولات حكماء صهيون – وهذا الكتاب مما لم يرجع الباحث اليه في هذا البحث قصدا – ، صور من التشريع اليهودي ، اليهود فى الظلام : وهو يتحدث عن اعتبار ظاهرة اثارة الفتن مما يتميز به اليهود ، وقد ساق أحمد شلبي أمثلة علَى ذلك منقولة من مراجع غربية ، كما تحدث عن علاقة اليهود بالفرق الباطنية بايجاز وكذا عن اثارة اليهود للفتن علَى عهد رسول الله (ص) في المدينة المنورة بين الأوس والخزرج وتشكيكهم في الاسلام وردّ القرآن الكريم عليهم في ذلك ، وتحدث الكتاب في فصل مستقل عن سيطرة اليهود على وسائل الاعلام في العصر الحاضر وتسييرهم لها حسب مصلحتهم وأغراضهم . وتحدث في فصل آخر عن اتخاذ اليهود التجسس مهنة لهم منذ يهوذا الاسخريوطي الذي اندس بين تلاميذ عيسى عليه السلام وساوم الرومان على تسليمه لهم نظير دراهم معدودة ، ومرورا بنفاق اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لغرض التجسس على المسلمين ، وضرب بذلك أمثلة : داعس ، وسعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ورافع بن حرملة ، وختم ذلك بتجسس اليهود على مصر في العصر الحديث ، وتحدث في فصل آخر عن ظاهرة تستر اليهود خلف أديان أخرى مثل البوذية والمسيحية والاسلام . وفي فصل آخر تحدث عن اتباع اليهود أسلوب التآمر والاغتيال منذ أيام الرومان حتى اليوم ، وفي فصل آخر تحدث عن علاقة اليهود بالجمعيات السرية التي أرادت الكيد بالمسيحية والاسلام وخص بالذكر وقوفهم خلف القرامطة الباطنيين وغلاة الشيعة ، وكذا الماسونية وما شابهها .

وقد استفاد الباحث من كتاب أحمد شلبي في مواضع عديدة .

أحمد عبد الغفور عطار . اليهودية والصهيونية ، بيروت ، ١٣٩١ ، من الكتب التي تحدثت عن اليهودية والصهيونية باعتبارهما شيئا واحدا ، والكتاب في جملته تكرار لما شابهه من الكتب التي ترجمت عن لغات أخرى وذلك من حيث حديثه عن الكتب المقدسة ومعتقدات اليهود ، ولا شك أن للكتاب فوائد لمن أراد الوقوف على معلومات عامة عن اليهود .

منذ بزغ فجر الاسلام وأضاء بنوره العالم كانت له مع اليهود مواقف مختلفة ويمكن تصنيف هذه المواقف كما يأتي :-

دعوة اليهود الى الدخول في هذا الدين شأنهم في ذلك شأن النصارى الذين سماهم الله بأهل الكتاب تمييزا لهم عن غيرهم من أمم الأرض مثل : مشركي العرب والمجوس والصابئة .

رد الفعل اليهودي نحو الاسلام ذلك الذي يتميز بالكفر والنكران وتطور الى نقض العهود التي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فضح القرآن الكريم لهم من حيث تاريخهم المليء بالكفر بآيات الله وكتمانها واتخاذ أساليب المراوغة والخداع بعد أن أكرمهم الله بموسى وأنجاهم من فرعون الذى كان يستذلهم وفضلهم على العالمين .

محاربة رسول الله لهم بالبراهين والأدلة التي يعرفونها ثم بالسيف والطرد لما تبين غدرهم ونقضهم العهود .

انهزام اليهود أمام قوة الاسلام واتخاذهم بعد ذلك أساليب خفية لمحاربته والقضاء عليه ، تلك التى تجلت في : نشر النفاق في المدينة ، بث الاسرائيليات وتكوين حركات سرية لتفتيت دولة الاسلام ، نشوء الحركات الهدامة للنيل من الاسلام فكريا ، المساهمة في انشاء الفرق لتفتيت قوة الاسلام .

كل ذلك يمكن معرفته بالرجوع الى المصادر التالية :-

القرآن الكريم

السنة النبوية المطهرة

كتب السيرة النبوية

كتب التاريخ الاسلامي عامة

وقد حفلت المكتبة العربية بمراجع حديثه حول تعامل اليهود مع الاسلام والمسلمين ، من ذلك :

كتاب : عفيف عبدالفتاح طبارة . اليهود في القرآن ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧٤ وهو : تحليل علمي لنصوص القرآن في اليهود على ضوء الأحداث الحاضرة ، مع قصص أنبياء بني اسرائيل ، كما وصفه مؤلفه .

كتاب : صابر طعيمة . بنو اسرائيل في ميزان القرآن الكريم ، بيروت ، دار الجيل ١٩٧٥ . وكلا الكتابين من البحوث البارزة في هذا المجال .

كتاب : عبدالرحمن حبنكه الميداني . مكائد يهودية عبر التاريخ ، بيروت دار القلم ، ١٣٩٤ . والكتاب يختص بذكر المكائد اليهودية في الاسلام والمسلمين منذ أيام رسول الله (ص) حتى عصرنا الحاضر .

كتاب : أنور الجندي . المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الاسلامي ، القاهرة ، دار الاعتصام ، ١٩٧٧ . والكتاب من المراجع التى استعان الباحث بها في هذه الرسالة وهو يقترب كثيرا من كتاب مكائد يهودية .

كتاب : عبدالله التل . الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، بيروت المكتب الاسلامي . والكتاب لا يختص بذكر الناحية التاريخية لجهود اليهود في الكيد بالاسلام منذ بزوغه بقدر ما اهتم بتلك الناحية في العصر الحديث ، والكتاب بحد ذاته مكمل لكتاب آخر لنفس المؤلف بعنوان : خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية .

وقد رجع الباحث الى جميع تلك الكتب قبل الخوض في كتابة هذه الرسالة ولكنها ليست من مراجع البحث الا ما نوه عن ذلك فيه.

عن دور اليهود في الفرق الباطنية وهو موضوع هذه الرسالة فان كل ما ذكر في هذا التمهيد من مراجع ، يعتبر مما وقف الباحث عليه واستعان به بدءا : بالقران الكريم ، وكتب السنة ، والتاريخ الاسلامي وعلى رأس ذلك كتاب محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك ، وكتب الفرق والمقالات التى كتبها أهل السنة والشيعة ، والمصادر الباطنية ، والمراجع التى كتبت عن الفرق الباطنية خاصة والعهد القديم ، وما نشر باللغة العربية من نصوص تلمودية وهو ما يتضح للقارئ جليا في الملحق ـ ٢ الخاص بذكر المراجع التى استعان الباحث بها ، وهى لم تكن جميع ما رجع اليه الباحث ، لعدم وجوب ذكر كل مرجع وقف عليه الباحث لأن ذلك يتنافى مع المقصود من قائمة المراجع.

وحسبي أن ذكرت في هذا التمهيد ما عنى لي من الحديث حول المراجع وكان بودي لو تمكنت من اجراء دراسة أوفى لذلك .

ويطيب لي هنا أن أدعو القارئ الكريم لقراءة هذا البحث المتواضع راجيا منه الصفح عن كل خطأ فيه .

وبالله نستعين ...

الباب الأول

الغلو الشيعي والفرق الباطنية

تمهيد: قبل الحديث عن الغلو والغلاة والباطنيين ، لابد لنا من نظرة سريعة للتشيع ، لأن الغلاة والباطنيين يدعونه لعلي وذريته .

التشيع: يقولون ٥

تشيّع الرجل ، ادعى دعوى الشيعة .[١]

والشيعة هم :

شيعة علي بن أبي طالب .[٢]

ظهور التشيع: اختلف في الفترة التي ظهر فيها التشيع ، فقيل : انه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد استدل محمد الحسين آل ١٠[٣] كاشف الغطاء (ـ ١٣٧٣)* ، أحد علماء الشيعة المعاصرين بأحاديث من رواية أهل السنة ـ على حد زعمه ـ بصدق هذه الدعوى[٤] . ولن نناقش ذلك هنا لأنه سيخرج بالبحث الى موضوع آخر . وعلى ما تقدم قيل ان أصل التشيع عربي المنبت .

هناك من قال : ان الأمر على نمط آخر بدعوى : ١٥

ان العقيدة المتعلقة بالحق الالهي التي أودعت في الأسرة الساسانية كانت ذات أثر عظيم في تاريخ الفرس والتشيع.[٥]

---

١. الرازي (ـ ٦٦٠) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر . مختار الصحاح ، بيروت دار الفكر ، ١٣٩٨ ، مادة ش ي ع ، ص ٣٥٣ .

٢. النوبختي أبو الحسن محمد بن موسى ، فرق الشيعة ، ط ٤ ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٣٨٨ ، ص ٢٢ .

٣. انظر : النوبختي ص ٣٦

٤. انظر : أصل الشيعة وأصولها ، ط ١٠ ، القاهرة ، المطبعة العربية ، ١٣٧٧ ، ص ص ١٠٩ فما بعد .

* انظر : ترجمته في : الزركلي . الأعلام ط ٣ ، ج ٦ ، ص ٣٣٩

٥. محمد السعيد جمال الدين . دولة الاسماعيلية في ايران ، القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٧٥ ، ص ٨

وأفاض من ذهب هذا المذهب في ذكر القرائن التي تقوّي هذا الرأي ، وهو في جملته يؤدى الى أن للفرس — وقد كانوا مجوسا — يدا في التشيع ، وصبغته بصبغتها ، كما يؤخذ من النص الآنف الذكر.

وفي قول آخر لأحد المستشرقين وهو : اسرائيل فريد لاندره الذى لم ينكر دور الفرس الرئيسي في بدعة التشيع ، الا أنه وضع اليهود بعد الفرس مباشرة في هذه البدعة .[١]

ان " فريد لاندر" أخذ هذا القول عن المصادر السنية ، التي انطلقت من مفاهيم تتعلق بالانتصارات الاسلامية الباهرة ، التي هزمت الفرس — المجوس — واليهود فلجئوا الى حرب من نوع آخر علهم يهدمون الاسلام ويهزمونه .

هذا ملخص ما قيل عن التشيع ونشأته وأصله . الا أن للباحث رأيا آخر حول ذلك ينطلق به من :—

١— النظرة السنية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه خاصة ولأهل البيت عامة .

٢— الغلو في أهل البيت الذي كان سمة للتشيع على اختلاف مذاهبه الا فيما ندر .

وهذا الرأى يتلخص في اجراء دراسة عن حال المجتمع الذي كونه الاسلام أعني به مجتمع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذين هم سلف هذه الأمة المباركة وعلى رأس هذا المجتمع أهل بيت رسول الله (ص) . وهل كانت في ذلك المجتمع المختار بذورٌ للتشيع لأهل البيت واذا كانت هناك بذورا له ، فما هي العلاقة القائمة بين أعضاء ذلك المجتمع على ضوء ذلك ؟ .

---

١. أنظر: JAOS Vol. XXIX, P.16

الفصل الأول

الصحابة والغلو في أهل البيت

مجتمع عصر النبوة : بعث الله تعالى رسوله محمدًا (ص) في مكة المكرمة التي كانت تعيش في جهالة جهلاء ، وضلالة عمياء، شأنها في ذلك شأن بقية بلاد العرب . قال تعالى : (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)*

صار رسول الله (ص) يعرض نفسه على القبائل كل موسم حج حتى آمن به رهط من أهل (يثرب) وبايعوه على مناصرته وتأييده فسموا الأنصار .

أمر رسول الله (ص) أصحابه الذين آمنوا به في مكة بالهجرة الى يثرب التي أصبحت بعد ذلك دارا للاسلام ، فهاجروا من مكة هربا بدينهم وتركوا أموالهم وأولادهم فسموا بالمهاجرين .

هاجر رسول الله (ص) بعد ذلك الى (يثرب) التي سميت بعد هجرته بالمدينة ، وآخى بين المهاجرين والأنصار . وهكذا تكون أول مجتمع اسلامي في دار الاسلام .

وصف الله تعالى هذا المجتمع بصفات عظيمة فقال تعالى في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود)** . هذا الوصف يشتمل على صفتين رئيسيتين للصحابة الكرام : أ — أنهم أشداء على الكفار . ب — أنهم رحماء بينهم .

---

* الجمعه ٢

** الفتح ٢٩

وظهرت الصفة الأولى في حربهم للمشركين خاصة في غزوة بدر الكبرى تلك المعركة الحاسمة بين الكفر الذي يمثله كفار قريش والاسلام الذي يمثله المهاجرون والأنصار . قاتل الأنصار جنبا الى جنب مع اخوانهم المهاجرين عدوهم المشترك كفار قريش الذين لم يكونوا سوى أقارب في النسب بالنسبة للمهاجرين ، وتلاشت قرابة النسب لتحل محلها الأخوة في العقيدة .

وظهرت الصفة الثانية للصحابة الكرام وهي أنهم رحماء بينهم ، على صور مختلفة منها المؤاخاة التي كانت بين المهاجرين والأنصار .

وكان الجامع لكل ذلك محبتهم للهادي الى صراط الله المستقيم محمد (ص) تلك المحبة التي كانت ولا تزال من تمام الإيمان كما نص على ذلك (ص) في الحديث الشريف فقال :

لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين .[1]

وقد ترجم الصحابة هذه المحبة الكاملة أقوالا وأفعالا تتضاءل أمامها ما عرفته كثير من الأمم من مظاهر الحب والطاعة والتضحية والفداء .

محبة الصحابة لآل رسول الله (ص) :

قبل التعرف على ذلك تستحسن الاشارة الى المقصود بكلمة " آل " في هذا البحث . يقال في اللغة :

آل الرجل أهله وعياله ، وآله أتباعه أيضا .[2]

وكلمة "آل" مما ورد ذكره في القرآن الكريم ، مثل : (آل موسى وآل هرون)* و (آل ابرهيم وآل عمران)** و (آل داود)*** . وليس فيما سبق من معنى لكلمة "آل" سوى الأهل والعيال . أما الأتباع فان استعمال كلمة آل للدلالة عليهم لم يكن من مقاصد الآيات السابقة ، وعليه فان استبعاد هذا المعنى أولى حين نتحدث هنا عن آل محمد (ص) .

---

١. البخاري ك / ٢ ، ب ٨ ، أنظره في فتح الباري على صحيح البخاري ج ١ ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٨٠ ، ص ٥٨
٢. مختار الصحاح ب : أول ص ٣٣
* البقرة ٢٤٨ ** — آل عمران ٣٣ *** — سبأ ١٣

ان آل النبي (ص) أهل بيته ومنهم زوجاته أمهات المؤمنين وهن نساؤه صلى الله عليه وسلم ، اللاتي خصهن الله تعالى بالآيات التالية فقال جل من قائل : (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)[*]

ومن آل النبي كذلك بناته الطاهرات . وبنو هاشم وبنو المطلب[١] .
وقد أحب الصحابة آل محمد (ص) ولم يناصبوهم العداء بل كانت هناك مواقف تشير إلى أنهم كانوا يكنون لهم تقديرا خاصا . كما أثبتت الحوادث ، من ذلك :

١ـ استسقاء عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب عم رسول الله (ص)[٢] ،
٢ـ خطبة عمر ابنة علي بن ابي طالب من فاطمة الزهراء وزواجه منها[٣] .
٣ـ ارسال علي بن أبي طالب أم المؤمنين عائشة بعد وقعة الجمل الى المدينة معززة مكرمة[٤] . كل ذلك جزء من الأدلة على محبة السلف الصالح لأهل بيت رسول الله (ص) .

مولاة علي بن أبي طالب :

كان علي بن أبي طالب أول من آمن من الصبيان برسول الله (ص)[٥] ، فهو من السابقين الأولين ، وله من المواقف الشجاعة في نصرة الاسلام مالا يزال مضرب الأمثال حتى يومنا هذا ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة[٦] ، وهو

---

* الأحزاب ٣٢ ، ٣٣
١. أنظر : صحيح ابن خزيمة ج ٤ ، تحقيق الأعظمي ، دمشق ، المكتب الاسلامي ، ١٣٩٩ ، ص ٦٣
٢. صحيح البخاري ك ٦٢ ب ١١ ، أنظر : فتح الباري ج ٧ ، ص ٧٧
٣. انظر : ابن حزم . جمهرة أنساب العرب ، عبد السلام هارون ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص ١٥٢

ابن عم رسول الله (ص) ، وربيبه ، وزوج ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين .

وفى فضل "عليّ" قال رسول الله (ص) :

من كنت مولاه فعليّ مولاه.[١]

وقال له رسول الله (ص) :

أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسَى؟ إلا أنه لانبي بعدي .[٢]

وقال (ص) في حقه :

لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق .[٣]

كل ذلك جعل من علي شخصية ذات مكانة خاصة في نفوس الصحابة الكرام ، ولا يستطيع أحد القول إن الصحابة كانوا مناصبين العداء لعلي أو مبغضين له ، بل انهم كانوا موالين له كما والوا رسول الله (ص) ، إلا أن يكون تفسير الموالاة بالخلافة أو الامامة وهو تفسير يخالف رأي الصحابة في الموالاة وعلى رأسهم "علي" نفسه كما سيأتى.

إن من يرجع إلى المصادر التاريخية يستنتج أن الصحابة بايعوا أبا بكر ولم يروا في ذلك أيّ نقص في حق "عليّ" أو أى جرح لمكانته من رسول الله (ص) .

واذا صدر أي تكذيب لذلك فان تسلسل الأحداث في المدينة المنورة يكذبه ، فلو كان في الأمر انتقاصا من قدر "عليّ" وهضما لحقه المشروع للزم قيام طائفة مناوئة للتي بايعت أبا بكر ، ولم ينقل التاريخ لنا شيئا من ذلك . مع وجود ما قد يستدعيه ، كالروايات التى قيلت عن رغبة بعض الصحابة فى مبايعة "عليّ" بالخلافة وكان من بينهم الزبير بن العوام وأبو سفيان.[٤]

---

٤. أنظر : الطبرى . تاريخ الطبرى ج ٤ ، ابو الفضل ابرهيم ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٧٠ ، ص ٥٤٤ ، وانظر : اليعقوبى . تاريخ اليعقوبي ج ٢ ، دار بيروت ، ١٣٩٠ ، ص ١٨٣ .

٥. انظر مسند أحمد ١/ ٢٠٩ ، ٣٣٠ ، ٣٧٣ و ٤/ ٣٦٨ ، ٣٧٠

٦. انظر الترمذى ك ٤٦/ باب ٢٥

١. انظر : مسند احمد ١/ ٨٤ و ٤/ ٢٨١ و ٥/ ٣٥٠

٢. البخارى ك ٦٢ ب ٩ ، ك ٦٤ ب ٧٨ أنظر فتح البارى ٧/ ٧١ و ٨/ ١١٢

٣. الترمذى ك ٤٦ ب ٢١ ومسند احمد ١/ ٨٤ ، ٩٥ ، ١٢٨

٤. انظر : تاريخ الطبرى ج ٣ ، ص ص ٢٠٣ ، ٢٠٩

وغيرهما . أو ما قيل من أن عليا نفسه كان يرجو أن يكون الخليفة بعد رسول الله (ص) ، حتى انه لم يبايع أبا بكر الا بعد وفاة فاطمة الزهراء[١] .

ان الشيعة يقولون: ان رسول الله (ص) نص على "امامة علي" في "حديث الغدير"[٢] بعد أن أنزل عليه قوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)* .

عند صحة هذا الحديث يصبح حدوث صراع أهلي في المدينة المنورة أمرا حتميا لا يقل أبدا عن الجهاد في سبيل الله ولا عن "حروب الرده" التي قامت حينئذ ، الا أن الذى حدث غير ذلك تماما . بل إن عليا نفسه لم يعر الأمر أي اهتمام فبايع "أبا بكر" ... ثم بايع بعد أبى بكر "عمر" ثم "عثمان" بالرغم من كون "علي" أحد الستة الذين رشحهم "عمر" ليتولوا الخلافة بعده ، فلو كان منصوصا عليه بالامامة شرعا لرفض أن يقترع مع أناس عاديين غير منصوص عليهم .

ذلك كله يدل على أن موالاة "علي" لم تكن من مفاهيمها أن يكون اماما للمسلمين .

قد يقال ان عليا — حقنا منه لدماء المسلمين وجمعا لكلمتهم — لم يشأ أن يصر على المطالبة بحقه في الامامة ، ولكن الذين يعلمون ما تعنيه كلمة (النص الالهى على امامة علي) يعلمون ضحالة هذا القول ، لأن الذين رفضوا مبايعة "علي" بعد وفاة رسول الله (ص) — في هذه الحالة — قد اكتسبوا عداوة الله ورسوله لعصيانهم أمر رسول الله (ص) ، الذي هو هنا وجوب مبايعة "علي" ، فلابد من محاربتهم ، والله تعالى يقول : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم)** ، وقال تعالى :

---

١. بخ ك ٦٤ ب ٣٨ أنظره في : فتح الباري ج ٧ ص ٤٩٣

٢. حديث مشهور عند فرق الشيعة ومذكور في كثير من مصادرهم على اختلاف فرقهم .

* المائدة ٦٧ ** الأحزاب ٣٦ .

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء)* ، وقال تعالى : (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم)** لذلك كان لزاما على "علي" والموالين له اعتبار كل من بايع أبا بكر خارجا عن الاسلام لعصيانه أمر الله ورسوله، ولابد من محاربته وارجاعه الى الحق . وله في ذلك أسوة حسنة برسول الله (ص) الذي حارب قريشا وجميع المشركين، اذعانا لأمر الله وأداء لرسالته . ولم يكن "علي" مغلوبا على أمره أو خاليا من العشيرة أو النصير ، ولم يكن يوما جبانا ولا خوارا يهاب الحرب .

ان مسألة اراقة دماء المسلمين في سبيل الحق ستهون رخيصة رخص الدماء والأنفس التي ستذهب في هذا السبيل، وليس من مطلب لعليّ هنا الا احدى الحسنيين . وقد وقف "عليّ" مثل هذا الموقف تماما، فلم يبخل بأرواح المسلمين ، ولم يتوان عن خوض غمار الحرب ، لمّا دعى الأمر ؛ فكان قتلى يوم الجمل عشرين ألفا وقتلى صفين سبعين ألفا كما ذكر "خليفة بن خياط"[١] . فهل كان حق "علي" أمام "أبي بكر" و"عمر" و"عثمان" أقل من حقه - بعد أن بويع له بالخلافة - أمام "طلحة" و"الزبير" و"معاوية" و"الخوارج" .

ثمة نقطة أخرى في موضوع الذين بايعوا "أبا بكر" من حيث كونهم حسب زعم "الشيعة" مناصبين عليا العداء ، وعصيانهم بذلك أمر الله ورسوله . فلابد لعليّ وشيعته من مقاطعتهم اذا لم يستطيعوا محاربتهم لسبب ما . ولكننا نجد لعليّ من المواقف التى تدل على رضاه التام على هذا الوضع. بل ان مشاركته الايجابية في كثير من الأحكام التى قضى "عمر بن الخطاب" بها ؛ سواء بمخالفته اياه عليها أم بموافقته له ، وان مصاهرته لعمر ، وموافقته أن يكون أحد

---

* الممتحنة ١ ** المجادلة ٢٢

١. انظر : تاريخ خليفة بن خياط ط ٢ ، تحقيق أكرم العمرى ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧ ، ص ص ١٨٦ ، ١٩٤ .

أصحاب الشورى ؛ يدل على أن عليا كان نعم الوزير ونعم المشير والصديق للخلفاء الثلاثة قبله ، ولم يكن مناوئا لهم بأي حال من الأحوال . بل ان مبايعة الصحابة عليا بالخلافة ؛ تلك التى تمت بعد مقتل "عثمان" تعتبر دليلا علىّ أن عليا غير منصوص له بالامامة شرعا ؛ لأن تلك المبايعة كانت في معظمها من المهاجرين والأنصار ؛ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ٥
وفى هذا معنى ؛ أن هذا المجتمع لم يكن قط مناصبا لعلي العداء ، بل كان مواليا له ولأهل بيت رسول الله (ص) ؛ ولكن ليست تلك الموالاة إلا على الطريقة التى رضي عنها "علي بن أبى طالب" نفسه ورضي عنها "السلف الصالح" ، ولم تكن بأى حال تعني "الامامة".

سلف أهل البيت الصالح والتشيع : ١٠

ان كل دارس لفرق الشيعة لابد وأن يتساءل ؛ كيف ومتى بدأ التشيع ؟ وما علاقة سلف أهل البيت بالتشيع ؟ حفلت الاجابات التى وردت فى كتب الفرق قديمها وحديثها بتعليلات وأخبار منها أن أصل التشيع لأهل البيت فارسي ، ظهر بعد زواج الحسين بن علي من ابنة ملك الفرس[١]. وهناك قول بأن التشيع انما كان في الأصل "لعلي بن أبى ١٥ طالب" ، كما يقول "أبو الحسن النوبختى" (ـ ٣١٠)*

فأول الفرق (الشيعة) وهم فرقة علي بن أبى طالب عليه السلام المسمون بشيعة علىّ عليه السلام فى زمان النبى صلى الله عليه وآله ، وبعده معروفون بانقطاعهم إليه والقول بامامته .[٢]

ويدل هذا القول علىّ أن التشيع لأهل البيت كان منذ حياة رسول الله ٢٠ (ص) وهذا يستوجب أن تكون هناك شيع أخرى لأشخاص أخر ، كما أن القول

---

١. انظر محمد السعيد جمال الدين . دولة الاسماعيلية فى ايران ،القاهرة ،سجل العرب ، ١٩٧٥ ،ص ٨
* أنظر ترجمته فى الأعلام جـ ٢ ص ٢٣٩
٢. فرق الشيعة ط ٤ ص ٣٦

بهذا يؤدي بنا الى أن شيعة عليّ اولئك ، انما كانوا يشايعونه اما تعاطفا واعجابا،أو طاعة لله ورسوله •

ان المراجع القليلة التي وقف الباحث عليها لم تذكر أن الصحابة كانوا شيعا وأحزابا علَى عهد رسول الله (ص) بل ان ما سبق به الحديث المدعم بالآيات القرآنية يدل على أن رسالة الاسلام بعيدة عن مثل هذه الأمور ٥
(ر• ص ص ٤٣، ٤٤ مجتمع عصر النبوة) فالاسلام لم يأت الا ليجمع،لا ليفرق •
قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) * • ولو صح زعم "النوبختي" لصارت "المدينة" بعد وفاة رسول الله (ص) ميدان حرب أهليه بدلا من أن تكون كما كانت عاصمة الاسلام ومنبع الهداية والنور ١٠
والعلم،والقيادات العظيمة التى أبهرت العالم فدكت أسوار أعتى دولتين، الفرس والروم •

وان كان مقصود "النوبختي" بالتشيع لعلي التعاطف معه والاعجاب بشخصيته ومزاياه فمن منا غير معجب بأبي الحسن علَى هذا النحو الذي لاعلاقة له بوجوب امامته ، أما أن يكون التشيع لعلي علَى ١٥
عهد رسول الله (ص) علَى النحو الذى يصوره الشيعة ، فان رسول الله (ص) أجل وأعظم من أن يرضى لفئة من صحابته أن تتنكب هذا،وتعادى عليا ، ولا يدلهم على الخطأ الذى يكتنفه ، وهو الهادى الى صراط الله المستقيم ، والمبعوث رحمة للعالمين • ولا يسع الباحث هنا الا أن ينفي قول النوبختي جملة وتفصيلا • ٢٠

وان كان من رأي لبعض الصحابة في مبايعة عليّ بعد وفاة رسول الله (ص) فهو لايعدو أن يكون رأيا اجتهاديا محضا •

---

* آل عمران ١٠٣

ان السنوات التى تقلد "الخلفاء الراشدون" الأربعة فيها أمر المسلمين كانت تكفي "علياً" كي يوطد أركان "التشيع" له ولولديه الحسن والحسين ويوسع دائرته ؛ اما جهرا أو بأسلوب التقية والطريقة الباطنية السرية • ان ذلك هو واجبه لأنه "الامام الوصي" صاحب الحق كما يزعمون • فلم لم يفعل ذلك ابّان خلافته فضلا عن سنوات خلافة الثلاثة الراشدين الذين كانوا قبله • وهو دليل على أنه لا وجود أصلا للتشيع الذي يقول بالنص الشرعي على "امامة علي" • ولو تسنى لنا الاطلاع على رأى "الباطنيين" في ذلك لوجدنا انهم - بما يضفونه على علي من صفات تتميز بالغلو - أنهم على غير صواب، فهم يقولون ان عليا عالم بما كان وما سيكون وأنه عالم بما سيجرى عليه من أحداث وان ساغ للباطنيين أن يعتبروا هذا عذرا فهو لا يسوغ فى نظر القرآن الكريم ، قال تعالى مخاطبا سيد الأولين والآخرين (ص) : (قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء*) •

ورغم ذلك فان دعواهم تلك لا تمنح عليا من الدعوة لما أستوصاه به رسول الله (ص) من أمر الأمة ؛ والا لأصبح والعياذ بالله خائنا للامانة وهي صفة لا ترقى بأي حال الى شخص يؤمن بالله واليوم الآخر فضلا عن علي بن أبى طالب ، إن عليا لم يحاول قط توسيع دائرة التشيع المزعوم بل لم يحاول تكوين شيعة خاصة به ، وان الذي أخبرنا التاريخ: أنه نهى عن تفضيله على أبى بكر وعمر (ر • ص ص ٢٦،٢٥ ابن سبأ) ، وأنه أحرق الذين غلوا فيه (ر • ص ص ٢٩،٢٢ ابن سبأ) مما يدل على أنه لا يد لعلي فى نشر التشيع فضلا عن تكوينه وتأسيسه •

أما "الحسن بن علي" الذي يعتبره الشيعة اماما بعد علي فان فرص النجاح كانت مواتية له لو أراد تحقيق مالم يحققه أبوه من نشر التشيع لأهل البيت والدعوة الى ذلك لو شاء •

---

* الأعراف ١٨٨

ان حادثا جللا مثل مقتل علي بن ابي طالب ؛ وهو من هو حين استشهد ، ليس علَى ظهر البسيطة من هو أفضل منه ، وهو ابن عم رسول الله (ص) ، ان ذلك كله يجعل من الحسن بن عليّ رجل الساعة والزعيم المنتظر للأمة الاسلامية ؛ فضلا عن مزاياه الخاصة به فهو ابن بنت رسول الله (ص) وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، ما يؤهله بحق أن يتقلد أمور المسلمين الدينية والدنيوية ، وفوق ذلك كله النص الشرعي الذي يدعيه الشيعة له• الا أنه وبالرغم من مبايعته بالخلافة فانه يتخلَى عن ذلك كله ويتنازل لمعاوية ليتحقق فيه قول جده المصطفى (ص) :

ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين • [١]

وهكذا يتضح أن الحسن لم يقف من التشيع ــ القائل بالنص علَى امامة أهل البيت ــ موقفا سلبيا فحسب بل انه مدّ يده الَى معاوية مبايعا ومتنازلا عن بيعة المسلمين له•

يأتي بعد ذلك دور الحسين الذي يشترك مع الحسن أخيه في المزايا ويزيد عليه بكونه حسب القول القائل : انه آخر من بقي من أصحاب الكساء•

من أحق من الحسين لقيادة الجماهير ؟ ولكن لا شيء في ذلك ، فالتاريخ أوضح لنا أن أهل الكوفة أغروا الحسين بالخروج ، ولنقُل انهم شيعته وعلَى أحر من الجمر في انتظار اليوم الذي ينتصرون فيه علَى مغتصبي الامامة • أيّ تشيع وأيّ امامة ؟ ذلك الذي يكون بالعراق وصاحب الدعوة في الحجاز خال من شيعته المؤيدين ، ألا يكلف نفسه بنشر دعوته ولو سرا ؟ أليس هذا دليلا علَى أن خروج الحسين لا شأن له بالتشيع ؟ بل ان القوم هم الذين ألحوا عليه في طلب القدوم.

يخرج الحسين الى العراق ، وينصحه ابن عباس بعدم الخروج.أين اولئك الذين الحوا علَى الخروج ؟ أين الشيعة ؟ لقد فروا • فلم يكن معه حسين

١• البخاري ك ٥٣ ب ٩ ، أنظر : فتح الباري ٥/٣٠٧

استشهد رضى الله عنه سوى ستين شخصا[١] . ومهما قيل عن حركة "التوابين" بعد ذلك وندمهم على خذل الحسين ، فان الأمر لا يعدو أن يكون أكذوبة كبرى[١] عن علاقة أهل البيت بالتشيع سواء ذلك عند "علي" أو "الحسنين" ، وهم السلف الصالح لأهل البيت .

هنا يصبح التشيع عبارة عن أصابع عملت في الخفاء ونسجت في الظلام مؤامرات لهدم الدين . وأهل البيت بريئون منهم كما رأينا .

وهكذا لا يمكن بأي حال الاعتقاد أن بذور التشيع ـ الذي يقول بنص شرعي على أمامة أهل البيت ـ نشأت في مجتمع الصحابة برعاية علي وأبنيه الحسنين . وبذلك يصبح أهل السنة والجماعة هم المشايعون حقيقة لأهل البيت والموالون لهم الى يوم القيامة ، ولكن على نحو لا علاقة له بفرض الامامة .

أما الصورة الأخرى للتشيع فقد ظهرت في فئة بعيدة عن الاسلام وأحكامه وتاريخه وهي صورة الغلو في أهل البيت . وذلك سيكون حديث الفصل التالى :

---

١ انظر، النوبختي ص ٢٥

الفصل الثاني

ظهور الغلو

تعريف الغلو :

يقال : غلا في الأمر جاوز فيه الحد ، وبابه سما[١] . والغلو المقصود هنا هو غلو بعض الشيعة في عليّ بن ابي طالب وذريته ، ويطلق عليهم الغلاة أو الغالية . وعرف أبو الحسن الأشعري (ـ ٣٢٤)[*] الغلاة من خلال ذكره سبب تسميتهم بالغالية ، بقوله :

> لأنهم غلوا في عليّ ، وقالوا فيه قولا عظيما[٢] .

وعرفهم الشهرستاني (ـ ٥٤٨)[**] بقوله :

> هؤلاء هم الذين غلوا في أئمتهم ، حتى أخرجوهم من حدود الخليقية ، وحكموا فيهم بأحكام الهية ، فربما شبهوا أحدا من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق ، وهم على طرفي الغلو والتقصير[٣] .

وهو تعريف يبدو أكثر شمولا .

وقد نهج أصحاب المقالات والفرق طرقا مختلفة في تحديد فرق الغلاة ، مما يدل على اختلاف لوجهات نظرهم في تحديد هوية الغلاة ، الا أنه خلاف على ما يظهر شكلي اذا أعيد النظر فيه (ر . ص ٥٧).

وقد صنف برنارد لويس فرق الغلاة على مجموعات أو نزعات ثلاث فقال :

---

١. مختار الصحاح . مادة غ ل ى ص ٤٨٠

* انظر ترجمته في الأعلام ٦٩/٥

٢. الأشعري : مقالات الاسلاميين ، ج ١ ، تحقيق عبد الحميد ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية . د . ت ص ٦٦

٣. الشهرستاني . الملل و النحل ج ١ تحقيق الكيلاني ، القاهرة ، مصطفى الحلبي ، ١٣٨٧ ص ١٧٣

** انظر ترجمته في الأعلام ٨٣/٧

كان أصحاب النزعة الأولى أتباع الأئمة من سلالة
علي وفاطمة أبي الحسن والحسين وذريتهما ، وأصحاب
النزعة الثانية أتباع محمد بن الحنفية ومن خلفه
من عقبه • ويظهر أن الفاطمية كانت في عصرها
الأول تمثل الطرف المحافظ •[١]

ان لويس جعل "الغلاة الذين قالوا بالحسنين" نزعة واحدة ذات طرفين
أحدهما حسَني والآخر حسيني ؛ وهذا معنى قول الباحث أنه جعلهم
ثلاث نزعات • ويؤخذ على هذا التقسيم انه اعتبر ظهور "الكيسانيه"
اتباع المختار بن ابى عبيد (ـ ٦٦) بداية لظهور الغلو وفي هذا
ما فيه من اغفال للغلو الذي ظهر على يد عبدالله بن سبأ أيام عليّ وبعد
مقتله •

ان انكار وجود ابن سبأ موضوع يمس هذا البحث مسّا مباشرا نظرا
لما قيل عن أنه كان فى الأصل يهوديا • فلابد من ايفاءه حقه من الدراسة
قبل الحديث عن فرق الغلاة •

١• برنارد لويس • أصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو وزميله ، القاهرة ،
دار الفكر العربي ، د • ت ، ص ص ٨٨ ، ٨٩

عبد الله بن سبأ :

من هو عبد الله بن سبأ : اختلفت كتب المقالات والتاريخ في هوية عبد الله بن سبأ ، فتارة يسمونه : "عبد الله بن سبأ" وأخرى : "ابن السوداء" ، وغير ذلك وغيره ، وقد أوجد هذا الخلاف لبسا كان من أسباب ظهور آراء متباينة في هذا العصر حول "ابن سبأ" وحقيقة وجوده ، وسماه الأشعري القمي (- ٣٠١) عبد الله بن وهب الراسبي الهمداني [١].

ولكن المعروف أن "عبد الله بن وهب الراسبي" كان أحد زعماء الخوارج وقد قتل في معركة النهروان (سنة ٣٨) وهذه المعركة انما جرت بين علي والخوارج ، ويرد هذا القول الذي جاء به الأشعري القمي وجود نشاط لابن سبأ بعد مقتل عليّ (سنة ٤٠) [٢] فضلا عن الفترة التي بعد النهروان . زيادة على البون الشاسع بين الغلاة والخوارج عقديا وفكريا .

وأورد الجاحظ (- ٢٥٥) * أن ابن السوداء ، هو " ابن حرب " [٣] ، ولكن أصحاب المقالات أشاروا الى من يدعى ابن حرب أنه عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي صاحب فرقة " الحربية " الغاليه ، وقد وجدت هذه الفرقة اثر وفاة ابي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية (ر . ص ٩٢ فما) .

ولايخفى علينا ما نوه به الأشعري القمي ، من اتفاق بين مذهب السبأية وبين أصحاب ابن حرب الكندي [٤] مما يدل على أن سبب الالتباس قائم بين (ابن السوداء) الذي هو ابن سبأ و(ابن حرب) [٥] وهو ، الاتفاق على مذهب الغلو ، وهي اشارة الى أن الغلاة هم في الحقيقة امتداد (للسبئيه) .

---

١. انظر : كتاب المقالات والفرق . تحقيق محمد جواد مشكور ، طهران ، مطبعة حيدري ، ١٣٤١ ش ، ص ٢٠

٢. أنظر تاريخ خليفة بن خياط ص ص ١٩٧ ، ١٩٨

٣. انظر البيان والتبيين ، ط ٤ ، ج ٣ ، (عبد السلام هارون) القاهرة ، الخانجي ١٣٩٥ ، ص ٨١

٤. انظر المقالات والفرق ص ص ٥٥ ، ٥٦ . (٥) انظر تاريخ الطبرى ٤ / ٣٤٠

* انظر ترجمته فى : الاعلام ٥ / ٢٣٩

وقد اعتبر البغدادى (— ٤٢٩)* ابن السوداء شخصية أخرى غير (ابن سبأ) (ر. ص ٢٣، ٢٤) ووجه الخطأ في ذلك، الالتباس بين الكنيتين، والا فانه أوجدهما في فترة واحدة، وجعل أحدهما تابعا للآخر. وليس ببعيد أن اختلاف شيخ البغدادي في الرواية أوجد هذا التفريق. ولاسيما وأنه سابق اليه.   ٥

وذُكر أن (ابن سبأ) هو (عبدالله بن سبأ العجلى)[١]. و (بنوعجل) من المشهور أنها قبيلة ظهر فيها الغلو لأهل البيت، ومن أشهرهم فى ذلك (أبو منصور العجلى) صاحب الفرقة (المنصورية) الغالية (ر. ص ١١٧ فما)

ولايستبعد أنه كان يدعى عبدالله.

من ذلك يتضح لنا أن (عبدالله بن سبأ) ليس ابن وهب أو ابن حرب،   ١٠
وليس من بني عجل بل هو: (عبدالله بن سبأ اليهودى الصنعانى)[٢]. وذكر النوبختي أن ابن سبأ:

كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام[٣]

نشأته: ان المعلومات التى توفرت لاتزيد على أنه كان يهوديا من (صنعاء) اليمن، وأنه ظهر في خلافة عثمان بن عفان، وان أفاض بعض المحدَثين في حياته قبل   ١٥
ذلك، الا أن هذا من قبيل الاحتمال الذي لم يتأيد بنصوص، فحياته قبل ظهوره على مسرح الأحداث مجهولة الى حد بعيد.

---

١. انظر: الشيبي. كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع، ط ٢، القاهرة دار المعارف، ١٩٦٩، ص ٩٠

٢. انظر: الألوسى، محمود شكري، مختصر التحفة الاثنى عشرية، ط ٢، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٨٧، ص ٦

٣. فرق الشيعة ص ٢٠

*. انظر ترجمته في الاعلام ٤/ ١٧٣

هل كان ابن سبأ اسطورة ؟ . قبل التعرض للعقيدة التي ابتدعها ابن سبأ اليهودي ، لابد لنا من التعرض لما قيل في شخصيته من أنه مجرد أسطورة أريد بها الطعن في مذاهب (الشيعة) ، فهل كان ابن سبأ كذلك ؟

ان كثيرا من أصحاب الفرق والمقالات ، والمؤرخين ، تناقلوا أخبار (ابن سبأ) ودوره في بث الغلو في التشيع لأهل البيت بين المسلمين، بهدف القضاء على الدين الاسلامي .

وفي الساحة العربية ، ظهر (مرتضى العسكري) – وهو باحث شيعي معاصر ، وعميد لكلية أصول الدين ببغداد – بكتاب سماه : " عبدالله بن سبأ واساطير أخرى " . عالج فيه ظاهرة (ابن سبأ) باعتباره اسطورة ، وبنى رأيه على أن ابن جرير الطبري* (– ٣١٠) صاحب التاريخ المشهور نقل أخبار ابن سبأ وفي سند روايته شخص كذاب ، يدعى (سيف بن عمر الضبي التميمي) . (ر . ص ٣١) وقد ظهرت آراء موافقة " للعسكري " من وجوه أخرى ، وكلها مجمع على أن (ابن سبأ) شخصية ملفقة التكوين على أصح الافتراضات .

وعلى الصعيد الآخر أي الذي يثبت وجود شخصية ابن سبأ نجد " عبدالرحمن بدوي " – أحد الذين كتبوا في الدراسات الاسلامية على النحو الاستشراقي – يتحدث عن (ابن سبأ) باعتباره شخصية حقيقية، ويدفع قول بعض المستشرقين الذين قللوا من خطورة ابن سبأ .

كما أن " عبدالله حافظ " كتب رسالة جامعية تضمنت فصلا رد فيه بصفة خاصة على " مرتضى العسكري " بسلسلة من روايات أئمة الشيعة ، تثبت عكس ما ذهب اليه " العسكري " (١) ** .

---

(١) عنوان الرسالة : منهج النقد عند المحدثين . وقد قدمت الى قسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، ١٣٩٢ هـ

* أنظر ترجمته في الأعلام ٦/ ٢٩٤

** ظهر أخيرا بحث مماثل كتبه : سعدي الهاشمي . مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة . العدد ٤٦ السنة ١٢ جمادى ١٤٠٠

وقد حذرت " التحفة الاثنى عشرية " من انكار شخصية ابن سبأ على النحو التالي :

عبد الله بن سبأ ... وليس هو هيان بن بيان وزعم ذلك مكابرة وانكار للمتواتر .[١]

واذا علمنا أن مؤلف (التحفة الاثنى عشرية) هو " شاه عبد العزيز الدهلوي " (– ١٢٣٩) ألفها في القرن الثالث عشر باللغة الفارسية ، وأنه اعتمد فيها على المصادر الشيعية ، لوجدنا أن من المحتمل أن تكون مسألة التعرض لشخصية " ابن سبأ " مما ظهر في تلك الأوساط حينئذ على نطاق ضيق ، اذا لم يكن المؤلف المذكور سابقا الى دفع هذا النفي قبل وقوعه كما هي عادة الباحثين والمناظرين الذين يردون على رأي يتوقعونه من أخصامهم قبل القول به .

الا أنه من المؤكد أن مسألة " محاولة نفي وجود شخصية ابن سبأ ، أو التقليل من قيمتها " . هي مما ظهر في القرن الرابع عشر مع ما ظهر من التشكيك في (التاريخ الاسلامي) اجمالا .

ولا ينكر الباحث هنا تسرب بعض الأوهام الى جزء من التاريخ الاسلامي . الا أن الواجب يقتضي تمييز الأكاذيب من الحقائق استنادا على البحث العلمي النزيه الذي يراد به وجه الله تعالى ، لأن هناك من يتمنى أن يحذف بجرة قلم كل ما تميز به تاريخ المسلمين من أمجاد ومفاخر على حساب هنات وقع فيها بعض المؤرخين . وهذا مما له علاقة قوية وثيقة بصلب العقيدة الاسلامية عامة .

المستشرقون وابن سبأ : ليس من المستبعد أن تكون مسألة انكار شخصية ابن سبأ أو التقليل من شأنها ، من نتاج الفكر الاستشراقي ، لأن الاهتمام الذي برز في (العالم الغربي) بابن سبأ أكثر من ذلك الذي ظهر على الساحة العربية ، كما أنه متقدم وسابق عليه .

وذكر (برنارد لويس) أن كلا من " فلهاوزن " و " فريد لاندر " و " كيتاني " اعتبروا ظاهرة ابن سبأ من اختلاق المتأخرين .[٢]

---

١. مختصر التحفة الاثنى عشرية ط٢ ص٦

٢. أنظر : أصول الاسماعيلية ، ص٨٦

ومن الملاحظ أن " فريد لاندر " وفلهاوزن " بنيا رأيهما على طعن بعض رجال الجرح والتعديل في روايات " سيف بن عمر ، ولكن " فريد لاندر " لم يستطع انكار دور ابن سبأ في نفي موت علي بن أبي طالب [١].

اما " كيتاني " فقد ذهب من قبل مذهبا آخر بنى عليه رأيه في عدم وجود دور سياسي لابن سبأ الموافق لرأي " فريد لاندر وفلهاوزن " على أساس أن المؤامرات السرية التي نسبت الى ابن سبأ في عهد " عثمان " لا يمكن أن تتم بهذه الصورة في هذا العصر :

ان مؤامرة بهذا الاحكام لا يمكن تصور حدوثها في العالم الاسلامي عام ٣٥ هـ بنظامه القبلي ، وأنها تعكس بالأحرى أحوال العصر العباسي [٢].

وعلى صعيد يهودية ابن سبأ ، فاننا نجد (ديللا فيدا) ينكر يهودية ابن سبأ بلا دليل مقنع [٣]. ويقال ان (ديللافيدا) نقل مقالته هذه عن (ويماي) .واستبعد كل من (ماسنيون) و (فلهاوزن) أيضا ، أن يكون ابن سبأ يهوديا بل اعتبراه عربيا [٤].

ولا يستبعد الباحث أن نفي يهودية (ابن سبأ) انما قيل اعتمادا على أقوال خاطئة قيلت في ابن سبأ، من أنه (عبدالله بن وهب الراسبي) كما قال (الأشعري القمي) أو أنه من قبيلة (كنده) كما قال (الجاحظ) أو أنه من (بني عجل) كما نقل عن (الشعراني) ، وقد سبق تفنيد هذه الأقوال (ر. ص ص ١٦ ، ١٧) .

---

١. انظر : دائرة المعارف الاسلامية ، ط الانجليزيه ، مادة " ابن سبأ " طبعة ليدن وأنظر : عبدالرحمن بدوى . مذاهب الاسلاميين ج ٢ . بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣ ، ص ٢٢

٢. عبدالرحمن بدوى . مذاهب الاسلاميين ٢/ ٣٥ ، وانظر : دائرة المعارف الاسلامية . ط الانجليزية ، مادة ابن سبأ ١/ ٥١ .

٣. انظر : مذاهب الاسلاميين ٢/ ٢٠

٤. انظر : دائرة المعارف الاسلامية . ط الانجليزية ، ابن سبأ ١/ ٥١ .

الباحثون العرب وانكار شخصية ابن سبأ :

سبقت الاشارة الى ما كتب (مرتضى العسكري) حيث نفى وجود ابن سبأ واعتبره من الأساطير .

وهنا يورد الباحث ما استنتجه (العسكري) حول هذا الموضوع ، انه يقول ان:

سند جميع من أورد هذه الأسطورة السبئية [ينتهي] الى هذه المصادر الأربعة [وهي الطبري (–٣١٠) وابن عساكر (–٥٧١) .

وابن ابي بكر (–٧٤١) والذهبي (–٧٤٨)] وهي ترويها عن سيف [بن عمر الضبي التميمي] وحده لاشريك له في ذلك .[1]

ان (العسكري) بذلك يضاهي قول من سبقه الى هذا القول من المستشرقين ، الا أن اولئك المستشرقين الذين طعنوا في روايات (سيف بن عمر) لم ينفوا تماما وجود ابن سبأ على هذه الطريقة .

أيد (العسكري) في دعواه (محمد جواد مغنيه) بأسلوب تجاوز فيه الموضوعية العلمية ، وأيده أيضا (حامد حفني داود) .[2]

ساهم (طه حسين) في انكار شخصية ابن سبأ ، ولكن من وجهة نظر أخرى قد تكون جديدة ، فهو يرى أن عدم ظهور (ابن السوداء) في (موقعة صفين) ولا في فرقة (الخوارج) ، يستلزم أن يكون وهما وان وجد بالفعل فلم يكن ذا خطر كالذي صوره المؤرخون .[3]

وعلى استحياء ساهم (محمد حسين كاشف الغطاء) العالم العراقي الشيعي ، في انكار شخصية ابن سبأ بالرغم من اعترافه أن " كتب الشيعة "

---

١. عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى ، بيروت ، دار الكتاب ، ١٣٨٨ ، ص ٥٦ وماقبلها
٢. أنظر : عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى ص ص ٩ – ١٢ ، ١٣ – ١٦
٣. انظر : الفتنة الكبرى – علي وبنوه ، ط ٨ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٥ ، ص ص ٩٠ – ٩٣

القديمة تلعن ابن سبأ حين تترجم له ، الا أن " كاشف الغطاء " يقول :

على أنه ليس من البعيد رأي القائل : ان عبد الله بن سبأ ...

[وأمثاله] كلها أحاديث خرافة وضعها القصاصون ، وارباب

السمر والمجون ، فان الترف والنعيم قد بلغ أقصاه في أواسط

الدولتين الأموية والعباسية .[1] ٥

وممن أنكر شخصية ابن سبأ على نحو آخر " علي الوردي " و "كامل

مصطفى الشيبي " . وقد عرض "علي سامي النشار" ذلك حين قال :

ولكن كاتب الشيعة الكبير المعاصر الدكتور علي الوردي يقدم لنا في براعة

نادرة تحليلا بارعا لقصة عبد الله بن سبأ ... ينتهي الى انكار وجود

هذه الشخصية اطلاقا ، ويحاول أن يثبت أن ابن سبأ ، هو هو عمار بن ١٠

ياسر ، ثم حمّل النواصب أعداء البيت العلوي " ابن سبأ " تلك الشخصية

الوهمية — تلك العقائد الناشزة المنتشرة في كتب العقائد ، والتي لعنها

أهل السنة والجماعة جميعا كما لعنها الشيعة الامامية أيضا . وكذلك

فعل الدكتور كامل مصطفى الشيبي في بحثه الرائع " بين التصوف والتشيع"

وقد أبرز وثائق جديدة تبين التطابق التام بين شخصيتي عبد الله بن ١٥

سبأ وعمار بن ياسر .[2]

ولتوضيح راي " الوردي " الذى لم أقف بعد — مع الأسف — على كتابه

" وعاظ السلاطين " ، ولكني استفدت بعد أن من " كامل مصطفى الشيبي " الذي

نقل آراءه بالنص ، أقول :

ان " الوردي " بنى رأيه القائل بتطابق شخصيتي " ابن سبأ " و "عمار بن ٢٠

ياسر " على ما ورد في : " الطبري " من أخبار " ابن سبأ " تلك الأخبار التى رواها

" سيف بن عمر ".

---

١. أصل الشيعة وأصولها ، ط ٣ ، (نائب بغداد) ، ١٣٦٣ ، ص ٥٠

٢. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ج ٢ ، ط ٧ ، القاهرة ، دار المعارف ،
١٩٧٧ ، ص ٣٩ .

ان " كامل الشيبي " بآراء حول " ابن سبأ " ما هو الا امتداد " للوردي " اللذين وصفهما " سامي النشار " بالروعة والبراعة . يقول " الشيبي ":

وللدكتور علي الوردي أدلة على أن هذين الرجلين [عمار وابن سبأ] شخص واحد وهذا نصها :

٥

من غرائب التاريخ أن نرى أن كثيرا من الأمور التي تنسب الى ابن سبأ موجودة في سيرة عمار بن ياسر على وجه من الوجوه :

١ — كان ابن سبأ يعرف بابن السوداء وقد رأينا كيف كان عمار يكنى بابن السوداء أيضا .

١٠

٢ — وكان من أب يماني ومعنى هذا أنه كان من أبناء سبأ ، فكل يماني يصح أن يقال عنه : "ابن سبأ " .

٣ — وعمار فوق ذلك كان شديد الحب لعلي بن أبي طالب عليه السلام يدعو له ويحرض الناس على بيعته في كل سبيل .

١٥

٤ — وقد ذهب عمار في أيام عثمان الى مصر وأخذ يحرض الناس ... وهذا الخبر يشابه ما نسب الى ابن سبأ من انه استقر في مصر واتخذ الفسطاط مركزا لدعوته وشرع يراسل أنصاره منها .

٢٠

٥ — وينسب الى ابن سبأ قوله : ان عثمان أخذ الخلافة بغير حق وأن صاحبها الشرعي هو علي بن أبي طالب . والواقع أن هذا هو كلام عمار ... فقد سمع ذات يوم يصيح في المسجد اثر بيعة عثمان :

يا معشر قريش ، اما اذا صرفتم هذا الأمر عن بيت نبيكم هاهنا مرة وهاهنا مرة فما أنا بآمن عليكم من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله .

٦ — ويعزى الى ابن سبأ أنه هو الذي عرقل مساعي الصلح بين علي وعائشة ابان معركة الجمل حسب ما يقوله الرواة ومن يدرس تفاصيل [ال] واقعة ... يجد عمارا يقوم بدور فعال فيها ، فهو الذي ذهب مع الحسن ومالك الأشتر الى الكوفة يحرض الناس على الانتماء الى جيش علي ، وكان وقوف عمار بجانب علي أثناء المعركة سببا من أسباب ندم الزبير وخروجه منها .

٧ — وقالوا عن ابن سبأ أنه هو الذي حرك أبا ذر في دعوته الاشتراكية ولو درسنا صلة عمار بأبي ذر لوجدناها وثيقة جدا . فكلاهما من مدرسة واحدة هي مدرسة علي بن أبي طالب ، وكان هؤلاء الثلاثة يجتمعون ويتشاورون معا .

بعد عرض " الشيبي " لآراء " الوردي " قام الأول بتدعيمها بالنصوص على حد زعمه . فحن تسمية "عمار بن ياسر" بابن السوداء قال :

ورد نص رواه علي بن ابراهيم القمي صاحب التفسير الشيعي * القديم لمناسبة الآية (يمنون عليك أن أسلموا ...) فقال : نزلت في عثكن بن معاوية يوم الخندق ، وذلك أن مر بعمار يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفر ، فوضع عثكن كمه على أنفه ومر ، فقال عمار :

---

* الحجرات ١٧

لا يستوي من يبتنى المساجدا * يظل فيها راكعا وساجدا

ومن يمر بالغبار حايدا [؟] * يعرض عنه جاحدا معاندا

فالتفت اليه عثكن فقال : يا ابن السوداء اياي تعني ؟، وأما كونه [يعني عمارا] ابن سبأ فقد ورد في نسب عمار في طبقات " ابن سعد " فقال :   ٥

هو عمار ... بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكذلك في " طريق الحقائق " (للحاج معصوم) نقلا عن الكامل ... وكذلك في تاريخ ابن خلدون .

وأضاف " الشيبي " الى آراء " الوردي " آراء أخرى فقال :

ان الطبرى في تطرقه الى حرب الجمل قد عرض لأنصار علي فيها فكان اذا عدّهم وذكر اسم عمار في جملتهم أغفل ذكر ابن السوداء واذا ذكر ابن السوداء تحاشى ذكر اسم عمار مما يرجح أن الرجلين شخص واحد . وقد كان أكثر زملاء حجر [بن عدي] " يمانيين " أى سبئيين ، وقد سماهم زياد [بن ابيه] بالترابية أي العلوية . وبهذا تكون السبئية هي الحجرية وتكون أفكارها هي أفكار ابن سبأ الذي هو عمار بن ياسر .[١]   ١٠ ١٥

ويمكن هنا تلخيص آراء المنكرين لشخصية " ابن سبأ " على النحو التالي :

١ـ انكار وجود (عبد الله بن سبأ) تماما واعتباره اسطورة ، اعتمادا على تجريح بعض الرجال لرواية " سيف بن عمر " في الحديث .

٢ـ انكار ذلك لعدم ظهوره في معركة " صفين " ولا بين " الخوارج " .   ٢٠

٣ـ انكار دوره السياسي فقط .

٤ـ انكار يهوديته .

---

١. الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ص ٤٠ ـ ٤٣ ، ٩٠ ـ ١٠٠

٥ـ احالة الدور الذي قام به الى "عمار بن ياسر" واعتبارهما شخصية واحدة .

هنا نقطة جديرة بالذكر وهي، مالاحظه الباحث من أن المستشرقين بما فيهم "طه حسين" وان حاولوا انكار وجود "ابن سبأ" الا أنهم لم يستطيعوا انكاره مطلقا ، ومن الممكن اعتبار انكارهم على خطورته انكارا جزئيا أو تشكيكا الا أنه يشكل في مجموعه انكارا كليا لهذه الشخصية . ٥

بينما نجد "عرب التشيع" ومن تبعهم يحاولون محو وجود هذه الشخصية تماما .

أ/ مناقشة المنكرين لعبد الله بن سبأ :

١ـ ان آراء المنكرين لابن سبأ استنادا على تجريحهم لروايات "سيف ابن عمر" تنحصر في انكار جانب ما من الدور الذي قام به "ابن سبأ"، ١٠ ذلك الذي يتجلى في :

أ ـ تأليب الجماهير ضد الخليفة الراشد عثمان .

ب ـ بث أفكار اشتراكية عن طريق "ابي ذر الغفاري" واعتبار أن المال مال الله ، بينما (معاوية) يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو اسمهم . ١٥

جـ ـ اذكاء نار الحرب بين فريقي "معركة الجمل" وتزعم ابن سبأ أحد الجيوش في تلك المعركة . ذلك هو ما أنفرد به الطبري[1] من قصة "ابن سبأ" أما الجانب العقدي الذي يختص بابتداع "ابن سبأ" آراء[2] غالية ، فلا يمكن بأي حال القول ان "الطبري" أو "سيف" منفرد به دون غيره . ٢٠

---

١) انظر في النقاط الثلاث : الطبري ٤/٢٤٠ ، ٢٨٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٩٨ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٥٠٥ .

علىٰ رأس ذلك تأتي الروايات التي يرويها " الشيعة " عن أئمتهم في ذم ولعن " عبدالله بن سبأ " كما رواها (محمد بن عمر بن عبد العزيز الكَشّي * (ــ ٣٤٠) في ترجمته لعبد الله بن سبأ ، حيث يقول :

١) حدثني محمد بن قولويه القمي قال : حدثني سعد عن عبدالله ابن ابي خلف القمي قال حدثني محمد بن عثمان العبدي ، عن يونس بن عبد الرحمن عن عبدالله بن سنان قال : حدثني أبي عن أبي جعفر عليه السلام : أن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة ..الخ .

٢) حدثني محمد قولويه : قال حدثني سعد بن عبدالله قال: حدثنا يعقوب بن زيد ومحمد بن عيسىٰ عن أبي عمير عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ــ وهو يحدث أصحابه بحديث عبدالله بن سبأ وما ادعىٰ من الربوبية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ... الخ .

٣) حدثني محمد بن قولويه : قال : حدثني سعد بن عبدالله قال حدثنا يعقوب ابن زيد ومحمد بن عيسىٰ عن علي بن مهزيار عن فضالة بن أيوب الأزدي عن أبان بن عثمان قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : لعن الله عبدالله بن سبأ ، انه ادعىٰ الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام ...

٤) وبهذا الاسناد عن يعقوب بن زيد عن أبي عمير وأحمد بن محمد ابن عيسىٰ عن أبيه والحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي حمزة الثمالي قال : قال علي بن الحسين صلوات الله عليهما : لعن الله من كذب علينا اني ذكرت عبدالله بن سبأ فقامت كل شعرة في جسدي ، لقد ادعىٰ أمرا عظيما ماله لعنه الله ...

---

* أنظر ترجمته في الأعلام ٧/ ٢٠١

٥) سعد بن عبدالله قال : حدثني محمد بن خالد الطيالسي عن عبدالرحمن بن أبي نجران عن أبن سنان قال قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّا أهل بيت صادقون لاتخلوا من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقه بكذبه علينا عند الناس . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق البرية لهجة وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الذي يكذب عليه من الكذب [كذا] عبدالله بن سبأ لعنه الله وكان أبوعبدالله الحسين بن علي عليهما السلام قد ابتلي بالمختار ثم ذكر أبوعبدالله الحارث الشامي وبنان فقال : كانا يكذبان على علي بن الحسين عليهما السلام ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعا والسري وأبا الخطاب ومعمر وأبا بشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائد النهدي فقال: لعنهم الله[1]

٢ـ ما ذكره " الجاحظ " (ـ ٢٥٥)

قال : حباب بن موسى ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن زحر بن قيس : قدمت المدائن بعد ما ضرب علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ فلقيني ابن السوداء . وهو ابن حرب فقال لي : ما الخبر؟ فقلت : ضرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ، ويعيش من أشد منها . قال : لو جئتمونا بدماغه في مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه .[2]

---

١. الكشي . معرفة أخبار الرجال (نشر الحاج الحايري) بومبي ، د . ت ، ص ٧٠ ف ، ص ١٩٧ وأنظر : عبدالله حافظ . النقد عند المحدثين ، كلية الشريعة ، مكة ، ١٣٩٢ ، ص ١٧٨ (رسالة علمية)
٢. البيان والتبيين ، ج ٣ ، ط ٤ ، (عبد السلام هارون) ص ٨١

*

٣ ـ ما ذكره " ابن قتيبة " (ـ ٢٧٦)

عبدالله بن سبأ . وكان أول من كفر من الرافضة ، وقال :ـ على رب العالمين فأحرقه عليّ وأصحابه بالنار .[١]

**

٤ـ ما ذكره " الناشىء الأكبر " (ـ ٢٩٣)

٥ وروي عن عبدالله بن سبأ أنه قال للذي أتى بنعي علي الى المدائن: والله لو اتيتنا بدماغه في سبعين صرة ما صدقناك ، ولعلمنا أنه لم يمت ، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه . فبلغ قوله ابن عباس فقال : لو علمنا هذا لم نقسم أمواله ولم ننكح نساءه .[٢]

١٠ ٥ـ ما ذكره الأشعري القمي (ـ ٣٠١)

هذه الفرقة تسمّى السبائية أصحاب عبدالله بن سبأ وهو عبدالله ابن وهب الراسبي الهمداني وساعده على ذلك عبدالله بن حرس وابن أسود ، وهما من أجلة أصحابه . وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة

١٥ وتبرأ منهم ، وادعى أن عليا أمره بذلك ، وأن التقية لا تجوز ولا يحل (كذا) فأخذه عليّ فسأله عن ذلك فاقره وأمر بقتله ، فصاح الناس اليه من كل ناحية يا أمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو الى حبكم أهل البيت والى ولايتك والبراءة من أعدائك فسيره عليّ الى المدائن ، وحكى جماعة من أهل العلم : أن عبدالله

٢٠ بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا . وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بهذه المقالة ، فقال

---

١. المعارف . ط ٢ ، (ثروت عكاشة) القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ٦٢٢ .

٢. مسائل الامامه ، (يوسف فان اس) بيروت ، المعهد الالماني للابحاث الشرقية ، ١٩٧١ ، ص ٢٢ .

* انظر ترجمته في : الاعلام ٤/ ٢٨٠

** انظر : ترجمته في الاعلام ٤/ ٢٦١

في اسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي
يمثل ذلك ، وهو أول من شهد بالقول بفرض امامة علي بن
أبي طالب ، وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه
وأكفرهم ، فمن هاهنا قال من خالف الشيعة ان أصل الرفض ٥
مأخوذ من اليهودية ، ولما بلغ ابن سبأ وأصحابه نعي
علي وهو بالمدائن وقدم عليهم راكب فسأله الناس،
فقال ما خبر أمير المؤمنين قال ضربه أشقاها ضربة
قد يعيش الرجل من أعظم منها ويموت من وقتها، ثم اتصل ١٠
خبر موته فقالوا للذى نعاه كذبت يا عدو الله لو جئتنا والله
بدماغه ضربة [كذا] فأقمت علَى قتله سبعين عدلا ما
صدقناك ، ولعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل وأنه لا يموت حتى يسوق
العرب بعصاه ، ويملك الأرض[١] .

٦) ما ذكره النوبختي (— أوائل القرن الثالث) : ١٥

وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب على عليه السلام
أن عبد الله ابن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام،
وكان يقول علَى يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام
بمثل ذلك . وهو أول من شهر القول بفرض امامة علّي عليه السلام
وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه ، فمن هنا قال من ٢٠
خالف الشيعة : ان أصل الرفض مأخوذ من اليهود . ولما بلغ
عبد الله بن سبأ نعي علي في المدائن قال للذي نعاه : كذبت
لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت علَى قتله سبعين عدلا لعلمنا

---

١. كتاب المقالات والفرق . (محمد جواد مشكور) طهران ، مطبعة حيدرى،
١٣٤١ ش ، ص ص ٢٠ ، ٢١

أنه لم يمت ولم يقتل ، ولا يموت حتى يملك الأرض .[١]

٧) ما ذكره " الطبري " (-٣١٠) عن الدور الفكري العقدي لابن سبأ :

فيما كتب اليّ السرى عن شعيب عن سيف عن عطية
عن يزيد الفقعسي قال : كان عبدالله بن سبأ يهوديا
من أهل صنعاء ، أمه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ثم تنقل
في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ،
ثم البصرة ، ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر علَى ما يريد
عند أهل الشام وأخرجوه حتّى أتَى مصر ، فاعتمر
فيهم ، فقال لهم فيما يقول : لعجب من يزعم أن عيسَى
يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع ، وقدقال الله عزوجل :
(ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الَى معاد)* محمد
أحق بالرجوع من عيسى . قال (الراوى) فقبل ذلك عنه
ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيه . ثم قال لهم بعد ذلك :
انه كان ألف نبيّ ولكل نبي وصيّ وكان عليّ وصيّ محمد ، ثم
قال : محمد خاتم الأنبياء ، وعليّ خاتم الأوصياء ، ثم قال
بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ويثب علَى وصيي رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وتناول أمر الأمة .[٢]

٨) ما ذكره أبوالحسن الأشعرى (- ٣٣٠) :

أصحاب عبد الله بن سبأ يزعمون أن عليا لم يمت وأنه
يرجع الى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلا كما ملئت
جورا وذكروا عنه (يعنى ابن سبأ) أنه قال لعلي عليه السلام :
أنت أنت .[٣]

---

١. فرق الشيعة ، ط ٤ ، ص ص ٤٠ ، ٤١
٢. الطبرى ٤/٣٤٠
٣. مقالات الاسلاميين ١/٨٦ .
* القصص ٨٥

٩) ما ذكره القاضي عبدالجبار المعتزلي* (ـ ٤١٥) :

وكان [يعنى ابن سبأ] بالكوفة ، يظهر تعظيم أمير المؤمنين بما لا يرضاه أمير المؤمنين — ويستغوى بذلك من ليست له صحبة ولا فقه في الدين ، وكالبوادي وأهل السواد ، ويتحدث بينهم وربما استقصر عندهم فعل ابي بكر وعمر وعثمان ، ويقدم أمير المؤمنين عليهم في الفضل ، لأنه كان يدعي ما ادعاه أبو الخطاب وهشام بن الحكم . وكان يدعي عند امثال هؤلاء أن أمير المؤمنين يستخصه ويخرج اليه بأسرار ولا يخرج بها الى غيره ، وأمير المؤمنين لايعلم .

... وكان ابن سبأ هذا يقول لأصحابه : ان أمير المؤمنين قال لي انه يدخل [كذا] دمشق ويهدم مسجدها حجرا حجرا ويظهر على أهل الأرض ، ويكشف لهم أسرارا ويعرفهم أنه ربهم ...

ولقد أتى أمير المؤمنين رضي الله عنه سويد بن غفلة ، وكان من خاصته وكبار أصحابه . فقال له : ياأمير المؤمنين مررت بنفير من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذي هما من الأمة له أهل ، ويرون أنك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ، فقال : أعوذ بالله أعوذ بالله مرتين .[١]

١٠) ما ذكره "البغدادي"** (ـ ٤٢٩) :

عبدالله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنه كان نبيا ثم غلا فيه حتى زعم أنه اله ، ودعا الى ذلك قوما

---

١) تثبيت دلائل النبوة . (عبدالكريم عثمان) بيروت ، دار العربية ، ١٣٨٦ ، ص ص ٥٤٦ ، ٥٤٧

*. انظر ترجمته في الاعلام ٤/ ٤٧

**. أنظر ترجمته في الاعلام ٤/ ١٧٣

من غواة الكوفة ، ورفع خبرهم الى علّي رضي الله عنه فأمر باحراق قوم منهم في حفرتين حتّى قال بعض الشعراء في ذلك :

لترم بي الحوادث حيث شاءت

اذا لم ترم بي في الحفرتين ٥

ثم ان عليا رضي الله عنه خاف من احراق الباقين منهم شماتة أهل الشام ، وخاف اختلاف أصحابه عليه ، فنفى ابن سبأ الى ساباط المدائن ، فلما قتل علّي رضى الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا وانما كان شيطانا تصور للناس في صورة علّي ، وأن عليا صعد الى السماء كما ١٠ صعد اليها عيسى بن مريم عليه السلام ، وقال : كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علّي وانما رأت اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى ، وكذلك القائلون بقتل علّي رأوا قتيلا يشبه عليا فظنوا أنه علّي ، وعلّي قد صعد الى ١٥ السماء ، وأنه سينزل الى الدنيا وينتقم من أعدائه .

وزعم بعض السبأية ، أن عليا في السحاب وأن الرعد صوته ، والبرق سوطه ، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال : عليك السلام يا أمير المؤمنين .

وقد روي عن عامر بن شراحيل الشعبي أن ابن ٢٠ سبأ قيل له : ان عليا قتل فقال : ان جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته ، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها ... وقد ذكر الشعبي أن عبد الله بن السوداء وكان يعين السبابيه على قولها وكان ابن السوداء

في الأصل يهوديا من أهل الحيرة فأظهر الاسلام
وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم
أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصي ، وأن عليا رضى الله عنه
وصي محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه خير الأوصياء كما
أن محمدا خير الأنبياء ، فلما سمع ذلك منه شيعة عليّ قالوا ٥
لعلي انه من محبيك فرفع عليّ قدره ، وأجلسه تحت درجة
منبره ، ثم بلغه غلوه فيه فهم بقتله ، فنهاه ابن عباس عن ذلك
وقال له : ان قتلته اختلف عليك أصحابك ، وأنت عازم
علَى العود الى قتال أهل الشام وتحتاج الى مداراة أصحابك
فلما خشي من قتله [يعني ابن السوداء الذى يعتبره البغدادي ١٠
شخصية أخرَى غير ابن سبأ] ومن قتل ابن سبأ الفتنة التي
خافها "ابن عباس" نفاهما الى المدائن فافتتن بهما الرعاع بعد
قتل عليّ رضى الله عنه ، وقال لهم ابن السوداء : والله
لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض احداهما
عسلا والأخرى سمنا ويغترف منها شيعته . ١٥

وقال المحققون من أهل السنة : ان ابن السوداء كان
علَى هوَى دين اليهود وأراد أن يفسد علَى المسلمين دينهم .
بتأويلاته في عليّ وأولاده كي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارَى
في عيسَى عليه السلام ، فانتسب الى الرافضة السبابية حين
وجدهم أعرق أهل الأهواء في الكفر ودلس ضلالته في ٢٠
تأويلاته .[١]

---

١. الفرق بين الفرق ، ط ٢ ، بيروت ، دار الآفاق ، ١٩٧٧ ، ص ص ٢٢٣ - ٢٢٥

١١) ما ذكره الشهرستاني (— ٥٤٨) :

عبدالله بن سبأ الذى قال لعلي كرم الله وجهه
أنت أنت ، يعني أنت الاله فنفاه الى المدائن ، وزعموا
أنه كان يهوديا فأسلم وكان في اليهودية يقول في
يوشع بن نون وصي موسى بن عمران عليهما السلام مثل ٥
ما قال في علي رضى الله عنه ، وهو أول من أظهر القول
بالنص بامامة عليّ رضى الله عنه ، ومنه انشعبت أصناف
الغلاة .

زعم أن عليا حيّ لم يمت ففيه الجزء الالهى ، ولايجوز
أن يستولى عليه [كذا .] وهو الذى يجيء فى السحاب ، ١٠
والرعد صوته والبرق تبسمه ، وأنه سينزل الى الأرض بعد
ذلك فيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا .

وانما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال عليّ رضي
الله عنه .[١]

١٢) ما ذكره "ابن ابى الحديد"* (—٦٥٦) ١٥

[. أقول : انه ذكر رواية عن أبي العباس أحمد بن عبدالله بن عمار الثقفي
عن محمد بن سليمان ابن حبيب المصيص المعروف بنوين ، وأخرى عن علي
بن محمد النوفلي عن مشيخته أن قوما ألَّهوا عليا غير ابن سبأ فأحرقهم علي ،
ثم قال]: —

ثم استقرت هذه المقالة لسنة أو نحوها ثم ظهر عبدالله ٢٠
ابن سبأ وكان يهوديا يتستر بالاسلام بعد وفاة أمير المؤمنين
عليه السلام فأظهرها ، واتبعه قوم فسموا السبائية ، وقالوا :

---

١. الملل والنحل ١/ ١٧٤ .
* انظر ترجمته فى الاعلام ٤/ ٦٠ وفيه أن وفاته سنة ٦٥٥ .

ان عليا عليه السلام لم يمت وأنه في السماء والرعد صوته والبرق صوطه واذا سمعوا صوت الرعد قالوا : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، وقالوا في رسول الله صلى الله عليه وآله أغلظ قول ، وافتروا عليه أعظم فرية ، فقالوا : كتم تسعة أعشار الوحي ، فنعّى عليهم قولهم الحسن بن محمد بن الحنفية رضي الله عنه في رسالته التي يذكر فيها الارجاء رواها عنه سليمان بن ابي شيخ عن الهيثم بن معاوية عن عبدالعزيز بن ابان عن عبدالواحد بن أيمن المكي قال شهدت الحسن بن عليّ [كذا] بن محمد بن الحنفية علَى هذه الرسالة فذكرها وقال فيها : ومن قول هذه السبائية : هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي عنهم وزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وآله كتم تسعة أعشار الوحي ، ولو كتم صلى الله عليه وسلم شيئا مما أنزل الله عليه لكتم شأن امرأة زيد وقوله تعالى : (تبتغي مرضاة أزواجك) .[*][1]

١٣) ما روي عن يحيّي بن حمزة الزيدي (- ٧٤٥) :

وقد روَى المؤيد بالله يحيّي بن حمزة الزيدي في آخر كتابه (طوق الحمامة في مباحث الامامة) عن سويد بن غفلة أنه قال : مررت بقوم ينتقصون أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ، فأخبرت عليا كرم الله وجهه وقلت لولا أنهم يرون أنك تضمر ما أعلنوا ما اجترأوا على ذلك ، منهم عبدالله بن سبأ . فقال " نعوذ بالله . رحمنا الله "... ثم ارسل ابن سبأ فسيره الى المدائن .[2]

---

١. شرح نهج البلاغة ، ج ٢ ، القاهرة ، مصطفى الحلبي وأخويه بدون تاريخ ، ص ٣٠٩

٢. الآلوسي . محمود شكري ، مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ط٢ ، القاهرة ، السلفية ، ١٣٨٧ ، ص ٦

*) التحريم ١

ان الذى يظهر بعد هذا العرض للروايات المختارة التى وقفت عليها الى الآن ، أن "ابن سبأ" شخصية حقيقية تواتر ذكرها بين المتقدمين والمتأخرين ولم ينفرد بها "سيف بن عمر" كما يزعم "مرتضى العسكري" ، وكما لمح الى ذلك "فريد لاندر" و"فلهاوزن" و"دائرة المعارف الاسلامية" ضمن تشكيكهم في وجود هذه الشخصية ، فقد روى قصة "ابن سبأ" الجاحظ عن الشعبي ، ورواها "ابن قتيبة" بنص يختلف كليا عن رواية "الطبري" عن "سيف" ، وكذا "الناشىء الأكبر" ورواها "الأشعري القمي" عن جماعة من أهل العلم ، و"النوبختي" عن جماعة من أهل العلم من أصحاب "عليّ" ، ورواها "أبو الحسن الأشعري" بنص يختلف عن "الطبري" ، ورواها "عبد القاهر البغدادي" عن الشعبي ، و"الشهرستاني" بنص يخالف "الطبري" ، ورواها "ابن أبي الحديد" بثلاث روايات ، احداهن : رواية "أبي العباس أحمد بن عبدالله بن عمار الثقفي" عن "محمد بن سليمان بن حبيب المصيصي" المعروف "بنوين" ، والثانية : عن "علي بن محمد النوفلي" عن مشيخته وهما تخصان القائلين بتأليه "علي بن أبي طالب" الذين يعتبرهم "ابن أبي الحديد" عنصرا مغايرا "للسبئية" . والثالثة تحوي رسالة "الحسن بن علي بن محمد بن الحنفية" في الارجاء هذه الرسالة التى يبدو أنها مفقودة الآن ، وقد رواها "ابن أبي الحديد" عن "سليمان بن أبي شيخ" عن "الهيثم بن معاوية" عن "عبدالعزيز بن أبان" عن "عبد الواحد بن أيمن المكي" . وهناك الرواية التى ذكرت عن "سويد بن غفلة" كما رواها "الامام المؤيد بالله يحيَى بن حمزة" ، وذكرها بسندها "ابن حجر" (– ٨٥٢) كما يلي :–

قال أبو اسحق الفزاري عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبي الزهراء عن زيد بن وهب أن سويد بن غفلة قال :[1]

---

١. لسان الميزان جـ ٣ ، بيروت ، مؤسسة الأعلمى ، ١٣٩٠ ، ص ٢٩٠

ان هذه الروايات مع ما أضافه اليها " القاضي عبدالجبار المعتزلي " وما أضافته روايات " الكشي " عن أئمة أهل البيت ، تشكل تواترا واضحا لقصة " عبدالله بن سبأ " وأنه شخص حقيقي يهودي . مما يدعو الى القول ان التعلق برواية " سيف بن عمر " ليس الا مغالطة يتحمل وزرها كل من يقول بها .　　٥

٢ أما ما قاله " طه حسين " في انكاره لوجود " ابن سبأ " (ر.ص ٢١) فهو واهي الدليل ، لأن اغفال المصادر التاريخية ذكر " ابن سبأ " في معركة " صفين " ، لا يعني عدم وجود شخصيته ، بل ان هناك أكثر من احتمال لسبب غيابه عن تلك المعركة .

وكذلك الأمر بالنسبة لاغفال " الخوارج " ذكر " ابن سبأ " في مراجعهم　　١٠
اذا صح ذلك ؛ وعلى افتراض صحة دعوى " طه حسين " من جميع وجوهها فان ورود اسم " ابن سبأ " في كتب أهل السنة وكتب الشيعة بذلك التواتر يلغي بكل قوة هذا الزعم .

٣ المنكرون لدور " ابن سبأ " السياسي :

ان المنكرين لدور " ابن سبأ " السياسي هم في الحقيقة المنكرون لرواية　　١٥
" سيف بن عمر " وان تجاوز " مرتضى العسكري " انكار هذا الدور الى انكار وجود " ابن سبأ " اعتمادا على تكذيب " سيف " فهو ليس الا من قبيل المغالطة المكشوفة .

كما أن من المنكرين لدور " ابن سبأ " السياسي كان من أنكره على وجه
آخر وهو استبعاد حدوث مؤامرة من النوع السيء في عصر الخلفاء　　٢٠
الراشدين .

رد " عبدالرحمن بدوي " على منكري دور " ابن سبأ " السياسي — الذين اعتمدوا على تكذيب بعض أهل الجرح والتعديل " لأحاديث سيف — بقوله :—

أما تشكيك " فريدلاندر " و"فلهوزن " في رواية "سيف ابن عمر" استنادا الى ما يورده "الذهبي" فهو ... لا محل له ، لأن كلام "الذهبي" أولا يتعلق "بسيف بن عمر" بوصفه محدثا لا بوصفه مؤرخا أو اخباريا ... والطعن فيه ان صح — فيما يتعلق بالحديث لا ينطق بالضرورة على الأخبار التي يرويها . فضلا عن ذلك : فهل هناك مصدر آخر معاصر له أو أسبق منه ينكر شيئا مما قاله عن عبد الله بن سبأ ؟ لم نعثر على مصدر ينكر روايته هذه فلا مناص من اتخاذها الى أن يظهر مصدر أوثق منه ينفيه أو يعدل من روايته .[1]

ان رأى " عبد الرحمن بدوى " — الذى يمكن وصفه بالموضوعية — يوضح لنا أن الذين أنكروا " ابن سبأ " من هذا الوجه لم يكلفوا أنفسهم الا النظر من زاوية واحدة للموضوع لتحقيق غرض معين لهم وهم في سبيل هذا الغرض مصممون على عزمهم حتى لو طمسوا بعضا من الحقائق ، التي تتجلى هنا في نقطتين الأولى : تتعلق بكون " سيف " اخباريا وليس محدثا . والثانية : تتعلق بعدم وجود مكذب لرواياته .

وقد رد " مرتضى العسكري " على النقطة الأولى : بأن من يتجرأ الكذب على رسول الله (ص) لا يتورع عن الكذب على سواه . وهذا حق أريد به باطل ، وهو التشكيك في الأصول الغريبة لبعض عقائد " الشيعة الغلاة " ، و"العسكري " شيعي ، وهو متهم هنا لا سيما وأن عباراته مما يصعب على المرء أن يصفها بالموضوعية العلمية المجردة . وهنا تبرز

---

١. مذاهب الاسلاميين ٢/ ٣٥ ، ٣٦

أهميـة التساؤل الذي طرحـه " عبدالرحمن بدوي " عن وجود مصدر آخـر معاصـر " لسيف " أو سابق لـه يذكر ما قالـه عن ابن سبأ .

ويجـد الباحـث هنا أن من الضروري ايراد جانب مما ذكره "ابن حجـر" عن "ابن سبأ" ، لما لذلك من علاقـة بالنقطـة الثانيـة التى أثارها عبدالرحمن بدوى " . قال ابن حجـر : ٥

قال ابن عساكر فى تاريخـه : كان أصله من اليمن [يعنى ابن سبأ] وكان يهوديا فأظهر الاسـلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمـة ويدخـل بينهم الشر، ودخل دمشق لذلك ، ثـم أخرج عن طريق سيف بن عمر التميمي في الفتـوح له قصـة طويلـة لا يصح اسنادها .[1] ١٠

فى النص تكذيب من "ابن حجـر" لقصـة جاءت الى "ابن عساكـر" عن طريق " سيـف " والتكذيب متأخر فى عصـره ، فهل في ذلك ما ينسحـب الى الدور السياسي " لابن سبأ " ؟

بالرجوع الى " تهذيب ابن عساكر " ، فبعد أن ذكر " ابن سبأ " وأصلـه اليهودى وطوافـه في بلاد المسلمين - كما أورد ذلك " الذهبي " - نجـده يقول :- ١٥

وروى سيف بن عمر عن أبي حارثة وأبى عثمـان قالا : لما قدم ابن السوداء مصر عجمهم واستخلاهـم واستخلوه وعرض لهم بالكفر فأبعدوه وعرض لهم بالشقـاق فاطمعوه ، فبدأ فطعن على عمرو بن العاص ، وقال : ما باله أكثركم عطاء ورزقا ، ألا سنصيب رجلا من قريش يسوى بيننا ، ٢٠

---

١. لسان الميزان ٣/ ٥٨٩

فاستحلوا ذلك منه وقالوا : كيف نطيق ذلك مع عمرو
وهو رجل العرب ؟ قال : ستعفون منه .[١]

هكذا يتبين لنا أن تكذيب " ابن حجر " لقصة " سيف " هنا لم يكن له أية علاقة " بعبد الله ابن سبأ " من حيث شخصيته ولا من حيث دوره السياسي بعامة بل ان التكذيب كان خاصا بذات القصة . ٥

أما نفي " دور ابن سبأ السياسي " من حيث استبعاد حدوث مثله في " عصر الخلفاء الراشدين " ذلك الذي تزعمه " كيتاني "، فقد قال " عبد الرحمن بدوي " في معرض رده علَى المذكور :

ماذا كان يفعل ابن سبأ اذن في عهد خلافة عثمان؟
واذا كان قد أخذ دورا بارزا في عهد خلافة علي القصيرة ١٠
(٣٦ — ٤٠) . أفلا يدل هذا علَى أنه كان قبل ذلك
ذا شأن بين علي وأنصاره ؟ وهل يظهر بأفكاره الدينيه
المهدويه والتأليهية فجأة بعد وفاة علي ؟ أم أن الأقرب
الَى الواقع والمعقول أن يقال انه لابد قد كان
ذا دور — ولو خفي مستور — أثناء الفتنة التي انتهت ١٥
بمقتل عثمان ؟ نرى نحن أن هذا هو الأقرب الى
المعقول ، وأن عبد الله بن سبأ شارك — سرا على
استحياء في هذه الفتنة .[٢]

فضلا عن ذلك فان المؤرخين ذكروا وجود تحركات سرية كانت على هيئات مختلفة منها رسائل مزورة الَى الجماهير باسم "عليّ" و"عثمان" فقد ٢٠ أورد الطبري رواية حول هذا الموضوع ، وقد وجدت الرواية نفسها في " تاريخ ابن خياط " (— ٢٤٠) ذلك الكتاب الذى أكتشفه حديثا " أكرم العمري " وقدمه مشكورا للمكتبة العربية علَى اعتباره أقدم تاريخ حولي وصل الينا

١. ابن بدران (— ١٣٤٦) . تهذيب ابن عساكر ، ج ٧ ، دمشق ، المكتبة العربية ، ١٣٥١ ، ص ٤٢٩
٢. مذاهب الاسلاميين ٢ / ٣٤ ، ٣٥

والروايـة تقول :—

حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال سمعت أبـي
قال : نا أبو نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيـد
الأنصاري قال : سمع عثمان أن وفد مصر قد أقبلـوا
... [الى أن قال الراوي] فاخذوا ميثاقه وكتبوا عليـه ٥
شرطا ، وأخذ عليهم أن لا يشقوا عصا ولا يفارقوا جماعة
وأقام لهم شرطهم ، ثم رجعوا راضين فبينما هم بالطريق
اذا راكب يتعرض لهم ويفارقهم ، ثم يرجع اليهم ثـم
يفارقهم . قالوا مالك ؟ قال : أنا رسول أمير المؤمنين
الى عامله بمصر ففتشوه فاذا هم بالكتاب على لسـان ١٠
عثمان عليه خاتمه الى عامل مصر أن يصلبهم أو يقتلهـم
أو يقطع أيديهم وأرجلهم ، فاقبلوا حتى قدموا المدينة،
فأتوا عليا فقال : ألم تر الى عدو الله كتب فينا بكـذا
وكذا ، وأن الله قد أحل دمه فقم معنا اليه . قال: والله
لا أقوم معكم قالوا: فلم كتبت الينا؟ قال: والله ماكتبت ١٥
اليكم كتابا . فنظر بعضهم الى بعض، وخرج علي مـن
المدينة . فانطلقوا الى عثمان فقالوا كتبت فينا بكـذا
وكذا . فقال : انهما اثنتان : أن تقيموا رجليـن
من المسلمين ، أو يمين الله الذي لا اله الا هـو
ما كتبت ولا أمللت ولا علمت ، وقد يكتب الكتاب علـي ٢٠
لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم . قالوا : قـد
أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق وحصـروه
في القصر رضى الله عنه .[1]

---

1. تاريخ ابن خياط ، ط ٢ ، ص ص ١٦٨ ، ١٦٩ . وانظر : الطبـري ج ٤ ص ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

ولنفترض أن قائلا ما يقول : ان رسالة " عثمان " المزعومة الى والي مصر انما كتبها " مروان ابن الحكم تزويرا منه على " عثمان " ، فما دخل " ابن سبأ "؟ ولكن هذا بعيد لو أعدنا قراءة النص اذ لوكانت المؤامرة مروانية لأمر الرسول أن ينطلق الى مصر بأسرع ما يمكن حتى يصل قبل " الثوار " أو أن يتنكر حتى لا يفتضح أمر الرسالة ، أما أنه يتعرض لقافلة " الثوار " ثم يفارقهم ثم يعود اليهم ثانية ، فهو ولا شك دليل على أنه مكلف بهذه التمثيلية ، لأن الغرض ليس ايصال الرسالة الى عامل مصر بل انه وقوف " الثوار " على فحواها ليعودوا الى المدينة وقد جن جنونهم على عثمان ، بعد خروجهم راضين .

على ذلك فان الرواية السالفة الذكر توضح جانبا من المؤامرة السرية الحبكة ضد عثمان ، كما توضح أساليب أصحابها الذين اتخذوا أسلوب الرسائل في اثارة الفتنة ضد " عثمان " . وهذا يدعم رواية " سيف " عن دور " ابن سبأ " السياسي ، وان كان الصواب عدم الجزم بأن " ابن سبأ " هو الوحيد الذي قام بتلك التدابير ، الا أنه من الممكن القول أنه كان أحد أعضاء شبكة سرية تكيد للاسلام .

وهكذا نعود الى " كيتاني " الذي يستبعد قيام " ابن سبأ " بهذا الدور في عهد خلافة عثمان للظروف القبلية السائدة يومئذ والتي لاتسمح بحدوث مثل ذلك فقد رد " عبد الرحمن بدوي " هذا الزعم بقوله :-

ولكن هذا الافتراض من جانب كيتاني لا مبرر له من الواقائع التاريخية ، اذ من الثابت ان مؤامرة دبرت ضد عثمان ، وأنها بدأت في مصر ، واشترك فيها بعض أهل المدينة ، وكان من هؤلاء " عبد الله بن السوداء " (أو ابن سبأ) ماذا يريد كيتاني اذن أن ينكر؟ وما معنى التحدث

عن النظام القبلي في ذلك العصر ، وكانت الخلافة الاسلامية قد استقروضعها كسلطة سياسية فوق النزاعات القبلية ؟ وهل كان مقتل عثمان لاسباب قبلية ؟ ان تدبير المؤامرة ضد عثمان كان تدبيرا سياسيا فوق مستوى الخلافات القبلية ، ولم يكن من السعة والبراعة والاحكام بحيث يحتاج الى تصور ان ذلك غير ممكن الوقوع قبل العصر العباسي .[1]

ان الباحث مع ايراده هذا الرد يجد لزاما عليه التحفظ على قول "عبدالرحمن بدوى " باشتراك/ بعض أهل المدينة في المؤامرة من حيث هي مؤامرة سبئية بل كان اشتراكهم نابعا من وجهة أخرى غير التى كانت لدى المتآمرين الذين لم يكن لهم هدف أدنى من ضرب الاسلام وهدمه عن طرق منها اشاعة الاضطراب السياسي ، فلا مصلحة لأهل المدينة من هذه الوجهة حيث انهم هم المهاجرين والأنصار ، أى أبناء الاسلام حقيقة ، وهذا التحفظ على هذه الجزئية لا يقلل من قيمة رد "عبدالرحمن بدوي" على " كيتاني " الذى نفى الدور السياسي "لابن سبأ " وفي الختام ليس من الضروري تصديق جميع ما نسب الى " ابن سبأ " في دوره السياسي ، لان الذى يهم موضوع هذا البحث هو الجانب العقدي في "ابن سبأ" وقد ثبتت حقيقته ، وليست مناقشة دوره السياسي الا من هذا المنطلق

٤ــ المنكرون يهودية " ابن سبأ " :

ان الذين أنكروا يهودية "ابن سبأ " كان معظمهم من المستشرقين ، وفيهم بعض اليهود ، واذا جاز اعتبار كل من " الوردي " و"الشيبي "منكرين ليهودية "ابن سبأ " حيث حولا دوره الذى قام به في خلافة "عثمان " الى

---

1. مذاهب الاسلاميين ج ٢ ص ٣٥

" عمار بن ياسر " وهو ليس يهوديا بأي حال . فلا بأس بضمهما الى منكري يهوديته جدلا . أما المستشرقون المعنيون فهم " ويملي " و" ليفي ديلافيدا " و" ماسنيون " و" فلهوزن " (انظر ص ٣٨ ، ٣٩) وليس من داع الخوض في سبب انكارهم يهودية " ابن سبأ ". الا أن " عبدالرحمن بدوي " أشار الى أن " ديلافيدا " انما استنتج عدم يهودية " ابن سبأ " اعتمادا منه علَى قول " البلاذري " أن " ابن سبأ " هو عبدالله بن وهب الراسبي [١]. وقد تقدم القول ان " الاشعري القمي " (ـ ٣٠١) كان قد ذكر ذلك من قبل كما تبين لنا خطأ هذا القول (انظر ص ٢٩ من هذا البحث) من هنا فان البناء علَى هذا الوجه غير ذي بال لأنه مبني علَى خطا واضح .

وقد أثبتت مصادر شتَّى يهودية ابن سبأ مثل : " الأشعري القمي " (أنظر ص ٣٠ من البحث) و" النوبختي " (ص ٣٠ من هذا البحث) والطبري (ص ٣١ من هذا البحث) ، و" البغدادي (ص ٣٤ من البحث) و" الشهرستاني (ص ٣٥) ، وابن ابي الحديد (ص ٣٥ من هذا البحث) . بالاضافة الى ذلك فان فيما ظهر به " ابن سبأ " من أقوال تفصح عن يهوديتها .

٥ ـ انكار وجود " ابن سبأ " واحالة الدور الذى قام به الَى " عمار بن ياسر " وقد ظهر بهذا القول " علي الوردي " وتبعه وأيده " كامل مصطفَى الشيبي " (و ص ص ٢٢ فصا) وقبل مناقشة ذلك لابد من الاشارة الَى أن من يقول بهذا الرأي لا يمكن أن يعتبر منكرا للدور الذي قام به " ابن سبأ " اعني الدور السياسي بصفة خاصة ـ وهذا الاقرار بالدور السيئ السياسي هو الذي دعا الَى تحويل ذلك الدور الى " عمار " أما مدَى صدق ذلك فسيتضح في الآتي :ـ

---

[١] انظر: مذاهب الاسلاميين ج ٢ ص ٢٩

أ — ان القول باشتراك "ابن سبأ" و"عمار" في كنيتين : "ابن سبأ" و"ابن السوداء"، ليس رابطا بل ليس داعيا لأن يكونا شخصا واحدا هو عمار. لا سيما وأن أحدا لا يستطيع أن يدعي أن عمارا كان يكنّى او ينادى عليه "بابن سبأ"، بل ان المعلوم تاريخيا أن "عمارا" كان يكنى أبا اليقظان.[1] وكون أحد أجداد "عمار" من يسمّى "سبأ" ليس مبررا لتلبسه شخصية "عبدالله بن سبأ". أما الرواية التي سيقت في ذلك. أن "عثكن بن معاوية" المزعوم قال : اياي "تعني" يا ابن السوداء"، فلو ثبتت الرواية فهي تدل على أنه استعمل هذه اللفظة لتحقير عمار وتعييره بأمه السوداء "سمية" رضي الله عنها وعنه — هذا اذا سُلم بقبول الرواية — فكيف يقال ان فلانا معروف بأنه "ابن السوداء" لأن شخصا ما شتمه يوما بذلك في مجتمع ينهى التنابز بالالقاب، مع العلم أني رجعت الى تفسير القمي طبعة مصر (١٣٥٨) ج ٢ ص ٦ وبحثت فيه فلم أعثر على ما يتعلق "بابن السوداء" من هذا الوجه وانما الذي في المرجع أن عثكن قال "لعمار يا ابن "سمية" وأما ابن سعد فلم أعثر له في ذلك على شيء بعد. ولا بد هنا من اضافة قول "الوردي" نفسه : "فكل يماني يصح أن يقال عنه انه "ابن سبأ"". ومنه فان بالمستطاع القول. ان كل من أمّه سوداء يصح أن يقال عنه "ابن السوداء" وهذا منطق عجيب فالتهمة ليست هنا خاصة "بعمار" بل هي تعم كل يمني أمه سوداء. لا! الأمر ليس هكذا فهذه مغالطة مكشوفة، فان التاريخ هو الذى أطلق على "عبدالله بن سبأ" "ابن سبأ" و"ابن السوداء" دون بقية اليمنيين الذين كانت أمهاتهم سودًا.

ب — وقول "الوردي" و"الشيبي" في ربطهما بين الشخصيتين : "أن عمارا كان شديد الحب "لعلي بن ابى طالب"، يدعو له ويحرض الناس على بيعته في كل سبيل" (انظر ص ٢٣).

---

(١) انظر ترجمة عمار في: الاعلام ٥/١٩٢

ان " الوردي " مسئول وحده عن هذه الفجوة حيث لم يعلق " الشيبي " عليها . اما حب " ابن سبأ " فليس كذلك لانه متهم بأنه قال لعلي أنت انت وأوضح منها انه نفى موته وقال برجعته (أنظر ص ص ٢٨ ، ٢٩) فهناك فرق بين مناصرة علي وبين الغلو فيه كما فعل " ابن السوداء ".

٥ جـ - وضمن محاولة من " الوردي " في تدعيم رأيه بتطابق شخصيتي " ابن سبأ " و "عمار" انه جعل "عمارا" يذهب الى مصر لتحريض الناس كما فعل " ابن سبأ " . وهذه مغالطة واضحة المعالم لأن الوردي تصرف في خبر سفر "عمار" الى مصر ليصادف هواه . والخبر ذكره "الطبري" في رواية عن "سيف" قال :

١٠ قال (عثمان) : فأنتم شركائي وشهود المؤمنين ، فاشيروا علي ، قالوا نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم . فدعا محمد بن مسلمة فارسله الى الكوفة وأرسل اسامة بن زيد الى البصرة ، وأرسل عمار بن ياسر

١٥ الى مصر ، وأرسل عبدالله بن عمر الى الشام وفرق رجالا سواهم ، فرجعوا جميعا قبل عمار . واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا أنه قد اغتيل فلم يفاجئهم الا كتاب من عبدالله بن سعد بن ابي سرح يخبرهم أن عمارا قد استماله قوم بمصر (او استمال قومًا بمصر)*

٢٠ وقد انقطعوا اليه منهم عبدالله بن سبأ وخالد بن ملجم وسودان بن حمران وكنانة بن بشر .[١]

---

* ما بين القوسين في نسخة أخرى للطبري شذت عن بقية النسخ بهذه العبارة ، ذكر ذلك المحقق في الهامش .

[١] الطبري ٣٤١/٤ .

مهما يكن عن أمر هذا الخبر ، فان ايراده هنا بصفته مصدرا " للوردي " استنتج منه ما وصل اليه ومرجحه في ذلك " ولكنسون " ٠ و" الطبري " هو مصدر الأخير في الغالب ٠ واذا كان الأمر كذلك فان في الخبر رداً على الوردي ؛ لأن " عبدالله بن سبأ " كما يقول الخبر كان بين القوم الذين استمالهم عمار أو استمالوه اليهم ؛ بالاضافة الى أن " عماراً " انما ذهب رسولا من " عثمان " لاستطلاع اسباب الشكوى من الولاة ؛ بمعنى أن شخوص " عمار " الى " مصر " كان بعد ابن سبأ الذي كان فيها من قبل ٠ فكيف يمكن الاستدلال على أنهما شخص واحد ٠ ٥

د ـ وفي جمعه بين شخصيتي " عمار " و " ابن سبأ " ذكر " علي الوردي " مستدلا بقول نقله عن " عبدالحميد جودة السحار " في كتابه (أهل البيت ص٦٦) أن عمار بن ياسر سمع ذات يوم يصيح في المسجد بعد بيعة عثمان : ١٠

يامعشر قريش أما اذا صرفتم هذا الأمر
عن بيت نبيكم ها هنا مرة وها هنا أخرى فما
أنا بآمن عليكم من أن ينزعه الله فيضعه في غيركم ١٥
كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله[١] ٠

ان النص السابق ورد في " المسعودي " (ـ ٣٤٦)[٢] واستدل منه " الوردي " على أن " ابن سبأ " ما هو الا " عمار " ٠ ولا يستساغ أن يكون النص دليلا الى ما ذهب اليه " الوردي " لو افترضنا صدقه ؛ وهو أمر لا يمكن التسليم به من وجوه منها أن " عمارا " كان ناقما على عثمان من مواقف ٢٠

---

١. الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢ ص٤١

٢. انظره في : مروج الذهب ٠ ط ٥ ،ج ٢ (محمد محي الدين عبدالحميد) بيروت ، دار الفكر ،١٣٩٣ ، ص ٣٥٢ ٠

كانت بعد خلافته ، والقصة كما رواها المسعودي كانت نتيجة لشائعة عن اغتباط " أبى سفيان ابن حرب " بخلافة عثمان ، وهي تعطي ايحاء بأن خلافة عثمان ما هي الا بداية لدولة " بنى أمية " • وأن " أبا سفيان " يتمنّى هذا ، ولما سمع بذلك " عمار " قال العبارات المذكورة في النص • وينبغي أن لا ننسَى أن أبا سفيان كان من الذين يريدون مبايعة علي بعد وفاة رسول الله (ص) ، فهل يستطيع أحد القول أن ابا سفيان كان يوما ما شيعيا ؟ ومعنًى ذلك أن عمارا كان متحمسا لخلافة علي كما كان " أبو سفيان " كذلك يوما ما ، وليس فى ذلك علاقة بالتشيع أو موالاة علي كما يحب الشيعة أن يصوروا مجتمع الصحابة علَى طريقتهم الخاصة ؛ وبالتالي ينفذون من عمار ليمحوا بذلك الصورة الجميلة لتاريخ " عمار " ؛ فيضعوه في شخصية " ابن سبأ " البغيضة •

واذا أردنا مجارات النص كما يريد " الوردي " و " الشيبي " ؛ فهل يريدون القول أن عمارا كان مناوئا لأبي بكر وعمر وعثمان • لا فعمار لم يكن كذلك ؛ بل على عكسه والا فما معنًى تولية عمر اياه امارة الكوفة ، وكتاب عمر اليه وهو في الكوفة أن يسير الَى " تستر " لنجدة جيش أبي موسَى الأشعري فيسير عمار وينجد الجيش ؟[١] معناه أنه لم يكن علَى خلاف مع عمر أو غير راض عن خلافته ؛ فضلا عن خلاف بينه وبين أبى بكر الذي رشح عمر لخلافته ، فما وجه المقارنة بابن سبأ الذى اشتهر أنه قال : ممن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله (ص) (ر• ص ٣١) •
وهذا يدل علَى أن الخلاف الذي كان بين عمار وعثمان انما هو شخصي عارض لادخل فيه للخلافة علَى النقيض الذي كان عليه ابن سبأ تماما ، وبالتالي فان في نص " المسعودي " عن عمار اعادة نظر •

---

١. أنظر : تاريخ ابن خياط ط ٢ ص ص ١٤٤ و ١٤٥

هـ — قارن " الوردي " بين ابن سبأ وعمار من وقعة الجمل ، فقال :

يعزى الى ابن سبأ أنه هو الذي عرقل مساعي
الصلح بين علي وعائشة ابان معركة [الجمل] البصرة
فلولاه لتم الصلح بينهما حسب ما يقوله الرواة • ومن
يدرس تفاصيل واقعة البصرة يجد عمارا يقوم بدور ٥
فعال فيها ، فهو الذي ذهب مع الحسن ومالك
الأشتر الى الكوفة يحرض الناس علَى الانتماء الى
جيش علي وكان وقوف عمار بجانب علي أثناء المعركة
سببا من أسباب ندم الزبير وخروجه منها [١] •

ان هذا الاستدلال لا يقوّي وجهة نظر " الوردي " بل يضعفها ١٠
لعدم وجود أي علاقة بين مساعى الصلح بين علي وعائشة ، وبين التحريض
علَى الانتماء الى جيش علي ؛ ومن الممكن اضافة ما يأتى : ان المتتبع
لدور كل من عمار و" ابن السوداء " في موقعة الجمل يجد اختلافا كبيرا
بين دور كل منهما وهدفه ؛ فبينما كان هم عمار هو نصرة على بن ابى طالب [٢] ،
نجد أن هدف ابن سبأ كان شيئا آخر كما نص الطبري الذي يقول : ١٥

فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم
وسالم بن ثعلبة العبسي ، وشريح بن أوفَى بن
ضبيعة ، والأشتر ، في عدة ممن سار الى عثمان •••
وجاء معهم المصريون : ابن السوداء وخالد بن
ملجم وتشاوروا ، فقالوا ما الرأى ؟ هذا والله علي ، ٢٠
وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة
عثمان ، وأقربهم الَى العمل بذلك ••• وتكلم ابن
السوداء فقال : ياقوم ان عزكم في خلطة الناس ، فصانعوهم

---

١. الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢ ص ٤١
٢. انظر: الطبري ٤/٤٨٢ — ٤٨٧

واذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم
للنظر ، فاذا من انتم معه لا يجد بدا من
أن يمتنع ، ويشغل الله عليا وطلحة والزبير
ومن رأى رأيهم عما تكرهون .[1]

ذلك هو موقف ابن سبأ من المعركة وهدفه ، أما عمار فقد كان واقفا ٥
الى جانب علي كما ذكر "الوردى"[2] فقد كان على رأس خيالة علي وانعم به
من موقع . اما ابن سبأ الذى كان محسوبا على بني عبد القيس كما سيأتى
(ر.ص ٥٦) ؛ فقد ولّوه في معركة الجمل قيادة فصيل من جيشهم
كما يقول الطبري[3] . فأين " عمار " من ابن "سبأ" . وعليه فليس بالامكان
قبول الزعم أنهما شخص واحد كما لا يمكن الإدعاء بأن الطبري تحاشى ذكرهما ١٠
معًا ، لأنه ذكرهما بالفعل ابان فتنة عثمان في مصر (ر.ص ٤٧) وذكرهما
في معركة الجمل كلا منهما في رهط مختلف عن الآخر .

و — وجد " الوردي " أن آراء " أبي ذر الغفارى " — المشهورة حول توزيع
الأموال على المسلمين ، وتصريحه بذلك أمام " معاوية " والي الشام — انما
كان بتحريض من "عبدالله بن سبأ" فبنى على ذلك بأن ابن سبأ هو "عمار بن ١٥
ياسر" بزعم أن :

لو درسنا صلة عمار بأبي ذر لوجدناها وثيقة جدا
فكلاهما من مدرسة واحدة هي مدرسة علي بن
أبي طالب . وكان هؤلاء الثلاثة يجتمعون ويتشاورون
معًا .[4] ٢٠

---

١. الطبري ٤/٤٩٣ ، ٤٩٤
٢. انظر : ابن خياط ط ٢ ص ١٨٤
٣. انظر : الطبري ٤/ ٥٠٥
٤. الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤١

ان الأمر من خلال تصور " الوردي " يُظهر أن هناك علاقة سرية بين علي وأتباعه ، يجعلنا نتعجل في حدوث أسلوب الدعوة السرية الباطنية ولنتخيل أن الأمر أبسط من ذلك ، فيصبح وجود مدرسة لعلي بن أبي طالب شيئا ما مما له علاقة بمبدأ " التقيه " الذي يستبعد حدوثه من علي بن أبي طالب ، لأنه حين رفض مبايعة ابي بكر فعل ذلك ولم يخش في ذلك أحدا ولما بايعه فعل ذلك ولم يخش أحدا ، ثم ما معنى مدرسة علي بن أبي طالب التي يريد الشيعة تصورها اعتمادا على اعلان " أبي ذر " الخاص بأموال المسلمين ؟

ان مدرسة علي بن أبي طالب المزعومة لم تظهر لها أي نتائج تاريخية أو فكرية ، سواء على تاريخ التشيع ذاته أو على التاريخ الاسلامي عامة (ر. ص ص ٧ — ٩ موالاة علي) ، ولكن من الممكن القول بكل ثقة ان المدرسة التي كانت لها نتائج تاريخية وفكرية على نطاق العالم كله ، فهزمت أعتى قوتين على الأرض وأقامت دولة فريدة من نوعها على مر الزمان ، ولازالت الى اليوم تؤتي أكلها كل حين ، هي مدرسة محمد بن عبدالله (ص) وأعني بذلك دين الاسلام .

اما مسالة التقاء " ابن سبأ " بأبي ذر وأن أولهما أثر في الثاني فهي ليست بذاك ، لأنها تحتاج من الباحثين الى اعادة نظر على ضوء ما يأتي :—

١ — كان ظهور ابن سبأ ((ابن السوداء)) سنة اثنتين وثلاثين أو احدى وثلاثين، على شكل رجل من أهل الكتاب رغب في الاسلام وفي جوار رجل من بني " عبد القيس " اسمه حكيم بن جبلة ، وذلك في البصرة ، لثلاث سنين خلت من امارة عبدالله بن عامر بن كريز [1] .

---

(١) انظر : الطبري ٤/٣٢٦ ، ٣٢٧ وأنظر أيضا ص ٢٦٤ ، وابن خياط ص ١٦١

٢ـ ان مسألة اعتناق "أبي ذر" لأفكار "ابن السوداء" حدثت بنص الطبري سنة ثلاثين[1]. وهذا يتناقض تماما مع ما ذكر الطبري من أن اعلان (ابن سبأ) لاسلامه وظهوره على السطح كان من سنة احدى وثلاثين ثم قام بجولة في العالم الاسلامي: الكوفة ، ثم الشام ثم مصر[2]...

٣ـ ان وفاة أبي ذر كانت في سنة اثنتين وثلاثين[3]. ومعنى هذا أنه في الوقت الذي كان ابن السوداء يتجول فيه بين الكوفة والشام ومصر كان ابو ذر بين الأموات ، وفي الوقت الذي أعلن "ابو ذر" افكاره أمام معاوية ، لم يكن "ابن السوداء" قد أظهر نفسه أو اسلامه بعد .

ثم ان "اباذر" ليس بالشخصية السهلة ـ كما يتضح من قصة اسلامه[4]. ـ حتى يمكن تصديق هذه الرواية عنه . وذكر المسعودى ١٠ (ـ ٣٤٦) القصة التالية التي حصلت في مجلس عثمان وفيه أبو ذر :

فقال عثمان : أرأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟
فقال كعب [الأحبار] : لا يا أمير المؤمنين ، فدفع
أبو ذر في صدر كعب ، وقال له : كذبت يا ابن اليهودي
ثم تلا (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ـ ١٥
الاية)[*] فقال عثمان : أترون بأسا أن نأخذ مالا من بيت
مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أمورنا ونعطيكموه ؟ فقال
كعب : لا بأس بذلك ، فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في
صدر كعب وقال : يا ابن اليهودي ما أجراك على القول
في ديننا[5]. ٢٠

---

(١) أنظر الطبري ٤/٢٨٣
(٢) الطبري ٤/٣٤٠
(٣) انظر : الطبري ٤/٣٠٨ وابن خياط ص٦٦
(٤) انظرها في البخاري ك ٦١ ب ١٠ في فتح الباري ٦/٥٤٩ ، ٥٥٠
(٥) مروج الذهب ٢/٣٤٨ ، ٣٤٩
(*) البقرة ١٧٧

في النص نجد نقطتين احداهما ما استدل به أبو ذر على وجهة نظره في الأموال، تلك التي وُسمت في هذا العصر "باشتراكية أبي ذر"، وهي ليست كذلك . الثانية توضح قوة شخصية "أبي ذر" واستبعاد أن تكون القصة المسندة اليه من أنه تلقى علمه هذا من ابن السوداء صحيحة .

كيف بعد ذلك نستند عليها في نفي شخصية ابن سبأ والقصة ذاتها ٥ لم تقع ، واذا كان عمار هو الذي سلط أبا ذر ليقول بتلك الأفكار ، فما الذي منع عمارا أن يقول بها بنفسه أو أن تو ثر عنه كما اثرت عن أبي ذر .

يتضح لنا أن " الوردي " لم يُقم على محاولته اثبات أن " ابن سبأ" هو "عمار بن ياسر" ، الا بأدلة واهية ، وهذا ينطبق على محاولات "الشيبي" لتدعيم هذه الآراء . ١٠

ان استنتاج " الوردي " في أصله منسوق من قبل بالروايات التي تواترت أخبارها عن دور "ابن سبأ " الفكري ، والذي كان في معظمه بعد وفاة علي ، بينما كان استشهاد عمار في معركة صفين قبل علي ابن أبي طالب .

لقد ثبتت اذن شخصية ابن سبأ حقيقة . كما اتضحت وجهة نظر كُتّاب الشيعة المتقدمين وأئمتهم حول "ابن سبأ " تلك التي تتميز بكراهيتهم له ١٥ ولعنهم اياه ، وهي تتطابق تماما مع روايات "أهل السنة " الذين وجهت اليهم تهمة ايجاد هذه الشخصية من الخيال .

ابن سبأ في الفكر الباطني :

ان المصادر الباطنية خالية في معظمها من ذكر ابن سبأ ، الا أن "دائرة المعارف الاسلامية " أشارت الى أن : ٢٠

مصدرا اسماعيليا يؤيد الحادثة [أي ما روي أن عليا أحرق ابن سبأ (ر. ص ٣٩ نص ابن قتيبة)] لصالح " ابن سبأ " مدعيا بأنه تحمل ذلك ظاهريا

فقط (قارن بين : المقدسي ، بدء الخلق ، نشر هارت ،
فصل ، ١٨١ ، وهفت بأبي بابا سيدنا ، نشر ايفانوف ،
من رسالتين اسماعيليتين قديمتين . بومبي ١٩٣٣ ،
ص ١٥) .[1]

أشار " ايفانوف " في دليله الى أن كتاب " هفت بابي بابا سيدنا " من   ٥
كتب الباطنيين النزاريين القديمة منذ كانوا في " قلعة أَلموت الشهيرة ، وتقطن[2]
أعداد من النزاريين " سوريا " اليوم (ر . ص ١٥٢)

ويبدو أن ما أشير اليه حول تعاطف النزاريين مع " ابن سبأ " معروف لدى
النزاريين اليوم بل ويعتقدونه ، لأن " عارف تامر " وهو نزاري معاصر ، سلك
مسلكا سبئيا واضحا في مدحه لأهل اليمن ، يتفق الى حد ما مع ما عزته " دائرة   ١٠
المعارف الاسلامية " الى أسلافه ، يقول عارف تامر :

فلما رحل " عبدالله بن سبأ الصنعاني " الى مصر
بعد أن طاف بالكوفة والبصرة والشام التف حوله
المسلمون هناك ، لأنه حمل على سياسة الخليفة
الثالث عثمان التي كانت مثارًا للسخط في العالم   ١٥
الاسلامي في ذلك الوقت ، ونادى بحب علي لأنه أولى
من غيره بالخلافة ، فانضم اليه في مصر عدد كبير ،
وفي مقدمتهم " محمد بن أبي بكر " وقد ساعد انضمامه
على نجاح ابن سبأ في مهمته ، لأنه النجل الأكبر
للخليفة المناوئ لعلي بن أبي طالب .[3]   ٢٠

ان هذا يدل على أن لابن سبأ مكانة ما في الفكر الباطني ، فضحها النزاريون ، وليس
ببعيد أن يكون هذا رأي الباطنيين جميعا كما لا يستبعد أن يكون النزاريون وحدهم

---

١. الطبعة الانجليزية من الموسوعة المذكورة : (عبد الله بن سبا) ليدن ، ١٩٦٠ ، ص ٥١
٢. انظر : Ivanow. ISMAILI LITEATUR; Tehran, 1963 (683) pp. 133, 134
٣. أروى بنت اليمن . (سلسلة اقرأ — ٣٣٠) القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٠ ،
ص ص ٩ ، ١٠٦

هم أصحاب هذا الرأي ، ومعروف ما بين النزاريين وغيرهم من الباطنيين من خلاف عقدي .

وبعد ، فان البحث بحاجة لتبيان العلاقة بين عقائد ابن سبأ وعقائد الغلاة تلك العلاقة التى لايستبعد أن تكون نواة لفكر الباطنيين الذين يدينون في معظم عقائدهم الى فرق من الغلاة ، كما يجزم البعض .[1]

٥

---

١. انظر لويس، أصول الاسماعيلية، ص ص ٩٣ ، ٩٤ .

الفصل الثالث : الغلو بعد عبد الله بن سبأ

الغلاة : سبقت الاشارة الى قول أصحاب المقالات في الغلاة كما سبق ذكر طرف من رأي " برنارد لويس " في تقسيم الغلاة (ر٠ ص ص ١٤ ، ١٥) — وبالرغم من تعريف " الشهرستاني " للغلاة (ر٠ ص ١٤) الا أنه حذف من الغلاة فرقا تدخل ضمن تعريفه كا"لكيسانية " رغم قوله باعتقادهم في محمد بن الحنفية (فوق حده ودرجته) ؛[1] مما يدل على أن تقسيم الفرق لدى أصحاب المقالات كان يخضع لوجهة أخرى لم تتضح للباحث ؛ كما يتضح في ذكر (ابى الحسن الأشعري) " للبيانيه " و " الحربيه " مرتين احداهما بين فرق " الغلاة " والأخرى بين فرق " الرافضة ".[2] وفي ترتيبهم لفرق " الغلاة " نجد أن أصحاب المقالات على خلاف ؛ فبينما كانت " السبئية " عند " النوبختي " أول من قال بالغلو ٠[3] وكذا كان "البغدادي" الذى أعطاها الأولوية في الترتيب بين الفرق التي انتسبت الى الاسلام وليست منه ؛[4] الا أن أبا الحسن الأشعري اعتبرها الصنف الرابع عشر من أصناف " الغلاة ".[5]

وعلى صعيد آخر نجد " برنارد لويس " يعتبر ثورة المختار بن أبي عبيد (— ٦٦) بداية للغلو الشيعي ، وعليه فقد قسم الغلاة الى نزعتين رئيسيتين سمى الأولى " الفاطمية " و " الثانية " الحنفية " ، ويمضي في ذلك قائلا :

---

١. انظر الملل والنحل ١/ ١٤٧
٢. انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ٦٦ ، ٦٨ ، ٩٧
٣. انظر: فرق الشيعة ص ٤٠
٤. انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٢٢
٥. انظر: مقالات الاسلاميين ١/ ٨٦

كان أصحاب النزعة الأولى أتباع الأئمة من سلالة علي وفاطمة أي الحسن والحسين وذريتهما ، وأصحاب النزعة الثانية أتباع محمد بن الحنفية ومن خلفه من عقبه .[١]

ان تقسيم لويس لا ينسجم تماما مع الحقيقة التى ينكرها وهي وجود عبدالله بن سبأ وفرقته " السبئية " ، الا أن من حق الباحث أن يستفيد منه ليتم تقسيم فرق الغلاة على ما يأتي :-

١- السبئية : وهم الذين غلوا في علي بن ابي طالب .

٢- أتباع النزعة " الحنفية " : وهم الذين دعوا الى امامة محمد بن الحنفية وعقبه وغلوا فيهم : وهم : أ - الكيسانية ، ب - الكربية ، جـ - الهاشمية ، د - البيانية [ويقال ان أصل صاحبها " بيان " كربي ومات هاشميا اي تابعا للفرقة الهاشمية] ، هـ - الجناحية [أو الحارثية] ، وهي هاشمية ، و - الرونديه ، وهى هاشمية أيضا .

٣- أتباع النزعة " الفاطمية " : وهم الذين دعوا الى امامة الحسنين وذريتهما وعليه فيمكن تقسيمهما الى :

أ - الحسنية : وهم الذين دعوا الى امامة ذرية " الحسن ابن علي " وغلوا فيهم مثل : المغيرية .

ب - الحسينية ، وهم الذين دعوا الى امامة ذرية " الحسين بن علي " وغلوا فيهم : مثل : ١- المنصورية ٢- الناووسية ٣- الخطابيه ٤- البزيعية ٥- المباركية ..

ان هذا يوضح لنا أن قصة الغلو بعد "عبدالله بن سبأ"

---

١. أصول الاسماعيلية ص ص ٨٨ ، ٨٩ .

تبدأ بفرقة " السبئية " التى كانت أول فرقة حولت أفكاره الغالية الى[1] مذهب يدين به مجموعة من البشر ، وفي دراستنا للفرق الغالية يجدر بها أن تكون على رأس القائمة :

١ـ السبئية :

هم أتباع " عبدالله بن سبأ " ، فنسبوا اليه . والعبارة تكتب " السبئية " أو " السبائية " (ر. ص ٣٥) . وقد وجدت عند " البغدادي " السبابية (ر. ص ٣٤ ، ٣٥) وهو مما يستغرب منه ، مع عدم استبعاد أن تكون " السبابية " بدلا من " السبائية " . أو بوجه أدق ، بدلا من السبايية . وحينئذ يكون ما كُتب عند " البغدادي " تصحيفا وقد حاول " كامل الشيبي " نسبة " السبئية " الى اليمن ،[1] الا أن هذا لا يصح الا من حيث انتسابهم الى " سبأ " ، أما الفرقة الغالية السبئية ، فان عدم نسبتها الى " عبدالله بن سبأ " مغالطة واضحة .

عقائد السبئية : ان من يتمعن في كتب المقالات يجد أن هناك آراء عقدية غالية نسبت الى عبدالله بن سبأ نفسه وهناك آراء مماثلة نسبت الى " السبئية " ، وفي تعرض الباحث لعقائد " السبئية " لن يفرق بين ما نسب الى المؤسس وما نسب الى الفرقة .

أ ـ القول بحلول اللاهوت في الناسوت :

نسب " الشهرستاني " هذا القول صراحة الى " ابن سبأ " حيث قال : (زعم أن عليا حي لم يمت ففيه الجزء الالهي) ، (ر. ص ٣٥) . كما أشار الى ذلك بعض أصحاب المقالات مثل البغدادي (ر. ص ٣٣) وابن ابي الحديد (ر. ص ٣٦) بأن السبئية يزعمون أن عليا في السحاب وأن الرعد

---

(١) انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٩١ .

صوته والبرق سوطه أو تبسمه . وفي " السبئية " قال اسحق بن سويد العدوي (ـ ١٣١)*:

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزّال منهم وابن باب
ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب[١]

وليس بعيداً عن ذلك ما ذكره ابن قتيبه (ـ ٢٧٦) من أن " ابن سبأ " قال في علي : انه رب العالمين (ر. ص٢٩) ، وقد ورد مثل ذلك في كتب المقالات ، كقولهم انه قال له : أنت أنت أو : أنت هو .. الخ .

والقول بحلول اللاهوت في الناسوت مما قالت به " الباطنيه " بعد ذلك في أئمتهم (ر. ص ٢٣٧ فما) .

وهذه الدعوى ـ أي حلول اللاهوت في الناسوت ـ منزع يهودي الأصل لأننا نجد في العهد القديم :

أخيرا دخل قدامي دانيال الذي اسمه
بلطشاصر كاسم الهي والذي فيه روح الآلهه
القدوسيين فقصصت الحلم قدامه .[٢]

وقد تطورت الفكرة التى ربما كانت ذات أصل بابلي ، فظهرت في منحولات كليمانس (ر. ص ٢١٠ فما).

ب ـ المهديـة والرجعـة :

قالت " السبئيـة " على لسان مؤسسها "عبدالله بن سبأ " ان عليا سيرجع وقد ذكر ذلك : الناشئ الأكبر وأبو الحسن الأشعري والبغدادي والشهرستاني (ر. ص ص ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥) ، وأنفرد " الطبري " بالقول ان ابن سبأ

---

* نقلت تاريخ وفاته من هامش كتاب : الجاحظ . البيان والتبيين ج ٣ ، عبدالسلام هرون ، ص١٢٢ عن تهذيب التهذيب .
١. البغدادى . الفرق بين الفرق ص٢٢٤
٢. دانيال ٤/ ٨ وأنظر أيضا ٤/ ٩ ، ١٨ و ٥/ ١١ ، ١٤

قال في حياة "علي" برجعة سيدنا محمد (ص) (ر٠ ص ٣١) ٠

وقد ربطت " الفرقة السبئية " الرجعة بالمهدية ، فقالوا ان عليا سيرجع وأنه سينتقم من أعدائه وأنه سيسوقهم بعصاه وأنه سيملك الأرض ويملؤها عدلا كما ملئت جورا ، وهو مما نقله " الأشعري القمي " والنوبختي وأبو الحسن الأشعري والبغدادي والشهرستاني (ر٠ ص ص ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥) ٠ ٥

ومن الجدير بالملاحظة المعنى الذى أكتسبته المهدية في الفكر السبئي ، فانه الى جانب (ملء الأرض عدلا كما ملئت جورا) — وهي صفة المهدي عند أهل السنة والجماعة — صفة أخرى هي صفة المسيح اليهودي الذي سيأتي من السماء ، لينتقم. وقد وردت هذه الصفات في ١٠ العهد القديم (ر٠ ص ص ٢٨٧ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨)

ان صفة القائم المنتقم في الفكر الباطني طغت كثيرا على صفات المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا ، فعند النصيريه والاسماعيلية والدروز نجد أن من مهمات هذا القائم : قتل جميع الأضداد بيده وبيد أوليائه ، كما نصت بعض المصادر الدرزية على أن الذين سيساعدون القائم ١٥ هذا على عملية الانتقام هم من ذرية بنى اسرائيل الاسباط (ر٠ ص ٢٩٨)

ويلاحظ أن مهدية " علي " ورجعته التي قالت " السبئية " بها تتميز بنقطتين :

الأولى : أن عينان ستنبعان لعلي في " مسجد الكوفة " تفيض احداهما سمنا والأخرى عسلا يغترف منها شيعته ، كما نقل " البغدادي " ذلك عن " ابن ٢٠ السوداء " (ر٠ ص ٣٤) ، ولذلك أصل يهودي ورد في العهد القديم :-

ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر عصيرا

والتلال تفيض لبنا وجميع ينابيع يهوذا تفيض ماء

ومن بيت الرب يخرج ينبوع٠ (١)

---

١. سفر يوئيل ٣/ ١٨

وكـذا :

يجلب الرب عليك وعلى شعبك ، وعلى بيت أبيـك
أياما لم تأت منذ اعتزال افرائيم عن يهوذا أي ملك
آشور ... ويكون في ذلك اليوم ان الانسان يربـي
عجلـة بقروشاتين ويكون أنه من كثر صنعها اللبن
يأكل زبدا فان كل من أبقي من الأرض يأكل زبـدا
وعسـلا .[1]

الثانيـة : ان " ابن سبأ " كان يزعم : أن عليا قال له : انه سيدخـل دمشق ويهدم مسجدها حجرا حجرا ، كما ذكر ذلك القاضي عبدالجبـار (ر . ص ٣٢) . وقد كذب على علي في ذلك ، الا أن ابن سبأ يعبر عـن أمنيـة يهوديـة جاء ذكرها في العهد القديم :—

وحـي من جهـة دمشق . هوذا دمشق تـزال
من بين المدن وتكون رجمـة ردم .[2]

يقول رب الجنود . وأشعل نارا في سـور
دمشق فتأكل قصـور بنهـدد .[3]

وبذلك يتضح لنا أن جانبا كبيرا من الرجعـة والمهدوية ذو أصل يهودي، وأن " ابن سبأ " أو " ابن السوداء " انما جاء بها من التراث اليهودي ، وهـذا رأي متفق عليـه تقريبا ، لا سيما عند من لا ينكر يهوديـة ابن سبأ .[4]

---

١. سفر أشعيا ١٧/٧ — ٢٢
٢. سفر أشعيا ١/١٧
٣. سفر أرميا ٢٦/٤٩ ، ٢٧
٤. أنظر : ما نقله عبدالرحمن بدوي عن فريد لاندر في : مذاهب الاسلاميين ٢٥/١ فما ، وقارن ذلك بالنصوص التي وردت في العهد القديم .

ج — الوصايـة والامامـة :

قالت " السبئيـة " بالنص على امامة "علي بن ابي طالب " وأنه وصـي رسـول الله (ص) ، وهذا لم يكن معروفا في البيئـة الاسلامية (ر٠ ص ص ٥ — ٩) قبل أن يظهر به " عبدالله بن سبأ " ، كما استنتج الباحـث من نصوص " الأشعري القمي " و " النوبختي " الشيعيين (ر٠ ص ٣٠) ، وقد نص الباطني " عـارف تامر " على ذلك بقولـه :—

فباعتقادي ، أن أول بذرة وضعـت في حقـل الامامة كانت البذرة التي غرسها (عبدالله بن سبأ)[1]

وعلى ذلك اشتهر في الأوساط العلميـة منذ القديم أن من خالف الشيعـة قال (ان أصل الرفـض مأخوذ من اليهوديـة) كما نص الأشعري القمـي والنوبختي (ر٠ ص٣٠) ومن بعدهما ممن تحدث من كتّاب الشيعة عن ظاهـرة " السبئيـة " ٠

ويدل على أصل فكرة الوصايـة والامامة اليهودي ما ذكره " البغدادي " أن " ابن السوداء " ذكر لهم أنه وجـد في التوراة أن لكل نبي وصيا (ر٠ ص ٣٤) وقريب من ذلك ما ذكره الطبري ، أن ابن سبأ قال لهم : (انه كان ألف نبـي ولكل نبي وصـي وكان علي وصـي محمد) (ص) (ر٠ ص٣١) ، كما ذكـر المحققون أن ابن سبأ كان يقول بمقالته هذه في يوشـع بن نون وصي موسـى حينما كان على يهوديته منهم : " الشهرستاني " (ر٠ ص٣٥) بالاضافة الـى " الأشعـري القمـي " و " النوبختـي " ٠

وغالب الظن أن عبارة (لكـل نبي وصـي) غير موجودة في نصوص العهـد

---

١. الامامة في الاسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د٠ ت ،ص٦٢

القديم حاليا.الا أن " فلهاوزن " أشار الى أن هناك فكرة يهودية تقول " بالزميل الثاني " لكل نبي ، ولكنه لم يذكر مصدره في ذلك [١] ، الا أن يكون ناقلا لنص الطبري وغيره — أي معبرا عن وجهة النظر الاسلامية — باعتبار أن ابن سبأ هو الذي أتى بهذه الفكرة . ان قول " فلهوزن " هذا يؤيد أيضا ما ذكره " البغدادي " على كل حال . ٥

ويكفينا هنا أن " ابن سبأ " شبه في معظم الروايات قوله بوصاية النبي (صلى الله عليه وسلم) " لعلي " ، بوصاية " موسى " " ليوشع بن نون " ، وهو يدل على أن أصل الوصاية بالامامة موجود في الفكر اليهودي، وفي العهد القديم نجد ذلك في هذه القصه :

فدعا موسى يشوع وقال له أمام أعين ١٠
جميع اسرائيل . تشدد وتشجع لأنك أنت
تدخل مع هذا الشعب الأرض التى أقسم
الرب لآبائهم أن يعطيهم اياها وأنت تقسمها
لهم ... وقال الرب لموسى هوذا أيامك
قد قربت لكي تموت . ادع يشوع وقفا في ١٥
خيمة الاجتماع لكي أوصيه [٢] .

والموضوع على هذه الصورة لا يحتاج الى نقاش لوضوحه ، الا من وجهة أخرى ، وهي التي يقول بها الباطنيون من أن النص على "علي " موجود في القرآن .

---

١. أنظر : أحزاب المعارضة السياسية والدينية في الاسلام ، الشيعة والخوارج ، ترجمة عبدالرحمن بدوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة ١٩٥٨ ، ص ٢٤٥ .
٢. سفر التثنيه ٣١/٧ ، ١٤ .

ان وجود النص على " يوشع بن نون " بهذه الصورة الواضحة في العهد القديم ، يحتم وجوده بنفس تلك الصورة في القرآن الكريم ؛ لزعم " الباطنيين " ان الأمور تجري على مسار واحد لايتغير فما جرى على الأمم السابقة لا بد أن يجري مثله علينا (ر ٠ ص ٣٨١) ولعدم وجود النص على "علي " بصورة واضحة قاطعة تماما في القرآن، ٥ يتضح بطلان دعواهم ، ويؤكد أن " ابن سبأ " نقل ذلك عن خلفيته اليهودية ليفسد هذا الدين،وهذا القرآن؛الذى قال الله تعالى فيه: " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء " *

د ـ النيل من صحابة رسول الله (ص) وتكفيرهم :

ان الله تبارك وتعالى امتدح أصحاب نبيه في كتابه الكريم ، فقال ١٠ تعالى : " لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة " **
وقد سبق الحديث عن الصحابة الكرام (ر ٠ ص ٣ فما) والصحابة هم الذين يمثلون أفضل مجتمع اسلامي بل أفضل مجتمع بشري؛ فهم الذين آمنوا برسول الله (ص) حين كذبه الناس ، ونصروا الله ورسوله ، ونشروا الدين في أماكن كثيرة مما نطلق عليه اليوم العالم ١٥ الاسلامي ، ويكفيهم أن الله تعالى اختارهم لصحبة سيد ولد آدم ٠

ولكن " عبدالله بن سبأ " ورهطه استهدفوا تلك الزمرة المباركة ، فصبوا جام

---

* النحل ٨٩
** الفتح ١٨

غضبهم وحقدهم عليهم فجعلوهم أظلم الأمة (ر. ص ص ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦)
وذكر الشعبي ذلك قائلا :

وللبهود والنصارى فضيلة على الرافضة
في خصلتين ، سئل اليهود من خير أهل
ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب موسى ، وسئلت ٥
النصارى ، فقالوا : أصحاب عيسى ، وسئلت
الرافضة : من شر أهل ملتكم ؟ فقالوا : أصحاب
محمد ، أمرهم الله بالاستغفار لهم فشتموهم .[١]

وقد انتقلت هذه الخصلة من السبئية الى كثير من فرق الغلاة كما سيتضح
(ر. ص ص ٧٤ ، ٨١) ، كما حفلت المصادر الباطنية بشتم ابي بكر وعمر ١٠
وعثمان (ر. ص ص ١٩٦ فما) .

هـ — <u>العلم الخفي</u> :

قالت " السبئية " بوجود علم خفيّ عندهم ، وهم أول من أدخل ذلك
في الاسلام ، فقد ورد في ((شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد)) ، أن السبئية
قالوا : (هدينا لوحي ضل عنه الناس ، وعلم خفي عنهم ، وزعموا أن رسول الله ١٥
صلى الله عليه وآله كتم تسعة أعشار الوحي ...) (ر. ص ٣٦)

ان ادعاء العلم السرّي انتقل من السبئية الى بقية الغلاة ، وخاصة
الكيسانية (ر. ص ص ٧٥ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٦) ولكن " عبد الرحمن بدوي " استبعد
ذلك من خلال استبعاده وجود تأثير " لفيلون " وتأويلاته الباطنيه لدى يهود
جزيرة العرب ، ما سيأتي تفصيله حين نتحدث عن التأويل الباطني (ر. ص ١٨٧ فما) [٢] ٢٠

١- ابن عبد ربه الأندلسي (— ٣٢٧) . <u>العقد الفريد</u> ، ج ٢ ، تحقيق أحمد أمين وزميليه ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٥ ، ص ٤١٠
٢- انظر : <u>مذاهب الاسلاميين</u> ١٦/٢

ولكن رواية ابن ابي الحديد تدل على قولهم بالعلم السري ، واذا كانت هذه الرواية لاتتهم "ابن سبأ" مباشرة بذلك، بل انها تتهم "السبئية" الذين كانوا أيام "الحسن ابن محمد بن الحنفية" وبينه وبين "ابن سبأ" فترة ليست قصيرة ، هذا يؤدي الى احتمالين :

٥ الأول : أن يكون ذلك من قول "السبئية" بعد "عبدالله بن سبأ" أى في عصر الحسن المذكور هذا ، وبذلك لا تكون "السبئية" هنا سوى "الكيسانية" ، وهو رأى يؤيد ما ذهب اليه "فلهوزن" من عدم التفريق بين الكيسانية والسبئيه (ر٠ ص٧١) ويكون ابن ابن الحنفية قد سمع هذا القول عن معاصرين له فرد عليهم بما ورد فى الرواية ٠

١٠ الثاني : أن يكون هذا القول منقول عن "ابن سبأ" نفسه ٠ ويقف ضد هذا الرأى عدم استنكار من كان قبل الحسن بن محمد بن الحنفية عليهم ، هنا يمكن الاجابة بأن آراء ابن سبأ لم تكن تشيع الا بين من لم يكن له نصيب من العلم ممن يقبل كل قول ، وقد ذكر ذلك القاضى عبدالجبار (ر٠ ص٣٢) ، فلذا لم يصل كل ما كان يقوله "ابن سبأ" الى أهل العلم

١٥ الا فيما بعد ، ويؤيد ذلك ما نص عليه القاضى عبدالجبار من أن "ابن سبأ" (كان يدعي أن أمير المؤمنين يستخصه ويخرج اليه بأسرار لا يخرج بها الى غيره ...) (ر٠ ص٣٢) ويؤيد ذلك أيضا ما ذكره "طه حسين" عن "البلاذري"* (ــ ٢٧٩) من أن "ابن سبأ" احتفظ بنسخة من خطاب "لعلي بن ابي طالب" ثم حرفه كما يشاء[١] ٠

٢٠ ويبدو أن "العلم السري" ظهر عند "السبئية" وظهر معه أيضا التأويل

---

* أنظر ترجمته فى الاعلام ١ / ٢٥٢

١. انظر : علي ونبوه ط ٨ ص ٩١

الباطني عندهم لأن للشعبي (ـ ١٠٣) التابعي المشهور قولا في ذلك ، وهو :

ماشبهت تأويل الروافض فى القرآن الا بتأويل
رجل مضعوف من بني مخزوم من أهل مكة
وجدته قاعدا بفناء الكعبة ، فقال ياشعبي : ٥
ماعندك في تأويل هذا البيت ؟ فان بني
تميم يغلطون فيه ويزعمون أنه انما قيل فى رجل
منهم ، وهو قول الشاعر :
بيتازرارة محتب بفنائه * ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
فقلت له : وما عندك "أنت فيه ؟ قال : البيت ١٠
هو هذا البيت ، وأشار بيده الى الكعبة ، وزرارة
الحجر ، زرّر حول البيت ، فقلت له : فمجاشع ؟
قال : زمزم جشمت بالماء ، قلت : فأبو الفوارس ؟
قال : هو أبو قبيس جبل مكة ، قلت : فنهشل ؟
ففكر فيه طويلا ثم قال : أصبته ، هو مصباح الكعبة ١٥
طويل أسود ، وهو النهشل .[١]

ان تصوير " الشعبي " للتأويل الباطني على هذا النحو تصوير دقيق ، وهو بالتالي لا يبعد كثيرا عن ما سنعرفه من التأويل الباطنى عند الفرق الباطنيه .

أما النص الذى يستقى منه قول " ابن سبأ " بالعلم السري ، فهو الذى ذكره الجاحظ وفيه أن "ابن سبأ " حينما نعى اليه "علي بن ابى طالب" قال : ٢٠ (قد علمنا أنه لا يموت حتى ...) وكذا ما ذكره الناشئ الأكبر (ر٠ص٢٩)

---

١. العقد الفريد ٢/٤١٠ ، ٤١١

أما مسألة ادعاء " السبئيــة " ان الرسول كتم تسعة أعشار الوحــي فقد وردت في مرجـع آخـر غير ابن ابي الحديد ، وهو ما ذكره ابن حجــر (ــ ٨٥٢) الذى أضاف قائلا :

وقال أبوعلي الموصلي في مسنده ثنا أبو كريـب
ثنا محمد بن الحسن الأسدي ثنا هرون بن صالح
عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي الجلاس سمعت
عليا يقول لعبدالله بن سبأ والله ما أفضــى[1]
الى بشـيء كتّمه احـدا من الناس.

كل ذلك يوضح لنا وجـود "العلم السـري" عند ابن سبأ وعند السبئيين بل ووجود التأويل الباطني في هذه الفترة المتقدمة من تاريخ الغلو.

ان عقائـد الفرقـة السبئيـة في مجملها ـ وهي تصور لنا عقائد عبداللــه ابن سبأ ـ انما توضح من جانب آخـر بدايـة الغلو بعد "ابن سبأ".

٢ــ الغلاة في ابن الحنفيـة :

ان الغلاة في محمد بن الحنفيـة يشكلون مجموعة من الفرق ، يجمعهما القول بامامة محمد بن الحنفيـة وبنيـه ، وان يكن من بينهم من دعا في فترة ما الــى امامـة " عبدالله بن معاويـة بن جعفر " ، أو الى امامة " محمد بن على بــن عبدالله بن عباس" ، الا أن الذين فعلوا ذلك كانوا من الذين دعوا من قبــل الى "محمد بن الحنفيـة " كما ذكر ، فهم لا ينفكون في الحقيقة عنهم علــى[1] هـذا النحو ، وقد أطلق على هذه الفرق الغاليـة " الكيسانيـة " باعتباره اسمـا لأول فرقهم ، وقد عدّهـم "أبو الحسن الأشعري" (ــ ٣٣٠) اثنتى عشرة فرقــة[2] على النحو التالي :ــ

١ـ لسان الميزان ٣/ ٢٨٩ ، ٢٩٠
٢ـ انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ٩١ ــ ٩٧

١- الفرقة التي نصت على امامة " ابن الحنفية " بعد "علي ".

٢- التي نصت على "ابن الحنفية " بعد " الحسنين ".

٣- " الكربية " التي زعمت الحياة لمحمد بن الحنفية بعد موته باعتباره مهديا منتظرا .

٤- الذين زعموا أنه حي عقوبة له لمبايعته " عبدالملك بن مروان " ٥

٥- "الهاشمية " ، الذين يسوقون الامامة الى أبي " هاشم بن محمد بن الحنفية ".

٦- لم تذكرها النسخة المطبوعة من كتاب (مقالات الاسلاميين) ومكانها تنقيط

٧- فرقة من " الهاشمية " عادت الى القول برجعة"ابن الحنفية " بعد موت " علي بن الحسن بن محمد بن الحنفية " ولم يُعقّب . ١٠

٨- فرقة من "الهاشمية " قالت بامامة محمد بن علي بن عبدالله بن عباس" بعد "ابى هاشم ".

٩- " الرونديه " ، قالت بامامة بني العباس بالنص النبوى على "العباس " ومنهم " الرزامية " و"الأبومسلمية ".

١٠- " الحربية " ، وقالوا بامامة "عبدالله بن حرب " بعد "ابي هاشم " ثم تركوه الى "عبدالله ابن معاوية " . ١٥

١١- " البيانية " أصحاب " بيان بن سمعان " ، وقالوا به بعد "أبى هاشم".

١٢- فرقة نقلت الامامة بعد "أبى هاشم " الى "علي بن الحسين بن علي ".

وقد أضاف غير "أبي الحسن " الى هؤلاء غيرهم ، كما سيتضح . الا أن المشهور أن أول فرقهم كانت " الكيسانية " ، وعلى ضوء ذلك يبدأ تفصيل هذه المجموعة من الغلاة . ٢٠

أ - الكيسانية :

يمكن اعتبار فرقة " الكيسانية " الثانية من الغلاة بعد " السبئية " وذلك

من حيث التسلسل التاريخي ، ويبدو أنها ظهرت بعد مقتل "الحسين بن علي" (-٦١) قائلة بامامة "محمد بن الحنفية"* (-٨١) وان كان "النوبختي" يرىً أنها ظهرت أول ما ظهرت بعد مقتل علي (-٤٠)[١] ، وهذا رأى أبي الحسن الاشعري كما تقدم وهو أيضا رأي البغدادي ؛ بمعنى أن "الكيسانية" فرقتين احداهما قالت بامامة "محمد بن الحنفية" بعد أبيه "علي بن أبي طالب" والثانية قالت بذلك بعد "الحسين بن على".

الا أن الأمر قد يتطلب اعتبارهما فرقة واحدة -ولو علىً سبيل التجاوز- لاعتقاد الباحث أن دعوىً اعتبارهما فرقتين صعب القبول.

ان فرقة "الكيسانية" تبنت كثيرا من العقائد السبئية ، مما دعىً "فلهوزن" الى اعتبارهما فرقة واحدة[٢] ؛ ولكن "فان فلوتن" فرق بين الكيسانية والسبئية لأن "الكيسانية" في رأيه لم يعتقدوا الجزء الالَهي في البشر بعكس السبئية[٣] ولكن قد يتبين لنا أن الأصوب اعتبار "الكيسانية" فرقة مستقلة مع عدم انكار أنها امتداد للسبئية.

مؤسس الكيسانية : يقال ان "كيسان" هو مؤسس هذه الفرقة ؛ ولكن الآراء تعددت في تعيين "كيسان" هذا ؛ فقيل ان :

المختار بن أبي عبيد الذى خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا الى محمد بن الحنفيه كان يقال له كيسان . ويقال انه مولىً لعلي بن ابي طالب[٤].

---

* أنظر ترجمته فى الاعلام ٧/١٥٢ ، ١٥٣ ، وفرق الشيعة ص ٤٤

١. انظر : فرق الشيعة ص ص ٤١ ، ٤٤ ، وكذا الفرق بين الفرق ص ٢٧

٢. " : أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) ص ٢٤٣

٣. " : السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى أمية ، ترجمة حسن ابراهيم حسن . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٤ ، ص ص ٨٠ ، ٨١

٤. مقالات الاسلاميين ١/٢٧ ، وانظر : ابن قتيبة (-٢٧٦) ، المعارف ، ص ٦٢٢

ولكن " الشهرستاني " فرق بين شخصيتي" المختار" و" كيسان " ، فاعتبر " كيسان " مولىً لأمير المؤمنين "علي " أو تلميذا "لمحمد بن الحنفية "، و" المختار بن ابي عبيد الثقفي " صاحبًا لفرقة " المختارية " التي يعتبرها من " الكيسانية " ، وصوّر " المختار " علىً أنه تلميذ لكيسان[1] ، وهذا أمر مهم بالنسبة لمن أراد دراسة " المختار" ، وهو رأي للفخر الرازي (ـ٥٤٤) أيضا[2] . كل ذلك يوضح أن " كيسان " شخص آخر يختلف عن " المختار" ، وقد كنّى " الدينوري " كيسان " بأبى عمرة " ، وذكر أنه صاحب شرطة " المختار " ونسبه الى الأعاجم[3] ، وقد أيد " الأشعري " القمي ذلك بل أضاف الينا اسم كيسان وهو : السائب بن مالك الأسعدي، ولكن النسخة المطبوعة من كتاب (المقالات والفرق) للأشعري القمي ، تشير الى ما قد يشكك في هذه التسمية حين قال :

وكان أبو عمرة كيسان بن عمر أن جبريل يأتي
المختار بالوحي من عند الله[4] .

ولكننا اذا حققنا الأمر نكتشف أن عبارة (بن عمر) لا تتناسب مع ما بعدها والمرجح أنها (يزعم) في الأصل وليلاحظ القارئ الكريم ذلك بعين الفاحص. وقد فطن محقق الكتاب " محمد جواد مشكور " الىً ذلك فأحال القارئ الى (النوبختي) الذي نجد العبارة عنده : (يزعم أن جبريل) ؛

وعلىً ذلك فان " السائب بن مالك الأسعدي " هو المحتمل أن يكون كيسان مع عدم استبعاد خطأ " الأشعري القمي " كما فعل في اسم عبدالله بن سبأ (ر. ص ٢٩) .

---

١. انظر : الملل والنحل ١/ ١٤٧
٢. " : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٣٥٦ ، ص ٦٢
٣. انظر : النشار . نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ط ٤ ، ٢/ ٤٥ ، وانظر أيضا النوبختي ص ٤١ .
٤. المقالات والفرق ص ص ٢١ ، ٢٢

أما "المختار" فقد برأه "علي سامي النشار" مما نسب اليه من الغلو ورفعه الى درجة عالية في التشيع السوي لأهل البيت ، ولعله أتى بهذا الرأي من بعض روايات وردت في بعض كتب الشيعة الامامية ، وصب جام غضبه على الزبيريين والأمويين ، واعتبرهم المروجين لكل مالحق بالمختار مما قاله فيه أهل الفرق والمقالات من القول بالغلو وخلافه . وأما الآراء الغالية التي نسبت من قبل الى "المختار" ، فقد شك "النشار" أن يكون "كيسان" صاحبها ، بل الفرقة الكيسانية .[1]

ان آراء "النشار" هذه تعتبر بداية لمشروع نفي وجود الكيسانية الذي بدأ ظهوره على ساحة البحث في الغلو والغلاة .

ومن ناحية أخرى نجد "كامل مصطفى الشيبي" — أحد الباحثين الشيعة الاماميين — يعتبر "المختار" مشجعاً للآراء الاسطورية التي كانت عند "السبئية" مع تبرئته له من تهمة تأسيس فرقة "الكيسانية" ، وهو وان اعتبر (أبا عمرة — كيسان) صاحبًا لهذه الفرقة الا أن نضجها في رأيه كان بعد موت "ابن الحنفية" .[2]

وان كان من تعليق من الباحث على تينك الدراستين ، فهو ان "الكيسانية" ليست بأي حال الا امتدادا للسبئية من حيث العقائد والأفكار ، كما قد نلاحظ الا أن هناك تغيرا في الشخصيات ، فبالامكان اعتبار "كيسان" المؤسس الفعلي لفرقة الكيسانية ، وان كيسان على ما يبدو كان شخصا سبئيا عمل تحت اشراف "المختار" على تطوير الغلو السبئي ابان ثورة "المختار" للأخذ بثأر "الحسين" سنة ٦٦ .

وعلى ذلك فان الغلو — الذى بذر بذرته عبدالله بن سبأ اليهودى — وجد

---

١. انظر : نشأة الفكر الفلسفي ، ط ٧ ، ص ص ٤٦ — ٥٢

٢. انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢ ص ص ١٠٤ ، ١١٦

في البيئة العربية والأعجمية من يحضنه ويرعاه في هذه الفترة .

نفي وجود الكيسانية :

كما تعرضت أقلام بعض المعاصرين الى "عبدالله بن سبأ اليهودي" بالنفي والتشكيك ، فان " الكيسانية " أيضا وجدت من يحاول نفيها والتشكيك في وجودها ، ونحن نعيش في بداية ذلك حيث أن هذه الظاهرة لم تتخذ بعد طابع الحماس الذي صاحب حركة التشكيك في "ابن سبأ" . وقد سبق الحديث آنفا عن طرف من هذا النفي علىٰ يد "سامي النشار" (ر. ص٧٢) ٥

ظهر أخيرا كتاب سُمّي " مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام " ومؤلفه شيعي امامي جعفري يدعىٰ " عبدالواحد الانصاري " ، زعم فيه نفي وجود " الكيسانية " وكان بالامكان مناقشة الكاتب المذكور فيما كتب ، الا أن اعتماده فيما ذهب اليه كان في معظمه علىٰ آراء " طه حسين " ومرتضى العسكري" في نفيهما لشخصية " عبدالله بن سبأ " ، وحيث ان كلا الرأيين مما سبق مناقشته (ر. ص ص ٢٦ — ٤٤) . فان في اعادة ذلك تكرار لا مبرر له .[1]

ان اعتماد "عبدالواحد الأنصاري " في نفي " الكيسانية " علىٰ من نفىٰ " السبئية " ضعيف لثبوت وجود "ابن سبأ " و" السبئية " علميًا ، اذا لم نقل انه باطل . ١٥

عقائد الكيسانية :

سبق القول أن " الكيسانية " كانت تقول بامامة محمد بن الحنفية (ر. ص ٧١ فما) وعليه فان ذلك من أميز عقائدهم ، وذكر النوبختي أن "كيسان" كان : ٢٠

> يكفر كل من تقدم عليا ويكفر أهل "صفين" و"الجمل"
> وكان يزعم أن "جبريل "عليه السلام يأتي المختار
> بالوحي من عند الله عز وجل فيخبره ولا يراه.[2]

---

١. انظر : عبدالواحد الأنصاري . مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام ، بيروت مؤسسة الاعلمي ، ١٣٩٣ ص ص ٧ ، ٨ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، وهامش ص ص ٨٥ ، ٨٦ .
٢. فرق الشيعة ، ص ص ٤١ ، ٤٢ وانظر : الداعي الرازي . الزينة (عبدالله سلوم السامرائي "الغلو والغلاة) بغداد ، دار الحرية ، ١٣٩٢ ، ص ٢٩٦ .

وقال " البغدادي " ، بأن مما اجتمعت عليه الكيسانية :

قولهم بجواز البدء [كذا] علىّ الله سبحانه .[١]

ان جواز البداء علىّ الله مما تعتقده كثير من فرق الشيعة وخاصة " الامامية "

وأما " الشهرستاني " ، فانه يقول :ـ

الكيسانية : أصحاب كيسان مولىّ أمير المؤمنين علي ٥
ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقيل تتلمذ للسيد
محمد بن الحنفية رضي الله عنه ، ويعتقدون فيه اعتقادا
فوق حده ودرجته من احاطته بالعلوم كلها ،
واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم
التأويل والباطن وعلم الآفاق والأنفس . ١٠

ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل ، حتى
حملهم ذلك علىّ تأويل الأركان الشرعية من الصلاة
والصيام والزكاة والحج وغير ذلك الىّ رجال .[٢]

وذكر النوبختي أن نفرا من " الكيسانية " أيام " محمد بن الحنفية "
كانوا يقولون عنه : ١٥

هو الامام المهدي وهو وصي علي بن ابى طالب
عليه السلام ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه
ولا يخرج عن امامته ولا يشهر سيفه الا باذنه .[٣]

ان للكيسانية عقائد أخرى ظهرت بعد موت محمد بن الحنفية (سنة ٨١)
فتفرقوا أعني تشعبت آراؤهم علىّ نحو آخر وتسموا بأسماء أخرىّ ، وان ظل ٢٠
اسم " الكيسانية " عَلَمًا يجمعهم .

---

١. الفرق بين الفرق (بيروت) ص ٢٧
٢. الملل والنحل ١ / ١٤٧
٣. فرق الشيعه ص ٤٤ ، وأنظر : الزينة (عبدالله سلوم السامرائي) ص ٢٩٧ الذي نسب ذلك الى الكربية .

ب – الكربيـــة :

ان تاريخ ظهور فرقـة " الكربيـة " لا يمكن تعيينه قبل سنة ٨١ – السنـة التى مات "ابن الحنفيـة " فيها ، وهى السنة التى يتوقع أن تكون بدايـة انقسام " الكيسانيـة " فكانت " الفرقـة الكربيـة " ، وقد نسبها أصحاب المقالات الى "ابن كـرب " ، أو "أبى كرب الضرير".[1] وكان من هذه الفرقة شخصيات عرفت أسماؤها مثل : " حمزة بن عِمارة البربري " "وصائد النهدي "و"بيان بن سمعان النهدي " [2]، كما كان من بينهم الشاعر كثيرعـزة" وله في عقيدته هذه شعر وكذا الشاعر السيد الحميري[3] (–١٧٣) ، وهذا يدلنا على أن الأفكار الكيسانيـة عمّرت كثيرا ، مما يجعل المرء لا يستغرب ظهـور الدعوة القرمطيـة في أول أمرها بعقائد كيسانيـة .

عقائـد الكربيـة :

ان عقائد الكربية في جملتها كيسانيـه ، الا انهم ينفون موت "ابـن الحنفيـة " كما نفـت " السبئيـة " موت " على بن أبى طالـب ".

ان " الكربيـة " ومن قال بغيبة "ابن الحنفيـة :

يزعمون أن "محمد بن الحنفيـة " حي في جبال رضوى* ، أسـد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانـه، يأتيه رزقـه غدوة وعشية الىّ وقت خروجـه وزعموا أن السبب الذى من أجلـه صبرَعلىَ هذه الحال – أن يكون مغيبا عن الخلق – أن لله تعالى فيه تدبيرا لا يعلمـه غيره ، ومن القائلين بهذا القول كثير الشاعروفي ذلـك يقول :

---

١. انظر فرق الشيعة ص٤٥ ومقالات الاسلاميين ١/ ٩٢

٢. انظر النوبختي . ص٤٥ والزينة (عبد الله سلوم السامرائى) ص٣٠٥ ت

٣. انظر : أبو الحسن الأشعرى ١/ ٩٢ ، ٩٣ والنوبختي ص‌ص٤٦ ، ٤٧ ، واعتقادا فرق المسلمين والمشركين ص٦٢ .

* جبال رضوى أو جبـل رضوى من الجبال المشهورة فى جزيرة العرب ، وهـي

ألا ان الائمة من قريش * ولاة الحق أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه * هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط ايمان وبر * وسبط غيبته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى * يقود الخيل يتبعه اللواء

تغيب لا يرى فيهم زمانا * برضوى عنده عسل وماء[1]   ٥

ويلاحظ على النص الذي أورده أبو الحسن الأشعري خلوه من ذكر العسل والماء الا فيما نسبه من الشعر الى "كثير"، كما أنه ذكر فرقة أخرى تقول بغيبة "ابن الحنفية" عقابا من الله عليه .

ان النوبختي لم يذكر "جبل رضوى" مكانا لاختفاء "ابن الحنفية" في عقيدة "الكربية" رغم تعرضه لعقيدتها ، ولكنه نسبه الى فرقة كيسانية   ١٠
أخرى لم يسمها ، وهي التي تقول :—

ان محمد بن الحنفية حي لم يمت وأنه مقيم بجبال
رضوى بين مكة والمدينة تغذوه الارام تغدوا عليه
وتروح فيشرب من ألبانها ويأكل من لحومها وعن يمينه
أسد وعن يساره أسد يحفظانه الى أوان خروجه   ١٥
ومجيئه وقيامه ، وقال بعضهم عن يمينه أسد وعن
يساره نمر ، وهو عندهم الامام المنتظر الذي بشر
به النبي صلى الله عليه وسلم أنه يملأ الأرض عدلا
وقسطا فثبتوا على ذلك حتى فنوا وانقرضوا الا قليلا
من أبنائهم وهم احدى فرق الكيسانية .   ٢٠

= من مساكن قبيلة جهينة وهو قريب من مدينة "ينبع" أنظر : لسان اليمن الهمداني (— بعد ٣٤٤) . صفة جزيرة العرب ، الرياض ، دار اليمامة ١٣٩٤، ص ص ٢٦٧ ، ٢٧٣ ، ٣٨٣ .

(١) الأشعري . مقالات الاسلاميين ١/ ٩٢ ، ٩٣ ، وانظر البغدادي ص ص ٢٧—٣٠ والأغاني للأصفهاني ، تصوير بيروت ٨/ ٣١ وفيه : وسبط لا تراه العين حتى ، وكذا تغيب لا يرى عنهم زمانا ، المقالات والفرق ص ص ٢٨ ، ٢٩ وفيه : هم الأسباط ليس لهم خفاء .. يعود الخيل يتبعها اللواء ... مغيب لا يراعيهم سنينا .

ومن الكيسانية السيد ... الحميري الشاعر (ـ ١٧٣) وهو الذي يقول :ـ

يا شعب رضوى مالمن بك لا يرى
حتى متى تحمي وأنت قريب

يا ابن الوصي وياسمي محمد
وكنيته نفسي عليك تذوب

لو غاب عنا عمر نوح أيقنت
منا النفوس بأنه سيئوب ٥

ويقول فيه :ـ

الا حي المقيم بشعب رضوى
وأهد له بمنزله السلاما

أضر بمعشر والوك منا
وسموك الخليفة والاماما

وعادوا فيك أهل الأرض طرا
مقامك عنهم سبعين عاما

لقد أمسى بجانب شعب رضوى
تراجعه الملائكة الكلاما[١] ١٠

ان "ابن حزم" نسب مثل هذه المقالة الى أصحاب المختار بن ابى عبيد الذي عدهم من "الزيدية"[٢] وهو أشد غرابة . والذي يهمنا هو وجود فرقة كيسانية أخرى كانت تقول بمقالة " الكربية " في غيبة محمد بن "الحنفية" ونظرًا لهذا الاتفاق ، فان الرأي هو جواز اعتبارهما فرقة واحدة كما سبق بالنسبة لما قيل عن وجود فرقة تقول بامامة محمد بن الحنفية بعد علي مباشرة، ١٥

---

١. فرق الشيعة ص ص ٤٦ ، ٤٧ ، وأنظر : الزينه ، (عبدالله سلوم السامرائى) ص ٢٩٦ .

٢. انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، بيروت ، تصوير دار المعرفه ١٣٩٥ ، ص ١٧٩ .

دون الحسنين ، وهو مخالف لما عرف عن " المختارية " التى كانت تقول بامامة ابن الحنفية بعد "الحسين " (ر٠ ص٧٥) ، فكان اتفاق الفرقتين في القول بامامة "ابن الحنفية " مبررا لاعتبارهما فرقة واحدة ، رغم ما ورد فى كتاب " الزينة " من نسبة هذه المقالة الى الكربية ٠

الى هنا لانجد عند "الكربية " أي تطور للعقائد الغالية ، بل تكرار للعقائد السبئية ، فان انكار وفاة الامام والقول بغيبته في جبل رضوى ماهو الا تهذيبًا متواضعًا لقول " السبئية " في علي أنه فى السحاب ، والرجعة هنا هي الرجعة هناك لملء الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما ٠

الا أن هناك رأيا آخر للكربية ، وهو متعلق بالرجعة ، فقد ربطوه بقيام القيامة ، كما يستفاد من قول النوبختي الذي يقول :ـ

> فأصحاب (ابن كرب) وأصحاب (صائد) وأصحاب (بيان) ٠٠٠ يزعمون أن محمد بن الحنفية يظهر بنفسه بعد الاستتار عن خلقه ينزل الى الدنيا ويكون أمير المؤمنين وهذه آخرتهم ٠ [١]

ان هذا قد يشعرنا للوهلة الأولى أنه تطوير للعقيدة السبئية ، وهو من جانب آخر يهمنا جدا في هذا البحث ، لامكانية اعتباره مقدمة لانكار القيامة على الوجه الاسلامي ـ أي بعد البعث من القبور ـ وهو موضوع تطور بعيدا لدى الفرق الباطنية (ر٠ ص٢٩٤ فما) ٠ واذا عدنا الى آراء عبدالله بن سبأ في رجعة علي وهدمه دمشق حجرا حجرا ونزوله للانتقام من أعدائه وكشف الأسرار لهم وتعريفه لهم أنه ربهم ، فاننا نجد أن ذلك كله ارهاصات لظهور رأي " الكربية " بقيام القيامة على يد "ابن الحنفية " لا سيما اذا قارنا ذلك بأصوله اليهودية (ر٠ ص ص ٣٢ـ٣٤)

---

١. فرق الشيعة ص٤٦

هناك عقائد أخرى قال بها الكربيون ، أعني الذين كانوا يوما ما أعضاء في فرقة "الكربية" (ر ٠ ص ٧٦) فتطورت العقائد الكربية على يديهم أو كونوا فرقة أخرى .

ان الوقوف على ذلك قد يلقى أضواء أخرى تنير البحث ، من ذلك :

٥ ١- كثير عزة (* - ١٠٥) :

ان علاقة " كثيرعزة " بالكربية تظهر في الأبيات التي قالها عن رجعة "ابن الحنفية " (ر ٠ ص ٧٧) فهو يتفق معهم في ذلك ، كما يتفق معهم في القول بمهديته ، حيث يقول :

هو المهدى خبرناه كعب * أخو الأحبار في الحقب الخوالي [١]

١٠ من المعروف أن كعب الأحبار (** - ٣٢) كان يموديا فأسلم ، فهل لهذا البيت من الشعر ما يثبت وجود ارتباط بين " الكيسانية " والفكر اليهودى من جهته ؟. اذا أضيف الى ذلك الأبيات التي تحدث فيها " كثير "عن رجعة ابن الحنفية ، تلك التي تعرض فيها لذكر الأسباط الأربعة :

علي والثلاثة من بنيه * هم الأسباط ليس بهم خفاء

١٥ ولذلك علاقة أخرى بالفكر اليهودى ، الذى نجد فيه الأسباط الأربعة [٢] (لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين) كما سيأتي (ر ٠ ص ص٩٥،٩٦) فان جانب الشك يقوى .

---

* هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي وقيل الأزدي ، انظر ترجمته في الاعلام ٦/ ٧٢ والأغاني ٨/ ٢٦ وأنظر أيضا تعليق محمد محى الدين عبد الحميد في مقالات الاسلاميين ١/ ٩٢ الهامش .

١. أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ج ٣ ، بيروت ، تصوير دار الفكر ، د ٠ ت ، ٨/ ٣٢ .

** أنظر ترجمته في الأعلام ٦/ ٨٥ .

٢. انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ط ٧ ٢/ ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ .

ان " لكثير " عقائد أخرى غير القول بامامة محمد بن الحنفية – بعد علي والحسنين – والقول بمهديته ورجعته ، من ذلك ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني من أنه كان :

يزعم ان الأرواح تتناسخ ويحتج بقول الله تعالى " في أي صورة ما شاء ركبك "* ٥

... نظر كثير الى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال بأبي أنتم هؤلاء الأنبياء الصغار .[١]

٢ – السيد الحميري (–١٧٣) :**

كان السيد الحميري من أشهر الكيسانيين ، الا أنه قيل انه صار اماميا في آخر حياته وقال في ذلك قصيدة مطلعها : ١٠

تجعفرت باسم الله والله أكبر * تجعفرت باسم الله فيمن تجعفر

ولكن الذي يظهر أن القصيدة منحولة له كما يقول من ترجم له .

وكان السيد الحميري يقول بمقالة الكربية[٢] ، وله في ذلك أشعار تقدم بعضها (ر . ص ٧٨)

وذكر أبو الفرج الأصفهاني في ترجمته للسيد الحميري كثيرا من أشعاره ١٥ التي توضح جوانب من عقيدته الكيسانية ، ما يلقى أضواء أخرى على ما ورد عن الكيسانية في كتب أصحاب المقالات، من ذلك .

* سب السلف ولا سيما الخلفاء الراشدين الثلاثة قبل علي ، من ذلك قوله : شفيتَ من نعثل في نحت اثلته * فاعمد هُديتَ الى نحت الغويين

---

* الانفطار ٨
١. الأغاني ج ٣ ، ٨/ ٣٢
** انظر ترجمته في الاعلام ١/ ٣٢٠ والنوبختي . ص ٤٦ ، والأغاني ج ٣ ٧/ ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٥
٢. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٦٢

* ادعاؤه العلم الخاص - (السرى) - لعلي بن أبي طالب في قصيدته الدالية المشهورة :

أشاقتك المنازل بعد هند * وتربيها وذات الدّل دعد

وفيها يقول :

ألم يبلغك والأنباء تنمى * مقال محمد فيما يؤدي ٥

الى ذي علمه الهادي علي * وخولة خادم في البيت تردي

* قوله بالرجعة والتناسخ :

جاء رجل الى السيد فقال : بلغني أنك تقول بالرجعة فقال صدق الذي أخبرك وهذا ديني قال أفتعطيني مهيارا بمائة دينار الى الرجعة قال السيد نعم وأكثر من ذلك ان وثقت لي بأنك ترجع انسانا قال وأي شيء أرجع قال أخشى أن ترجع كلبا أو خنزيرا .[1] ١٠

٣- حمزة بن عمارة البربري (كان معاصرا لعبد الله بن معاوية المتوفى ١٢٩)[*] :

تعتبر المراجع الشيعية مصدرًا لسيرة "حمزة بن عمارة البربري" ، لأن أكثر من تحدث عنه كان يستقي ذلك من تلك المراجع مثل "فريدلاندر"[2] الذى كان مصدره "الكشي" ، و"لويس"[3] عن "النوبختي" و"الاسترابادي" ، و"علي سامي النشار"[4] عن "النوبختي" ، ولكنه رجع أيضا الا الأغاني ، الذى تحدث عن "عمارة بن حمزة" وهو يختلف عن "حمزة بن عمارة البربري" ولو ظاهريا من حيث الاسم وقد يكونان شخصا واحدا . وكان مصدر "محمد السعيد جمال الدين"[5] عن "حمزة" (النوبختي" و"الأشعري القمي" . ١٥ ٢٠

---

١. الاغاني ج ٣ ٧/٧ ، ٨ وأنظر أيضا ص ص ٢ - ٢٣

* انظر عن تاريخ وفاة عبدالله بن معاوية في الاعلام ٤/ ٢٨٢ أما عن معاصرة حمزة له فهو يتبين في الصفحات التالية . وذكر سامي النشار أنه معاصر للامام الباقر ، انظر: نشأة الفكر الفلسفي ٢/ ٧٨ وقد توفى الباقر سنة ١١٤ انظر: الاعلام ٧/ ١٥٣

٢- أنظر: JAOS xxix. p.90 ٣. انظر: أصول الاسماعيلية ص ص ٩٠ ، ٩٣

٤- انظر : نشأة الفكر ٢/ ٧٧ ، ٧٨ ، ٩٤ ٥. انظر : دولة الاسماعيلية في ايران ص ١٥

ان نص النوبختى أصل يمكن الاعتماد عليه هنا ، كما أنه لا زيادة تذكر عليه من النصوص الأخرى ، فسيكون المعتمد عليه فى الحديث عن "حمزة بن عمارة" حتى حين . يقول النوبختى :

وكان حمزة بن عمارة البربري ، منهم [يعني الكربية]
وكان من أهل المدينة ففارقهم وادعَى أنه نبي ، وأن
محمد بن الحنفية هو الله عز وجل تعالىَ عن ذلك
علوا كبيرا - وأن حمزة هو الامام وأنه ينزل عليه سبعة
أسباب من السماء فيفتح بهن الأرض ويملكها ،
فتبعه علَى ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة
فلعنه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام
وبرئ منه وكذبه ، وبرئت منه الشيعة ، فاتبعه علَى
رأيه رجلان من نهد يقال لأحدهما صائد وللآخر
بيان ... وكان حمزة بن عمارة نكح ابنته وأحلّ جميع
المحارم ، وقال من عرف الامام فليصنع ما شاء فلا اثم
عليه .[1]

ولكن "عبد الواحد الأنصاري" الذي نفَى وجود "الكيسانية" (ر . ص ٧٤) ، جعل من "حمزة بن عمارة البربري" كبش فداء لجميع الغلاة ، وصب جام غضبه علَى "الشهرستاني" وغيره - أى الذين لم يتعرضوا بذكر لحمزة هذا ، وهم أهل السنة كما يبدو - لأنهم تستروا علَى حمزة المذكور وأغفلوا دوره لقصد فى نفوسهم .

وحبذا لو قام "الانصاري" بالقاء الضوء علَى شخصية حمزة حتى يصبح لغضبه الشديد معنًى ، ولكنه مع الأسف لم يفعل ، بل اكتفى بأن ذكر أنه

---

١. النوبختي ص ص ٤٥ ، ٤٦

وجد في هامش "النوبختي" أن اسمه " حمزة بن عمارة البربري الزبيري اليزيدي . ثم أضاف الأنصاري من عنده اليه لقب : الأموي ، ليصبح "حمزة بن عمارة البربري اليزيدي الزبيري الأموي". ثم ذكر أن " النوبختي " هو الذي دل علَى شخصية " حمزة " علَى أنه المدني الزبيري اليزيدي البربري وهو بذلك ينسب ما ذكر في هامش كتاب "فرق الشيعة " الى "النوبختي" ، وأخيرا جعل " عبدالواحد الأنصاري " حمزة بن عمارة " مؤسسا لفرق الغلاة .[١]

هل يريد "الأنصاري " أن يقول : ان "حمزة بن عمارة البربري "ينتسب الى "الزبير بن العوام " ، والى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ؟ ان انتساب شخص ما لأحدهما يكفي ليكتسب عداوة الشيعة فكيف بمن ينتسب اليهما معا .

هل يريد " الانصاري " أن يقول : ان العباسيين باعتبارهم سنيين استخدموا شخصية "حمزة " هذا لنشر الغلو بين الشيعة ، وعلى ذلك فقد فرضوا رقابة على نشر أخباره في كتب أهل السنة وأن أهل السنة قد غضوا النظر عن أخبار "حمزة بن عمارة " قصدا ؟ اذا كانت آراء " عبدالواحد الأنصاري " حول " حمزة بن عمارة " علَى هذا النحو — وانها لقريبة من ذلك وأكثر كما تفيد مقالته — فان لأهل السنة الحق في اتهام الشيعة أنهم أجروا تعتيما واسع النطاق علَى شخصية "ابن سبأ " مساهمة منهم في التقليل من شأن الدور اليهودي في الغلو ، ذلك الدور الذى تطرق اليه البحث من قبل حول ما قيل عن أصل الرفض بين أهل المقالات قديما .

ثم ان افتراض وجود التعتيم السنّى المزعوم علَى دور حمزة الخفي أو الطني في نشر الغلو في أهل البيت ، يجب أن تقابله دراسة موسعة من الجانب الشيعي . وبصفة أخرى : فان " الانصارى " عبدالواحد لم يستطيع

---

١. انظر : عبدالواحد الأنصاري . مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام ، ص ص ١٦٧ — ١٧٢ .

تأييد ما ذهب اليه من التعتيم السنّي علَى حمزة بن عمارة حتى بعد ايراده لما في كتب الشيعة ، تلك التي يفترض أن تكون خارج ذلك التعتيم علَى حد قوله . اللهم الا ما ذكر أنه وجده علَى هامش كتاب فرق الشيعة عن خلاف في لقب " حمزة " وان الباحث يستبعد أن تكون ضئالة الحصيلة ناتجة عن اهمال أو تهاون من عبدالواحد الأنصاري لوضوح جديته في الانتصار لرأيه مع الحاجة الماسة لتدعيمه ولكنه لم يجد مستندا أقوى مما في هامش " النوبختي " وعليه فانه اضطر بعد ذلك بأسطر الَى أن ينسبه الَى النوبختي نفسه .

ولو صح افتراضا ما ذهب عبدالواحد الانصاري اليه من مسألة التعتيم السني علَى أخبار حمزة بن عمارة ، فكيف يمكن اجتماع نسب زبيري ويزيدي في شخص واحد يقوم بدور شبه سري ليجرف الشيعة الى الغلو ، وكيف يمكن تصديق ذلك .

الراجح كما يظهر أن سبب كثرة ألقاب حمزة ليس كما اشتهى "الانصاري" ولكن لأخطاء في النسخ واختلاف بين الرواة ، فلا تغيب عن فطن العلاقة بين : بربري ويزيدي وزبيري ، بل وبريدي وريدي كما نقل " فريد لاندر " [١] حول نفس الموضوع .

اذا حسُن الظن فان هناك التباسًا بين شخصية "حمزة بن عمارة البربري" و"عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير" الذي كان أحد عمال الدولة العباسية علَى "فارس" و"الأهواز" ثم علَى " أحداث البصرة " الى سنة (١٦٠) [٢] ، وآخر بين " عمارة بن حمزة " من "بني هاشم" ذاك الذي رُمِيَ بالزندقة واستكتبه عبدالله بن معاوية " ذي الجناحين " (ـ١٢٩) ، كما أن هناك "عمارة بن حمزة بن كليب" الذي لايستبعد أن يكون هو المنسوب

---

١. انظر: مصدر فريدلاندر وهو : الكشي، معرفة أخبار الرجال ، ه ص ١٨٨ ، ص ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ .

٢. انظر: الطبري ٨/٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٣ .

الى " بني هاشم " لما قيل من انه من " بني عقيل " بالولاء [١].

وليلاحظ القارئ الكريم " عمارة بن حمزة " فهو من الموالي ومتهم بالزندقة وله علاقة بعبد الله " ذي الجناحين " صاحب الفرقة الجناحية (ر٠ص١٠٢) وهذا ما يقربه من " حمزة بن عمارة البربري " بحيث يحتمل كونهما نفس الشخص لا أبا وابنه ، لورود " عمارة بن حمزة بن كليب " المتأخر نسبيا عن " حمزة بن عمارة البربري ".

وبالامكان اعتبار السطور السابقة تقييما لما قام به " عبد الواحد الأنصاري " من حملة على " الزبيريين " و " الامويين " و " العباسيين " بزعم أن لهم دورا في نشأة الغلو في أهل البيت .

ان الذي يعنينا أكثر هو أن " حمزة بن عمارة البربري " كان من أهل " المدينة " ، وكان يقول بمقالة " الكربية " ، وأنه فارقهم ، فتبعه أناس من أهل " الكوفة " منهم رجلان من " نهد " وهما : " صائد " و " بيان " وفي ذلك دليل على أن اقامته بالمدينة لم تستمر . وكان معاصرا لمحمد بن علي بن الحسين الباقر (ــ١١٤) الذى لعنه وبرئ منه وكذبه [٢] ، كما أن جعفر الصادق (ــ ١٤٨) لعنه لكذبه (ر . ص ٣٨) وعده من الذين تنزل عليهم الشياطين وهم : المغيرة بن سعيد ، وبنان ، وصائد النهدي ، والحارث الشامي ، وعبد الله بن الحارث ، وحمزة بن عمارة ، وأبو الخطاب [٣] .

---

١. انظر: الأغاني ج ٤ ٧١/١١ ، ٧٨/١٢ وانظر ج ٥ ٧٠/١٣

٢. انظر : الكشي . معرفة أخبار الرجال ص ١٩٦ .

٣. انظر : رجال الكشي ص ١٨٨ .

عقيدة حمـزة بن عمارة :

بعد أن ترك " حمزة " الفرقـة " الكربيـة " ، ظهر بعقائد أخرى منها :

* ادعاؤه النبوة والامامـــة.
* ادعاؤه ربوبيـة " ابن الحنفيـة ".
* انتظاره سبعة أسباب تنزل عليه من السماء ليملك الأرض . ٥
* تحليله المحارم ونكاح البنات فبدأ بابنته ، لقوله : من عرف الامـــام فليصنع ما يشاء فلا اثم عليـه .

٤ــ صائـد النهـدي :

ان المعلومات عن "صائـد " مقتضبـة . ومن الصعب اعتباره كربيـــا الا تجوزا ، لأن الأصوب اعتباره من الذين قالوا بمقالـة حمزة بن عمـــارة ١٠ (ر . ص ٨٢) ، ويذكر النوبختي أن لصائد أتباع [١]، وقد سمى أبو حاتـــم الرازي[*] (ــ ٣٢٠) فرقته : النهديـة ، وهذا يدل علَى أن صائدا كـــان ذا نشاط أثّر في فكر الغلاة مما دعى جعفر بن محمد (الصادق) (ــ ١٤٨) الى لعنه وتكذيبه ، بل عده في مرتبـة " مسيلمة الكذاب " و"عبد الله بن سبـــأ" في الكذب[٢].ولا غرو فان صائدًا كان ممن ادعَى النبوة [٣]. أما نهايـة حياتـــه ١٥ فهي مجهولـة مثل شيخـه " حمزة ابن عماره .

---

١. انظر : فرق الشيعة ص ٤٦
* انظر ترجمته في : سزكين ، تاريخ التراث العربي ٢/ ٣١٦ وقد تأتـــي ترجمـة مفصلـة له في هـذا البحـث .
٢. انظـر : الزينه (عبد الله سلوم السامرائي) ص ٣٠٥ .
٣. انظر : المقالات والفرق ص ٥٥ .

عقيدة صائـد :

ليس بالامكان تحديد عقيدة "صائـد" الا من كونه تابعا لحمزة بن عمارة، وحينئذ لا يمكن وصمه الا بتلك العقيدة (ر٠ ص ٨٧) بالاضافة الى ما ادعى من النبوة ٠

٥ـ بيان بن سمعان النهدي :

ذكرته بعض المراجع باسم " بنان " ، باء فنون (ر٠ ص ٨٦) ولكن الراجح أنه " بيان " ٠كما قيل انه " بيّان " وهو ليس كذلك ٠ وكان تبانا يبيع التبن بالكوفة[١]٠

تقلب بيان في انتمائه العقدي ، فقد كان كربيا مع حمزة بن عمارة البربري (ر٠ص ٨٢) كما ادعى خلافة "أبي هاشم بن محمد بن الحنفية" (ـ ٩٩) ، وأخرى خلافة " محمد بن علي بن الحسين" (ـ ١١٤) بالوصاية أيضا[٢] ، وطلب مرة من "محمد بن علي " الايمان بنبوته ٠(ر٠ ص ٩٢)

كانت نهاية " بيان " الموت حرقا في " مسجد الكوفة " مع عدد من أتباعه سنة ١١٩ على يد خالد بن عبدالله القسري[٣] (ـ ١٢٦) ٠

ان " بيان " كوّن فرقة خاصة عرفت عند أهل المقالات بالبيانيه وهو وان قال بمقالة الكربية ، الا أن فرقته أصبحت علما قائما بذاته بين فرق الكيسانية ، وقد اعتبرها "أبو الحسن الأشعري " الفرقة العاشرة منهم (ر٠ص ٧٠) وسيأتي الحديث عن " البيانيه " باعتبارها فرقة مستقلة عن " الكربية " (ر٠ص ٩١) ٠

---

١. انظر : المقالات والفرق ص ٣٣
٢. انظر: المقالات والفرق ص ص ٣٣ ، ٣٥
٣. انظر: فرق الشيعة ص ٤٥ والمقالات والفرق ص ٣٣

ج — الهاشميــة :

تنتسب هــذه الفرقــة الكيسانيــة الى "أبي هاشم" و"الهاشمية" بحــد ذاتها فرق عــدة .

وأبو هاشم هو : عبدالله بن محمد بن الحنفيــة (— ٩٩) ، وقال بامامتــه الذين اعترفوا بموت محمد بن الحنفيــة (— ٨١) من الكيسانيين الا أن[١] الأشعري القمي" (— ٣٠١) نسَب الى " البيانيــه " (ر . ص٩١) قولهم الذي يجمــع بين العقيدة " الكربيــة " التي تقول بعدم موت " ابن الحنفيــة " وبرجعتــه ، وبامامة "ابي هاشــم " بصفــة مؤقته حتى يرجــع "ابن الحنفيــة " [٢] وذكــــر " الشهرستاني " أن "الهاشميــة " قالت بانتقال الأسرار الى "أبى هاشــم " من أبيــه ، وأنه :

> أطلعــه علَى مناهج تطبيق الآفاق علَى الأنفس، وتقدير التنزيل علَى التأويل . وتصوير الظاهــر علَى الباطن . فقالوا ان لكل ظاهر باطنــا ولكل شخص روحا ولكل تنزيل تأويلا ولكل مثــال في هذا العالم حقيقــة في ذلك العالم . والمنتشر في الآفاق من الحكم والأسرار يجتمع في الشخــص الانساني ... وكل من اجتمع فيه هذا العلــم فهو الامام حقــا . [٣]

ونسب " الهاشميــة " الَى "أبى هاشم " المعجزات واحياء الموتَى ، وقالــوا :

---

١. انظر : النوبختي ص ٤٨ والشهرستاني ١/ ١٥٠

٢. انظر المقالات والفــرق ص ٣٤

٣. الملل والنحــل ١/ ١٥٠ ، ١٥١

ان الامام يعلم كل شيء[١] ، ومن لم يعرف امامه لم يعرف الله .

عقائد الهاشمية :

ان أهم ما قالت به " الهاشمية " حتى موت ابي هاشم (ــ ٩٩) هو :

* الاستيداع في الامامة بمعنى أن ابا هاشم استُودع الامامة التي هي من حق " محمد بن الحنفية " حتى يرجع من غيبته وهو قول " البيانية " منهم .
* التأويل الباطني المبني على أن لكل ظاهر باطنا .
* ان الامام هو مصدر العلم .
* من لم يعرف امامه لم يعرف الله .

ولا يغيب عن البال ان هذه العقائد تطورت على يد الغلاة ، خاصة بين الفرق التى تكونت عن " الهاشمية " بعد موت " أبي هاشم ".

الفرق التى تكونت عن " الهاشمية " :

بعد موت " ابي هاشم " (ــ ٩٩) تفرقت " الهاشمية " الى عدة فرق ، هي أربع كما يرى النوبختي[٢] ، وخمس كما ذكر الشهرستاني[٣] . ومهما يكن الامر فان هذا الانقسام كما يظهر كان نتيجة عن تفرق زعامات الهاشمية ، وهذه الظاهرة لم تحدث بعد موت علي بن أبي طالب ، فان المصادر الشيعية لم تستطع اثبات تفرق للشيعة بعد موته الا فيما يختص بفرقة الكيسانية وزعيمها " كيسان " أو " المختار " أما الفرق الأخرى التي تخيلوها في اذهانهم فانهم لم يستطيعوا ايجاد زعامة لها وهذا يدل على أن عليا وكذا الحسنين لم يشجعا أبدا على انتشار التشيع . وبالنسبة للفرق " الهاشمية " فان فرقها هي :-

---

١. انظر : المقالات والفرق ص ص ٣٥ ، ٣٨ ، ٦٩
٢. انظر : فرق الشيعة ص ٤٨
٣. انظر : الملل والنحل ١/ ١٥١

١ـ البيانية :

ان زعيم " البيانية " كان " بيان النهدي " (ـ ١١٩) (ر٠ص ٨٨)،
ومما علمنا من تقلب " بيان " في انتمائه الغالي ، نجد أن من الصعب
القول بأنه كان ينتقل بفرقته من " الكربية " الى " الحمزية " الى "الهاشمية".
والذي يبدو أنه انضم الى "أبي هاشم " قبل أن يكون فرقته " البيانية " ٥
ثم أصبح بعد ذلك شخصية قيادية في الغلو حتى استطاع تكوين فرقة
خاصة به . ادعى بين أتباعها ان أبا هاشم أوصى اليه[1] . بعد أن مكث
أتباعه يقولون بمهدية أبي هاشم ورجعته[2] ، شأنهم في ذلك شأن
معظم الفرق الشيعية الغالية بعد موت من تزعم أنه الامام .

ان فكرة الوصاية هذه تطورت عند " البيانية " الى حلول وتناسخ ١٠
بين روح "أبي هاشم " و" بيان " ، وهي تذكرنا بالفكرة السبئية القائلة
بحلول الجزء الالهي في علي بن ابي طالب (ر٠ص ٥٩) . أما مزاعم
البيانية في ذلك فهي :

ان روح الاله دارت في الأنبياء والائمة حتى
انتهت الى علي ثم دارت الى محمد بن الحنفية ١٥
ثم صارت الى ابنه ابي هاشم ثم حلت بعده
في بيان بن سمعان[3] .

وقد خص بيان عليا بالألوهية وأنه سيظهر في بعض الأزمنة ، واستدل
على ذلك بقوله تعالى : (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكة)* ففسر لفظ الجلالة على النحو السبئي بأنه في الغمام ٢٠

---

١. انظر المقالات والفرق ص ٣٥ ومقالات الاسلاميين ١/ ٦٧
٢. انظر النوبختي ص ٥٠
٣. البغدادي . الفرق بين الفرق ص ص ٢٤١ ، ٢٤٢ وانظر: الشهرستاني ١/ ١٥٢ ، ١٥٣ .
* البقرة ٢١٠

والرعد صوته والبرق تبسمه.[١]

ويبدو أن بيانا ومن نحَى نحوه من الغلاة لم يكن يعني بذلك أن عليا هو الله بقدر ما يعنى تجسد الألوهية في اجساد الأنبياء والأئمة وبصفة خاصة في علي، وقد أشار الى هذه النقطة "علي سامي النشار"[٢]، ويوضح هذه النقطة ما نسب الى "بيان" بالذات من تجسيده معبوده بأنه هيكل من نور يشبهه الانسان في جميع أعضائه، وأنه يفنى كله الا وجهه.[٣] وقد ادعَى "بيان" النبوة معلنا أن "أبا هاشم" هو الذي جعله نبيا، واستدل علَى ذلك بقوله تعالَى: (هذا بيان للناس وهدًى وموعظة للمتقين)*. وأنه هو البيان والهدَى والموعظة[٤]، وقد أرسل رسالة الى محمد بن على بن الحسين (الباقر) (— ١١٤) يقول فيها:—

أسلم تسلم وترتق في سلّم وتنج وتغنم

فانك لاتدري أين يجعل الله النبوة والرسالة

وما علَى الرسول الا البلاغ وقد أعذر من أنذر.[٥]

كما ادعَى بيان معرفة الاسم الأعظم الذي يستطيع أن يدعو به "الزهرة" فتجيبه.[٦] يمكننا هنا تلخيص أهم عقائد البيانية فيما يأتي:—

عقائد بيان والبيانية:

* التأويل الباطني

* تجسيد الله وتشبيهه بالمخلوقين.

---

١. انظر الشهرستاني ١/ ١٥٢

٢. انظر: نشأة الفكر ط ٧ ٢/ ٧٨

٣. انظر: الفرق بين الفرق ص ٢١٤

*. آل عمران ١٣٨

٤. انظر: الفرق بين الفرق ص٢٢٧

٥. المقالات والفرق ص ٣٧ وانظر: النوبختي ص ص ٥٠، ٥١

٦. انظر: مقالات الاسلاميين ١/ ٦٧

* انتقال جزء لاهوتي حلّ في بعض البشر عن طريق التناسخ .

* ادعاء "بيان" النبوة .

* ادعاء معرفة الاسم الأعظم .

* عقيدة قائم القيامة التي يشترك فيها مع صائد النهدي.

٢- الحربية :

هم أصحاب "عبدالله بن عمر بن الحرب الكندي الشامي" [١] ، وقيل : ابن عمرو الكندي [٢] ، وكان أبوه عمرو بن الحرب زنديقا مشهورا من أهل المدائن، وهذا ما توفر من معلومات عن "ابن الحرب" من حيث أسرته وأصله.

ليس بعيدا أن تكون زندقة أبيه جاءت اليه من بيئة "المدائن" التي كانت منفى "لابن سبأ".

ان الذي يظهر أن هذه الفرقة كانت احدى الفرق التي تكونت بعد وفاة أبي هاشم (– ٩٩) ، ولكن في ذلك نظر ، ففي حين يقول "البغدادي" أن ابن حرب كان على دين "البيانية" في التناسخ [٣] ، نجد "الأشعري القمي" يقول بوجود عقائد "حربية" قبل موت ابن الحنفية مما قد يعني وجودها قبل "البيانية" ، يقول القمي :-

> وقال أصحاب ابن حرب أيضا بالاسباط الأربعة
> وهم الأئمة يؤمن عليهم الخلاف (بالعمد)
> والخطأ والزلل . فسبط ... علي وسبط ...
> الحسن وسبط ... الحسين وسبط هو الذي
> يركب الأسباب ويزجي الرياح وينفخ الصد
> ويسد باب الروم ... وهو المهدي المنتظر

---

١. انظر : الشهرستاني ١/ ١٥١

٢. انظر : المقالات والفرق ص ٣٥

٣. انظر: الفرق بين الفرق ص ٢٣٣ .

محمد بن علي بن الحنفية امام الحق ،

فلما لم يروا من ذلك شيئا في حياته ومات

عيانا قالوا لم يمت .[١]

ولكن " القمي " نفسه أشار الى نقطة عن وجود توافق بين "الحربية " و " البيانية " في ادعائهم أن عليا في السحاب .[٢] وفي هذا ما قد يؤكد ما ذكره " البغدادي " . وان نص "الأشعري القمي " الذي ورد آنفا لا يحتم علينا القول بأن الحربية قالوا به قبل موت "ابن الحنفية" (سنة ٨١) وانما قالوا به على سبيل أن "ابن الحنفية " سيعود وأن "أبا هاشم " مستودع للامامة (ر. ص ٨٩) "كالبيانية " ، وعليه فان الذين قالوا بالأسباط الأربعة يمكنهم قول ذلك حتى بعد وفاة ابن الحنفية وقد قال بذلك كثير عزة (ـ ١٠٥) في ابيات له (ر. ص ٧٧) ، ولكن الصعب هو وجود الفرقة " الحربية " في حياة " ابن الحنفية " على شكل فرقة " كيسانية " لاستبعاد استفحال أمر الغلاة فيما خلا فرقة " الكيسانية الخالصة " ، ويؤكد هذا وجود الفرقة الحربية بعد ذلك بما يقرب من خمسين عاما أو يزيد ليكتشف أتباعه بعد ذلك كذبه وبهتانه فيتركوه ويتجهون الى عبد الله بن معاوية (ـ ١٢٩) كما نص على ذلك بعض أصحاب الفرق .[٣]

ان الأمر على كل حال لا يستحق أكثر مما ذكر فيه لاسيما وأننا ندرس مرحلة تغلي فيها عقائد "غلاة الشيعة " كالمرجل ، ولا يعرف سافلها من عاليها الا بتدقيق وبحث ليس هنا موضعه.

---

١. المقالات والفرق ص ٢٨
٢. انظر . المقالات والفرق ص ٢٧
٣. انظر : المقالات والفرق ص ٤٠ ومقالات الاسلاميين ١/ ٩٧ والملل والنحل ١/ ١٥١.

ان ما يمكن قوله هو أن "الحربية" نشأت بعد وفاة أبي هاشم (— ٩٩) من فرقة هاشمية اختارت "عبدالله بن عمرو بن الحرب" ليكون اماما لها على نحو أن :

روح الله صارت في النبي وروح النبي صارت في علي
وروح علي صارت في الحسن وروح الحسن صارت في
الحسين وروح الحسين صارت في محمد بن الحنفية
وروح ابن الحنفية صارت في ابنه أبي هاشم وروح أبي
هاشم انتسخت في عبدالله بن عمرو بن الحرب.
فهو الامام الى خروج محمد بن الحنفية من الشعب [١]

وفي ذلك دليل على أن قيام "ابن الحنفية" كان وشيك الوقوع في عقيدة "الحربية".

أن النقطة الخاصة بانتظار "ابن الحنفية" رغم القول بأئمة بعده تحول بنا الى مسألة الأسباط الأربعة التي ذكرها "القمي" وخص بها الحربية ، بقوله :

واعتلوا في أن الأسباط أربعة بأن قالوا،
ان القدر والنباهة والعز والنبوة من ولد يعقوب
ابن اسحق عليهما السلام في أربعة وصار الباقون
اسباطا بهم فكانوا هم الأنبياء والملوك ولم يكن
للباقين قدر الا بهم وهم لاوي ويهوذا ويوسف
وابن يامين ... لأن يهوذا ولد داود وسليمان
وفيهما الملك الذي لا يشبهه ملك مع النبوة ، ومريم

---

١. المقالات والفرق ص ص ٢٦ ، ٢٧ ، وانظر: مقالات الاسلاميين ١/ ٩٧ ، والشهرستاني ١/ ١٥١ والفرق بين الفرق ص ٢٨.

بنت عمران أم المسيح ، ورأس الجالوت وهو الملك بعد الانبياء والرسل . وولد لاوي موسى وهرون وعُزير وحزقيال والياس واليسع وأورميا والخضر ، وهؤلاء ولد هرون . ومن ولدهم ملوك وأنبياء ، ومنهم آصف بن برخيا صاحب عرش بلقيس ، ومن ولد يوسف يوشع بن نون ومن ولد ابن يامين طالوت الذى ذكره الله في كتابه .

قالوا فبنو هاشم أسباط والامامة والخلافة والملك في أربعة وذلك قول تبارك وتعالى " والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين "* فالكلام يكون رمزا ومثلا وكناية ووحيا ، فالتين علي والزيتون الحسن وطور سينين الحسين وهذا البلد الأمين محمد بن الحنفية .[١]

من المعروف أن كلا من لاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين من أبناء يعقوب ابن اسحق[٢] ولكن كلمة أسباط** لا تنطبق بأي معنىً علَى علي وبنيه الثلاثة لاسيما اذا قارنا بأسباط بني اسرائيل ، فهي اذا انطبقت علَى الحسن والحسين بالنسبة للنبي (ص) فكيف يدخل في ذلك علي بن ابي طالب وابنه محمد بن الحنفية ، واذا انطبقت عليهم جميعا بالنسبة لهاشم بن قصي فالجميع من ذرية عبد المطلب ، واذا انطبقت عليهم بالنسبة لعبد المطلب

---

* التين ١

١. المقالات والفرق ص ٣٠ .

٢. انظر: العهد القديم : التكوين ٤٦ وأخبار الأيام الأول ١/١

** الأسباط في اللغة ولد الولد والمفرد سبط أنظر : مختار الصحاح س ب ط ، ص ٢٨٣ .

فالجميع من ذرية ابي طالب .

ان قصة الأسباط هذه غير اسلامية كما هي غير منطقية هنا ؛ وهي يهودية المصدر فمن الذى يهمه اعطاء أهمية للأسباط في العالم الاسلامي سوى اليهود ، بل من الذى يتبرع باجراء مقارنة بين الأسباط الاسرائيليين والهاشميين في مطلع القرن الثانى للهجرة ؟ لا أحد سوى أصابع يهودية خفية ، ظهرت من قبل في صورة عبدالله بن سبأ ، وظهرت هنا في الحربية في شخصية ربما تخفت تحت اسم عبدالله بن عمرو بن الحرب ، أو أحد اعوانه أو أحد أتباعه . وسوف تظهر لنا هذه الصورة عند الدروز (ر . ص ص ٢٩٨، ٢٩٩).

وحينما تأتي هذه الأقصوصة ذات الأصل اليهودي مشفوعة بتأويل باطني " لسورة التين " ؛ فان ذلك دليل آخر يؤكد وجود علاقة ما بين الفكر اليهودي الغازي والتأويل الباطني عامة .

ولا يغيب عن البال أن " الحربية " كانت تدين بما دانت به أشباهها من فرق الغلاة المعاصره لها ؛ مثل القول برجعة " ابن الحنفية " وخروجه من مكة في عدد أهل بدر ر مدم " دمشق " برايات سود ورجال كالأسود .[١]

ويبدو أن " دولة بني العباس " لم تقم بعد حين قالت " الحربية " بهذا القول ، وقد يكون هذا دليلا على القيمة العلمية للنص الذي حفظ هذه النقطة ؛ فان " بني العباس " ظهروا برايات سود .

عن ترك الفرائض والمحرمات نجد ذات الرأي الغالي ؛ القائل بأن (من عرف الامام فليصنع ما شاء)[٢] . ذلك القول الذي قالت به " الباطنية " فيما

---

١. انظر: المقالات والفرق ص ٣١

٢. انظر: المقالات والفرق ص ٣٩

بعد حين قالوا (حب علي حسنة لا يضر معها سيئة)[١]

ان " الحربية " وان اعتبرت فرقة هاشمية كيسانية سيئة ، الا أن " الاشعري القمي " انفرد بذكر أخبار عنها — وردت آنفا — قد توحي بالاستغراب والارتياب مما قد يجعل " الاشعري القمي " في وضع المتهم بالانحياز ضد هذه الفرقة ، الا أن حادثة فريدة وقعت في هذه الفرقة ، فتفرق أعضاؤها بعدها الى فرقة وربما الى فرق أخرى — هذه الحادثة — تجعل الباحث يقف موقفا ايجابيا من الأشعري القمي ، وقد ذكر قصتها بعض أصحاب المقالات ، فقال " ابو الحسن الأشعري " :

ثم وقفوا على كذب عبد الله بن عمرو بن حرب فصاروا الى المدينة يلتمسون اماما فلقوا " عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب فدعاهم الى أن يأتموا به فاستجابوا له .[٢]

وقال " الشهرستاني " عن ذات القصة :

والرجل [يعني ابن حرب] ما كان يرجع الى علم وديانة ، فاطلع بعض القوم على خيانته وكذبه فأعرضوا عنه وقالوا : بامامة عبد الله بن معاوية .[٣]

أما " الأشعري القمي " فقد فصل القصة كما يأتي :—

فبينما هو يوما في منزل رجل بالمدائن وكبراء [؟] أصحابه معه اذ دق جلواز الباب وكان صاحب المنزل وعده حاجة [هكذا] ولم يعرف عبد الله بن عمرو بالأمر فوثب فزعا وقال : دعيتم [هكذا] أناكب الشيطان فخرجوا جميعا وطفر

---

١. انظر: مخطوطة المجالس الحاتمية المجلس السابع من المائة الأولى ق كد
٢. مقالات الاسلاميين ١/ ٩٧
٣. الملل والنحل ١/ ١٥١

هو الى دار رجل فاندقت ساقه فخرج صاحب الرجل الى الرجل ، ثم خرج اليهم فقال لا باس ، فرجع بعضهم وهرب الباقون فقيل لعبد الله أنت كيف تكون اماما كيف تعلم الغيب وما في الأرحام وأنك ستملك مع هذه الغفلة وهذا العقل ؟ فكذبوه ثم اجتمع أمرهم على أن يخرجوا الى المدينة يلتمسون اماما من بني هاشم اذا كان لابد لهم من امام ، فبينما هم بالمدينة متحيرون اذ أتى آت عبد الله ابن معاوية فاخبروه وخبرهم فارسل اليهم .[١]

ان هذه القصة مما يستحق الدراسة لأن من عادة "الغلاة الشيعة" أنهم لا يتفرقون الا بعد وفاة زعيمهم ، ولابد من الوقوف قليلا أمام هذه القصة - الظاهرة ، ولا يغرب عن البال أن حادثة كهذه برواية "الأشعري القمي" لاتستدعي عند "الغلاة" التفرق والتخلي عن زعيمهم ، لأن من يؤمن ويعتقد بأن انسانا يختفي في السحاب وآخر يعيش سنوات طويلة في غار في حراسة أسد ونمر، وأن من عرف الامام فليصنع ما يشاء ، كل ذلك من مصدر بشري ، لأهون عليه أن يصدق أي أكذوبة يمكن أن يقولها "ابن حرب" للتخلص من هذا المأزق الذي وقع فيه . وهنا يبرز احتمال ان جهة ما يهمها ابراز عبد الله بن معاوية على شكل زعيم هاشمي طالبي بعد استنفاذ الغرض من ابن حرب وامثاله ، لا سيما وأن "ابن معاوية" لم يأت بعقائد أقل غلوا مما لدى ابن حرب .

ومن جهة أخرى فان حادثة تفرق "الحربية" كما رواها "الأشعري القمي" ، يوضح أنه لم يكن متحيزا ضد هذه الفرقة بقدر ما كان على علاقة بمصادر لم تتوفر لسواه من أصحاب المقالات من ذلك "النوبختي" الذي يعتبر استاذا له .[٢]

---

١. المقالات والفرق ص ص ٤٠ ، ٤١
٢. انظر: محمد جواد مشكور . مقدمة كتاب المقالات والفرق ص ص كج ، كد .

عقائد الحربية :

يمكن تلخيص عقائد فرقة " ابن حرب " على النحو التالي :

* قولهم بالحلول والتناسخ .

* قولهم بالتأويل الباطني .

* قولهم بالرجعة ، وخاصة رجعة ابن الحنفية ومهديته الانتقامية .

* قولهم بأن من عرف الامام فليصنع ما يشاء . ٥

٣ـ العباسية أو الروندية :

تمخضت " الهاشمية " فيما تمخضت عنه عن فرقة تسمى " العباسية" أو " الروندية " وهذه الفرقة تقول ان أبا هاشم أوصى بالامامه الى " محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب " ، وأنه دفعها الى أبيه " علي بن عبدالله " حتى يبلغ فيسلمها اليه .[١] ١٠

وقد أفاض بعض المحققين في أمر هذه الفرقة وفرقه شبيهة يمكن أن تسمى " الأبومسلمية " وقد سميت " بالمقنعة "[٢] أو " الرزامية "[٣] لاعتقادهم في " أبي مسلم الخراساني " وهو قول " الروندية " أيضا ، وقد اعتبر بعضهم أن بني " العباس" استغلوا فرقة " الكيسانية " الغالية في نشر الدعوة العباسية على نحو سرّي اعتمد على العددين ١٢ ، ٧٠ وقد أثار " فان فلوتن " هذه المسألة على هذا النحو فقال : ١٥

وقد أسس هذان الرجلان [سليمان بن كثير الخزاعي وشبيب بن قحطبة الطائي السرنخشيري] مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رياسة داعي الدعاة ، ثم اتخذ كل منهم لقب " نقيب " على نحو ما كان يفعله ٢٠

١ـ انظر : النوبختي . فرق الشيعة ص٥٠
٢ـ انظر : الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٧٩
٣ـ انظر : الزينة (عبدالله سلوم السامرائي) ص٢٩٨ .

الاسرائيليون في مجلس شوراهم (القرآن الكريم ١٥/٤)
الذي كان يتكون من اثني عشر حواريا ، ثم النقباء
من أهل الشورى الذين انتخبهم الرسول من أهل
المدينة ، وهكذا تأثر العباسيون في تنظيم دعوتهم
بمجلس الحواريين عند اليهود من ناحية ، فاتخذوا ٥
اثني عشر نقيبا ، كما تأثروا من ناحية أخرى بمجلس
الشورى في عهد الرسول فاتخذوا سبعين داعيا [١] .

ان ما حكاه " فلوتن " هنا يحتاج الى تفصيل لأن اصطلاح " داعي
الدعاة " لم يعرف بعد في هذه الفترة الزمانية التي نشأت فيها
الكيسانية العباسية ، لاسيما وأن المستشرق المذكور لم يسند هذا ١٠
اللفظ الى مصدر ، مما يوضح أنه استعار اللفظ من فكر الباطنيين في
" الدولة العُبيدية " التي قامت بعد هذا التاريخ بأكثر من قرن ونصف
(ر ٠ ص ٢٦٨ فما) ٠ وما ذكره عن مجلس شورى الاسرائيليين واستشهد
بآية قرآنية يعني بها قول الله تعالى " ولقد أخذ الله ميثاق بني
اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا " * وهي لم تذكر الحواريين بل ذكرت ١٥
اثني عشر نقيبا ٠ أما ما ذكره عن السبعين الذين ادعى أنهم مجلس
الشورى في عهد رسول الله (ص) ، فان أي مجلس شورى لم يثبت وجوده
على عهد رسول الله (ص) على هذا النحو ، حتى " الباطنيين " وهم
من أكثر الناس تعلقا بالأرقام بين غداة الشيعة فانهم لم يوردوا شيئا
يستندون اليه من هذا الوجه ولو وجدوه لفعلوا ، ولكن المعروف أن النبي ٢٠
(ص) بعد أن بايع الأنصار بيعة العقبة الثانية وكانوا ثلاثة وسبعين
رجلا وامرأتين ، قال لهم (ص) :

---

* المائدة ١٢
١. السيادة العربية (الترجمة العربية) ص ٩٥

أخرجوا الـى منكم اثنى عشر نقيبا ... قال ابن اسحق

حدثني عبدالله بن ابى بكر بن حزم أن رسول الله (ص)

قال للنقباء : أنتم كفلاء علَى قومكم ككفالة الحواريين

لعيسى بن مريم .[1]

اذاً ليس هناك مجلس شورَى ولا غيره ، بل اثنا عشر نقيبا يكفلون ٥

قومهم ، أما السبعون رجلا ، فقد وردت فى القرآن الكريم عن ذلك قصة

أخرى ، قال تعالى : " واختار موسى قومه سبعين رجلا ليقاتنا " * — ويبدوا

أن " فلوتن " استعان في ترقيمه للآية الاولى التى تتحدث عن النقباء

بتعداد " فلوجل " الذى يعتبرها الآية ١٥ من سورة المائدة .[2]

ان الاعتماد علَى العددين ١٢ ، ٧٠ في القصة يجب أن تستند ١٠

بشقيها الَى موسى عليه السلام ، وبذا أيضا يمكن للباطنيين أن يدعوا أن

نظام الدعوة الباطنية الذي سارت عليه فرقهم فيما بعد — فى أصله — هو

النظام العباسي ذو الأصل الموسوي ، وقد أخذ به سيدنا محمد (ص) من

قبل .

لو سلمنا بصحة جميع الآثار فان قيمة هذا الاحتمال يتضح بعد الآتى :— ١٥

* مدَى تمسك "الدولة العباسية" بهذا النظام بعد تكوينها .

* مدى التزام السيرة النبوية بالعددين ١٢ ، ٧٠ في تنظيم الدعوة

الاسلامية .

واذا لم يكن هناك تعويل علَى هذين العددين هنا وهناك فان بالامكان

اعتبار أن فلوتن لم يوفق كما يظهر في مقارنته التى أوردها . أما وقد استند ٢٠

فيما ذهب اليه الى " تاريخ الطبري " ، فان الطبري يقول :—

---

١. ابن حجر العسقلانى (٨٥٢) فتح الباري ٧/ ٢٢١

٢. انظر محمد رشيد رضا . تفسير المنار ج ٦ تصوير بيروت ص ٢٧٩

* الاعراف ١٥٥

والنقباء الاثنى عشرهم الذين اختارهم محمد بن علـــي

من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله الى

خراسان بسنة ثلاث ومائـة أو أربع ومائـة .[١]

ونص " الطبري " هو الحكم الفصـل في القضيـة .

ثمة مسألـة أخرى تتعلق بأحـد دعاة " العباسيين " ، ويسمى "خداش" ٥

ففي كتاب" البدء والتاريخ" أنه أول من قال بالتأويل الباطني[٢] ، وهو قول لا يقـف

أمام ما سبق ذكره من وجود التأويل الباطني عند الغلاة منذ " السبئية ".

عقائـد " العباسيـة " :

ان " العباسيـة " في عقائدهم لم يخرجـوا عن بقيـة الكيسانية الا فـــي

القول بأن أبا هاشـم أوصى بالامامة للعباسيين، وقد قالوا أيضا بتـــرك ١٠

الفرائـض وقالوا : الدين معرفـة الامام وأداء الأمانة ، وقد استتاب ابـــو

جعفر المنصور " الرونديـة " فرجـع بعضهم ، وقتل الذين أصروا على عقيدتهم[٣].

٤ـ الجنا حية أو المعاويـة :

سميت هذه الفرقـة " بالجناحيـة " نسبـة الى زعيمهـم "عبدالله بـــن

معاويـة بن عبدالله ابن جعفر بن ابى طالب"[*] (ـ ١٢٩) ، وقد لقب جـــده ١٥

بالطيار أو بذى الجناحين بعد استشهاده فى معركة مؤتـة أيام رسول اللـــه

(ص)[٤] ، فسرى ذلك اللقب في ذريته ومنهم عبدالله بن معاويـة الذي تزعـم

بعض غلاة " الكيسانيـة " فسموا بالجناحيـة[٥] . وذكر " الأشعري القمي " أنهـم

يتسمون أيضا المعاويـة[٦] .

---

١. الطبرى. تاريخ الطبرى ٧/ ٣٧٩
٢. انظر : البدء والتاريخ ، ج ٦ ، تصوير طهران ، ص ص ٦٠ ، ٦١
٣. أنظر : الزينة (عبدالله سلوم السامرائى) ص ص ٢٩٨ ـ ٣٠٢
* انظر ترجمته فى: الاعلام ٤/ ٣٨٢
٤. انظر أحاديث غزوة مؤتة : صحيح البخارى ٦٤/ ٤٤ فى فتح البارى ٧/ ٥١٠ـ ٥١٥
٥. انظر : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٩
٦. انظر : المقالات والفرق ص ٤٢ .

أما تكوّن هذه الفرقة فهو جدير بالاشارة اليه ، وقد سبق القول ان الحربية صاروا أتباعا " لعبد الله بن معاوية " (ر ٠ ص ص ٩٨، ٩٩) ، ويدعي كل من " النوبختي " و" الاشعري القمي " أن فرقة غالية تسمى " الحارثية " أتباع " عبد الله بن الحارث " انضمت الى " الجناحية " وأنهم هم مكونوا فرقة " الجناحية " [١] ، ويقول البغدادي ان فرقة المغيرية أتباع " المغيرة بن سعيد " (ر ٠ ص ١١٢) قالوا بامامة ذى الجناحين أو الوهيته على نحو من الحلول والتناسخ في قصة مشابهة لقصة اكتشاف كذب عبد الله بن عمرو بن الحرب [٢] ، ولا يخال الباحث الا أن هناك شيئا ما من اللبس في الأمر لاستبعاد تكرر القصة ذاتها بين الغلاة الشيعة بالذات ٠ ولكن بالامكان القول ان " الجناحية " فرقة تكونت من عدة فرق غالية ٠

أما بالنسبة لاضمحلال هذه الفرقة ، فان فيه شيئا ما من الغرابة ويكفي في ذلك أن بعضا من أصحاب هذه الفرقة وقعوا في اشكال عقيدي (ربما بعد موت ابن معاوية سنة ١٢٩) مع فرقة " العباسية " والمشكل هو الى من أوصى " أبو هاشم " (ـ ٩٩) بالامامة بعد وفاته ، فأفتى أحد علمائهم ويكنى " بأبى رياح " (؟) بأن الوصية كانت " لبني العباس " فانضموا أو اكثرهم الى " الروندية " ، كما ذكر الداعى " أبو حاتم الرازي " أنه بعد فتوى " أبى رياح " أو رباح كما يسميه بقيت طائفة منهم على القول بامامة ذى الجناحين [٣] ٠ [٤]

---

١. انظر : فرق الشيعه ص ص ٤٩ ، ٥١ والمقالات والفرق ص ٤١ ٠
٢. انظر : الفرق بين الفرق ص ٢١٥
٣. انظر : فرق الشيعه ص ٥٠ والمقالات والفرق ص ٤٠
٤. انظر : الزينة (عبد الله سلوم السامرائي) ص ٢٩٨ ٠

ان فرقا تتكون على هذه الشاكلة ثم تفترق في فترة لاتتجاوز ثلاثين عاما لدليل واضح على الفوضى الفكرية التي كانت تسود فرق غلاة الشيعة ٠

والظاهر أن هذه " الفرقة " تكرار للفرق الغالية التي سبق الحديث عنها ؛ فقد قالوا بالتناسخ والحلول الذي ينتج نبوة أو الوهية الزعيم[١] ، على نحو التقسيم المومئ اليه بالأسباط الأربعة[٢] (ر٠ ص ص ٩٥ ٩٦) وقد اعتبروا أن التناسخ الذي يحدث هو الثواب والعقاب وذلك من حيث الجسد الذي تسكنه الروح وعليه فقد ادعوا عدم فناء العالم[٣] ، كما سمح " الجناحية " لأنفسهم ارتكاب المحارم تأويلا لقوله تعالى " ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا "[*] ، أو على أن العبد يبلغ مرحلة من المراحل يسقط عنه التكليف اذا وصل درجة الكمال والبلاغ بمعرفة الامام[٤] ، وذكر " البغدادي " ان الجناحية يعتقدون بأنهم يوحى اليهم وبأفضلية بعضهم على الأنبياء والملائكة[٥] ويمكننا اعتبار فرقة الجناحية أول من سمى مخالفيهم " أهل الظاهر " وسموا أنفسهم " بأهل العلم الباطن "[٦] ؛ رغم أن القول بالتأويل الباطني ظهر قبل " الجناحية " عند من سبقهم من غلاة الشيعة كما تقدم (ر٠ ص ص ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢)

عقائد الجناحية :

* التناسخ والحلول ٠

* نفي الآخرة والثواب والعقاب ، وأن لا نهاية للعالم ٠

---

١. انظر ابو الحسن الأشعرى ٠ مقالات الاسلاميين ١/ ٦٧ ، والشهرستاني ١/ ١٥١ والفرق بين الفرق ص ٢١٥ ، والاغاني جـ ٤ ١١/ ٧١

٢. انظر: المقالات والفرق ص ص ٤٢ ، ٤٣

٣. انظر: المقالات والفرق ص ٤١ ومقالات الاسلاميين ١/ ٦٧ والملل والنحل ١/ ١٥١ والفرق بين الفرق ص ٢٤٢

* المائدة ٩٣ — ٤. انظر المقالات والفرق ص ص ٤١ ، ٤٢ ومقالات الاسلاميين ١/ ٦٧ والملل والنحل ١/ ١٥٢ ، واعتقادات فرق المسلمين ص ٥٩

٥. انظر : الفرق بين الفرق ص ٢٣٦ ٠ ٦. انظر : عطاء ملك الجويني (ـ ٦٨١) تاريخ جهانكشاي (محمد السعيد جمال الدين) ص ١٥٢

* رفع التكليف عن من عرف الامام .

* المهدية والرجعة .

* التأويل الباطني ، وتسمية مخالفيهم على ضوء ذلك بأهل الظاهر .

٥- فرقة غير معروفة باسم معنى عند أصحاب المقالات :

يمكن تسمية هذه الفرقة " الكيسانية الخلص " أو " المختارية ، كما سماها " الأشعري القمي " و " النوبختي " .[١]

ان المعلومات المتوفرة حاليًا عن هذه الفرقة تنحصر في أنها ساقت الامامة بعد " أبي هاشم " في ذرية " محمد بن الحنفية " ، وما عدا ذلك فلا ذكر لعقائد غالية دانت بها هذه الفرقة رغم أنها نسبت الى بني محمد ابن الحنفية ذاتهم - سوى ما قيل عن عودتهم الى القول بانتظار رجعة " محمد بن الحنفية " بعد موت آخر أئمتهم قبل أن يعقب .[٢]

والقول بانتظار رجعة ومهدية ابن الحنفية كما يظهر عقيدة جميع فرق الكيسانية .

ان تسمية هذه الفرقة " بالمختارية " أو " الكيسانية الخالصة " قد يسهل الأمر على من أراد التنقيب عن عقائدهم اذا أضاف اليهم بشكل ما عقائد " الهاشمية " قبل موت (أبي هاشم) .

هناك اعتقاد حول هذه الفرقة - التي يمكن اعتبارها الجذع لو تصورنا الفرقة الكيسانية بعامة على شكل شجرة ذات فروع - وهذا الاعتقاد يرتبط مباشرة بظهور الفرقة الباطنية الشهيرة (القرامطة) ، فقد كتب

---

١. انظر : المقالات والفرق ص ٣٩ وفرق الشيعة ص ٤٨
٢. انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ٩٤ وفرق الشيعة ص ٤٨ والمقالات والفرق ص ص ٣٨ ، ٣٩ .

" الطبري " (– ٣١٠) في حوادث سنة ٢٧٨ مؤرخا لظهور القرامطة:
أنه وجد في كتاب أنهم جعلوا من شخص اسمه " أحمد بن محمد بن الحنفية "
شخصا لاهوتيا على النحو الكيساني[١]، وقد بنى " كازانوفا " على ذلك رأيه
القائل ان الحركة القرمطية انما تطورت عن " الكيسانية " الحنفية ،
ولكن " عبدالعزيز الدوري " اعتبر ما ذكره " الطبري " حجة ضعيفة "لكازانوفا"
وذلك بزعم أن في عقائد " القرامطة " عقائد تتصل " بالكيسانية " و" الاسماعيلية "
وحتى " بالخوارج "[٢].

ان الواجب في هذا المجال الاستناد الى ما ذكره غير " الطبرى " مثل
ابن قرة الصابي " (– ٣٦٥) ، والقاضي عبدالجبار (– ٤١٥) الذي
ذكر من أمر " القرامطة " ما ذكر " الطبري " من حيث الأصل الكيساني الحنفي
لهم ، والذى نسب فيه الى أبى سعيد الجنابى أنه رسول " محمد بن
عبدالله ابن محمد بن الحنفية " المختفي في بعض الجبال وأنه سيظهر
سنة ثلاثمائة ، وأن أبو سعيد ظهر بهذا القول في سني نيف* وثمانين ومائتين[٣].

وان كان هناك تقارب زمني بين قول الطبري وقول القاضي عبدالجبار
الا أن نسبة " القرمطة " الى " الكيسانية الحنفية " كان معزوا عند
الطبري الى " أحمد بن محمد بن الحنفية " ، الذي افتقدته فيما وقعت
عليه يدي من المصادر ، وهذا يدعوالى احتمال وقوع خطأ ما في الاسم أو أنه
اسم حركي مخترع[٤].

---

١. انظر: تاريخ الطبرى ٢٦/١٠ وأنظر : ابن قرة الصابى (– ٣٦٥) تاريخ اخبار القرامطة ، سهيل زكار ، بيروت ، دار الامانة ، ١٣٩١ ، ص ص ١٠ – ١١
٢. انظر : عبدالعزيز الدورى ، مقدمة الترجمة العربية لكتاب : أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ، ص ص ١٩ – ٢١ .
* كل ما زاد عن العقد فهو نيف أنظر: مختار الصحاح مادة ن ى ف ، ص ٦٨٧
٣. انظر : تثبيت دلائل النبوة ٣٧٩/٢ ، ٣٨٠ .
٤. انظر فى أسماء ولد محمد بن الحنفية : مروج الذهب ١٢٣/٣ وجمهرة أنساب العرب ص ٦٦ .

أما نسبة " القرمطة " الى " الكيسانية الحنفية " من حيث عزوها الى "محمد بن عبدالله بن محمد الحنفية وهو قول " القاضي عبدالجبار" فان له احتمال يشبه ما قيل عن " أحمد بن محمد بن الحنفية " آنفاً، لأن وجود شخص بهذا الاسم يعني وجود عقب لأبي هاشم الذي هو " عبدالله بن محمد بن الحنفية " . وقد علمنا المشكلة التي تسببت في موت أبي هاشم دون أن يعقب ؛ حتى قال بعض " الكيسانية " بأنه أوصى الى أحد "بني العباس" (ر . ص ص ١٠٠ ، ١٠٦) ومما يزيد من قوة الاحتمالين ظهور " القرامطة " بعد ما يقرب من مائتي عام من موت ابي هاشم .

في خاتمة الحديث عن " الكيسانية " يمكن القول : ان هذه الفرقة ظلت حينا من الدهر — من منتصف القرن الأول الى ما بعد العقد الثالث من القرن الثاني — متسنمة ذروة الغلو الشيعي ؛ بل ومرادفة لمعناه، وأن الكيسانية تعتبر بحق حاملة للعقائد السبئية بعد هلاك "ابن سبأ" وهذا يؤكد قول القائل ان " الكيسانية " تكونت من بقايا " السبئية" وبنظرة شاملة على عقائد فرق الكيسانية يتضح لنا مدى صدق هذا القول الذي من الممكن اعتباره النتيجة التي توصل الباحث اليها فيما يختص بغلو الكيسانية .

عقائد السبئية والفرق الحنفية الكيسانية على ضوء الفكر اليهودي :

ان في عقائد السبئية والكيسانية كثيراً من الجوانب التي لايستبعد انتماؤها الى الفكر اليهودي بشكل أو بآخر مثل :

١ — القول بحلول الجزء الالهي في أجساد البشر . قال به السبئية (ر . ص ٥٩ ، ٦٠) والكيسانية حين ادعى "حمزة بن عمارة " أن محمد بن الحنفية هو الله (ر . ص ٨٧) ، وقالت " البيانية " بحلول روح الله في

الأنبياء والأئمة (ر٠ص ٩١) ، وقالت الحربية بحلول روح الله في النبي ثم في علي ٠٠٠ حتى صارت في عبد الله بن عمرو بن الحرب (ر٠ص ٩٥) وهذا الحلول هو الذي تطور عند بقية فرقتهم الى القول بالتناسخ كما سبق ، وكما هو حال الفرقة الجناحية (ر ٠ ص ١٠٤) ٠ وقد سبقت الاشارة الى وجود ذلك من حيث مبدئه في الفكر اليهودي كما ورد في سفر دانيال (ر٠ ص ٦٠) الذي نجد فيه ما له علاقة بالقول بالأكوار والأدوار والتناسخ [١] وهو قول دانت به بعض الكيسانية كما ذكر آنفا ٠

٢ـ المهدي المنتقم ورجعته بعد الغيبة :

ان الرجعة في بحث السبئية والكيسانية مختلفة ، فعند السبئية نجد أنها جعلت عليا في السماء وأنه سينزل بصفة المهدي المنتقم من أعدائه وان لم يطلقوا عليه ذلك (ر٠ص ص ٦٠ ، ٦١) والرجعة عند " الكيسانية " ليست من السماء بل انهم جعلوا ابن الحنفية مختبئا في "جبال رضوى" (ر٠ص ٧٦) على نحو ما وسيعود مهديا لينتقم أيضا ٠ وفي الفكر اليهودي نجد صيغة رجعة " علي بن أبي طالب " من السماء على النحو السبئي : (ر٠ص ٢٨٦) ٠

وقد تقدم ذكر نماذج أخرى من العهد القديم تعبر عن العقيدة السبئية في رجعة علي بن أبي طالب مثل ما ورد في " سفر يوئيل " وسفر أشعيا " وسفر أرميا" (ر٠ص ص ٦١ ، ٦٢) ٠

وبالنسبة لمهدية ابن الحنفية ورجعته من بين الجبال التي يظن أنها صدى لما ورد في العهد القديم كما ذكر ذلك فلهوزن (ر٠ ص ٢٨٧) ٠وقد تجلت صلة القرابة بين الكيسانية والفكر اليهودي في هذه النقطة صراحة في أشعار كثير عزة (ر٠ص ٨٠) وما قالت به الفرقة "الحربية " التي اعتنقت

١٠ انظر : سفر دانيال ٤/ ٢٣ ـ ٢٦

فكرة الأسباط الأربعة (ر٠ ص٩٥ فما) وان للرجعة في الفكر اليهودي نصيب ، وهي مما أدى بهم الى القول بالتناسخ حينا وربط ذلك بمجيء المسيح ثانيا (ر٠ صص ٢٩٢، ٢٩٧).

٣- القول بالامامة والوصاية :

ان القول بامامة علي بن أبي طالب وأنه وصيّ رسول الله (ص) عقيدة لعبد الله بن سبأ اليهودي وهو أول من قال بذلك وظهر به في "الاسلام" (ر٠ص ٢٩ ، ٣٠) وقد سار على ذلك "الكيسانية" ، وظهر ذلك جليا في أشعار "السيد الحميري" (ر٠ صص٨١، ٨٢) ، وهي عقيدة جميع "الشيعة" كما هو معلوم ٠ وان يكن هذا الحكم لاينسحب بالضرورة الى الزيدية ٠

وترتبط هذه العقيدة بالفكر اليهودي ، حيث نسب اليها ذلك منذ ظهور ابن سبأ بها (ر٠ ص ٦٣ ، ٦٤) كما ربطها الشعبي بهذا الفكر حين تحدث عن خصل الرافضة٠[١] وفي العهد القديم ما يؤكد صحة ما ذهب الشعبي اليه من قولهم بأن الملك لا يكون الا في ذرية داود (ر٠ ص ٢٣٦) ٠

٤- التأويل الباطني :

سنرى أن التأويل الباطني من أخص عقائد الباطنيين ٠ وقد قالت به السبئية ، على أنه العلم الخفى (ر٠ صص٣٦ ، ٣٢) كما قالت به الكيسانية (ر٠ ص ص ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٧) ٠ أما عن علاقة ذلك بالفكر اليهودى فسيتضح مفصلا في بحث التأويل الباطني (ر٠ ص ص ١٩٠ فما)

٥- تجسيد الله وتشبيهه بالخلق :

ان هذه العقيدة ظهرت بين الكيسانية بخاصة في الفرقة "البيانية"

---

١. انظر : العقد الفريد ٢/ ٤٠٩

حسين جسد "بيان" معبوده على نحو له علاقة بالحلول (ر.ص ٦١) .
وكان لهذه العقيدة أثراً واضحاً في الفرق الباطنية التي تصور "الامامة"
على هيكل من نور يتلبس من نُصّ عليه بالامامة (ر.ص ٢٣٨) .

ان معظم اليهود يقولون بتشبيه الخالق بالخلق [١] ، وقد نفى ابن
ميمون اليهودي (ـ ٦٠٢) * ذلك مستدلا بما جاء في سفر أشعيا ٥
٤٠/١٨ ، ٢٥ ، وبما جاء في سفر أرميا ١٠/٦ [٢] ، ولكن ما جاء في "سفر التكوين"
يوضح لنا أنهم شبهوا الله بالخلق ، والقصة كما يأتي :-

فبقي يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر
ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه وانخلع حق
فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال اطلقني لأنه قد ١٠
طلع الفجر قال لا أطلقك ان لم تباركني فقال ما اسمك
فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل
اسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل
يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي
وباركه هناك . ١٥

فدعا يعقوب اسم المكان فنئيل قائلا لأنني نظرت
الله وجها لوجه ونجيت نفسي [٣] .

---

١. انظر : الرازي . اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٢
٢. انظر ترجمته في : مقدمة دلالة الحائرين . حسين آتاي ، ص [illegible]
٣. انظر : دلالة الحائرين . تحقيق حسين آتاي ، أنقره ، مطبعة جامعة أنقره ، ١٩٧٤ ، ص ١٣٦
٤. سفر التكوين ٣٢/٢٤ ـ ٣٠

٦– القول بجواز البداء على الله :

ان عقيدة "البداء" تعني أن يظهر لله صواب على خلاف ما أراد وحكم وهو البداء في العلم ، أو أن يأمر بشيء ثم يأمر بعده بخلاف ذلك وهو البداء في الأمر . وقد كتب "علي سامي النشار" نبذة عن ذلك .[١]

وقد نسبت هذه العقيدة الى المختار بن أبي عبيد الثقفي في أصلها (ر. ص ٧٥) والذي يظهر أن هذه العقيدة مما اختص به غلاة الشيعة عموما وأما أهل السنة فليس في عقيدتهم مثل ذلك.

وقد أورد المستشرق اليهودي "فريدلاندر" أن بعض اليهود يفضلون القول بالبداء[٢] ، ولم يدفع الكاتب المذكور هذه الدعوى ولم يرفضها ، مما يدل على أن هناك شيئا ما من ذلك في الفكر اليهودي ؛ مع العلم أن "الشهرستاني" ذكر أنهم لا يجيزون هذا القول .[٣]

ثالثا : الغلاة ذوي النزعة الفاطمية :

أ – الغلاة الحسنيون : وهم الذين غلوا في ذرية "الحسن بن علي بن أبي طالب" وقد اشتهرت منهم فرقة واحدة ؛ هي :

المغيرية :

ان فرقة "المغيرية" دعت فيما دعت الى امامة "محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب" الشهير بالنفس الزكية (– ١٤٥)[*] ؛ وأحسب أن "المغيرية" هم الوحيدون بين غلاة الشيعة

---

١. انظر : التفكير الفلسفي في الاسلام ط ٧ ص ص ٥٧ ، ٥٨
٢. انظر مقالة فريد لاندر في : JAOS VOL: XXIX p. 72
٣. انظر : الملل والنحل ٢/ ٢١١
*. انظر : ترجمته في : الاعلام ٧/ ٩٠

في القول بامامة " النفس الزكية " ، ولكن " ابن حزم " ذكر أن طائفة من الفرقة الغالية " المنصورية " (ر٠ص ١١٧ فما) قالت بامامة " النفس الزكية " أيضا [١] ٠

سبقت الاشارة الى أن " المغيرية " تفرعت عن الفرقة الجناحية كما يقول البغدادي (ر٠ص ١٠٤) ، وهو أيضا قول " الأشعري القمي " ، الذي أضاف الى " المغيرة بن سعيد " - صاحب هذه الفرقة - القول بامامة " أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين " ؛ الباقر (- ١١٤) [*] ، وأن " الباقر " أوصى الى " المغيرة " حتى خروج المهدي " النفس الزكية " [٢] ؛ وعلى ذلك يمكن القول ان هذه الفرقة تقلبت في غلوها بين شُعب الغلاة الثلاث ؛ فقد كان " المغيرة " كيسانيا حينما كان " جناحيا " و " الجناحية " كيسانية في أصلها ، كما كانت " حسنية " حين قالت بمهدية " النفس الزكية " ٠ وقالت أيضا بامامة " الباقر " ؛ وهي هنا " حسينية " الغلو ٠

واذا عدنا الى النص المنقول عن " جعفر بن محمد " (ر٠ص ٢٨، ٨٦) فاننا نجد " المغيرة بن سعيد " أول السبعة الذين لعنهم لكذبهم عليه ؛ وهذا يعني أن المغيرة هذا كان احدى الشخصيات ذات الدور الواضح في الغلو الشيعي ٠ وقد قيل في " المغيرة " أنه كان من موالي " خالد بن عبدالله القسري " ؛ الذي قتله وصلبه [٣] ، أو أحرقه فيمن أحرق مع " بيان النهدي " (ر٠ص ٨٨) في ستة نفر أو سبعة في سنة ١١٩ [٤] ٠ ان عدد القتلى هؤلاء قد يستدل منه على أن الفرق الغالية الشيعية لم تكن

---

١٠ انظر : الفصل ٤/١٨٦
* انظر : النوبختي ٠ فرق الشيعة ص ٧٣
٢٠ انظر المقالات والفرق ص ص ٤٣ ، ٧٧ وكذا النوبختي ٧٥
٣٠ انظر : المقالات والفرق ص ٧٧ والملل والنحل ١/١٧٦
٤٠ انظر : تاريخ الطبري ٧/١٢٩

تتكون الا من أفراد قلائل ، ولكن في ذلك من هذا الوجه — علَى الأقل — شيئا من عدم الدقة ، لأن "الفرقة المغيرية" ليست هي كل من أبناد "القسري" ، بل ان "المغيرية" استمرت بعد "المغيرة" [١] ، فاختلفوا عقديا ، فمنهم من قال برجعة المغيرة ، ومنهم من قال بامامة ابنه "عبدالله بن المغيرة" ، ومنهم من استمر علَى مقالة المغيرة [٢] . وهذا بالاضافة الى كونه دليل علَى عدم قلة عددهم ، فانه أيضا دليل علَى غرابة أمر غلاة الشيعة .

عقائد المغيرية :

ظهرت في هذه الفرقة من العقائد الغالية الشيء الكثير [٣] . وهذه العقائد وان تميزت بوجود الجديد فيها ، الا أنها في معظمها لم تخرج كثيرا عن ما تقدم من عقائد "الكيسانية" ذات الأصل السبئي . وأشهر تلك العقائد :

* ادعاء "المغيرة بن سعيد" النبوة .
* تجسيم الذات الالهية .
* ايمان "المغيرة" بقدرة النجوم وتأثيرها لذا فقد ادعَى القدرة علَى احياء الأموات بالسحر .
* التأويل الباطني ، وهذا مشهور عنهم من تفسيرهم "للأمانة" في قوله تعالى : (انا عرضنا الأمانة علَى السموات والأرض ...) * بانها ، منع علي من الامامة .

---

١. انظر : الفصل ٤/ ١٨٤
٢. انظر : المقالات والفرق ص ٤٤ والملل والنحل ١/ ١٧٧
٣. انظر : المقالات والفرق ص ص ٥٠ ، ٥٥ ، ٧٧ وفرق الشيعة ص ٥٦ ، ٧٥ ، ومقالات الاسلاميين ١/ ٧٠ ، ٧١ والملل والنحل ١/ ١٧٧ ، ١٧٨ وتاريخ الطبري ٧/ ١٢٨ والكامل لابن الأثير ٥/ ٢٠٩ والفصل ٤/ ١٨٤ .

* الأحزاب ٧٢

* وقوفهم من الرجعة والكرات موقفا حياديا ، وهذا غريب منهم باعتبارهم فرقة شيعية غالية ، ولكن المغيرة كان يقول بالتناسخ .

* قولهم بأن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع .

عقائد المغيرية على ضوء الفكر اليهودي :

تجسيم الذات الالهية -الذى قال به المغيرية- نسب الى اليهود كما تقدم الحديث (ر. ص ١١١) . ٥

الايمان بالقدرة السحرية على احياء الموتى ، التي كان المغيرة يدعيها موجودة بجلاء في الفكر اليهودي ، وهو ما يعتقده " حاخامات اليهود " على نفس الطريقة :

جاء في التلمود (سنهدرين ص ٢ فما) ان أحد مؤسسي ١٠
ديانة التلمود كان بامكانه أن يخلق [كذا] رجلا بعد ان يقتل آخر .
وكان يخلق [كذا] كل ليلة عجلاً عمره ثلاث سنوات بمساعدة حاخام آخر وكانا يأكلان منه معا .
وكان أحد الحاخامات أيضا يحيل القرع والشمام ١٥
الى غزلان ومعيز (سنهدرين ص ٧٠)[١] .

التأويل الباطني : ان التأويل الباطني مما سبقت نبذة عنه في هذا المجال (ر. ص ١١٠) وسيأتي الحديث عنه تفصيلا في الباب الخاص بعقائد الباطنيين (ر. ص ١٨٠ فما) .

قول المغيرية بأن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع ، مما عزاه ٢٠

١- الكنز المعبود في قواعد التلمود ، ط ٢ ، بيروت ، ١٣٨٨ ، ص ص ٥٦ ، ٥٧ .

"لويس" الى فرقة "العيسوية" اليهودية التي ظهرت أيام عبدالملك ابن مروان (تولى الخلافة من ٦٥ - ٨٦)* . وكانت "العيسوية" تقول بصدق نبوة محمد (ص) وعيسى (عليه السلام) بالنسبة لوطنيهما وشعبيهما اللذين ظهرا فيما ، واعتبر "لويس" ذلك نواة لما تطور عند الباطنيين - بعد ذلك - وسماه شمولية العقيدة.[١] ٥

وتحدث "الشهرستاني" عن الفرقة اليهودية "العيسوية" المنسوبة الى "أبي عيسى اسحق بن يعقوب الاصفهاني ، أو "عوفيد الوهيم أى عابد الله ، فذكر أنه :

كان في زمن المنصور [العباسي الذي تولى الخلافة من ١٣٦ - ١٥٨]** ، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد الحمار [تولى الخلافة من ١٢٧ - ١٣٢]*** ، فاتبعه بشر كثير من اليهود ... ١٠

زعم أبوعيسى أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر. وزعم ان للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدا بعد واحد . وزعم ان الله تعالى كلمه وكلفه أن يخلص بني اسرائيل من أيدي العاصين والملوك الظالمين . وزعم ان المسيح [ربما يعني المنتظر] أفضل ولد آدم ، وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين ، وأنه هو رسوله فهو أفضل الكل.[٢] ١٥

---

* انظر ذلك في: الاعلام ٤/ ٣١٢

** انظر: الاعلام ٤/ ٢٥٩

*** انظر: الاعلام ٨/ ٩٦ ، ٩٧ .

١. انظر : أصول الاسماعيلية ص ١٩٤

٢. الملل والنحل ٢/ ٢١٥ ، ٢١٦

وعلى ضوء ما ذكر " الشهرستاني " فإن عصر الفرقة العيسوية ليس في أواخر القرن الأول كما ذكر " لويس " بل في أوائل القرن الثاني بين الدولتين الأموية والعباسية ، وفي هذا مقال . ومن ناحية أخرى فإن ما ذهب اليه " لويس " من اعتباره دعوى " العيسوية " في عيسى ومحمد (ص) بداية للقول بشمولية العقيدة ، كل ذلك يكاد يكون بعيدا . وان ما يمكن للباحث قوله هو : أن شبها ما قد يقع بين تفكير " المغيرية " وما ذهبت اليه " العيسوية " ، ويحتمل أن تكون دعوى " شمولية العقيدة " مما شجع اليهود على انتشاره ليظلوا متميزين بين غيرهم ، ولكن على نحو آخر له علاقة تشبه ما قيل عن : " بروتوكولات حكماء صهيون " وأمثاله وهو بحث يحتاج الى دقة أكثر كي يقال فيه رأي .

وعلى العموم فان " المغيرية " — سواء من حيث كونها كيسانية حنفية أم حسينية — لم تبتعد في عقائدها عن الأصل السبئي أو المنهج السبئي للغلوكتيرا .

ب — الغلاة الحسينيون :

هم الشيعة الذين غلوا في الأئمة من ذرية " الحسين بن علي بن أبي طالب " ، وهؤلاء يمكن اعتبارهم — منذ النظرة الأولى — البعد التاريخي للفرق الباطنية على هذا الأساس وأشهر فرقهم :

١ — المنصورية :

ظهرت هذه الفرقة كما سيأتي بعد وفاة " أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين " الباقر " (— ١١٤) اذ زعم مؤسس هذا الفرقة ، " أبو منصور العجلي " أنه الامام بعد " الباقر " على سبيل التفويض والوصية [١] ، وكان " أبو منصور "

١. انظر : المقالات والفرق ص ٤٦ وفرق الشيعة ص ٥٤ ومقالات الاسلاميين ١/ ٧٤ ، ٧٥

يلقب " بالكسف " اثر مخاصمة بينه وبين نظرائه في الغلو "بالمغيرية "[١]
فاول علّي نفسه الآية الكريمة "(وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مركوم)[*] ، كما لقب أيضا " بالخناق " لأمره أتباعه باغتيال مخالفيهم
خنقا وسمره " الجهاد الخفي "[٢] ، وذكر "ابن حزم " سبب ذلك نقلا
عن " هشام بن الحكم الرافضي " في كتابه " الميزان " ؛ وهو أن " المنصورية" ٥
و " المغيرية " :

لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه ، فهم
يقتلون الناس بالخنق والحجارة[٣] .

يمكن بعد ذلك القول أن : المنصورية ممن قال بأن ظهور القائم
المنتظر هو اعلان لظهور دولتهم ، واعلان للجهاد ضد مخالفيهم ؛ ولذلك ١٠
علاقة بما يوجد في عقائد بعض الغلاة أمثال " جابر الجعفي "[**](ـ ١٢٨)
الذي ذكر سفيان بن عيينه[***] (ـ ١٩٨) تفسيرا غاليا للآية (فلن أبرح
الأرض حتى يأذن لي أبي ...)[****] بأنهم ينتظرون مناديا ينادى من السماء
ان اخرجوا مع فلان ونسب ذلك التأويل الباطني الى جابر المذكور[٤] ، وقد
سبق الحديث عن " حمزة بن عمارة البربري " الذي ينتظر سبعة أسباب ١٥
من السماء ليملك الأرض (ر. ص ٨٧) ، ولكل ذلك علاقة بفكرة
القائم المنتظر المنتقم ؛ السبئية الأصل (ر. ص ٦١) وهذا مما له
علاقة وثيقة بما قالت به الباطنية من أن القائم السابع رمز علّي الدعاة

---

١. انظر : المقالات والفرق ص ٤٨
* السطور ٤٤
** انظر ترجمته فى الاعلام ٢/ ٩٣
*** انظر ترجمته فى الاعلام ٣/ ١٥٩
**** سورة يوسف ٨٠
٢. انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ وفرق الشيعة ص ٥٤
٣. الفصل ٤/ ١٨٥
٤. انظر : صحيح مسلم بشرح النووى . القاهرة ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، د . ت ، ص ص ١٠٢ ، ١٠٣

السابعة من دعائم الاسلام وهي الجهاد[١] • ومن رأي " المنصورية " هذا بذاته يمكن القول ان العمل في الخفاء ظهر علـى يد هذه الفرقة أول ما ظهر عند الغلاة حتى صار رمزا للعقيدة الباطنية •

ولكن لقب الخناق الذي اقترن "بأبي منصور" وفرقته، أقترن كذلك بمقتل " ابن ابي منصور " وخليفته من بعده " الحسين بن أبي منصور " الذي قتله أحد الولاة وكان يلقب "بالخناق " أيضا[٢]، فهل في ذلك التباس أم مجرد مصادفة •

وبالعودة الى انتماء هذه الفرقة الشيعية الغالية فان من الصواب الاشارة الى أنها لم تكن حسينية تماما ، بل ان فرقة منهم قالت بعد وفاة أبي منصور (- ١٢٥)* بامامة "النفس الزكية" وأنه امام صامت[٣] • وربما كان هذا أول قول بالامام الصامت •

ان " المنصورية " ظهرت بعقائد غالية كان بعضها معروفا لدى من سبقها من الغلاة ، كما قالت بعقائد غالية أخرى لم تعرف من قبل •

ففي الامامة مثلا ، قال أبو منصور :

آل محمد هم السماء والشيعة هم الأرض[٤] •

---

١. انظر : القاضي النعمان • دعائم الاسلام ج ١ ، ط ٣ ، تحقيق آصف فيضي ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٨٩ ، ص ٢

٢. انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ وفرق الشيعة ص ٥٤
* انظر في هذا التاريخ : لويس ص ٩٥
٣. انظر : المقالات والفرق ص ٤٨ والفصل ٤/١٨٦
٤. المقالات والفرق ص ٤٨ وانظر أيضا : مقالات الاسلاميين ١/ ٧٤

ان " ابا منصور العجلي " بعد أن ادعى الامامة بعد أبي جعفر "الباقي " بالوصاية والتفويض ، بدأ يخلط — كعادة زعماء الفرق الغالية حينئذ — بين النبوة والرسالة والامامة ، فقال :

كان علي بن أبي طالب نبيا رسولا وكذلك الحسن
والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وأنا ٥
بعدهم نبي ورسول ، والنبوة والرسالة في ستة
من ولدي يكون بعدي آخرهم المهدى القائم .[١]

يلاحظ على النص وهو " للأشعرى القمى " أن عبارة (يكون بعدي) غريبة وقد لاتنسجم مع ما قبلها وما بعدها ، ولذلك لابد من الاشارة أن العبارة وردت عند " النوبختي " هكذا (يكونون بعدي أنبياء) وهذا يرجع ١٠ احتمال خطأ في نسخ النسخة الوحيدة لكتاب " الأشعري القمي " .

ومن ناحية أخرى فان ما ذكره " الأشعري القمي " و " النوبختي " مؤيد بملاحظة منسوبة " لابن فقيه "[*] [؟] ذكرها " دي جويه " ونقلها عنه " فريد لاندر " ، وهذه الملاحظة تقول : ان أبا منصور :

كان يتولى سبعة أنبياء من بني قريش [كذا] وسبعة من بني عجل .[٢] ١٥

ان ما نقل عن ابن فقيه ، قد يختلف عن نص النوبختي والأشعري القمي في نقطة هي أن قول أبي منصور بسبعة أنبياء من قريش لا يتأتى الا باضافة سيدنا محمد (ص) ومحمد بن الحنفية ، وهو احتمال قد لانحتاج

---

١. المقالات والفرق ص ٤٧ وأنظر أيضا " النوبختي ص ٥٤
* الشخص غير معروف عندي وانظر فى الاعلام ٤/٤٥ ترجمة عن من ورد فيه بهذه الكنية وهو : ابن فقيه فصه (— ١٠٧١) ، واسمه : عبدالباقي بن عبدالباقي بن عبدالقادر .
٢. انظر مقالة فريد لاندر فى : JAOS vol. XX p.89

اليه ، لأننا بصدد دعوى جاء بها " أبو منصور " فحواها أن هناك سبعة أنبياء من بني عجل : أولهم " أبو منصور " وآخرهم " المهدي القائم ".

أضاف بعض أصحاب المقالات الى " أبي منصور " زعما آخر ، وهو :

ان الله بعث محمدا بالتنزيل وبعثه يعني نفسه بالتأويل ، وأن منزلته من رسول الله منزلة يوشع بن نون من موسى بن عمران ، وأنه الذي يقيم الأمر بعده .[١]

قد يتطرق الشك الى صحة هذا النص لمصادمته ما ورد آنفا من قول أبى منصور بنبوة "علي بن أبي طالب " ومن بعده من ولده فلا يعقل أن يعتقد في هذا العدد من الأنبياء ، ثم يعتبر نفسه الزميل الثاني لمن بينه وبينه ما يقرب من قرنين من الزمان ، وعليه فاحتمال أن أبا منصور لم يعن نفسه بقدر ما عنى علي بن أبي طالب قائم ، وأقول هذا عطفا على ما في النص من دلائل ، واضافة الى وجود تلك العقيدة من قبل لدى الغلاة .

وقد يكون مغزى ما ذهب اليه " أبو منصور العجلي " مما يتعلق بالحلول الذي يعتبر روح الله حالة في شخص ثم في شخص آخر بعد موت الأول (ر.ص ٢٣٩) وبذلك يكون وصفه لنفسه بأنه مبعوث بالتأويل على هذا الأساس الذي قد يكون له علاقة بما قالت به الباطنية من عدم انقطاع الامامة لأنها تنتقل من شخص لآخر ولذلك لن نستغرب ما قال به أبو منصور من أن :

رسل الله لا تنقطع أبدا .[٢]
وذلك بمعنى التأويل وليس بمعنى التنزيل .

---

١. انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ وفرق الشيعة ص ٥٤
٢. مقالات الاسلاميين ١/٧٥ وانظر : الفصل ٤/١٨٥ والتحفة الاثني عشرية ص ١١

ونقل أن "أبا منصور" زعم أنه عرج به الى السماء ، وأنه قابل ربه ومسح عليه وقال له " بالفارسية " أو" السريانية " : يا بني بلغ عني ،[1]

وقالت " المنصورية " بالتأويل الباطني ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك في تفسيرهم لكلمة " الكسف " ، كما أولت هذه الفرقة الجنة ، بانها رجل أمروا بموالاته وهو امام الوقت والنار آخر أمروا بمعاداته وهو خصم الامام . وكذا الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر والميسر وغير ذلك أولوها الى رجال حرم الله موالاتهم ، فاستحلوا المحارم وأسقطوا الفرائض واستدل أبو منصور في ذلك بقوله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ...)* وذكر " الشهرستاني " مقصودهم من ذلك التأويل ، ما يمكن أن يلخصه الباحث بارجاع القارئ الكريم الى ما ذكرته الغلاة بأن من عرف الامام فليصنع ما يشاء (ر . ص ٨٧) .[2]

وليس بعيدا أن تكون المنصورية موجودة بشكل أو بآخر حتى سنة ١٦٠ أو ما بعدها لأن " عمر الخناق " الذي قتل " الحسن بن أبي منصور" كان في زمن "أبي جعفر المنصور" (- ١٥٨) وفي رواية أخرى أن قتل الحسن المذكور كان على عهد الخليفة المهدي بن أبي جعفر (- ١٦٩)** .[3]

عقائد المنصورية :

على ضوء ما سبق يمكن تلخيص عقائد أبي منصور وفرقته على النحو التالي :

* ادعاؤه الرسالة والنبوة والامامة .

---

١. انظر فرق الشيعة ص ٥٤ والمقالات والفرق ص ٤٦ والفرق بين الفرق ص ٢٣٤ والملل والنحل ١/ ١٧٩
* المائدة ٩٣
** انظر ترجمته في: الاعلام ٧/ ٩١
٢. انظر : الملل والنحل ١/ ١٧٩ وانظر ايضا : مقالات الاسلاميين ١/ ٧٥ والفصل ٤/ ١٨٥ .
٣. انظر : المقالات والفرق ص ٤٧ وفرق الشيعه ص ٥٤ والفرق بين الفرق ص ٢٣٥ والفصل ١/ ٨٩ والملل والنحل ١/ ١٧٩ .

* القول بسبعة أنبياء أو أئمة آخرهم المهدي القائم ٠

* القول بالامام الصامت والامام الناطق ٠

* القول بالاستيداع في الامامة ٠

* القول بعدم انقطاع الرسل والرسالات ٠

* القول بالتأويل الباطني ٠ ٥

* تجسيد الله وادعاء أبي منصور أنه قابل معبوده وأنه ربت على رأسه. وناداه بالأبوة ٠

* اغتيال الخصوم سرا حتى يظهر القائم المنتظر ٠

الفكر اليهودي في عقائد " المنصورية " :

حيث ان معظم عقائد " المنصورية " مما سبق الحديث عنه في فرق الغلاة ١٠ الشيعة من حيث علاقتها بالفكر اليهودي ، فان لبعض العقائد التي ظهر بها علاقة ما بالفكر اليهودي من ذلك مثلا :

* قوله بالتسبيع وقد سبق الحديث عن ذلك في فرق الراوندية والعباسية (ر ٠ ص ١٠٠) وسيأتي تفصيل له في عقائد الفرق الباطنية (ر٠ص ١٩٩ فما)

* وقولهم باغتيال الأخصام سرا ليس من الأساليب الاسلامية في نشر الدعوة ١٥ فهو لم يؤثر في عقيدتنا ، وما ذكر من ذلك حول مقائل بعض أفراد من اليهود في المدينة على عهد رسول الله (ص) انما حدثت بعد حرب بين المسلمين واليهود ، لجأ فيها اليهود الى الخيانة والمؤامرة للنيل من الاسلام ولم يكف شرهم الا بعد قتل الطلائع التى كانت تتزعم تلك الطريقة ٠

واسلوب الاغتيال للاخصام قد يوجد في أي بيئة تظهر فيها دعوى ٢٠ جديدة ، الا أن اليهود كما هو معروف يتعاطون هذا الأسلوب حسب عقائدهم الخفية وله طقوس تتعلق بعباداتهم ، كما تفصله حادثة مقتل

القس توما[١]

* زعم أبي منصور أنه عرج به الى السماء في قصة تشبه ما نسب الى الفرقة اليهودية " العيسوية " التي ادعى مؤسسها "أبوعيسى الاصفهاني " [٢] نفس هذه الدعوى ، كما تقدم ذلك من قول الشهرستاني (ر٠ ص ١١٦)، وكما نقل " فريد لاندر" عن " المقريزي ". ونبه الأول الى وجود تشابه أو علاقة ما بين الفرق اليهودية التي تكونت تحت السلطة العربية [٣] - على حد قوله - وبين الفرق الاسلامية ، وخاصة الشيعية منها ٠ ان عبارة فريد لاندر قد لاتوحي بأي معنًى ، الا أن يكون قصد وجود تأثير من الغلاة وخاصة الفرقة المنصورية في الفرق اليهودية التي ظهرت حينئذ ، وهذا عكس الصورة التي كانت معروفة وهي الوجود اليهودي في الفرق الباطنية ٠ وهذا لا يعني عدم صحة الاحتمال الجديد فالفرقة اليهودية العيسوية كانت معاصرة تقريبا للمنصورية بل كانت المنصورية سابقة لها ، لأنها ظهرت بعد وفاة " الباقر" (ـ ١١٤) بينما ظهرت "العيسوية" أيام مروان بن محمد الشهير بالحمار الذي تولى زمام الحكم (سنة ١٢٧) أى بعد وفاة أبى منصور العجلى (ـ ١٢٥) ، ولكن توافق المنصورية مع " العيسوية " في هذه النقطة الخاصة بالعروج الى السماء وما الى ذلك ، وفى مسألة أخرى هي قول أبي منصور بسبعة أنبياء من بني عجل آخرهم المهدي القائم (ر ٠ص ١٢٠) وقول أبي عيسى الاصفهاني بظهور خمسة من الرسل قبل مسيحه المنتظر ٠ واذا اعتبر أبوعيسى اليهودي الرسل الخمسة غيره ، فانه يكون بهم ستة والسابع هو المسيح ، أما اذا اعتبر نفسه أحد الخمسة

---

١٠ انظر ما كتب عن الحادثة بالتفصيل فى كتاب: الكنز المرصود ص ص ١١١ — ٢١٨ ٠

٢٠ انظر: دائرة المعارف اليهودية العامة UJE, v.5 (Isfahani, Abu Isa) P.607

٣٠ انظر مقالته : JAOS, v. XXIX p.90

فيكون المسيح المنتظر هو السادس . وفي كلا الحالتين فالتقارب واضح جدا بين " المنصورية " و " العيسوية " وهذا يجعل الباحث في حاجة ماسة الى الانتظار كي يصدر حكما في هذه المسألة .

ب — الخطابية :

فرقة ظهرت أيام أبي عبدالله جعفر بن محمد " الصادق " (— ١٤٨)* وسميت بالخطابية نسبة الى زعيمها ؛ أبي الخطاب بن ابي زينب[١] ، وهو ؛ محمد بن مقلاص بن أبي زينب الأجدع البراد ، عبد بني أسد[٢]، كما نسبه جعفر بن محمد نفسه[٣] . وقد كني " أبو الخطاب " أيضا بأبي الظبيان وأبي اسماعيل ، وللكنية الاخيرة أبعاد عدة تتعلق بنشأة الاسماعيلية فليلاحظ ذلك منذ الآن . وذكر الأشعري القمي أن " الخطابية " أو فرقة منهم يسمون بالمخمسة لقولهم بظهور الله عز وجل في خمسة أشباح هم : محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين[٤] .

سبقت الاشارة الى أن " جعفر بن محمد " لعن أبا الخطاب بين السبعة الذين لعنهم (ر. ص ٨٢) .

ولكن تاريخ " أبي الخطاب " كان قبل لعن " جعفر " له كما يرى الباطنيون وغيرهم فقد :

> كان أبو الخطاب في عصر جعفر بن محمد (ص) من أجلّ دعاته ، فأصابه ما أصاب المغيرة [يعني صاحب فرقة المغيرية] فكفر وادعى النبوة ، وزعم أن جعفر بن محمد اله[٥] .

---

* انظر : ترجمته في الاعلام ٢ / ١٢١
١. انظر : مقالات الاسلاميين ١ / ٧٦
٢. انظر : المقالات والفرق ص ٥٥
٣. انظر : رجال الكشي ص ١٨٧
٤. انظر : المقالات والفرق ص ٥٦
٥. القاضي النعمان بن حيون المغربي (داعي الدعاة) (— ٣٦٣) . دعائم الاسلام ، ج ١ ، ط ٣ ، تحقيق آصف فيضي ، القاهرة ، دار المعارف ١٣٨٩ ، ص ٤٩ وانظر ايضا : الملل والنحل ١ / ١٧٩

واذا صدق هذا الوصف لحالة أبي الخطاب ، فانه يكرر لنا شخصية "عبدالله بن سبأ اليهودي" ، حين كان يتقرب الى أمير المؤمنين علي في الوقت الذي كان ينشر الغلو ، كما ذكر ذلك عنه القاضي عبدالجبار (ر٠ ص ٣٢) والبغدادي (ر٠ ص ص ٣٣ ، ٣٤) ، والذى ذهب الباحث اليه بنصه يتضح في رواية "الكشي" عن أبي عبدالله جعفر بن محمد : انّا أهل بيت صادقون لا نخلوا من كذاب يكذب علينا ٠٠٠ (ر٠ ص ٢٨) ، وذكر سلسلة من الكذابين بدءاً بمسيلمة فابن سبأ وانتهاء "بأبى الخطاب"٠ ٥

ان "مسيلمة" وان كان أول الكذابين شهرة ، الا انه لم يكن على الصورة المخادعة التي ظهر "ابن سبأ" بها فقد كان مقيما باليمامة ، فادّعى النبوة وأرسل خطابا بذلك الى النبيّ (ص) بداه بقوله : ١٠

من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله ٠٠٠[١]

ان مسيلمة وان وفد الى "المدينة المنورة" فانه لم يكن برغبة صحبة النبي (ص) ليكذب عليه ، بل انه قدم اليها ليفاوض رسول الله (ص) على أن يكون الأمر له بعده[٢]٠

أما "عبدالله بن سبأ" فقد اندس بين المسلمين على أنه واحد منهم ، ليحيك في الظلام أمرا مبيتا ، وكذا فان "أبا الخطاب" وأمثاله ظهروا من خلال دعوى مشايعة أهل البيت النبوي والدعوة اليهم ، فغيروا في الاسلام وبدلوا وقدموا دينا جديدا على أنه الاسلام كذبا وزورا ، فهل كان أبو الخطاب قفازا ليد مجهولة أم أنه شخصية تنكرت بهذا الاسم ؟ ١٥

---

١. يراجع كتاب مسيلمة في أبي داود ، ك ١٥ ب ١٥٤ وانظره أيضا في تاريخ الطبري ٢/١٤٦٠

٢. انظر الأحاديث عن ذلك في صحيح البخاري ، في فتح الباري جـ٦ ، ك ٦١ ب ٢٥ ح ٣٦٢٠ ص ٦٢٦ و جـ ٨ ك ٦٤ ب ٧٠ ح ٤٣٧٣ ص ٨٩ و ص ٩١

وعلى ذلك فلا غرابة اذا قيل ان أبا الخطاب ادعى :—

ان جعفر جعله قيمه ووصيه من بعده وانه علمه اسم الله الأعظم ... [كما ادعى أيضا] أنه جعفر بن محمد وأنه يتصور في أي صورة شاء ، وذكر بعض (الخطابية أن رجلا سأل)* جعفر بن محمد عن مسألة وهو بالمدينة فأجابه فيها ثم انصرف الى الكوفة سأل [كذا] أبا الخطاب عنها فقال له : أو لم تسألني عن هذه المسألة في المدينة فأجبتك فيها ؟ .[١]

وقد أجرى "علي سامي النشار" دراسة حول تناقض وجده بين ما ادعاه "أبو الخطاب" من صحبة "جعفر" ثم تأليهه له ؛ الأمر الذي شككه فيما اجتمعت عليه المصادر السنية والشيعية على حد قوله فيما أسماه بأساطير حول الرجل — أبي الخطاب —.وقادت النشارَ دراستُه الى القول بأن أبا الخطاب بريء من آراء الفرقة الخطابية .[٢]

ولكن الأمر يبدو على غير ذلك تماما اذا درس من زاوية أخرى ؛ أكثر موضوعية ،وهذا يتطلب الوقوف على المصادر "النصيرية" التي رغم الخرافات المسيطرة عليها فاننا نستطيع من خلال تبجيلها لأبي الخطاب أن نستشف ما كان عليه هذا الرجل من الغلو الذي أجمعت عليه مصادر السنيين ، والشيعة بالاضافة الى النصيريين ؛ ورغم ذلك فليست الفرقة "الخطابية" بمنأىً عن عقائد غالية نسبت الى أبي الخطاب . وفوق ذلك فليس أبو الخطاب شخصا طارئا بغلوه ؛بل هو حلقة في سلسلة الغلاة . والعقائد التي جاء بها أو نسبت اليه ليست شيئا جديدا على هذه الطائفة .

---

* ما بين القوسين زيادة من المحقق .

١. المقالات والفرق ص ٥١

٢. انظر : نشأة الفكر الفلسفي ٢/ ٢٣٤ — ٢٤٣

وفي مرجع " نصيري " نجد حديثا مقترنا بالاعجاب بأبي الخطاب والحديث تأكيد لظهور أبي الخطاب بدعوَى غالية ، وهو كما يلي :—

اليوم الذى نصب فيه " جعفر " " محمد الزيبني " وأقامه للناس علما وقال من كنت وليه فمحمد وليه ...

قال " محمد بن سنان " سئلت عن اليوم الذي أظهر فيه أبو الخطاب الدعوة بدار الرزق فقتل • فقال ذلك يوم عظيم •[1]

ان دعوة أبي الخطاب التي أظهرها في " دار الرزق " فقتل من أجلها هي غلوه في أبي عبد الله جعفر بن محمد بادعاءه الألوهية فيه وادعاءه النبوة والرسالة لنفسه ، وقد ذكر الأشعري القمي القصة بالتفصيل ووضع أن ظهوره بهذه الدعوَى كان في " مسجد الكوفة " وأن " دار الرزق " كانت المكان الذي قتل فيه أبو الخطاب وصلب علَى يد " موسَى بن عيسَى " عامل أبي جعفر المنصور علَى الكوفة •[2]

الفِرق الخطابية :

الغالب في فرق غلاة الشيعة أنها لا تتفتت الا بموت زعيمها ، أو الامام الذى تنتسب اليه ، وقد شذت عن هذه القاعدة بعض الفرق ، عن ذلك ما كان من أمر " الخطابية " التي قيل أن تفرق أصحابها كان بعد لعن جعفر أبا الخطاب ولعنهم وتبرأ منه ومنهم[3] ، وقيل في تفرقهم أنهم أصبحوا أربع فرق كما قيل أنهم غير ذلك[4] • ولن نتحدث الا عن أربع فرق من الخطابية اكتفاء بما أشير اليه •

---

١. مخطوطة : مجموع حقيقة حق اليقين في معرفة سر أسرار مولانا أمير المؤمنين • مكتبة جامعة كامبرج رقم BROWNE. Ms. E2: ص ص ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ١٢٩ •

٣. انظر المقالات والفرق ص ص ٨١ — ٨٣ وانظر أيضا : الزينة (عبد الله سلوم السامرائى) ص ٢٨٩ —٣— انظر : المقالات والفرق ص ٥١

٤. انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ٧٦ والمقالات والفرق ص ٥١ والفرق بين الفرق ط صبيح ، ص ٢٤٧ والفصل ٤/ ١٨٦

١- المعْمرية : قالوا بامامة "مَعْمر" بعد أبي الخطاب وعبدوه كأبي الخطاب[١] على نحو من حلول روح الله فيه بعد خروجها من جعفر الى أبي الخطاب "فمعمر" واسمه "معمر بن الأحمز" بياع الطعام .[٢]

٢- البزيعيه : أو البزيغية ، وهم أصحاب بزيع أو بزيغ بن يونس أو ابن موسَى . وكان حائكا في الكوفة .[٣] وقال أتباعه فيه انه شريك أبي الخطاب في النبوة والرسالة أي زميله في ذلك ، مثل هارون وموسى .[٤] وهذا يذكرنا بعبارة الزميل الثاني التى ظهرت في البيئة الاسلامية على يد عبدالله بن سبأ باسم الوصي ، ومن المحتمل أن ذلك رأي كثير من الفرق الباطنية في علي بن أبي طالب .

٣- العميرية ، أو العجلية : اتباع عمير أو عمر بن بيان العجلي التبان بالكوفة ..[٥]

٤- الخطابية المطلقة : وهي الفرقة التى ثبتت علَى "أبي الخطاب" وأنكرت امامة من بعده ،[٦] وليس ببعيد أن تكون هذه الفرقة أساسا للفرق الباطنية القائمة اليوم ، لأننا نجد "النصيرية" تقول بآراء خطابية أو مؤيدة لأبي الخطاب . وبالنسبة للاسماعيلية فان تكونها من الخطابية أو فلولها مما أشار اليه الأشعري القمي والنوبختي وذكر الداعي أبو حاتم الرازي أن أبا الخطاب كان يقول بامامة اسماعيل ابن جعفر . وفي ذلك نظر ، وقد أكد الداعي الباطني المذكور ما ذهب اليه الأشعري القمي والنوبختي .[٧]

---

١. انظر : مقالات الاسلاميين ٧٨/١ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٨
٢. انظر : المقالات والفرق ص ٥٣ والفصل ١٨٦/٤ والملل والنحل ١٨٠/١ ، والزينة (السامرائي) ص ٣٠٦
٣. انظر : المقالات والفرق ص ٥٢ ومقالات الاسلاميين ٧٨/١ والبغدادي ط صبيح ص ٤٨ والفصل ١٨٦/٤ والملل والنحل ١٨٠/٠ والتحفة الاثنى عشرية ص ١٠ ٤. انظر : المقالات والفرق ص ٥٢
٥. انظر : الفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٩ والفصل ١٨٦/٤ والتحفة ص ١٣ والملل والنحل ١٨٠/١ - ٦. انظر الفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٥٠
٧. انظر الزينة (السامرائي) ص ٢٨٩ والمقالات والفرق ص ٨١ وفرق الشيعة ص ٨٠

وردت في كتب المقالات أسماء لفرق خطابية أخرى مثل : المخمّسة والمفضلية وأصحاب السري الأقصم والميمية والعيْنية[١] ولمعظم هذه الأسماء عقائد خطابية ظهرت بشكل أو بآخر في الفرق الباطنية.

قالت الفرق الخطابية :

ان الأئمة أنبياء محدثون ، ثم قالوا : انهم رسل الله وحججه علَى خلقه وقالوا بالناطق والصامت ، فالناطق محمد (ص) والصامت علي ، واستدلوا علَى ذلك بقوله تعالى : " ثم أرسلنا رسلنا تترَى "[٣*] [٢]

ان الأئمة يعلمون ما كان وما هو كائن وان طاعتهم مفترضة علَى جميع الخلق ، ثم ادعوا الوهيتهم وخاصة جعفر بن محمد ،[٤] وهذا دليل على قولهم بالحلول ، ويوضحه قولهم بظهور الله عز وجل في أصحاب الكساء وهذا يخص فرقة المخمسة منهم (ر. ص ١٢٦) وحينما قالت فرقة منهم بذلك ردوا عليهم بقولهم :-

كيف يكون هذا ومحمد صلوات الله عليه لم يزل مقرا أنه عبد الله وأن الله الهه واله الخلق أجمعين وهو اله واحد وهو رب السماء والأرض والههما ، واله من فيهما لا اله غيره ، قالوا : ان محمدا كان يوم قال هذا عبدا رسولا وكان الذي أرسله أبو طالب ، وكان النور الذى هو الله فى عبد المطلب ثم صار في أبي طالب ثم صار فى محمد ثم صار في علي فهم آلهة كلهم .[٥]

---

١. انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ٧٩ ، والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٩، والملل والنحل ١/ ١٨١ والمقالات والفرق ص ص ٥٢ ، ٥٦ وفرق الشيعة ص ٥٨ والزينة (السامرائى) ص ٣٠٧

٢. انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ٧٦ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٧ ، والملل والنحل ١/ ١٧٩ والتحفة الاثنى عشرية ص ١٢ .

* المؤمنون ٤٤

وقالوا : ان بني الحسين أو الحسن والحسين أبناء الله وأحباؤه ثم قالوا ذلك في أنفسهم [١]، ونسب الأشعري القمي ذلك الى فرقة منهم تولت نبوة " السري الأقصم "، وهم :

زعموا أن جعفرا هو الاسلام والاسلام هو السلم والسلم

هو الله ونحن بنو الاسلام ، كما قالت اليهود : نحن ٥

أبناء الله وأحباؤه [*] .

وقد قال رسول الله لسلمان : سلمان بن الاسلام [٢].

اذا وضع مفهوم العبارات التي احتواها النص السابق في اطار أعمق ، فانها تذكرنا بكلمة اليهود عن أنفسهم أنهم (شعب الله المختار)

وبما ورد في القرآن الكريم ، قال تعالى : (وقالت اليهود والنصارى نحن ١٠

أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق ......) [**]

وقال الخطابيون : ان الدنيا لا تفنى ، وعليه فقد اعتبروا الجنة ما يصيب الانسان من خير ونعمة وعافية ، والنار ما يصيبه من خلاف ذلك [٣] وقد عزا الداعي الباطني " أبو حاتم الرازي " ذلك الى جميع أصناف الغلاة [٤] . وقد

---

٣. انظر المقالات والفرق ص ٥١ ومقالات الاسلاميين ١/ ٧٦

٤. انظر المقالات والفرق ص ٥١ ومقالات الاسلاميين ١/ ٧٧ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٧ والملل والنحل ١/ ١٧٩ ودعائم الاسلام ١/ ٤٩ .

٥. المقالات والفرق ص ص ٥٣ ، ٥٤ وانظر فرق الشيعة ص ص ٥٩ ، ٦٠

* المائدة ١٨

١. انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ٧٧ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٧ ، والملل والنحل ١/ ١٧٩ والتحفة الاثني عشرية ص ١٢ والفصل ٤/ ١٨٧

٢. المقالات والفرق ص ٥٢ وأنظر ايضا فرق الشيعة ص ٥٨

** المائدة ١٨

٣. انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ٧٨ والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٨ ، والملل والنحل ١/ ١٨٠

٤. انظر : الزينة (السامرائي) ص ص ٣٠٨ ، ٣٠٩

وجد مثل ذلك عند الباطنية واليهود (ر. ص ٣٠٠ فما) .

وقالوا بعدم موتهم واستبدلوا به البلوغ وهو العلو والارتفاع في العبا ، فان أحدهم اذا بلغ النهاية في دينه رفع الى الملكوت، وادّعوا معاينة مرفوعيهم بكرة وعشيا[١] . وكذبت فرقة منهم هذا القول وهي الفرقة " العميرية "[٢] وقالت بالموت .

وفي التأويل الباطني سارت الخطابية علَى ما سار عليه نظراؤهم من الغلاة ؛ فقادهم ذلك الى استحلال الزنا والخمر وسائر المحرمات وزعم " معمر بن الأحمر " أن كل شيء فرضه الله في القرآن وحرمه وأحله ؛ فانما هو رجال وتأولوا على ما استحلوا لأنفسهم قوله تعالى : (يريد الله أن يخفف عنكم)[*][٣] وذكر داعي الدعاة الباطنيين القاضي النعمان (- ٣٣٦) ؛ أن الخطابيين كانوا :

> كلما ثقل عليهم أداء فريضة ، أتوه وقالوا : يا أبا الخطاب خفف علينا ، فيأمرهم بتركها ، حتى تركوا جميع الفرائض[٤] .

وفي مثل ذلك قال كل من النوبختي والأشعري القمي ؛ أنهم :

> قالوا خَفَّفَ عنا بأبي الخطاب ووضع عنا الأغلال والآصار يعنون الصلاة والزكاة والصيام والحج[٥] .

ونجد مثل ذلك عند الفرق الباطنية (ر. ص ١٧٠، ١٧١) .

---

١. انظر مقالات الاسلاميين ١/ ٧٨ ، ٧٩ والفرق بين الفرق ، ط صبيح ص ٢٤٨ والفصل ٤/ ١٨٧ .
٢. انظر : الفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٩ .
* النساء ٢٨
٣. انظر : المقالات والفرق ص ص ٥١ - ٥٣ ومقالات الاسلاميين ١/ ٧٨ ، والفرق بين الفرق ط صبيح ص ٢٤٨ وفرق الشيعة ص ٥٧
٤. دعائم الاسلام ١/ ٤٩
٥. فرق الشيعة ص ٥٨ وأنظر أيضا : المقالات والفرق ص ٥٢

وفي التفسير الباطني لقوله تعالى : (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها) * فان الخطابيين يقولون :

ان السفينة أبو الخطاب وان المساكين أصحابه
وأن الملك الذى وراءهم عيسى بن موسى ، وهو الذي
قتل أبا الخطاب ، وأن أبا عبدالله أراد أن يصيبنا
بلعنه ايانا في الظاهر ، وفي الباطن عنا [ربما كان
الصواب عنى] أضدادنا ومن خالفنا [1].

وذكر " الأشعري القمي " أن " جعفر بن محمد " لما سمع تلك المقالة أكد لعنه لأبي الخطاب نفسه فسماه ونسبه (ر. ص ١٢٥) .

ذكر " ابن حزم " ان الخطابية كثروا في الكوفة حتى تجاوز عددهم الألوف [2]، ولعل ذلك سبب بعض المشاكل من حيث احتكاكهم بسواهم في المجتمع الكوفي ؛ مما حدا بزعيمهم أبي الخطاب الى أن يحلل لهم شهادة الزور ضد خصومهم ، وقبل مناقشة هذه الظاهرة التى عرفت عن الخطابية لابد من ايراد النصوص التى تتحدث عن ذلك . قال أصحاب المقالات أن الخطابية :

أباحوا الشهادات بعضهم لبعض ، وقالوا من سأله
أخوه في دينه أن يشهد له على مخالفه فليصدقه وليشهد
له بكل ما سأله وان ذلك فرض واجب عليه ، فان لم يفعل
فقد ترك أعظم فريضة من فرائض الله بعد المعرفة [3].

وهم يتدينون بشهادة الزور لموافقيهم [4].

---

١. المقالات والفرق ص ص ٥٤ ، ٥٥
٢. أنظر : الفصل ١٨٧/٤
٣. المقالات والفرق ص ٥١ وأنظر ذلك في : فرق الشيعة ص ٥٧
٤. مقالات الاسلاميين ٧٨/١ وانظر : التحفة الاثنى عشرية ص ١٢

وهم يرون شهادة الزور لموافقيهم علَى مخالفيهم .[١]

وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور .[٢]

هناك احتمال قد يرد أمام كل من يناقش هذه الظاهرة بنزاهة ، وهو أن ذلك مما قد تلجأ اليه كل أقلية اجتماعية في مجتمع ما ، وهو ماقديصور على أنه أسلوب غريزي للحماية تلجأ اليه هذه الأقلية . ولكننا اذا استعرضنا جماعات الغلاة لانجد فيها تلك النقيصة مع العلم أن ظروف الغلاة متقاربة زمانا ومكانا . لذا فان هناك احتمال وجود عامل خارجي دعا الخطابية الى القول بجواز شهادة الزور علَى خصومهم .

العقائد الخطابية :

يمكننا هنا تلخيص العقائد التي قالت بها فرقة الخطابية علَى ماياتي :—

* الحلول والتناسخ .
* اضفاء صفات فوق بشرية علَى الأئمة .
* قولهم في النبوة بوجود الناطق والصامت .
* ان أبناء الحسنين أبناء الله وأحباؤه . وقولهم بذلك في أنفسهم .
* عدم فناء الدنيا .
* انكار الثواب والعقاب في الدار الآخرة .
* التأويل الباطني .
* اباحة شهادة الزور علَى مخالفيهم .

عقائد الخطابية علَى ضوء الفكر اليهودي :

بما أن أكثر عقائد الباطنية مما سبق الحديث عنها حول هذه النقطة

---

١. الفرق بين الفرق ، ط صبيح ص ٢٤٧
٢. دعائم الاسلام ١/ ٥٠

بين عقائد الغلاة ، فان الباحث ينظر بعين الاعتبار الى عقائد تميزت بها الفرقة الخطابية ، في الوقت الذى وجدت فيه تلك العقائد في الفكر اليهودي ، من ذلك :

١ـ قول الخطابية أنهم أبناء الله وأحباؤه وقد اشير حين الحديث عن ذلك الى ما قيل من تشبههم في ذلك بما قالته اليهود بأنهم شعب الله المختار (ر. ص ١٢١) ونجد في التلمود :

ان نفوس اليهود مُنْعَم عليها بأن تكون جزءا من الله فهي تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه [Schefa, tal.f.4; Schene Luch.hab.,f.262,3et un grand nambr de rabbins].

وهذا السبب يجعل نفس اليهودي أكثر قبولا وأعظم شأنا عند الله من نفوس سائر شعوب الأرض ، لأن هؤلاء تشتق نفوسهم من الشيطان . [Schefa,t.f.4,2; Menachem, p.23, f.221,4.]. [١]

٢ـ انكار الخطابية للثواب والعقاب في الدار الآخرة :

ان قول الخطابية هذا الذي ينسبه البعض الى جميع الغلاة ـ جعلهم يعتبرون الجنة والنار هي ما يصيب الانسان في هذه الدنيا من خير أو شر (ر. ص ١٣١)

ان مثل هذا القول نسب الى اليهود صراحة (ر. ص ١٣٦) على اعتبار أن التوراة في أصلها خالية من ذكر القيامة .

ولكن الملاحظ أن التلمود أشار الى النعيم والجحيم في أسلوب قد يشير الى أنهما يقعان في دار غير الدنيا . [٢]

١. بولس حنا مسعد . همجية التعاليم الصهيونية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ١٩٦٩ ، ص ١٢٧

٢. انظر : همجية التعاليم الصهيونية ص ص ١٣٠ ، ١٣١ والكنز المرصود ص ص ٦٢ ، ٦٣ .

ومن ذلك يمكن القول بإختلاف الأقوال في ايمان اليهود بالثواب والعقاب في الآخرة ، اننا اذا رجعنا الى القرآن نجد أن الله خاطب موسى بما خاطب به سواه من النبيين .[١] ومن ذلك قوله تعالى : (ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى)* . وقوله تعالى مخاطبا اليهود : (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)** . وهذا يعني أن الدين اليهودي في أصله كان يوجب الايمان باليوم الآخر ، الا أ هم على ما يظهر حذفوا ذلك من عقيدتهم تحريفا لها فبدت التوراة خالية من ذلك كما سلف القول واعتبروا الثواب والعقاب دنيويين كما هو حال الخطابية ،

ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود، الا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في الأرض .

... والدارس للكتب الاسرائيلية يجدها تسير مع الفكر الذي أوضحناه آنفا ، فهي لم يرد فيها شيء عن البعث واليوم الآخر ، وانما ورد بها حديث عن الأرض السفلى والجب التي يهوي اليها العصاة ولايعودون " وأن الذي ينزل الى الهاوية لايصعد " ويقول ARTHER HERIZDERG ان الكتاب المقدس نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها هي عالم الانسان ، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث أو جنة أو نار [Judaism,p.205]

---

١. انظر : أحمد شلبي . اليهودية ، ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٤ ، ص ص ١٤٨ ، ١٤٩

* سورة طه ١٥ ــ ١٦ ** البقرة ٨٥

... وعلى العموم فان فكرة البعث لم تجد لها أرضا خصبة في عالم اليهود ، وقد حاول بعض الفريسيين القول بها ، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة ، أما باقي الفرق اليهودية فلم تعرف عنها شيئا .[١]

٥

ولن يزيد الباحث على ما سبق الا اشارة الى أن بعض الفرق الباطنية حين تتحدث عن القائم المنتظر تشير الى ما يؤول اليه أضدادهم حينئذ وقولهم في ذلك بالسلسلة والعذاب الأكبر (ر.ص ٣٠١) .

٣- اباحة الخطابية شهادة الزور على مخالفيهم :

١٠

سبق الحديث عن هذه الظاهرة التي انفرد بها الخطابية عن جميع من تعرض لهم البحث من الغلاة (ر.ص ١٣٣ فما) ، ولا يستبعد أن تكون من تأثير الفكر اليهودي على " الخطابية " ، واذا أردنا التأكد من ذلك فعلينا بعد مراجعة النصوص التي وصمت " الخطابية " بهذه الوصمة مقارنتها بآراء اليهود حول هذه النقطة ، فالتلمود شرّع ما يأتي :-

١٥

على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينا كاذبة ولا يعرض أحد اخوانه اليهود لضرر ما .[٢]

في ختام هذا التلخيص للخطابية وعقائدها يمكن القول ان البحث تعرض لكثير من "فرق غلاة الشيعة" التي وجدت عندها عقائد باطنية غالية، تلك التي مهدت لظهور الفرق التي سميت بعد ذلك بالفرق الباطنية ، والتي من أشهرها الفرق الاسماعيلية التي صارت كلمة الباطنية علما عليها . والسؤال المطروح الآن قبل الحديث عن الباطنيين هو : هل الفرق الباطنية امتداد

٢٠

---

١. شلبي . اليهودية ص ص ١٩٩ - ٢٠٠
٢. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٩٥ .

لفرق الغلاة أم أنها ظاهرة أخرى منفصلة قائمة بذاتها ؟ ان الجواب عن هذا السؤال قد يستوجب منا الالمام بالفرق الباطنية وتكونها وعقائدها مع عدم اغفال ما سبق من لفتات نحو توافق بين بعض عقائد الغلاة ومثيلها عند الفرق الباطنية ، الا أن الفصل التالي قد يوضح لنا ان كان هذا التوافق من الندرة بحيث يمكن وصفه بأنه صدفة أم أنه غير ذلك وهو ما يعطي الاجابة التفصيلية للسؤال.

٥

(الفصـــل الرابع)

ظهـور الفـرق الباطنيـة مـن الغـلاة

تمهيـد :

اتضح مما سبق أن هناك ظاهـرة تستلفت الانتباه في فرق الغلاة وهي
أن هناك انقساما ما يحدث عادة بعد موت زعيم الفرقـة أو الامام الـذي ٥
تنتسب اليه بعض الفرق الغاليـة فيحدث بموجـب ذلك عدد من الفرق ، وقـد
أشير الى ذلك من قبل (ر، ص ٩٩) ، وقد تجلت هـذه
الظاهـرة في انقسام الكيسانيـة بعد وفاة محمد بن الحنفيـة (ـ ٨٦) وبعد
وفاة ابنه أبي هاشم عبدالله بن محمد (ـ ٩٩) على سبيل المثـال
(ر، ص ص ٧٦ ، ٩٠) . ١٠

وقد كانت في أيام جعفر بن محمد " الصادق " (ـ ١٤٨) فرق غاليـة
مختلفة ، لعن جعفر زعماءهم (ر، ص ٢٨) ومنهم " أبو الخطـاب
الزينبي " صاحب الفرقة الخطابيـة التي تفرقت بدورها الى عدة فـرق
(ر، ص ١٢٨ ا فما) .

وكان الغلاة في العادة يلتمسون أحد أهل البيت ليكون اماما لهـم ١٥
ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن يكون هـذا الامام موافقا لآراء تلـك
الفرق التي تنتسب اليـه ، كما لا يعني هـذا عدم وجود فرق شيعيـة
غير ذات غلو تنتسب الى أحـد أئمة أهـل البيت ، و من المحتمـل أن
يكون الامام في هـذه الحالـة محتضنا لتلك الفرقـة . ان هـذه الحالة قـد
تنسجم تماما على جعفر بن محمد الذي لعن أبا الخطاب ، في نفـس ٢٠
الوقت الذى كان الأخير يدعي اماميـة جعفر حينا من الزمان .

كما لا يستبعد أن تكون لجعفر فرقـة تدعوا الى امامته وربما كانت هـذه

الفرقة أقل غلوا من الخطابية ، فالمصادر الباطنية خاصة تدعي وجود فرقة كهذه كما سيأتي .

وكان لجعفر بن محمد ستة أبناء : اسماعيل وموسى ومحمد واسحق وعبد الله.[١] وهكذا نستطيع أن نتخيل كم فرقة ستحدث بعد وفاة جعفر !

ان الذي يهمنا هو الفرق الباطنية ، وهذا الاهتمام يجعلنا نشير بدقة الى الاسماعيلية وهي التي اشتهرت اكثر من غيرها بالقول بعقائد باطنية . ولكن هذا لا يمنعنا من الاحاطة بالفرق التي ظهرت في هذه الفترة من الزاوية التي نحن بصددها ، مثل :

١- الناووسية : وهي الفرقة التي ساقت الامامة الى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ، الذي نص عندهم على جعفر بن محمد[٢] ، وهذا يدلنا على قدم هذه الفرقة .

قالت الناووسية بحياة جعفر بن محمد بعد موته على الطريقة السبئية واستدلوا بحديثين عن جعفر يقول فيهما انه صاحبهم صاحب السيف المنتظر[٣] ، وفي قول للشهرستاني أن هذه الفرقة زعمت أن عليا باق وستنشق الأرض عنه يوم القيامة فيملأ الأرض عدلا[٤] .

وسميت " الناووسية " بذلك نسبة الى رجل من أهل البصرة يقال له : فلان بن الناووس أو عجلان بن ناووس أو ناووس المصري أو قرية يقال لها ناووسا[٥] . كما سميت " بالناموسية "

---

١ انظر : جمهرة أنساب العرب ط ٤ ص ٥٩

٢ انظر : مقالات الاسلاميين ١/١٠٠

٣ انظر : المقالات والفرق ص ٧٩ والملل والنحل ١/١٦٦ ، وفرق الشيعة ص ٧٨ ، ومقالات الاسلاميين ١/١٠٠ .

٤ انظر : الملل والنحل ١/١٦٧

٥ انظر : المقالات والفرق ص ٨٠ وفرق الشيعة ص ٧٨ ومقالات الاسلاميين ١/١٠٠ والفصل ٤/٨٠ والملل والنحل ١/١٦٦.

ويبدو أن هذه الفرقة هي التي تقول عنها مراجع الباطنيين انها رجعت بالامامة القهقرى؛ أي قالوا بامامة جعفر بعد وفاته . وعلى أي حال فان هذه الفرقة لم تستمر طويلا اذ انقرضت كما يقول الداعي ابو حاتم الرازي [١] (- ٣٢١) .

٢- الشمطية : تسمى : الشميطية أو السمطية أو السميطية .. أو الشمطية ؛ نسبة الى يحيى بن أبي السميط ، أو ابن ابي شميط أو ابن أبي سميط أو ابن أبي شمط [٢] .

ساق هؤلاء " الامامة " بعد " جعفر بن محمد " في ولده " محمد " وولده من بعده ؛ واحتجوا في ذلك بحديث عن جعفر ، وقال الشهرستاني عنهم أن جعفر قال لهم : صاحبهم اسمه اسم نبيكم وذكر الداعي الباطني ابو حاتم أنهم بالاضافة الى قولهم بالامامة في محمد بن جعفر قالوا بها في اخيه اسحق بن جعفر [٣] .

٣- الفطحية : سميت كذلك نسبة الى " عبدالله الأفطح بن جعفر بن محمد " الذي قيل انه كان أفطح الرجلين أو الرأس أو برئيس لهم كان يسمى عبدالله أفطح أو ابن فطيح ، كما قيل ان اسم رئيسهم عمار ، وقيل في اسمهم انهم القحضية [٤] .

قالت الفطحية بامامة " عبدالله بن جعفر " أكبر ولد جعفر ؛ وهو شقيق اسماعيل بن جعفر وقد اختلف في أيهما الأكبر الا أن المشهور أن جعفر كان يكنى بأبي عبدالله [٥] (ر. ص ص ٢٧ ، ٢٨) .

---

١. انظر : الزينة (السامرائي) ص ٢٨٦
٢. انظر : المقالات والفرق ص ٨٧ وفرق الشيعة ص ٨٧ ومقالات الاسلاميين ١٠٢/١ والملل والنحل ١٦٧/١ والزينة (السامرائي) ص ٢٨٦ واعتقادات فرق المسلمين ص ٥٤ .
٣. انظر : المقالات والفرق ص ٨٦ وفرق الشيعه ص ٨٧ والملل والنحل ١٦٧/١ والزينة (السامرائي) ص ٢٨٦ .
٤. انظر : المقالات والفرق ص ٨٧ وفرق الشيعة ص ٨٨ ومقالات الاسلاميين ١٠٢/١ والملل والنحل ١٦٧/١ والفرق بين الفرق ص ٥٢
٥. انظر : مقالات الاسلاميين ١٠٢/١ والملل والنحل ١٦٧/١ .

وقيل في سبب قولهم بامامة عبد الله أنهم رووا في ذلك أحاديث عن جعفر بن محمد وأبيه بأن الامامة في أكبر أبناء الامام ، وقيل انهم رووا حديثا عن جعفر أنه قال : الامامة فيمن جلس مجلسي ، وحديثا عنه أنه قال : الامام لا يغسله الا الامام وأنه هو الذي تولّى غسله والصلاة عليه.[١]

وقد انقرضت هذه الفرقة أيضا حيث لم يعش عبد الله بن جعفر بعد أبيه سبعين يوما ولم يخلف ولدا ذكرا ، وقيل ان عجز " عبد الله بن جعفر " في الاجابة عن بعض المسائل كان سببا في الشك بامامته من قبل كثير من مشايخ الشيعة وفقهائها الذين قالوا ذلك .

٤ـ الموسوية : هي الفرقة التي قالت بامامة " موسى بن جعفر " ، وقد قال بعض اصحاب المقالات ان الذين شكوا في امامة " عبد الله بن جعفر " انضموا الى " الموسوية ".[٢]

منذ ظهور هذه الفرقة بعد وفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ وحتى سنة ٢٦١ وهي السنة التي يدّعي الاماميون الاثنى عشريون اختفاء امامهم فيها ، ظهرت فرق موسوية كثيرة ، لا يهمنا منها في هذا البحث سوى الفرقة " النصيرية " التي ظهرت على يد (السيد أبي شعيب محمد بن نصير النميري) الذي ادعى وخلفاؤه وراثة الأئمة الاثنى عشر .[٣]

النصيرية : تعتبر احدى الفرق الباطنية ، ولها أتباع الى يومنا هذا

---

١. انظر : المقالات والفرق ص ٨٧ وفرق الشيعة ص ٨٨ والزينة (السامرائى) ص ٢٨٧ .

٢. انظر : الزينة (السامرائى) ص ٢٨٧ والمقالات والفرق ص ٨٧ وفرق الشيعة ص ص ٨٨ ، ٨٩ ومقالات الاسلاميين ١/١٠٢ والفرق بين الفرق ص ٥٢ والملل والنحل ١/١٦٧ .

٣. انظر : مصطفى غالب ، مقدمة الهفت الشريف ، بيروت ، دار الأندلس ١٩٦٤ ، ص ١٥

في أماكن مختلفة من سوريا (التي صار لهم فيها اليوم حكم ومكانة)
وقد هاجر بعضهم الى أميركا الجنوبية وافريقيا ، كما توجد قطاعات
منهم في أنطاكية واسكندرونه وأضنة مما يعرفه اليوم بتركيا .[١]

ان عقائد " النصيرية " في مجملها باطنية فهم يقولون بالتأويل الباطني
والحلول والتناسخ ، كما سيتضح ذلك حين يأتي الحديث عن عقائد ٥
الباطنيين . الا أن أهم عقائدهم هي : القول بالوهية علي بن
أبي طالب على النحو السبئي . ويقول مصطفى غالب ان دعوى الوهية
علي بن أبي طالب هي عقيدة فرقة رئيسية منهم تسمى الشمالية ، وهناك
فرقة أخرى تسمى الكلازية تدين بعبادة الشمس والقمر ،[٢] ويقول سليمان
الأذني* : ١٠

ان الكلازية يعتقدون بأن السواد الذي في القمر هو
المعبود علي وله يدان ورجلان وبدن وعلى
البدن رأس وعلى الرأس تاج وبيده سيف هو
ذو الفقار ؟[٣]

٥ـ الاسماعيلية : هم الذين ساقوا الامامة في اسماعيل بن جعفر أو في ابنه ١٥
محمد بن اسماعيل بن جعفر ، والاسماعيلية فرق عديدة يجمعها هذا
الاسم ، ويمكن لتسهيل التعرف على هذه الفرقة تقسيمها الى قسمين حسب ظروف

١. انظر : مصطفى غالب . مقدمة الهفت الشريف ، ص ص ١٤ ، ١٧
٢. انظر : مصطفى غالب . مقدمة الهفت الشريف ، ص ١٩
* كان سليمان الأذني أحد نصيرية انطاكية ولد سنة ١٢٥٠ ثم تنصر وفضح مذهبه السابق في رسالة أسماها الباكورة السليمانية .
٣. الباكورة السليمانية ، ط بيروت القديمة ، مصورة عن نسخة في مكتبة كلية الالهيات جامعة انقره .

نشأتها واستمرارها .

أ – الاسماعيلية الأول :

وأسماء فرقهم :

١ – الاسماعيلية الخالصة : وهم الذين قالوا بامامة اسماعيل بن جعفر بن محمد (– ١٣٣) وستأتي ترجمته مفصلا (ر. ص ص ٢٦٠–٢٦٨) ٥

ذكر الداعي أبو حاتم الرازي أن "أبا الخطاب الزينبي" صاحب الفرقة الغالية "الخطابية" كان يقول بامامة اسماعيل [١] واذا علمنا أن كلا من اسماعيل بن جعفر وأبي الخطاب ماتا قبل جعفر بن محمد (– ١٤٨) لشعرنا بخطورة هذا القول الذي جاء به أبو حاتم الرازي وربما قال به غيره من أصحاب المقالات كما سيأتي، لأنه لم يحدث في تقاليد الفرق الشيعية الغالية ١٠ عموما ولا الباطنية أن دعوا لشخص غير الامام القائم عليهم بالنص على حد قولهم .

وقد ادّعى هؤلاء أن وفاة اسماعيل قبل أبيه كان على سبيل التلبيس من أبيه جعفر "الصادق" على الناس ، كما ادعوا أنه القائم المنتظر، واستدلوا على دعواهم أن أباه جعفر أشار اليه بالامامة بعده وأنه صاحبهم ١٥ والامام لا يقول الا الحق ، ولما أعلن جعفر موت أبنه اسماعيل هذا أيقنوا بصدق ذلك فيه [٢] .

وزعم كل من "الأشعري القمي" و "النوبختي" أن الاسماعيلية الخالصة هم "الخطابية" [٣] وفي هذا تأييد لما قال به الداعي أبو حاتم في أبي الخطاب وهذا يذكرنا باحدى كُنى "أبي الخطاب" الذي كان يكنّى أيضا "أبا اسماعيل". ٢٠

---

١. انظر الزينة (السامرائي) ص ٢٨٩.
٢. انظر : المقالات والفرق ص ٨٠ وفرق الشيعة ص ٧٩ والزينة (السامرائي) ص ٢٨٧ والملل والنحل ١/ ١٦٧.
٣. انظر : المقالات والفرق ص ٨٠ وفرق الشيعة ص ٨٠

ويقول الداعي "أبو حاتم" أن الاسماعيلية الخالصة قالت بعد ذلك بامامة محمد بن اسماعيل وأنكروا امامة جميع أولاد جعفر[١]، وهو اقرار بموت اسماعيل، الا أن هذا القول منسوب عند بعض أصحاب المقالات الى فرقة من الاسماعيلية، وقد قالوا بذلك على زعم:

أن النص لا يرجع القهقرى[٢]، فالامام بعد اسماعيل: محمد بن اسماعيل وهذا تفسير لقول آخر عنهم بأن الامامة لا تكون الا في الأعقاب بعد الحسن والحسين[٣]. وهذا انكار لرأي الكيسانية في امامة محمد بن الحنفية.

٢- المباركية: نسبت هذه الفرقة الى شخص يسمى المبارك، وكان يوالي جعفر بن محمد وقيل انه كان مولى لاسماعيل بن جعفر[٤]، ويبدو أن بعض أصحاب المقالات ظنوا أن فرقة المباركية هي الفرقة التي انفصلت عن الاسماعيلية الخالصة فقالت بامامة محمد بن اسماعيل، وهذا غير ما ذهب اليه الداعي أبو حاتم الذي يعتبرها فرقة أخرى مستقلة.

ظهرت من الفرقة المباركية فرقة القرامطة المشهورة وهي فرقة لا تنفك أبدا عن الفرق الباطنية لاعتبارات فكرية وتاريخية.

ان الخطابية باعتبارهم اسماعيليين، والمباركية والقرامطة غير موجودين في عصرنا باعتبارهم كيانا مستقلا، الا أن كثيرا من عقائدهم لا يزال باقيا في الفرق الباطنية على اختلاف نزعاتها.

---

١. انظر: الزينه (السامرائي) ص ٢٨٧
٢. الملل والنحل ١/١٦٨
٣. انظر: المقالات والفرق ص ٨٣ وفرق الشيعة ص ٨١
٤. انظر: الزينة (السامرائي) ص ٢٨٩ والمقالات والفرق ص ٨٣ وفرق الشيعة ص ٨١.

ب ـ الاسماعيليون العبيديون :

ان هذه التسمية لم ترد في أي من كتب أصحاب المقالات ، وانما أطلقها الباحث على سبيل التجوز .

ان هذه الفرقة في الحقيقة ظهرت قبل ظهور الدولة العبيدية وكان الأولى تسميتها بالاسماعيلية القداحية نسبة الى ميمون القداح الذى يعتبره الكثيرون المؤسس الحقيقي لهذه الفرقة ، ولأن هذا لم يتأكد تماما فى هذا البحث فان تسميتها بالاسماعيلية العبيديه أقرب للصواب لأن الدولة العبيدية الشهيرة بالفاطمية ظهرت بعقائد هذه الفرقة .

وليس معنى تسميتهم بذلك فصلهم عن الاسماعيلية الأولى التي قادها الخطابيون والمباركيون .

ان القيمة العلمية لدراسة هذه الفرقة تأتي في الدرجة الأولى بين الفرق الباطنية عموما ، وذلك لاعتبارات عدة منها :ـ

١ـ أن هذه الفرقة لاتزال تعيش بين ظهرانينا بفكرها وأشخاصها .

٢ـ أنها حكمت رقاب المسلمين حينا من الدهر باسم الأئمة الفاطميين من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر .

٣ـ ان لها تراثا فكريا غزيرا يمكن للباحثين من خلاله الوقوف على عقائدها من أقلام أهلها مباشرة ، رغم السرية والكتمان التي يحاول زعماؤها حتى اليوم ـ فرضها على ذلك التراث .

ظهور الاسماعيلية :

ان هذه الفرقة باطنية العقيدة والأسلوب ، بخلاف الفرق الغالية التي سبقت دراسة بعضها وكانت تدين بالتأويل الباطني ، الا أنها لم تتخذ

السرية أسلوبا لها . ولأن الاسماعيلية العبيدية دانت بذلك فان نشأتها وتكونها كان ولا يزال مما يكتنفه الغموض والتناقض .

ان المصادر الباطنية حين تتحدث عن ظهور الفرقة الاسماعيلية تتحدث عنها بأسلوب متناقض غامض ملفق سواء ما كان يختص باسماعيل بن جعفر ، الذي تنتسب اليه الفرقة (ر. ص ص ٢٦٠–٢٦٨) أو ما يتصل ٥ بمحمد بن اسماعيل ، الذي أضافوا اليه من الصفات الغالية الشيء الكثير (ر. ص ص ٢٧٥–٢٧٧) أو ما يتصل بالأئمة المستورين الثلاثة الذين تلقوا الامامة واحدا بعد آخر عن محمد بن اسماعيل (ر. ص ٢٧٩)، ومن الممكن القول ان الفترة التي تبدأ بوفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ وتنتهي بظهور دولة العبيديين في المغرب علَى يد عبيد الله المهدي سنة ٢٩٦. فترة ١٠ غامضة متناقضة يصعب علَى الباحث ترتيب أوراقها ، فيما عدا جزئية بسيطة منها تبدأ من سنة ٢٦٧ تقريبا وتنتهي بظهور دولة عبيد الله المذكور ولا أعني منها الا ما يختص بظهور الدعوة الباطنية في اليمن والمغرب (ر. ص ص ٤٠٢ فما)

وأما غير الباطنيين ، فان ما ورد في كتب أصحاب المقالات لا يتحدث ١٥ الا عن ما أشير اليه في هذا البحث بالاسماعيلية الأُوَل (ر. ص ١٤٤ .

أما الحركة الاسماعيلية التي صارت بعد ذلك عَلَما لكثير من الفرق الباطنية ، وهو ما أطلق عليه هنا بالاسماعيلية العبيدية فان تاريخ ابن رزّام الذي عاش مؤلفه في أوائل القرن الرابع كما خمّن لويس [١] ، يعتبر أول من تحدث عن نشوء هذه الفرقة ، ونسَب هذه الفرقة الى ميمون القداح ٢٠ وابنه عبدالله ابن ميمون وقد ذكر ابن رزام هذا أن القرامطة نشأوا عن

---

١. انظر : أصول الاسماعيلية ص ٥٧

الاسماعيلية القداحية ، كما أورد ما يمكن أن يعتبر أول تاريخ للاسماعيلية هذه[١] . وذكر القاضي عبدالجبار ما يقرب ذلك من نسبة تكون هذه الفرقة الى القداحيين[٢] ، وتحدث عن نشوء الاسماعيلية من هذا الوجه: محمد بن مالك بن أبي الفضائل (— أواسط القرن الخامس) فقال:

وأصل هذه الدعوة الملعونة ... ظهور ٥
عبدالله بن ميمون القداح في الكوفة ... وكان
ظهوره في سنة ست وسبعين — ومائتين
... وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية
ويظهر الاسلام وهو من اليهود من ولد
الشلعلع[٣] . ١٠

وقد أشتهر هذا النص بين الذين اهتموا بتاريخ الباطنية الاسماعيلية من أهل اليمن كما نجد ذلك فيما كتبه محمد بن الحسن الديلمي (القرن الثامن) الذي نسب الى أهل العقالات اتهامهم في نشر عقائد هذه الفرقة الى المجوس والفلاسفة واليهود[٤] .

ان نسبة نشأة هذه الفرقة الى ذرية ميمون القداح مما تشير ١٥ اليه بعض المصادر الباطنية نفسها ، تلك المصادر التى تعتبرهم دعاة للأئمة من ذرية محمد بن اسماعيل (ر. ص ص ٤٣٠ فما) ، وقد مر علينا في فرق الغلاة من كان يدعو للائمة من أهل البيت باسمهم على كُره منهم لذلك كما حدث بالنسبة لأبي الخطاب الذي كان يدعو لجعفر بن محمد زورا مما دعى بجعفر الى لعنه وتكذيبه (ر.ص ١٣٣) ٢٠

---

١. انظر : ابن النديم (— ٣٧٨) . الفهرست ، القاهره ، المكتبة التجارية د . ت ، ص ص ٢٧٨ — ٢٨٠ .
٢. انظر : تثبيت الأيل النبوه ١/ ٥٩٧
٣. ابن ابي الفضائل . كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، القاهرة، عزت العطار ، ١٣٥٧ ، ص ص ١٦ ، ١٧ .
٤. انظر : الديلمي . قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ،عزت العطار، ١٣٦٩ ، ص ص ١٢ ، ٣١

واستنادا الى ماسبق ذكره عن نشأة الاسماعيلية نجد أنها علَى أي حالة وضعت فان جانب الغموض والتناقض يكتنفها بوضوح لا يقبل الجدل ، ولا ينفك عن فرق الغلاة من ناحية أخرَى .

تفرق الاسماعيلية :

ان الفرقة الباطنية الاسماعيلية لم تشذ عن مثيلاتها من فرق الغلاة من حيث التفرق الَى عدة فرق بالرغم من أن هذه الفرقة تميزت عن الغلاة بالقوة بحيث أستطاعت تكوين عدة دول كانت ذات تأثير علَى التاريخ الاسلامي سياسيا وفكريا ، ومن ذلك كانت فرقة القرامطة : ان فرقة القرامطة في حقيقتها ليست الا فرقة اسماعيلية باطنية كما يظهر من عقائدها ، سواء في ذلك نسبتها الَى الاسماعيلية الأول ، كما فعل النوبختي الذي نسبها الَى المباركية [١] ، أو نسبتها الَى الاسماعيلية القداحية كما أشير الى ذلك من وجهة نظر ابن رزام (ر. ص ١٤٧) .

وقد قامت الفرقة القرمطية بأعمال لاتزال الَى اليوم مضرب مثل للوحشية والقسوة والاستهانة بالاسلام والمسلمين ومعاداتهم ومحاربتهم .

وقد انتهت هذه الفرقة واضمحلت وصارت مماثلة لمن سبقها من الفرق الغالية .

ولا يمكن للباحث أن يعتبر القرامطة فرقة منفصلة عن الباطنية الاسماعيلية لأنها ليست الا جناحا لها فحسب .

أما أول انفصال حقيقي في الفرقة الاسماعيلية الباطنية ، فهو كما سيتضح ظهور الفرقة الدرزية :

---

١. انظر : فرق الشيعة ص ٨٣

الدروز : ظهرت فرقة الدروز في القاهرة عاصمة العبيديين ، في أيام "الحاكم بأمر الله" سنة ٤٠٨ ، وكانت هذه الفرقة بزعامة شخصيات أحسبها متعددة وعلى رأسهم كان : حمزة بن علي الزوزني الذي يلقبونه بأنه :

قائم الزمان حمزة بن علي بن أحمد هادى

المستجيبين المنتقم من المشركين بسيف ٥

مولانا الحاكم جل ذكره [١].

وقد قالت الدرزية : بنسخ جميع الأديان والشرائع السابقة ، وبالحلول والتناسخ ، وبتأليه الحاكم بأمر الله [٢]. كما قالوا بالتأويل الباطني ، والغيبة والرجعة .

انتشار الدرزية : ١٠

ظهرت هذه الفرقة في مدينة القاهرة ، الا أن المجتمع المصري لم يستجب لها ، كما لم يستجب للعقائد الباطنية عموما .

انتشرت هذه العقيدة على نطاق ضيق في جبال الشام ، ويعيش الدروز حاليا في سوريا ولبنان .

ظهور فرقتي النزارية والمستعلية : ١٥

كانت وفاة المستنصر بالله العبيدي [*] (-٤٨٧) ايذانا بانقسام آخر للفرقة

---

١. التميمي . اسماعيل بن محمد بن حامد . كتاب تقسيم العلوم ، مخطوط في الخزانة التيمورية ، عقائد - ٦٦٢ ، ص ٢١٢ وانظر : محمد كامل حسين . مقدمة الرسالة الواعظة . مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، مايو ١٩٥٢ ، ص ٥ ومحمد عبدالله عنان . الحاكم بأمر الله ، القاهرة ، دار النشر الحديث د.ت ، ص ١٩٣

٢. انظر : الحاكم بأمر الله ص ١٨٤

* . انظر ذلك في : المقريزي . اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، جـ ٣ ، القاهرة . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٣٩٣ ، ص ١١ .

الباطنية الاسماعيلية ، بسبب النزاع الذي صار على الامامة بين ابن المستنصر الأكبر " نزار " وأخيه " المستعلي " [١]، وكان كل منهما يدعي الامامة لنفسه بأقوال مروية عن أبيهما المستنصر [٢]، وهذا يذكرنا بما كان عليه الحال بعد وفاة جعفر الصادق وادعاء كل فرقة من غلاة الشيعة امامة أحد أبناء بأقوال رووها عن جعفر نفسه (ر. ص ص ١٤٠ — ١٤٢) .

<u>النزارية</u> : هم الذين قالوا بامامة " نزار بن المستنصر " ورفضوا امامة " المستعلي بن المستنصر " . وقد استطاع النزارية اقامة دولة باطنية في بلاد فارس بزعامة الحسن بن الصباح صاحب " قلعة الموت " الشهيرة التي ادعى أنها محكومة بيد الأئمة من أولاد نزار . ويدعي " المستعلية " أن " نزارا " لما قتل بمصر قتل معه أبناؤه مما يعني أن الأئمة الذين ادعت النزارية مختلقون كما يرى المستعليون [٣] . وهذا ما نفته المراجع النزارية .

ويعرف " النزارية " اليوم بالاسماعيلية " الآغاخانية " ، نسبة الى امامهم الذي يتخذ لقب آغاخان ، وهو حاليا الأمير عبد الكريم آغاخان الرابع [٤] وهو امامهم التاسع والأربعون .

وتعتقد النزارية اعتقادات غالية باطنية ، مثل تأليه الأئمة ، ولعل أقرب مثال لذلك ما ذكره محمد كامل حسين عن ذكرياته مع آغاخان الثالث (— ١٩٥٧) — امامهم الثامن والأربعون — ، قال محمد كامل حسين له :

---

١. انظر : تاريخ جهانكشاي (محمد السعيد جمال الدين) ص ١٧٩
٢. انظر : جمال الدين الشيال . الوثائق الفاطمية ، ج ١ ، ط ٢ ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٦٥ ، ص ص ٢١٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ومصطفى غالب . سنان راشد الدين شيخ الجبل ، بيروت ، دار اليقظة ، ١٩٦٧ ، ص ٥٨
٣. انظر : مصطفى غالب . اعلام الاسماعيلية ، بيروت ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٤ ، ص ٥٨٥
٤. انظر : محمد حسن الأعظمي . حاشية مقدمة تأويل الدعائم ، ج ١ القاهرة دار المعارف ، ص ٢٤ .

لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك ، فكيف
تسمح لأتباعك أن يدعوك إلها ؟ فضحك
[يعني الآغاخان] طويلا جدا وعلت قهقهاته
ودمعت عيناه من كثرة الضحك ثم قال :
هل تريد الاجابة عن هذا السؤال ، ان ٥
القوم في الهند يعبدون البقرة ، الست
خيرا من البقرة !![١]

مواطن النزارية : تعتبر مدينة كراتشي مركز الآغاخان ، وهذا يدل على
وجودهم في شبه القارة الهندية الباكستانية . والنزارية بالاضافة ١٠
الى ذلك موجودون في سورية ، وشرق افريقيا ، مثل كينيا وأوغنده ومدغشقر
وزنجبار .[٢]

المستعلية :

ينتسبون الى المستعلي بن المستنصر ، وقد ظلوا يحكمون مصر منذ
اعتلاء المذكور سدة الحكم سنة ٤٨٧ حتى سنة ٥٢٥ وهي السنة التي ١٥
انقسمت فيها المستعلية الى قسمين طيبية وحافظية .[٣]

أما الحافظية فقد تولى الامامة منهم : الحافظ والفائز والعاضد (– ٥٦٧)
الذي كان آخر من حكم مصر من العبيديين ، وتسلمها بعدهم الأيوبيون.[٤]

أما الطيبية فهي في الحقيقة استمرار للمستعلية ، وقد اضطر امامهم
الطيب ابن الآمر بن المستعلي الدخول الى كهف الستر — على حد زعمهم — وتحولت ٢٠

---

١. محمد كامل حسين . طائفة الاسماعيلية ، المكتبة التاريخية — ٤ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ ، ص ١٢٦ .
٢. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ص ٢١٢ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .
٣. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ٦٠
٤. انظر : محمد حسن الأعظمي . حاشية مقدمة تأويل الدعائم ص ص ٢١ — ٢٣ .

دعاته الى بلاد اليمن حتى سنة ٩٤٦ فانتقلوا الى الهند .

حدث بعد ذلك انقسام آخر للمستعلية في الهند بعد وفاة الداعي : داود بن عجب شاه (— ٩٩٧ أو ٩٩٩) فانقسموا الى قسمين :

الداودية : وهم الذين يطلق عليهم " البهرة " ولزمهم اسم الداودية من داعيهم المطلق داود بن قطب شاه (— ١٠٢١) الذي استقل بالأمر .

السليمانية : نسبوا الى داعيهم سليمان بن الحسن[١] (— ١٠٠٥) ، ويطلق على أتباع هذه الفرقة (سليماني بهرة) في بلاد الهند وباكستان وفي اليمن يسمون (المكارمة) ، ويقال ان زعيمهم يعيش الآن في مدينة نجران في جنوب المملكة العربية السعودية ، وتعتبر هذه المدينة مركز هذه الفرقة حاليا .

ان عقيدة المستعلية " البهرة الداودية " يصفها محمد كامل حسين بأنها :

> لاتختلف عن عقائد غيرهم من المسلمين في الظاهر أما عقيدتهم في "الباطن" فهي بعيدة كل البعد عن عقيدة أهل السنة والجماعة ، فهم مثلا يؤدون الصلاة كما يؤديها المسلمون .. ولكنهم يقولون ان صلاتهم هذه ، للامام الاسماعيلي المستور من نسل الطيب بن الآمر[٢] .

ان " البهرة الداودية " يعتبرون أكثر الفرق الباطنية قربا للمسلمين، ولكن

---

١. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ٥٢
٢. طائفة الاسماعيلية ص ٥٣

ذلك لايعفيهم من القول بالتأويل الباطني ، والغلو في الأئمة ، وقد كشفت ذلك بعض كتبهم السرية التي ظهرت أخيرا .

مواطن البهرة الداودية : ان مركز هذه الفرقة في مدينة "بومباي" بالهند ، ويحمل زعيمهم رتبة الداعي المطلق وهي احدى مراتب الدعوة الباطنية (ر. ص ٣٦١ فما) ، ولهم في تلك البلاد مراكز ثقافية منها على سبيل المثال " الجامعة السيفية في مدينة " سورت " ، والبهرة منتشرون في الهند واليمن . ولهم في الأماكن المقدسة بيوت يأوي اليها حجاجهم ويسمى " رباط البهرة " ويقع رباط البهرة في مكة في محلة جياد في الجانب الشرقي من مستشفى جياد ويطلقون عليه اسم " المحل السيفي " كما تدل على ذلك لافتة على بابه ، أما رباط البوهرة الذي في المدينة المنورة فيقع في محلة باب المجيدي ويطلقون عليه اسم " المحل البرهاني " كما أن لهذه الفرقة أماكن للزيارة في العراق .[١]

أما عقائد " البهرة السليمانية " أو " المكارمة أو " المكرمية " فهي أكثر غلوا من الداودية ، كما تدل على ذلك مراجعهم الخاصة ، وستتضح عقائدهم في الباب الثاني ، مع كثير من عقائد الباطنية الأخرى .

ان هناك تكوينات أخرى للفرق الباطنية الاسماعيلية العبيدية ولكنها فروع لما ذكر من فرقهم .

وقد يلاحظ عدم توسع الباحث في الحديث عن هذه الفرق كما توسع في فرق الغلاة ، فان ذلك يعود لسببين :

١ـ عدم توفر المعلومات الكافية التى تتأكد بها كثير من الأقاويل نحوهم .

٢ـ أن التوسع في الحديث عن هذه الفرق ، قد لا يخدم البحث من ناحية

---

١. انظر : طائفة الاسماعيلية ص ص ٥٢ ، ٥٩

العقائد التي ظهروا بها ، فمعظم التطورات التي ظهرت في عقائدهم انما هي مما حصل في التاريخ القديم فالعقائد الباطنية في معظمها لاتزال كما هي •

في ختام هذا الباب نجد أن الباحث توصل الى أن :

١ـ المجتمع الاسلامي الأول في المدينة لم يعرف الغلو في رسول الله (ص) وفي أهل البيت النبوي • سواء ذلك عهد رسول الله (ص) وعهد الخلفاء الراشدين الأربعة • ٥

٢ـ ان ظهور الغلو الشيعي مناط بشخصية يهودية تظاهرت بالاسلام وعرفت باسم " عبدالله بن سبأ " •

٣ـ ان عبدالله بن سبأ شخصية حقيقية كانت ذات دور فكري واضح وسياسي خفي ، وكان لهذا الدور الأثر البالغ في عقائد غلاة الشيعة على مر العصور • ١٠

٤ـ ان هناك عقائد تتصل بالفكر اليهودي بشكل أو بآخر ظهرت لدى غلاة الشيعة •

٥ ـ ان الفرق الباطنية الأربعة المشهورة : الاسماعيلية والقرامطة والنصيرية والدروز ليست في أصلها الا من بقايا الغلاة الذين ظهروا في الفرق الشيعية ما بين منتصف القرن الأول حتى منتصف القرن الثاني • ١٥

٦ ـ ان الأفكار الباطنية لم تظهر في العالم الاسلامي أول ما ظهرت الا على يد غلاة الشيعة قبل ظهورها في الفرق المعروفة بالباطنية •

وعليه فان التفريق بين الباطنية والغلاة ليس معنيا به على أي حال ما يختص بالعقائد فكلها عند الفريقين واحد تقريبا • ٢٠

الباب الثاني :

عقائد الفرق الباطنية

جرى الحديث في الباب الأول عن استعراض لظاهرة الغلو الشيعي ونشأتها وأشهر الفرق التي قالت بالغلو ، كما جرى الحديث عن كثير من عقائد الغلاة ، تلك التي أشير خلال الحديث عن بعضها الى وجود تلك العقيدة في الفرق الباطنية . ٥

ويجد الباحث هنا لزاما عليه التحدث عن العقائد التي ظهرت في الفرق الباطنية بشيء من التفصيل .

ولكن ما هي عقائد الفرق الباطنية ؟ انها عقائد كثيرة . أفاض المحققون في ذكرها ، وقد اتهم بعض كُتاب أهل السنة في أنهم لفقوا على الباطنيين كثيرا من العقائد لم يقولوا بها . وعلى ذلك فان من الصواب الرجوع الى المصادر الباطنية في مسألة عقائدهم . ١٠

ان التأويل الباطني يعتبر أهم ما في العقائد الباطنية ، فجميع تلك العقائد مبنية عليه ، وسيكون بحث التأويل الباطني في المرتبة الأولى بين عقائد الباطنية ثم تأتي بعد ذلك عقيدة التسبيع أي الاعتماد على رقم ٧ خاصة ، لأن لهذه العقيدة أثراً على العقائد الباطنية كما لها نفس الأثر على أسلوب الدعوة عندهم وبعد ذلك عقيدتهم في الله عز وجل وملائكته وبعد ذلك عقيدتهم في النبي محمد (ص) ، فعقيدة الامامة والأئمة ، يتلو ذلك الحديث عن عقيدة المهدي المنتظر الذي يسميه الباطنيون قائم القيامة . ١٥

ثمة عقائد نسبت الى الباطنيين ولم يتمكن الباحث أن يشير اليها بالتفصيل مثل عقيدة الحلول وعقيدة التناسخ ، ولكن البحث بصفة عامة لم يخل من الحديث عنهما في فصول مختلفة منه ، سيطلع عليها القارئ الكريم ٢٠

في حينه ٠

أما بالنسبة لعقائد الباطنيين في الآخرة والثواب والعقاب والجنة والنار، فقد رأى الباحث أن هذه العقائد في الفكر الباطني مرتبطة بعقيدة المهدي المنتظر، فهي مدرجة فيه ٠

وقد حوى هذا الباب ترجمتين الأولى: لاسماعيل بن جعفر الذي تتسمى به بعض الفرق الباطنية وأعني بذلك الاسماعيلية ٠ والثانية: لابنه محمد ابن اسماعيل باعتباره الشخصية التي تعلق الباطنيون الاسماعيليون بها، ولكن قد يسأل سائل ما علاقة ذلك ببحث يختص بالعقائد؟ والجواب هو أن الباحث لم يجد بدًا من ادراج هاتين الشخصيتين في هذا الباب باعتبارهما ظاهريا الشخصيتين اللتين قامت باسمهما الفرق الاسماعيلية الباطنية ٠

٥

١٠

الفصل الاول : التأويل الباطني

تمهيد : من أبرز ما تميزت به الفرق الباطنية عن غيرها ، " التأويل الباطني " ومن أجل ذلك لقبوا بـ " الباطنية " ، قال الشهرستاني :—

من أشهر القابهم " الباطنية " وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا .[١]

فالتأويل الباطني وقولهم به كان سبب تسميتهم " بالباطنية " .

ما هو التأويل الباطني : تتكون الجملة من كلمتين : التأويل — الباطني .

وفي اللغة ، فان التأويل :

تفسير ما يؤول اليه الشيء .[٢]

وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم ، قال تعالى (هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق ..)*

وقال تعالى : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله).**

أما الباطني : فمنسوب الى الباطن ، وهو خلاف الظاهر ، كما ورد في القرآن الكريم . (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب).***

ولنعرف ما هو الظاهر وما هو الباطن في فكر الباطنية ، لابد لنا أن نستعير عبارة لأحد الدعاة الباطنيين الذي يقول :—

---

١. الملل والنحل ١/ ١٩٢ وأنظر : قواعد عقائد آل محمد ص ٣٤
٢. مختار الصحاح مادة : أول ص ٣٣
* الاعراف ٥٣
** آل عمران ٧
*** الحديد ١٣

التأويل عند الباطنيين والظاهر

ان الله ... جعل ظاهر القرآن علَى باطنه دليلا .[١]

وعبارةٌ أخرَى نسبها الباطنيون الَى النبي (ص) ، فزعموا أنه قال :

ان الله أسس دينه علَى مثال خلقه ، ليستدل بخلقه علَى دينه .[٢]

من ذلك يتضح أن لهم في كل شيء ظاهرا وباطنا فللقرآن ظاهر هو الذي بين يدي الناس ، وباطن لا يعرفه الا هم لأن علم الباطن بزعمهم : ٥ صعب مستصعب وسر مستتر مقنع بالأسرار مبطن برموز لا يحمله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالايمان .[٣]

وللحديث النبوي ظاهر وباطن وللشهادتين وأركان الاسلام ظاهر وباطن وللجنة والنار ظاهر وباطن وهكذا لكل شيء عندهم ظاهر وباطن .

وعلى ذلك يمكن القول ان الباطنيين قسموا الدين الاسلامي الَى قسمين: ١٠ ظاهر وسموه التنزيل وهو ما جاء به محمد (ص) وسموه أيضا العبادة العمليـة أو الدعوة الظاهرة .

وباطن سموه التأويل وهو خاص بعلي بن أبي طالب وسموه العبادة العلمية أو الدعوة الباطنة .[٤]

ولعل ذلك يتضح حين ترد نماذج من تأويلهم الباطني (ر. ص ١٩٩ فما) ١٥

أهمية كل من الظاهر والباطن عند الباطنيين :

كاد يجمع أصحاب المقالات علَى أن الباطنيين يقولون بتفضيل الباطن علَى الظاهر .

---

١. محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٦٣ ، ص ٢٧ .
٢. الداعي المؤيد : المجالس المؤيدية ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٥ ، ص ٢٥٣ .
٣. شهاب الدين أبو فراس (ـ ٩٣٧) مطالع الشموس في معرفة النفوس ، نشر عارف تامر ، أربع رسائل اسماعيلية ، بيروت ، دار الكشاف ، ١٩٥٢ ، ص ص ٣٤ ، ٣٥ وأنظر النص ذاته في: كشف أسرار الباطنية ، القاهرة ، ١٣٥٨ ، ص ١٥ .
٤. انظر : مسائل مجموعة في الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب اسماعيلية) جوتنجن ١٩٤٢ ، ص ص ٣٠ ، ٣٨ .

نقل الشيبي أن الآملي (— ٣٩٤) يقول : انهم يفضلون الباطن على الظاهر[١] . كما نقل محمد حسين الذهبي (— ١٣٩٧) عن الكازراني أن مذهبهم انكار الظاهر[٢] ، وذكر البغدادي (— ٤٢٩) انهم يقولون: ان الظاهر كالقشر والباطن كاللب واللب خير من القشر . وقد نقل هذه المقالة عنهم : الامام الغزالي (— ٥٠٥)[٣] والمهدى بالله المرتضى[٤] ، وفي قواعد عقائد آل محمد ، أنهم يقولون :

> انه لابد لكل ظاهر من باطن وهو المقصود في الحقيقة ، وهو بمنزلة اللب والظاهر بمنزلة القشر[٥] .

وفي الحملة التي يشنها بعض الكتاب المعاصرين ضد أصحاب المقالات الذين ناقشوا رأي الباطنية في أهمية الظاهر والباطن ، ودرجة كل منهما ؛ ظهر محمد كامل حسين بقول يرد فيه عليهم قائلا :

> اخطأ القدماء في اطلاق لقب " الباطنية " على فرقة الاسماعيلية ، لأن هذه الفرقة تدين بالباطن والاسماعيلية يقولون بالباطن حقا ولكنهم يقولون بالظاهر أيضا وأوجبوا الاعتقاد بالظاهر والباطن معا ، بل كفروا من اعتقد بالباطن من دون الظاهر أو بالظاهر من دون الباطن ، ومن ذلك يقول الداعي المؤيد في الدين هبة الله

١. انظر : الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، بغداد ، مكتبة النهضة ، ١٣٨٦ ، ص ١٣٠ .
٢. انظر : التفسير والمفسرون ، ج ٢ ، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٨١ ، ص ٥٥
٣. انظر فضائح الباطنية ، (عبد الرحمن بدوى) الكويت ، دار الكتب الثقافية ، ص ١١ .
٤. انظر مخطوطة المنية والأمل ، مكتبة جامع صنعاء الغربية رقم ١٥٣ علم الكلام ، ق ٣٨ ب .
٥. انظر : قواعد عقائد آل محمد ص ٥٩ .

الشيرازي " من عمل بالباطن والظاهر معا فهو منـــا

ومن عمل بأحدهما دون الآخـر فالكلب خير منه وليس

منا .[١] "

وفي معرض ذلك يقول الداعي الباطني جعفر بن منصور اليمن* (عـــاش

حتى أواخـر القرن الرابع) : ٥

ولا يستقيم الباطن الا بالظاهر الذي هــــو

جثته والدليل عليه ... كما لا يصلح في الحيـــاة

جسم الا بروح ولا يثبت روح الا في جسم .[٢]

وقال بمثل ذلك الداعي القاضي النعمان.[٣] ان كل هذه الأقوال تؤيـــد

ما ذهب اليه محمد كامل حسين وأعني به نسبة الخطأ الى القدماء فـــي ١٠

تسمية الباطنية بذلك ، ولعل كامل حسين يعني بالقدماء المؤرخـــين

وأصحاب المقالات ، وهذا يعني أن عددا كبيرا من أهل السنة والجماعة يدخلـون

تحت هذه التهمة كما يدخل تحتها بعض علماء الامامية أمثال : الآملـي

والكازراني ، والزيدية مثل الديلمي والمهدي بالله المرتضي ، وهو اتهـــام

خطير لعلماء المسلمين قاطبة حيث لم يبق أحـد خارج هذه التهمة .فهل ١٥

صحيح أن تجنيا ما وقع على الباطنيين من هذا الوجه ؟ ان كان هناك شيئـا

من ذلك فلابد من توضيحه للملأ وتبرئة الباطنيين من ما نسب اليهم زورا وظلما .

---

١. طائفة الاسماعيلية ص ١٤٨ وأنظر أيضا : مقدمته لديوان المؤيـــد في الدين ، القاهـرة ، دار الكاتب المصرى ، ١٩٤٩ ، ص ١٠٥ .

* أنظر ترجمته في : اعلام الاسماعيلية ص ١٨٥ و

٢. جعفر بن منصور . مخطوطة الشواهد والبيان ، الخزانة التيموريـــة عقائد رقم ١٨٤ ، ص ٩

٣. انظر : القاضي النعمان . أساس التأويـل ، مخطوط غير مرقم فـــي مكتبة جامع صنعاء الغربية ، ق ٢٠ ب .

وهذا يتطلب عودة الى المصادر الباطنية على مختلف نزعاتها حتى تكون النتائج أكثر دقة :

ان الكاتب الباطني المعاصر عارف تامر - وهو نزاري - يصف الاسماعيلية فيقول :

الاسماعيلية كنز مقفل [...] أو قل عنها ، ٥
عالم قائم بنفسه سمي عالم المثل أو باطن الأشياء
وأما ما هيته أو جوهره أو الفكرة المجردة التي
لا تقع تحت مكان أو حس أو زمان ، أما عالم
الطبيعة المحدود بالزمان والمكان فهو غير
عالمها ، وأنه ممثولها والمثل ليس كالممثول .[١] ١٠

ان هذا تصريح خطير من قلم من يعتنق العقيدة الباطنية ذاتها مما يدل أن لهذا التصريح أصلا باطنا غاب عن محمد كامل حسين ، ومن نحا نحوه ، واذا قلبنا الأوراق الباطنية التي كتبها دعاتهم نجد الداعي أبا فراس شمس الدين بن أحمد الطيبي (- ٩٣٧) وهو أحد نزارية سوريا يقول في قصيدة له : ١٥

انما النفس للخليقة لب * وكذا الجسم في الحقيقة قشر
فاطلب اللب وأترك القشر * يشرح لك صدر ثم يوضع وزر[٢]

هنا نجد أنه لا فرق بين تصوير القدماء من أصحاب المقالات لقيمة الظاهر والباطن عند الباطنيين ، وبين تصوير الداعي أبي فراس ، الذي نص على أن لا قيمة للظاهر عند الباطنيين سوى قيمة القشر بالنسبة للب الذي ٢٠ هو هنا الباطن الذي يدينون به . الا أن هنا قول لبعضهم وهم النزاريون ، وعليه

---

١ أربع رسائل اسماعيلية ، المقدمة ، بيروت ، دار الكشاف ، ١٣٧٢ ، ص ٨
٢ عارف تامر . أربع رسائل اسماعيلية ص ص ٢٣ ، ٢٤

فلابد من الرجوع الى سواهم ، حيث نجد ناصرخسرو (- ٤٨٠)* يؤيد الباطن دون الظاهر كما صرح بذلك في ديوانه الشهير[١] ، ونجد للدروز ذات الوجهة حيث يقولون :

الظاهر في الأصل ... دين الاسلام وباطنه الديانة الباطنة[٢] .

بالامكان هنا القول بأن لقب الباطنية لازم لهم ليس لتسمية القدماء لهم به ولكن لنصهم على تفضيل الباطن على الظاهر .

يبرز هنا احتمال طالما تحتج الباطنيون بمثله ، في دفاعهم عن مذهبهم ، وهو أن القول بالباطن ليس الا من أقوال غلاتهم ، وأن المعتدلين منهم بريئون من أولئك ومن أقوالهم ، ولعل في ذلك شيئا من الصواب اذا وقفت المناقشة عند هذه النقطة ، لأن النصوص التي استدل بها الباحث في التحقق من هذا القول ليست سوى نصوصا نزارية ودرزية ، وقولاً عن ناصر خسرو ، وهذا لا يكفي لأن بقية الطوائف الباطنية وعلى رأسها المستعلية الذين يصفون أنفسهم بالاعتدال لازالوا خارج هذا التصنيف .

اذا عدنا الى نصوص الذين وصموا الباطنية بتفضيل الباطن على الظاهر نجد من بينهم المهدي بالله المرتضى ومحمد بن الحسن الديلمي (ر.ص١٦٠) وكلاهما من زيدية اليمن ، مما يدل على أن مصادرهما في أقوالهما عن الباطنية انما هي من المصادر اليمنية وهي باطنية مستعلية. وليسوا دروزا ولا نزاريين بل هم معادون لهم . فلماذا تطابق النص اليمني مع نص

---

١. انظر : أعلام الاسماعيلية ص ص ١٦١ ، ٥٦٨
٢. رسالة النساء الكبيرة ، مخطوطة فى الخزانة التيمورية ، تحت رقم ٢٦٦ عقائد ، ص ١٠٨

* انظر ترجمته فى أعلام الاسماعيلية ص ٥٦٢ فما

الدلعي أبي فراس النزاري في القول بأن الظاهر كالقشر بالنسبة للباطن الذي هو كاللب ، مما يرجح أن مصادر باطنية مستعلية طيبية تقول بذلك ، وأن هذه المصادر مما لا يزال في الكتمان في مكتبات الباطنيين بالهند أو اليمن .

ولكن دعنا من الاحتمالات والظنون والترجيحات فلدينا نص يوضح قيمة كل من الظاهر والباطن ، وأن الباطن هو المقصود . ومصدر النص مرجع باطني موسوم بالاعتدال التام والمكانة العلية لدى المفكرين وهو القاضي النعمان الذي يروى قصة جرت بين المهدي عبيد الله (مؤسس الدولة العبيدية) وحفيده المنصور بالله وكان المهدي قد أهداه كتابا وأوصاه أن لا يطلعه حتى على ابيه القائم بزعم أنه كتاب من كتب الطب وكان قد نصحه بالقراءة في الطب . قال المنصور بالله :

فلما صرت الى مكاني ، نظرت فيه فاذا فيه
من علم الباطن ، وأنا لا أعرف يومئذ ذلك ، فتحيرت
فيه ، وتوهمت أنه أمثال مضروبة في الطب ، وأقمت
يومي وليلتي أدرس فيه فلا أرى الا علم الباطن محضا
فلما دخلت الى المهدي (صلع) من غد . أدناني
وقال لي : نظرت فى الكتاب ؟

قلت : يامولاي نظرت فيه وليس فيه من الطب
شيء . فان كان امير المؤمنين أراد به الطب
فليس في هذا الكتاب شيء منه .

فتبسم (ص) وقال لى : يابني . ذلك هو
الطب الحقيقي وهو طب الأرواح الباقية في الدار
الاخرة ، به يعالج من ألمها ويداوى من سقمها

فأما الأبدان الفانية فهى أقل من أن يرفع بها
هذه الرفعه . انظر فيه واعرف معانيه واحفظ
أصوله فان فيه أصولا من العلم الشريف .[١]

وعليه فان القول بتفضيل الباطن علَى الظاهر يضاف الى جميع الفرق الباطنية كما أضيف اليهم القول بظاهر وباطن . ويصبح القدماء علَى صواب في تسميتهم الباطنية بذلك سواء كان علَى هذا الوجه أو علَى وجه آخر ، اذا علمنا أن الباطنيين يسمون مخالفيهم أهل الظاهر أما من حيث واقع الباطنيين فان المتتبع لمذهبهم يستطيع بسهولة أن يرى قيمة الباطن بالنسبة للظاهر عندهم لا سيما في العقائد وسيأتي تفصيل ذلك في الفصول التالية ان شاء الله .

ماهية الظاهر عند الباطنيين : في دفاعهم عن عقيدتهم يقول الباطنيون ومن يتحمس للدفاع عنهم ، انهم في ظاهر العقيدة والشريعة لا يختلفون عن بقية المسلمين ، بل هناك من يقول ان مذهبهم الفقهي لا يختلف كثيرا عن المذهب المالكي .[٢]

ان القاضى النعمان الذي يعتبر من مفاخر الفكر الباطني بل انهم يعتبرونه الواجهة المشرفة لهم ،[٣] فهو أول من دون فقههم ، لذا فهم لا يترددون في دعوة أي شخص لقراءة كتبه لظنهم أن ليس فيها سوَى ما يرفع من قدرهم بين مخالفيهم — هذا الداعى الباطني لم يستطع أن يخفى أن الظاهر الباطني يختلف عن ظاهر الأمة ، فهو يرَى أن علَى المستجيب — اي الذي يدخل مذهبهم لأول مرة — أن يتعلم أول ما يتعلم ظاهر دين

---

١. المجالس والمسايرات ، ص ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ .
٢. من حديث مع عباس همدانى ، بالجامعة الأمريكية ، القاهرة ، فى يوم الجمعة ٥/٢/١٣٩٩ .
٣. انظر : محمد حسن الأعظمى . مقدمة تحقيق كتاب تأويل الدعائم .

الأئمة ويترك الظاهر الذي كان عليه من قبل . وهذا دليل على أن ظاهرهم[١] يخالف ظاهر الأمة الاسلامية . هذه واحدة ، والثانية : أن الداعي النعمان المذكور ، ألف كتابا أسماه (دعائم الاسلام) وهو من أجل كتبهم الظاهرية ، وذكر فيه أن للاسلام عندهم سبع دعائم هي : الولاية ، والطهارة ، والصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد[٢] . لماذا جعل دعائم الاسلام سبعا ؟ لقد جعلها كذلك بل قل جعلوها كذلك كي تتناسب مع باطنهم الذى يقدس التسبيع وكل ما يمت الى رقم ٧ بصلة (ر. ص ١٩٩ فما) كما حصروا الرسالة الالهية في سبعة من الرسل سموهم النطقاء (ر. ص ٢٢٥) .

ان الصيام صيام شهر رمضان وكذا الحج الذي يكون يوم التاسع من شهر ذي الحجة يومه الأكبر لا يتحقق زمانهما — وهما مما يعتبره الباطنيون من ظاهر الشريعة — الا برؤية الهلال عند جميع المسلمين بدليل قوله تعالى " يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج " * وقوله تعالى : " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدًى للناس وبينات من الهدَى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ... " ** وبدليل الحديث الذي يرويه الباطنيون أنفسهم[٣] : " صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته " *** يعني الهلال .

الا أن الباطنيين لا يعتبرون ذلك أبدا بل ان لهم جدولا لا يتغير أبدا جعلوا فيه شعبان ٢٩ يوما ورمضان ٣٠ يوما ، ويزعمون أن رؤية الهلال لا تتحقق الا من خلال رؤية الأئمة[٤] ، الذين صنعوا لهم ذلك الجدول الذي يصومون بموجبه ويحجون بموجبه أيضا .

---

١. انظر : تأويل الدعائم . ج ١ ، تحقيق الأعظمى ، القاهرة ، دار المعارف د . ت ، ص ٤٩ .

٢. انظر : فيضى . مقدمة دعائم الاسلام ص ٩ ومحمد كامل حسين . مقدمة ديوان المؤيد فى الدين ص ٦٧

٣. انظر المجالس المؤيدية ص ١٦٢ — ٤. انظر : المجالس المؤيدية ص ص : ١٦٤ ، ١٦٥ والمجالس المستنصرية . تحقيق كامل حسين ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، د . ت ، ص ١٣١ .

* البقرة ١٨٩ ** — البقرة ١٨٥ *** — الحديث فى البخارى كتاب ٣٠ باب ١١ انظره فى فتح البارى ١١٩/٤ .

هذه أمثلة للظاهر الذي يدين الباطنية به فما أبعده عن ظاهر بقية المسلمين ، ناهيك عن باطنهم الذي يقولون عنه انه غيب لايدرك[١] .

وعلى ذلك فقد صنف الباطنيون الناس الى قسمين : ١- أهل الظاهر الذين لا يؤمنون بظاهرهم ولا بباطنهم . وقد توعد الباطنيون أهل الظاهر بالعذاب الأكبر. وفى وصفه لأهل القبلة يدّعي القاضي النعمان انهم في الباطن هم أهل ولاية امام الزمان ويعني بهم الباطنيين[٢] . ان تسمية الباطنيين مخالفيهم أهل الظاهر كانت منذ أيام الفرقة الجناحية الغالية الذين سموا مخالفيهم أهل الظاهر ، وسموا أنفسهم أهل الباطن ، وجدير بالذكر أنهم أول من وضع جدول أشهر السنة (ر. ص ١٠٥) .

٢- المؤمنون:وهم يعنون بذلك أنفسهم أي الذين يؤمنون بالظاهر والباطن على نحو ما سبق الحديث من الاهتمام بالباطن واعتباره لب العقيده ، أو الايمان بظاهر الغرض منه خدمة الباطن الذي هو الهدف المقصود ، ولذلك فان الباطنيين لا يصرحون للمستجيب أول ما يصيدونه بأي فكرة باطنية بل يمهدون له بأمور ظاهرية ثم يلوحون له بالباطنيات شيئا فشيئا (ر. ص ٣٢٦) كما أن هناك مرحلة ليس مطلوب فيها من المستجيب الا أن يعلم أن هناك باطنا يجب عليه الايمان به ، أما ذاك الباطن ما هو فلا يدري ، فهو يعامل معاملة الطفل[٣] . ومع الأسف الشديد فان بعضا من اتباع الباطنية اليوم في اليمن والهند لم يتعدوا هذا الدور

---

١. انظر : تأويل الدعائم ٣١٨/٣

٢. " : " " "

٣. انظر : دعائم الاسلام ٦٧/٢ .

الذي يسمونه دور التربيه اذ لوعلموا حقيقة الباطن الذي يؤمنون به[١] لتخلوا عنه لما فيه من التناقض والعجائب — لاسيما في هذا العصر الذي يصعب فيه التصديق بمثل هذه الأمور، وهؤلاء هم عامة الباطنيين ويؤدون الواجبات الدينية الظاهرية بلا خلاف .

سقوط العمل بالظاهر : اتهم بعض أصحاب المقالات الباطنيين بأن مذهبهم يخطط كي يسقط عن أتباعه الظاهر الذي هو في حقيقة الأمر الدين الاسلامي ، كما يقول الدروز (ر . ص ١٦٣) مثل الصلاة والصوم والحج وخلافه ، قال البغدادي :

زعموا [أي الباطنية] أن من عرف معنى العبادة سقط عنه فرضها وتأولوا في ذلك قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)* واليقين معرفة التأويل .[٢]

وقال الغزالي (— ٥٠٥) في معرض حديثه عن سبب تسميتهم بالباطنية :

فان من ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه ، وهم المرادون بقوله تعالى : (ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم)** .[٣]

وقال المهدي لدين الله المرتضى (— ٨٤٠) : إنهم يقولون : —

إن فائدة الظاهر من الأعمال أن يُتوصل بها الى فهم الباطن فمتى فهمه العبد سقطت عنه الأعمال اذ قد حصل المقصود بها .[٤]

١. أنظر : الداعي محمد بن طاهر الحارثي (— ٥٨٤) الأنوار اللطيفة في الحقيقة ، (نشر محمد حسن الأعظمي . الاسرار الخفية) . القاهره الهيئة المصرية العامة ، ١٩٧٠ ، ص ١١٩

٢. الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٠ ٣. فضائح الباطنية ص ١٢

٤. مخطوطة المنية والأمل ق ٣٨ ب

* الحجر ٩٩ ** الاعراف ١٥٧ .

ونقل الديلمي والمهدي المرتضى ما كتبه أبو القاسم القيرواني في كتابه " البلاغ " الى وصيف المحمدي . أنه حلله من عقاله وأطلقه من وثاقه فلا صوم عليه ولا صلاة ولا حج ولا جهاد ، ولا يحرم عليه شيء من طعام وشراب ونكاح .[١]

وقد شاعت عن الباطنيين قصص في تخليهم عن الشرائع وكان للناحية الجنسية في ذلك أكبر الدور ، فقد ذكر الطبري: أن مرأة هاشمية وقعت في أسر القرامطة فصاروا يتناوبون مجامعتها وولدت ولا تدري أيهم أب الوليد .[٢]

كما نُقل عن علي بن الفضل الجدني الباطني الذي كان أول من دعا الى مذهب الباطنية في اليمن مع منصور اليمن ، نقل عنه احلال المحارم كما نقلت هذه القصيدة عن شاعره :

خذي الدف يا هذه والعبي * وغني هزاريك ثم اطربي

تولى نبي بني هاشم * وهذا نبي بني يعرب

لكل نبي مضى شرعة * وهذي شرائع هذا النبي

فقد حط عنا فروض الصلاة * وحط الصيام ولم يتعب

اذا الناس صلوا فلا تنهضي * وان صوموا فكلي واشربي

ولا تطلبي السعي عند الصفا * ولا زورة القبر في يثرب

ولا تمنعي نفسك المعرسين * من أقربي ومن أجنبي

فكيف تحلي لهذا الغريب * وصرت محرمة للأب[٣]

---

١. انظر : قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، ص ٩٥ والمنية والأمل ق ٢٣٨

٢. انظر : القصة كاملة في تاريخ الطبري ١٠/١٠١ ، ١٠٢

٣. كشف أسرار الباطنية ص ٣١ .

ولايغيبن عن البال أن مثل هذا الانسلاخ كان موجوداً عن الغلاة (ر. ص.ص ٨٣، ٩٧، ١٠٥، ١٢٢، ١٢٣) .

ان الموضوع الى هنا لا يزال من أقوال المخالفين للباطنيين فماذا يقوله الباطنيون عن ذلك .

ذكر القاضي النعمان عن تجاوزات لبعض الدعاة الباطنيين مثل تحليل المحارم وخلط الدين بالفلسفة ، وأن المعز لدين الله أعرب عن أن هذا تغيير في الدين [١] ، ومع الاعتراف الباطني بحدوث ذلك بين دعاتها فان الاستنكار الرسمي لا يمكن اغفاله . وفيه احتمال أن يكون ذلك الاستنكار من الامام الباطني حقيقي وبه تكون مسألة اسقاط الظاهر عن الباطنيين مجرد اشاعة مغرضة من أعدائهم وأن هذه الاشاعة مرتكزة على تجاوزات لدعاة كانوا في منأى عن سلطان الامام الذي لم يرضه ذلك حين سمع به .

ولكن بالعودة الى الكتب السرية نجد أن للمعز لدين الله نفسه دعاء اشتهر في الاوساط الباطنية بدعاء يوم السبت ، يتحدث فيه عن محمد بن اسماعيل بن جعفر بأن الله عطل بقيامه ظاهر شريعة محمد [٢] صلى الله عليه وسلم (ر. ص ٢٧٦) ، ورغم محاولة الباطنيين تأويل هذه الوصمة من تصريح المعز ، الا أن ذلك لم يزد الأمر الا ايضاحاً حيث حاول الباطنيون اخفاء ما أظهره تاريخهم من اسقاط الظاهر عليهم منذ ظهورهم بهذا المذهب ، وقد أفصحت مصادرهم عن مرحلة

---

١. انظر : المجالس والمسايرات ، نشر الجامعة التونسية ، ١٩٧٨ ، ص ٤٠٨ .

٢. انظر ايفانوف . المنتخب - زهر المعاني للداعي ادريس ص ٥٦
وانظر الحقائق الخفية - كتاب الأنوار اللطيفة في الحقيقة ص ١٣٠

من المراحل يصل اليها الانسان فيسقط عنه الظاهر. وعن وجود مجموعة من الدعاة يسقط عنهم الظاهر ، فعند النصيرية - وهم ليسوا اسماعيلية كما تقدم - نجد رواية عن جعفر الصادق يقول فيها :

نعم من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر ... [واستدل بقوله تعالى :] (وأن الى ربك المنتهى)* ... وانما وضعت الأصفاد والأغلال على المقصرين ، أما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي قرأتها عليك فقد أعتقه من الرق ورُفعت عنه الأغلال والأصفاد واقامة الظاهر ، ثم تلا قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ... الآية)** .١

وعند الاسماعيلية النزارية نجد داعيهم سنان راشد الدين يقول عن الانسان :

متى عرف الصورة الدينية ، فقد عرف حكم الكتاب ورفع عنه الحساب وسقط عنه التكليف وسائر الأسباب .٢

---

* النجم ٤٢
** المائدة ٩٣

١. الهفت الشريف ص ٦٥
٢. مصطفى غالب . شيخ الجبل الثالث ، بيروت ، دار اليقظة العربية ، ص ١٤١ .

وعند الاسماعيلية المستعلية ، الذين يعتبرون الفرقة الباطنية المحافظة نجد أن :

حجج الليل هم أهل الباطن المحض المرفوع عنهم فى أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم .[١]

وعند المكارمة ان :

لكل امام اثنَى عشر حججا [كذا] فى حضرته السامية وهم أهل الحقائق السانية لا يدخلون تحت التكاليف لأنهم قاموا بذلك قبل التصاريف .[٢]

يمكن القول هنا أنه ليس بعيدا أن تكون مسألة اسقاط الظاهر عند الباطنيين مسألة نسبية ، اذ تتساهل بعض الفرق فيها حتى يصبح من المسلمات الخاصة بتلك الفرقة اسقاط الصلاة والصوم وسائل التكاليف عن أفرادها منذ الجلسات الأولى* كما هو حال الاسماعيلية النزارية فقد ورد في رسالة " الدستور ودعوة المؤمنين للحضور" — الباطنية ؛ استعمال الآية : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح ... الآية) ثم بعده يشرب الجلوس الخمر على أشكاله وهو ما سماه المؤلف شعاعا وماء في قدحين .[٣]

وكذا عند المستعلية ذكر مثل ذلك وأشد ، ذكره محمد بن مالك اليماني ، الذى دخل مذهبهم أيام الدولة الصليحية ، ولكن لا يمكن

---

١. الأعظمى ، الحقائق الخفية — الأنوار اللطيفة ص ١٠٢
٢. حياة الاحرار مخطوط مصور في حوزتي ق ٦١ أ
٣. أنظر ذلك بالتفصيل فى أربع رسائل اسماعيلية ص ٧٦ فما

* المقصود بالعبارة : منذ الجلسات الاولى لدخوله المذهب الباطني

للباحث أن يعتمد علَى مقال غير باطني رغم اعتقاد صدقِه فيما قال لا سيما وأنه لعن من يكذب عليهم ودعا عليه [١].

وأن بعض الباطنيين كما يبدو يتشددون في اسقاط الظاهر عن أتباعهم فيصبح وقفا علَى خاصتهم دون عامتهم ؛ وهذا ربما كان من سياسة خاصة بهم ، كما أنه ليس بعيدا أن يكون سبب ذلك ماله علاقة بالترتيب التصاعدي لدرجات المجتمع الباطني ، وقد عبرت النصوص عما يشعر بذلك ، كما أن " الرسالة الجامعة " التي يدعي الباطنيون أنها من تأليف أحد أئمتهم المستورين - أحمد بن عبدالله ابن محمد بن اسماعيل - تقول ان الله سبحانه نزه بعض الملائكة عن السجود لآدم [٢] ، بزعم أنهم هم الذين عناهم الله بقوله : (استكبرت أم كنت من العالين) [*]

مما يدل علَى أن المقصود بالزام بعضهم العمل بالظاهر واسقاطه عن خاصتهم هو المفاضلة والا فانه ليس في الظاهر الا أنه دليل علَى الباطن كما قال قائلهم :

يامعشر المؤمنين ان الله ضرب لكم الأمثال
جملا وتفصيلا ولم يستح من صغر المثال
اذا بين به ممثولا ، وجعل ظاهر القرآن علَى
باطنه دليلا [٣].

---

١. كشف أسرار الباطنية ص ص ١٢ - ١٦

* سورة ص ٧٥

٢. انظر : الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا ، تحقيق مصطفى غالب ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٤ ، ص ١٧

٣. انظر النص في : كامل حسين . في ادب مصر الفاطمية ص ١٩٦

وقول الداعي المؤيد في ديوانه-هذا الداعي الذي يعتبر معتدلا في فكره-:

اقصد حِمَى ممثوله دون المثل * ذا ابر النحل وهذا كالعسل[١]

هنا نقطة أخرى حول الظاهر والباطن ، وهي تتعلق بما يقولون من ظهور قائم الزمان المنتظر ، وأنه سيسقط العمل بالظاهر ، وهذا ما يتفق عليه متطرف الباطنيين ومعتدلهم ٠ (ر٠ ص٢٢٨فما) ٠

ان الذى تحقق الآن من خلال مراجعهم وعلى لسان أئمتهم ودعاتهم أن قيمة الظاهر عندهم أيا كانت ، وان أقاموه ليست كقيمة الباطن بل هي أقل ، وهنا نعلم أن المشكلة ليست في تطبيق الظاهر أوعدم تطبيقه ٠

أما الباطن وقربه أو بعده عن الاسلام فسيتضح لنا أكثر حين نقف على آمثلة من التأويل الباطنى (ر٠ ص ١٩٩ فما) ٠

أصل التأويل الباطني :

من أين جاء التأويل الباطني ؟ من أين جاء القول بظاهر الشريعة وباطنها ؟ هل ذلك مما أنزل علَى محمد ؟ أم هو دخيل علَى الاسلام؟ ان الأقوال في ذلك تتضح من خلال ما يأتى :-

تاريخ الباطن عند الباطنيين : ان الباطنيين يرون أن دينهم نشأ مع بدء الخليقة ٠ واذا قال قائل : ان القول بالباطن والظاهر كان منذ آدم فقد أخطأ بزعمهم لأنهم لايعتبرون آدم أبا للبشر علَى حقيقته بل لا يصورون بدء البشرية علَى النحو القرآني ، فهم يرون أن هناك آدم الكُلّي

---

١. ديوان المؤيد ٠ تحقيق كامل حسين ، القاهرة ، دار الكتاب المصرى ١٩٤٩ ، ص ٢٠٣ ٠

وآدم الجزئي وآدم الأول وآدم الروحاني وآدم الجسماني وآدم الستر [١]
وان في مذهبهم أن الله خلق ثمانية وعشرين شخصا من غير تناسل
كان آدم أبو البشر من بينهم [٢] وصح الداعي الباطني " سنان راشد
الدين " (- ٥٨٨) أنه يعرف ثلاثمائه وستين آدم وعن الأمم التى تناسلت
من كل منهم وأديانهم ومذاهبهم الى أن ينقضي دوره ويأتى آدم آخر
من ذريته [٣] ، ويبدو أن آدم أبا البشر كان آخر آدم ؛ لذ فقد لقبوه
بالأدنى [٤] ، أما اسمه عندهم فهو عبدالله بن تنجوم .

ان الباطنيين يزعمون أن آدم قام رسولا ناطقا وأقام دعوة ظاهرة
فأخرى باطنة وكذلك من جاء بعده ؛ فكان نوح وابراهيم وموسى وعيسى
ومحمد صلى الله عليهم وسلم [٥] .

وعن انتقال الدعوة الباطنية بالتفصيل قال الباطنية :

لما تم دور آدم (ع) بآخر متميه قام بعده
نوح دعاته [كذا] بالدعوتين الظاهرة والباطنة
الى أن تم دور نوح (ع) بآخر متميه ، وقام
بعده ابراهيم (ع) ناطقا ... فاجتمعت
عنده النبوة والرسالة والوصاية والامامة ..
و اقام دعوته الى أن استخرج منها ولده اسماعيل

---

١. انظر مجهول . مسائل مجموعة فى الحقائق ، ايفانوف ، أربعة كتب ص ص ٩ ، ١٩ ، ٢٠ ، ١٠٠ ، ١٢٩ ، ١٣٣ .
٢. انظر ، طاهر الحارثي (- ٥٨٤) الأنوار اللطيفة فى الحقيقة ، نشر الأعظمى ، الحقائق الخفية ، القاهرة ، الهيئة المصرية ، ١٩٧٠ ، ص ص ١٠٠ - ١٠٣ .
٣. انظر : أبو فراس . مناقب الولى راشد الدين نشر مصطفى غالب . شيخ الجبل الثالث ، بيروت دار اليقظة العربية ، د . ت ، ص ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
٤. حياة الأحرار ق ٢٢
٥. أنظر : ابن الوليد . رسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد ، نشر ايفانوف ، اربعة كتب ص ص ١٦٣ - ١٦٨

... وصيا وسلم اليه رتبة الوصاية والامامة
بأمر الله تعالى ... وسلم الى ولده اسحق
رتبة النبوة والرسالة وجعله خادما بين يدي
أخيه اسماعيل (ع) وحجابا عليه وداعيا اليه
... وانتقل ابراهيم (ع) الى دار كرامة ٥
الله تعالى ، وقام ولده اسماعيل بعده وصيا في
مقامه مستترا وقام اسحق حجة له ظاهرة ، وحجابا
عليه الى أن أتت نقلة اسماعيل (ع) . وسلم
الى ولده قيدار الامامة والوصاية ، ولم تزل
متسلسلة في ولد قيدار من ولد الى ولد ... ١٠
وسلم اسحق الى ولده يعقوب رتبه ولم تزل تنتقل
فيهم ... الى أن تسلمها قائم ولد اسماعيل ...
فاجتمعت [عند عبدالمطلب] ... الرتب الأربع
التى اجتمعت عند جده ابراهيم (ع) ...
[و]كانت اثنتان منهن مدخرتين لقائم ولد اسماعيل ١٥
هما الوصاية والامامة واثنتان لقائم ولد اسحق
(ع) وهما النبوة والرسالة ... فسلم عبدالمطلب
رتبة الوصاية والامامة الى أبي طالب ورتبة
النبوة والرسالة الى عبدالله ... فلما آنت نقلة
عبدالله استودع أباه عبدالمطلب لولده محمد (ص) ٢٠
رتبة النبوة والرسالة ... [ثم] قام أبو طالب بالرتب
الأربع الى أن بلغ محمد أشده ، وسلم اليه
ما استودع له وهي رتبة النبوة والرسالة ... وهو

قائم ولد اسحق (ع) الذين سبق القول عليهم .
وكان هيكلا نورانيا ومقاما الهيا اجتمعت عنده
صور أهل الدعوات الظاهرة ، القائمين بالعبادة
الظاهرة والقائمين بالأعمال الصالحة .

٥ من اسحق بن ابراهيم الى عبدالله بن
عبدالمطلب ... [فقام] بالأمر وأعلن بالشهادتين
وأقام دعوته الظاهرة دون الباطنة ... فلما كملت
[فاطمة] زوجها أبوها أمير المؤمنين (ص) بأمر
الله ووصيه فتم التمام ، واتسق النظام ، وأزدوج
١٠ الايمان والاسلام ، وجرت الدعوة الظاهرة على
حالتها والدعوة الباطنة في ضمنها واستمر أمرها
الى ان استخرج من الدعوة الظاهرة الحسن (عـه)
ومن الدعوة الباطنة الحسين (عه) وكانت الدعوة
الظاهرة قسط الناطق ، والدعوة الباطنة قسط
١٥ الوصي الى أن أوفى الناطق خدمته وسلم الى
ولده الحسن رتبة النبوة والرسالة ، وجعلها
مستودعة له عند أمير المؤمنين ، اذ كان ذلك
قسط الحسن (عـه) . وانتقل الناطق (ص) وقام
الحسن بما وجب له به القيام ، الى أن انتقل
٢٠ بعد أن سلم الى أخيه الحسين (عـه) رتبة
النبوة والرسالة فصارت الأربع عند الحسين (عه)
غير خارجة منه ، ولا من ذريته ، حتى تسلم

جميع ذلك قائم القيامة[١] .

هذه صورة تاريخ الباطن عند الباطنيين كما تصوره مراجعهم ، والذي يهمنا من كل ذلك ما يأتي :-

١- التأويل الباطني يتناقله الأنبياء والأئمة منذ آدم حتى قيام قائمهم ابنا عن أب .

٢- أن رسول الله (ص) لم يكن الا صاحب التنزيل أي تنزيل القرآن . وهو معنى للظاهر مطلقا .

٣- ان علم الباطن - وان نزله على محمد (ص) فقد خص به عليا ولذلك فهو صاحب التأويل .

٤- ان أئمتهم هم أصحاب التأويل الذي ورثوه عن علي .

٥- ان من مميزات الباطن أنه سرّي منذ أن كان ، لا يعرفه الا القليل .

سبق للباحث أن نفى التأويل السرّي عن علي والحسنين ، بل ان تصرفهم الذى أثبته التاريخ لا يدل على وجود شيء من ذلك عندهم (ر. ص١١) والا لظهرت آثاره ، وحتى لو كانوا يعملون على نشر التأويل الباطني سرًا لعُرف ، كما عرف المؤرخون وأصحاب الفرق من قال بالتأويل الباطني من الغلاة ، وكما وقف أهل العلم اليوم على مؤلفاتهم الباطنية السرية ، رغم كل المحاولات التي بذلها الباطنيون ، وعلى ذلك فان ما ذكره الباطنيون عن تاريخ التأويل الباطني ليس الا من نسج الخيال ، وكم كان يود الباحث

---

١. الأنوار اللطيفة في الحقائق (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية) ص ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .
وانظر عن الدعوى الظاهره والباطنة : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٣٨ .
ر. تحفة المرتاد وغصة الأضداد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٣

اجراء مقارنة بين " رسائل اخوان الصفا " و " الرسالة الجامعة "
لها وبين الكتابات المتأخرة للدعاة الباطنيين ، كي يتضح مدى الصدق
في تاريخ التأويل الباطني الذى يدعونه ، لأن " الرسالة الجامعة"
بصفة خاصة تحيل التأويل الباطني صراحة على الحكماء والفلاسفة[١]
حيث لم يدر بخلد مؤلفها أن من سيأتى بعدهم من الباطنيين سيضطر ٥
الى نسبة علم الباطن الى أهل الديانات لأن أصحاب أو صاحب
" الرسالة الجامعة " لم يُقدِّر ابدا الفرق بين الدين الاسلامي الذي
يعتمد على القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،
وبين ما كان يضعه من أفكار باطنية بل اذا كنا أشد صراحة فان
الباطنيين أصحاب " رسائل اخوان الصفا " كانوا يتصورون أن الاسلام ١٠
سيضمحل ليحل محله الدين الباطني .

أما ما قاله الباطنيون عن انتقال التأويل الباطني بين أئمتهم ، فان
تاريخهم أثبت استحالة ذلك ، في مثل امامة اسماعيل بن جعفر
المختلف في حياته ومماته (ر. ص ص ٢٦٤ فما) وفي امامة محمد بن
اسماعيل الذي عاش في المدينة المنورة ردحا طويلا وله فيها من الأبناء ١٥
من اعتبرهم الباطنيون خاليين من الامامة ، وتحويل الامامة الى ابن له
ولد ونشأ في ظروف غامضة صعبة التصديق (ر. ص ٢٧٤) وكذا
اعتبار بعضهم ان "عبدالله المهدى " ليس من الأئمة المستقرين ونفى
بعضهم ذلك عنه (ر. ص ٤١٩ فما) وغير ذلك من الأمثلة كثيرا يستحيل فيها
انتقال علم الباطن من أب لابنه مطلقا . ٢٠

---

١. انظر: الرسالة الجامعة ص ص ٨ ، ١ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥١

تاريخ الباطن عند غير الباطنيين :

ان معظم من تحدث عن التأويل الباطني عزاه الى الفلاسفة اليونانيين ،
من أولئك كان الشهرستاني (ـ ٥٤٨)[١] ، وابن الجوزي (ـ ٥٩٦)[٢] ، وعطاء
الملك الجويني (ـ نهاية القرن السابع)[٣] وابن تيمية (ـ ٧٢٨)[٤] وغيرهم
ومن المحدثين قال بذلك المستشرقان : دي بور[٥] وبراون (ـ ١٣٤٣)[٦] الذي   ٥
يضيف أن المذهب الباطني قد استمد كثيرا من أسسه من المذاهب الايرانية
والسامية القديمة . هذا وان محمد كامل حسين ذكر أن الباطنيين أخذوا
التأويل الباطني من خلال الكتب اليونانية التي ظهرت باللغة العربية
في عصر الترجمة أيام المأمون العباسي وما بعده[٧] . ولكن هذه الدعوى
لا تصمد أمام المصادر القديمة التي ذكرت أن التأويل الباطني ظهر عند الغلاة   ١٠
قبل هذه الفترة بزمن طويل (ر. ص ١٤٠) . الأمر الذي يدل
على أن التأويل الباطني لم يظهر من خلال عصر الترجمة بل ظهر من خلال
أفراد انضموا الى الفرق الغالية أو أسسوها لغرض هدم الدين الاسلامي .

اتجهت اصابع الاتهام بعد ذلك الى المجوس واليهود ؛ لأن لهذين
الفريقين مصالح في النيل من الدين الاسلامي ردا منهم على الانتصارات   ١٥
الاسلامية التي أبادت نفوذ اليهود في شبه الجزيرة العربية وأبادت
دولة الفرس في بلادهم .

---

١. انظر الملل والنحل ١/١٩٢
٢. انظر : عبدالرحمن بن الجوزي (ـ ٥٩٦) . تلبيس ابليس ، نشر الاسلامبولي ، ١٣٩٦ ، ص ١٠٦ .
٣. انظر : جهانكشاى ، ترجمة جمال الدين . ص ١٥٠
٤. انظر مجموع الفتاوى ، ج ٣٥ ، ابن قاسم ، مكة ، مطبعة الحكومة ، ص ١٣٣
٥. تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ترجمة أبوريدة ، القاهرة ، لجنة التأليف ١٣٥٧ ، ص ٩٥ .
٦. انظر ماكتبه الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ، ط ٢ ص ٢٠
٧. في ادب مصر الفاطميه ص ٢٨ .

بالنسبة للمجوس فان " اصابع الاتهام قد تصدق في مظاهر أخرى للغلو الشيعي . أما التأويل الباطني بخاصة ؛ فان المصادر القليلة التي تيسرت للباحث ، لم تقل بوجود التأويل الباطني عندهم على النحو الفلسفي اليوناني ، ولكن رغم ذلك لا أحد يستطيع نفي الجهود المجوسية في المساعدة على نشر الباطنيات ؛ فهم وان لم يكونوا مصدرا للتأويل الباطني فقد أعانوا على نشره . ٥

أما اليهود فان في تاريخهم ما يشي بوجود التأويل الباطني الفلسفي اليوناني في فكرهم على نحو واضح الى حد ما ، وهذا يدعو الى مرافقة التأويل الباطني الفلسفي اليوناني في رحلته الى فكر اليهود . ١٠

اليهود والتأويل الباطني :

قبل الحديث عن التأويل الباطنى عند اليهود ، لا مناص من العلم بشيء عن أصل التأويل الباطني عند اليونان . وشيء عن سيطرة اليونان على اليهود . ١٥

ان اليونان أخذوا بالتأويل الباطني بعد ظهور شعر هوميروس فحينما أصبح هذا الشعر نصا ذا سلطة ؛ أخذ المفكرون اليونانيون والأدباء في القرن الخامس قبل الميلاد في تأويله[١] .

ثم سلك هذا المسلك (زينون الرواقى) وتبعه عليه (فورفوريوس) أما عن انتقال التأويل الباطني الى اليهود فقد أتى من اعجابهم باليونان على النحو التالي :— ٢٠

---

(١) عبدالرحمن بدوي . مذاهب الاسلاميين ٢/ ١٠

بعد احتلال " قورش " ملك فارس (٥٣٨ ق م) لبابل صار له سلطان على أرض يهوذا التي كانت تحت النفوذ البابلي [١] . وقد مكن هذا الاحتلال الفارسي اليهود من الفكاك من الأسر البابلي ؛ فعادوا الى فلسطين الا أن :

عودة اليهود من المنفى [كان]عودة الجموع وليس عودة الدولة فان بعض بني اسرائيل عادوا ولكن دولتهم لم تعد ، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي ، ولكن دولتهم لم تعد فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي ، وخاضعة له وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم من الفرس ، ومن أجل ذلك رحبوا بالاسكندر الأكبر حينما زحف على فلسطين سنة ٣٢٠ ق ٠ م ، وقد آل حكم فلسطين الى البطالسة بعد الاسكندر . [٢]

[ولا شك أن لهذا الترحيب باليونان آثارًا أهمها الاتصال بالحضارة اليونانية .]

ولكن الديانة اليهودية القديمة ، بفضل اتصالها بالحضارة اليونانية التى كانت آخذة في التقدم حول فلسطين ... بصورة حتمية ، أقله في أوساط الارستوقراطية اليهودية التى استهوتها هذه الحضارة ، ورغبت فى ارضاء الملوك اليونانيين

---

١. انظر : شلبى . اليهودية ، ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ١٩٧٤ ص ٨٨ .

٢. شلبى . اليهودية ، ص ٨٩ .

وقد انتشرت الحضارة اليونانية انتشارا أوسع في مجتمعات
اليهود المهاجرين المقيمين في مصر وفي المدن الآسيوية
[ويبدو ان ذلك وغيره مهد الى قيام] ... ثورة
المكابيين [سنة ١٦٦ ق م] ... والتي انتهت بفضل
ضعف المملكة السلوقية الى قيام دولة يهودية مستقلة ٥
... ولكن سرعان ما انتهت دولتهم المستقلة ، في
أواخر القرن الثاني قبل المسيح ، الى ملكية حمل أول
ملك فيها اسما يونانيا هو أرسطوبولوس ، ويكفي هذا الحديث
للدلالة على أن مناهضة الحضارة اليونانية التي بدأت
بثورة المكابيين قد أخفقت ... ثم ان الأدب اليهودي ... ١٠
قد تأثر ، مع محافظته على طابعه الديني بالفلسفة اليونانية
كما نرى في كتابي " الجامعة " و " الحكمة " . ويتضح أن
واضع هذا الكتاب الأخير ملم بالأفلاطونية من مفهوم
الألوهية التي لاتتصل اتصالا مباشرا بالعالم ، وهكذا
فقد تمهدت الطريق لمؤلفات " فيلون " في العهد التالي .[١] ١٥

ولنرى بعد ذلك من هو " فيلون " هذا الذي جاء في العهد التالي ، وما
علاقته بالتأويل الباطني .

فيلون : فيلسوف يهودي من بعد العصر الهليني أي ما
يقارب ٢٠ سنة قبل المسيح ، عاش في الأسكندرية — أى مملكة
مصر القديمة ، الكثير عن حياته غير معروف ، في سنة ٤٠ بعد ٢٠
المسيح كان زعيما لبعثة يهودية أرسلت الى (جاليجولا)
طالبة منه التوقف عن ملاحقة الدين اليهودي واليهود .... كانت

---

١. موسوعة تاريخ الحضارات العام . الحضارة اليونانية والديانة اليهودية ، بيروت ، عويدات ، ١٩٦٤ ، ص ص ٤٨٧ ، ٤٨٨ .

دراسته مع الطبقات الأورستقراطية الأغريقية كان شديد
الاطلاع علَى الفلاسفة الكلاسيكيين والدراماتيكيين ، وكانت
لديه معرفة كافية في الحساب وعلم الطبيعة ، ومن ناحية
أخرَى يظهر أنه لم يكن لديه معرفة بالتاريخ ... من
حضور حلقات المجامع والكُنس اليهودية . هناك تعلم ٥
التوراة في الترجمة السبعينيه* . مما يظهر أنه لم يكن علَى
اطلاع علَى اللغة العبرية[١] .

الملاحظ من خلال النصوص السابقة أن هناك اعجابا يهوديا بالحضارة
اليونانية وأن هذا الاعجاب قد ترجم الَى تعلق الأدب اليهودي وتأثره
بالحضارة اليونانية مع المحافظة علَى الطابع الديني ،كان هذا في ١٠
القرن الثاني قبل ميلاد المسيح ،أما الفترة التي تلت ذلك وهي الفترة
التي وجد فيلون فيها ، فان الدراسات اليهودية عامة أصبحت باللغة
اليونانية حتَى وجدنا فيلون اليهودي لا يقرأ التوراة الا بترجمتها اليونانية
الشهيرة بالسبعينية ، ولنا أن نتخيل مكانة الثقافة اليونانية في نفس
أمثال فيلون. ١٥

وقد سبق لنا معرفة قيمة التأويل الباطني في الفكر اليوناني أو الأغريقي
لأنه أصبح من مظاهر فكرهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد ، لاعجب
اذن أن يسلك فيلون الاسكندري اليهودي مسلك الاغريق في ذلك . وهكذا :

انتقل التأويل الرمزي [الباطني] الَى اليهودية علَى
يد فيلون اليهودي في القرن الأول الميلادي ، الذي يعد من ٢٠
اكبر ممثلي النزعة الى التأويل في العصر القديم ... وقد
دفعه الَى اتخاذ هذا المذهب الحملة التى قام بها

---

١. دائرة المعارف اليهودية J.E. V.IX. new york.1903. (Philon) p.495

* عن الترجمة السبعينية أنظر هامش الصفحة التالية.

المفكرون اليونانيون علَى مافي التوراة (العهد القديم) من
قصص واساطير ساذجة أوغير معقولة ، مثل برج بابل،
والحية التي أغرت حواء في الجنة ، وغضب الله ، وأحلام
يوسف ، فاضطر فيلون الَى الدفاع عن التوراة بتأويل هذه
المواضع الاسطورية وغير المعقولة الواردة في التوراة تأويلا ٥
بالباطن ، ورأى أن التأويل بالباطن هو روح النص المقدس
وأن التفسير بالمعنَى الحرفي — هو مجرد جسم هذا النص
المقدس (Philon ; de Migr Abr. I, 450) —
للنص سيؤدى الَى الكفر والاحالة .[١]

وفي ذلك تقول موسوعة تاريخ الحضارات العام ان فيلون : ١٠

يفسر حوادث التوراة تفسيرا مجازيا ، منها ظهور يهوه
ومداخلاته في شئون بني البشر . وهكذا توصل بفضل
ما اقتبس من نظريات "أفلاطون" و"زينون" الفلسفيه أن ينسخ
كل اتصال مباشر للـه مع العالم الخارجي .[٢]

وقالت دائرة المعارف اليهودية عن فيلون : ١٥

انه يعظم مكانة الاله ومن طهارته ومن كماله ، ولكنه يجعل
من فلسفته [أن] العالم مبني علَى مواد أزليه كعالم الأفكار

= * الترجمة السبعينية للتوراة هي ترجمة الى اللغة اليونانية قام بها بطليموس وقد أخذت هذه الترجمة على لسان سبعين من علماء اليهود استجلبوا من فلسطين لهذه المهمة "انظر فى ذلك : تاريخ يوسيفوس اليهودي ، ط بيروت ، ١٨٧٢ ، ص ص ٤٩ — ٥١ .

١. عبد الرحمن بدوي . مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٣ ، ص ١٢

٢. الحضارة اليونانية والديانة اليهودية ص ٤١٨ .

الخيالية ، أنه اي الاله يؤثر علَى العالم بطريقة غير مباشرة مبدئيا من خلال التوسط وبعض الأحيان من خلال الملائكة والشياطين والنجوم [١].

بالامكان هنا التعرف علَى ماهية التأويل الباطني عند فيلون علَى ضوء المصادر السابقة ، وهي أنه : ينسخ كل اتصال مباشر لله مع العالم الخارجي أي أن تأثير الاله علَى العالم يكون بطريقة غير مباشرة من خلال وجود واسطة بين الله وخلقه . وظهور هذا عند فيلون يعتبر ترجمة لما ذهب اليه من أن التأويل الباطني للنص هو الروح .

ان التأويل الباطني حسب ما سبق ظهر بعد أن أصبح شعر هوميروس نصا ذا سلطة وهذا تفسير لما ذكره الشهرستاني بأن :

وجود الشعر [عند الأغريق] كان قبل الفلسفة [٢].

وهذا يعنى أن التأويل الباطني الذي هو جزء من الفلسفة الاغريقية ، انما كان وسيلة اجتهادية للهروب من النص الذي صار أمرًا ذا سلطة ، والنص الذي هو الشعر هنا بشري وكذا التأويل الباطني له بشري من جنسه . ان هذا لا يمكن تطبيقه أبدا علَى التوراة فهي نص سماوي ذو سلطة علَى بني اسرائيل منذ نزوله علَى موسَى في القرن الثالث عشر قبل المسيح تقريبا . ولكن التأويل الباطني لم يظهر للتوراة الا في القرن الثاني قبل المسيح حينما ظهر قبل فيلون الاسكندري ، مع أن اليهود تعرضوا لكثير من النوائب خلال هذه الفترة ، الا أن أيا منهما لم يؤد الَى ظهور التأويل الباطني للنص التوراتي ذي السلطة . وان ظهور هذا التأويل في فترة استقرار

---

١. دائرة المعارف اليهودية : (Philon) P. 496
٢. الملل والنحل ج ٢ ص ١٠٨

اليهود يعني أن سلطة النص لم تكن هي الدافع للتأويل الباطني - مما يعني أن مجارات الحضارة اليونانية كانت السبب في ظهور التأويل الباطني

هنا بالامكان التساؤل : هل معنى ذلك أن اليهود نقلوا التأويل الباطني من الاغريق ثم انتقل بواسطتهم الى الباطنيين ؟ .

اجاب عبد الرحمن بدوي على ذلك بالنفي لأنه يزعم أن التأويل الباطني الذي ظهر به فيلون لم يجد صدىً كبيرا في الفكر اليهودي عامة فضلا عن أن يكون له صدىً في يهود جزيرة العرب وعليه فان من المستبعد أن يكون عبد الله بن سبأ مثلا قد علم التأويل الباطني الفيلوني ونقله الى فكر الغلاة وبالتالي تم نقله الى الباطنيين . ان رأى "بدوي" هذا[١] الذي استقاه من اساطين الفكر الغربيين . وهذا يعني أن أهل هذا الفن توقفوا عند هذه النقطة .

وحيث قد سبق للباحث ان استبعد انتقال التأويل الباطني عن طريق المجوس ، كما استبعد انتقاله عن طريق ترجمة الكتب اليونانية في عصر المأمون (ر. ص ١٨٠) ، فان في الأمر حلقة مفقودة ، أو أن هناك تقييما خاطئا لفترة تاريخية ما .

ان عبد الرحمن بدوي قد فطن الى ذلك فذكر أسبابا تدعوا الفرق الباطنية للأخذ بالتأويل الباطني أو للجوء اليه دون أن يدلهم اليه أحد ، وذلك لدواعي :

١- التحرر من قيد النص للتوفيق بينه وبين الرأي الذي يذهب اليه صاحب التأويل .

٢- التحرر منه ابتغاء التوفيق بين ما يفهم من صريح اللفظ وبين ما يقتضيه العقل .

---

١. انظر : مذاهب الاسلاميين ٢/ ١٦

٣- الرغبة في تعميق صريح النص الساذج .[١]

ان هذا الرأي يتلخص في أن الحاجة تفتق الحيلة . وهو احتمال يفتقر الى وقائع ثابتة . كيف يمكن الأخذ به وهو في أحسن حالاته تهرب من وقائع أثبتها هذا البحث. بعد الرجوع الى المصادر الخاصة بأصحاب المقالات والفرق ؛ وهم الذين تتبعوا التأويل الباطني وظهوره في فرق الغلاة ، وقد أشير اليه في مواضع مختلفة من الباب الأول في هذا البحث . ان العودة الى ما كتب في ذلك يوضح لنا بجلاء أن احتمال ظهور التأويل الباطني في الفرق الباطنية كان لأسباب فطرية وليس بتدخل عوامل خارجية انما هو احتمال يفتقر الى الكثير ليكون احتمالا صادقا .

متى ظهر التأويل الباطني عند الغلاة ؟

ظهر التأويل الباطني أول ما ظهر على زعم وجود علم سري عند علي بن أبي طالب .

ذكر ذلك القاضي عبدالجبار المعتزلي والبغدادي وابن ابي الحديد ، وكان بطل هذه الدعوى عبدالله بن سبأ اليهودي وجماعته السبئيين وكان هذا " العلم السري " عبارة عن أخبار توراتية ، ودعاوى تأويلية مثل هدم دمشق حجرا حجرا (ر. ص٣٢) ونبع عين من مسجد الكوفة (ر. ص٣٤) وادعاء أن رسول الله (ص) كتم تسعة أعشار الوصى (ر.ص٣٦) كما ذكر كثير من الذين أرخوا لابن سبأ ؛ قوله لمن جاء ينعي اليه أمير المؤمنين ؛ كذبت ... لعلمنا أنه لم يمت ولا يموت حتى... واذا عدنا الى التراث اليهودي فاننا نجد أن " العلم السري " ظاهرة معروفة ؛ الا أني لا أزعم

---

١. انظر: مذاهب الاسلاميين جـ ٢ ص ١٥

أنه التأويل الباطني الفلسفي بعينـــه .

في محاضر التحقيق في حادثـة مقتل الكاهـــن النصراني : "توما"، الشهيرة ، وجـه أحـد المحققين سؤالا الى الحاخام " موسى أبو العافيه " الذي أسلـم وتسمى " محمد أفندي " قائلا لـه :

قلت [بفتح الأخيرة] انهم اخذوا الدم لأجل الفطيرمـــع ان الدم عند اليهود محرم وهو رجس ، ولوكان دم حيـــوان فكيف هذا التناقض ؟ فســر لنا ذلك ان كنت من الصادقين .

— بموجـب التلمود هناك دمان مقبولان عنده تعالى : دم الفصـح ودم الطهور فصادق الحاخام يعقوب العيتائي علـــى هـــذا التفسير .

[قال المحقق] : ان جوابك لا يظهر جليا كيف يحل استعمـــال الدم البشري ؟

[قال محمد أفندى] : هذا سر من أسرار الحاخامات الكبـــار كما أن كيفيـة استعمال الدم هي من اسرارهـم أيضا [1] .

أن العلم السري عرف عند اليهود أيضا باسم " القانون الشفهي " الـــذي يتناقلـه الحاخامات جيـلا بعد جيل ثم كتبوه وسموه التلمود [2] . وهذا القانـــون الشفهـــي مما اشتغـل به فيلـون [3] .

انتقل " العلم السري " الى الكيسانية فيما انتقل من العقائد السبئية على يد " المختار الثقفي " الذي :

شجع الآراء الاسطورية عند غلاة الشيعة — وهم الآن السبئيـة — وسمح بتكوين عقيدة جديدة تقوم على محاولة اسبـاغ علم ســـري على الامام [4] .

على ما تقدم من الروايات يمكن القول : ان عقيدة " العلم السري لم تقم على أكتـــاف

١ـ الكنز المرصود ص ١٤٧ ٢. انظر الكنز المرصود ص ٤٥
٣. انظر : دائرة المعارف اليهودية ٤. الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢، ص ١٠٤

ماكانت هذه العقيدة قائمة من قبل لدَى السبئيين ، وانما ترعرعت لدَى الكيسانية علَى اختلاف فرقهم كما ذكر الشهرستاني عن الكيسانية ، وتأويلهم الأحكام الشرعية الى رجال ، وكذا ما اعتبروه في شخصية " ابي هاشم " مما أخذه من أبيه " محمد بن الحنفية " من أسرار التأويل الباطني (ر٠ ص ٨٩) ، وما أظهره حمزة بن عمارة البربري من تحليل المحارم (ر٠ ص ٨٣) ٠ وقد اتخذ التأويل الباطني أشكالا مشابهة لتحليل المحارم وتأوين الأحكام الشرعية ٠ لدَى فرق الغلاة الكيسانية بعد أبي هاشم ، بل ان جميع فرق الغلاة بعدهم قالوا بالتأويل الباطني ٠

كما لم يظهر التأويل الباطني عند " الخطابية " " والمباركية " ومن سار سيرتهم ، الا علَى ذلك النحو وتلك الوتيرة ، وان لم يخل الامر من تأويلات فلسفية ظهرت عندهم وهم الذين يعتبرون نواة للاسماعيلية ، كل ذلك كان قبل عصر الترجمة العباسي ٠

يتضح لنا أن التأويل الباطني انما أدخله عبدالله بن سبأ اليهودي ، وسارت الغلاة عليه تطوره وتزيد عليه ٠ وقد اتضح لنا أن عبارة " العلم السري " انما هي اصطلاح يهودي ، ولذا فان اللفظ المشترك ومعناه يتطابقان مع مدلول نفس اللفظ عند السبئية فهو أحد العوامل المشتركة في ذلك بين اليهود والباطنيين ، أما العامل الثاني فهو :

تعدد تأويلات العبارة الواحده ، فقد ذكروا أنهم يروون عن الأئمة أن:

الكلمة لها سبعة وجوه ، فقال قائل سبعة وجوه ٠ فقال :
سبعون ٠ فقال القائل : سبعون٠ فقال : سبعمائه ...[١]

---

١. الديلمي قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، ص ٥٢ وأنظر تأكيد ذلك في مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان ٠ أربعة كتب) ص ٣٢ ٠

وكقول بعض الطوائف اليهودية بتعدد تأويل العبارة الواحدة مع التناقض في التأويل :

قال الحاخام "مناحم" في أقوال الحاخامات المتناقضة : انها من كلام الله مهما وجد فيها من التناقض : فمن لم يعتبرها ، أو قال انها ليست من أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى .

ان أقوال الحاخامات المتناقضة منزلة من السماء ومن يحتقرها فمثواه جهنم وبئس المصير .

حصلت مشاحنة يوما بين حاخامين أحدهما يُدعى الرابي (شايا) والثاني (باركبارة) وحلف كل منهما أن أحد الحاخامات قال له : كيت وكيت مما ادعوه ولم يُفصل في الخلاف الواقع بينهما . فجاء الحاخام (روسكي) وقال : " ان الحاخامين المذكورين قالا الحق لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ ".[1]

يزعم التلمود أن أقوال الحاخامين ذات سلطة متماثلة ، وذلك لأن نداء مقدسا هتف على (جابنيه Jabneh) قائلا : كلمات هذا وذاك كلمات الله الحي .[2]

الظاهر أن تعدد تأويل العبارة الواحدة لم يظهر عند الغلاة كمبدأ ساروا عليه بقدر ما كان عاملا فرضته اختلاف زعمائهم باعتبار كل فرقة من فرقهم في الحقيقة مدرسة غالية مستقلة ، أما ما حدث بعد ذلك فقد كان باختلاف تأويلات دعاة الباطنية المتناقضة ، فلما اكتشفوا ذلك في مذهبهم صاغوا له تلك الرواية كما فعل

---

١. الكنز المقصود ، ط ٢ ، ص ٤٧

٢. ظفر الاسلام . التلمود تاريخه وتعاليمه ، ط ٢ ، بيروت ، دار النفائس ١٩٧٢ ، ص ٣٥ .

اليهود من قبل .

أما ثالث ما تطابق عليه اليهود في التأويل الباطني مع الباطنية فهو :-

أن باطن النص هو المقصود وأنه كالروح بالنسبة للجسد :

أشار الباحث فيما سبق الى ما يؤيد القائلين بأن المقصود من النص أياكان هو باطنه وأن ظاهره قد كُيف ليتلائم مع الباطن في كثير من الأمور (ر. ص ص ١٦٥، ١٦٦) ٥

أما اليهود فابتداء من " فيلون ": يقولون بذلك في نصوصهم ، وقد سبقت الاشارة الى النص الذى أورده عبدالرحمن بدوى من كتاب ألفه " فيلون" نفسه ، بأن التأويل بالباطن هو روح النص (ر. ص ١٨٥). والتلموديون ينهجون الطريقة نفسها في صرف النظر عن ظاهر نص التوراة ، يقول (باركلى) عن ذلك : ١٠

الأساس الكلى الذى يقوم عليه القانون الثاني أو الشفهي هو عدم الالتفات لما صرح به موسى في التوراة .[١]

ان الباحث هنا يجد نفسه أمام النصوص القوية التي تشير الى تطابق التأويل الباطني عند الغلاة وعند اليهود عامة و "فيلون" خاصة ، يشير بالاتهام الى عبدالله بن سبأ لا سيما وأن شيئا من ذلك ظهر في العقائد التي نشرها هذا اليهودي . وبصدد استبعاد دوره في ذلك ، فان الأمر يكاد يصبح مثل الأقصوصة التي تقول ان هناك شخصا في يده مسدس وآخر على مرمى سلاحه مضرج بالدماء . فكيف يستساغ القول ان صاحب المسدس غير متهم باطلاق النار على المجندل بحجة أننا لم نر الرصاصة حين خرجت من المسدس وانطلقت حتى استقرت في جسم القتيل ، مع اعترافنا بأن ١٥ ٢٠

١. ظفر الاسلام . التلمود ، ط٢ ، ص ٣١

رصاصة أطلقت ؟! هل يستساغ ذلك ويمكن قبوله ؟!

نماذج من التأويل الباطني للقرآن الكريم عند الباطنيين :

تفسير آية الكرسي *

ان قوله تعالَى : " الله لا اله الا هو الحي القيوم " هو تنزيه
من القائل للمبدع الحق تعالَى الذي لاتجاسر نحوه الخواطر ٥
وان كانت الألفاظ لاتقع عليه حقيقة كما قال سيدنا حميد الدين أعلى
الله قدسه : ان حروف المعجم لما كانت محدثة لم تدل الا علَى
محدث مثلها ، وانما يضطرنا العجز الَى أن نكني عنه بما يستحقه
أسماؤه العليا ، لعدمنا ما نصفه به ، فكان المكنّى عنه حقيقة
بالحي القيوم ، وسائر النعوت المذكورة في الآية ، هو أول مبدع ١٠
أبدعه الله تعالَى وهو اسمه الأعظم ، وقوله : " لاتأخذه سنة ولا نوم "
هو تنزيه له عما يعتري أبناء الطبيعة من السنة التي هي الغفلة
والنوم . قوله تعالَى " له مافى السموات ومافى الأرض " هو اخبار
أن من لاتجاسره الخواطر ملَّكه ، لما خصه به ، وانعم عليه من
المدة الأزلية التي كانت جزاء عن تنزيهه لمبدعه عن جميع ما في ١٥
العوالم الروحاني والطبيعي والديني ، وما احتوت عليه سمواتهم
وأرضهم والسموات الطبيعية هي الأفلاك والأرض هي المركز في
عالم الكون والفساد . والسموات في عالم الروحاني والديني هم
المفيدون والأرض هم المستفيدون ، فكل واحد منهم سماء لتاليه
وأرض لعاليه ، والمبدع الأول تعالَى مبدعه مالك للجميع ممد ٢٠
للكل ، وبأمره الساري اليهم قاموا ، وبمادته الأزلية المتصلة
بهم داموا واستقاموا . وقوله تعالَى : " من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه " معناها أنه لا يقدر علَى الشفاعة ويقبل منه ، الا من قام

* انظر سورة البقرة ٢٥٥

في مرتبة من مراتب العالمين الروحاني والديني باذنه ، وأفاد وهدى بأمره الوساطة من سبق عليه من الحدود . وقوله تعالى : يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم " فالذي بين أيديهم هي الآخرة والذي خلفهم هي الدنيا وعلمه محيط بالكل . وقوله تعالى : ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء " إخبار منه سبحانه أن أحدا من هذه العوالم لا يحيط بعلم الا بما أفاضه عليه وشاء أن يمديه اليه . وقوله تعالى " وسع كرسيه السموات والأرض " فكرسيه في العالم الروحاني هو تاليه الذي اقامه لهداية أهل عالم الابداع وسعهم رحمة ، وافادة ، وكرسيه في العالم الديني ، هو كل مقام في عصره من نبي ووصي وامام وهو الذي وسع من فى ضمنه من سموات الدين وأرضه هداية ورحمة وكرسيه في العالم الحسي الطبيعي النفس الفلكية والحيوة المحركة لها العناية الالهية التي وسعت كل ما في عالم الطبيعة تجربة ونقلا لكل شيء من جزئياتها الى ما يليق به من كون او فساد . وقوله تعالى " ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم " معناه أنه لا يثقله ولا يشغله ما صرف اليه مبدعه تعالى من حفظ العوالم بأمر لكونه عاليا في شريف منزلته عظيما في تدبيره للخلائق بأمر موجده وقدرته. فاعلم .[١]

---

١. مسائل مجموعة من الحقائق العاليه (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ٣٥ ، ٣٦ .

تفسير قصة ابنَي آدم ، وهى قوله تعالى : (واتل عليهم نبأ ابني
آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر
قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت الى يدك
لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين .
انى أريد أن تبوء باثمي واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاؤا ٥
الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين .
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواة أخيه
قال ياويلتىٰ أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فاوارَي سواة
أخي فاصبح من النادمين)* كما وردت فى كتاب الرياض للداعي الكرماني :

ان كلا من الضد والولي اعتقد في العبادة لله تعالى ١٠
شيئا هو قربانه الذي به يتقرب الى الله تعالى فالضد اعتقد
أن العبادة ليست الا بالظاهر من الأعمال فقط ، وأن الخلاص
ليس الا به وأنه سيكون بهذا الاعتقاد والاخلاص فيه هوالقائم
مقام الرسول (صلعم) والولى اعتقد أن العبادة لله تعالى
ليست الا بالظاهر الذى هو العمل ، والباطن الذي هو ١٥
العلم وأن الخلاص ليس الا بهما جميعا ، وأن القائم مقام
الرسول (صلعم) من قدمه الرسول صلى الله عليه وآله وارتضاه ،
فتحاربا فى ذلك يوما واختصما فيه الى النبي وأوضح كل منهما
اعتقاده له فيما تعبد الله به ، وذلك قوله : (اذ قربا قربانا)
أى اعتقد كل منهما فيما يقربه الى الله تعالى والى رسوله ٢٠
شيئا فتقبل من أحدهما وهو الوصي أي ارتضَى الناطق القائم

---

* المائده من ٢٧ ــ ٣١

مقام الله اعتقاده في الله وفي عبادته ولم يتقبل من الآخر وهو
الضد أي لم يرتضي [كذا] الناطق اعتقاده كونه علَى غير
وجهه ، وكان ارضاه الناطق عليه السلام ما ارتضاه من اعتقاد الوصي
في نفسه من غير أن يصح ظاهرا اشفاقا من أن ينسب الضد
منه الميل الى الولي من دونه ، فقال : (ان أكرمكم عند الله   ٥
أتقاكم*) . وكان قد سمع الضد منه صلى الله عليه وآله
يقول : أتقاكم أبو بكر فقد رجع سماعه ذلك من الرسول الآية
التي قرأها   انما قرأها لارتضائه اعتقاده وطريقته ،
وأنه القائم بعده ذلك [كذا] ، فقام وفي قلب الضد أنه قد
غلب الولي ، فقال له لأقتلنك أي لأدفعنك من هذا الاعتقاد   ١٠
الذي لم يرتضيه منك وعن الأمر الذي تقدره أنه لك ، فقال
له الولي : (انما يتقبل الله من المتقين) يعني أن القائم مقام
الله الذي هو الرسول لا يقيم مقامه أحدا ، ولا يرتضي من أحد
اعتقادا الا من المتقين الذين يجمعون بين العلم والعمل ، ويتقربون
الى الله تعالَى باقامة معالمها جميعا ، فعمد الضد الى الطعن   ١٥
والوقيعة في الولي ، وأنه لا يعرف شيئا فانهما ترافعا الى النبي
عليه السلام في اعتقادهما فرضي اعتقاده من اعتقاده ، فقال
الولي : (لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي
اليك لأقتلك اني أخاف الله رب العالمين) اي لئن أعنت علي
وبسطت لسانك فِيّ ووضعت من مقداري ، وقلت فِيّ غير الواجب   ٢٠
ولا ترضَى بما اعتقد في عبادة الله رب العالمين فاني لا أفعل
بك مثل ذلك ولا أطعن فيك فاني تحت أمر الناطق القائم مقام الله

---

* الحجرات آية ١٣

الذي هو صاحب الدور ، ورب الأمة ، وتحت طاعته ،
وأخافه ولا أقدم على شيء الا بأمره ، فعمل هذا القول
من الولي في الضد ففتر عما كان عليه ، فطوعت له نفسه
قتل أخيه ، فنفسُه على الضد الثاني ، جرَى على الضد
الذي كان لا يحل ولا يعقد ولا يشاور الا معه ، أي لما ٥
أعاد الضد الأول ما جرَى علَى الضد الثاني ، قال له
ليس الاعتقاد في الله وفي عبادته الا ما قلت ، والذي قاله
هذا يعني الولي فهو إلحاد ، وحسَّن له الأمر في الوضع
من الولي ، ومنعه من رتبته ، ونسَبه الى أنه لا يحسن
شيئا ، قتله أي دفعه عن مرتبته ، وتغلب عليه وقال : ليست ١٠
العبادة الا بهذا الظاهر ، ولا بما يقوله له هذا ، فأصبح
من الخاسرين لما عبد الله بطاعة الناطق ، من دون طاعة
الأساس ، وبالظاهر من دون الباطن (فبعث الله غرابا
يبحث في الأرض) ، أي لما تطاولت المدة وحان انتقال
الضد ، أراد الولي أن يحكم الحجة عليه ، لتكون مفارقته ١٥
العالم بعد تذكير ، فبعث اليه (وهو قوله فبعث الله) أي القائم
مقام الناطق الذي هو القائم مقام الله رجلا من اصحابه ليوضح
له أمره ومنزلته ، وما لله تعالى عنده من السر في سكوته عن طلب
حقه ، ويجعل له مخرجا مما فعله ، ويشوقه الى رد الحق
الى أهله ، وذلك معنَى بحث الغراب في الأرض ليريه ٢٠
كيف يتخلص مما جنَى علَى نفسه ، ويرشده الى الواجب ،
فالرجل الذي بعثه ولي الله لذلك هو (محمد بن ابى بكر)
اذ هو من المختصين بالولي من جهة الدين ، وبالضد من جهة

النسب ، ففعل محمد ما بعث لأجله ، فتنبه الضد لجنايته،
ولانت نفسه ، وانقاد الى التزام ولايته ، فغلب الضد
الثاني على رأيه ، ومنعه من مراده ، فيما هم به من الاقرار
للولي بحقه ، فتحسر فقال في نفسه لما منع : (يا ويلتى
أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب أي ياليت أني في مثابة ٥
هذا الرجل يعني محمدا ولده ، الذي هو غريب عن الولي
ومثله في المحافظة على عهد الله ودينه وكتمان أسرار ولي
الله ، فأصبح من النادمين على ما فاته من اتباع الولي أولا ، وعلى
فعله الذي يتنقل عليه الى دار الآخرة آخرا .[١]

وفي هذا البحث نماذج أخرى للتأويل الباطني للقرآن ، نذكر منها على ١٠
سبيل المثال تأويل قوله تعالى : " اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والأرض ..." * (ر. ص ٢١٤) وتأويل قوله تعالى : " الله لا اله الا هو
رب العرش العظيم " ** وقوله تعالى " الله يتوفى الأنفس حين موتها ..." *** (ر.
ص ٢٢٠) . وتأويل قوله تعالى : " ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر ...." **** (ر. ص ٢٢٦) ، وكذا ١٥
ما قيل في تأويل قوله تعالى : " هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ..." ***** (ر. ص ٢٢٩) .

ان كل هذه التأويلات ليست مما نسبه أهل المقالات الى الباطنيين
ولكنه مما فى كتبهم الباطنية فحسب ، وهى كافية في اخبارنا عن حقيقة
الدعوى الباطنية عموما والتأويل الباطني خصوصا . ٢٠

---

١. الداعي الكرماني . كتاب الرياض ، تحقيق عارف تامر ، بيروت ، دار الثقافة
١٩٦٠ ، ص ص ١٨٢ — ١٨٥ .
* الأنعام ٧٩ ** النمل ٢٦ *** الزمر ٤٢
**** البقرة ٦٢ ***** التوبة ٣٣ .

الفصل الثاني : التسبيع :

تمهيد : ان الباطنيين يقدسون الأعداد بصفة عامة . الا أن أهم عددين في عقيدتهم هما سبعة واثنى عشر، يقول الداعي جعفر بن منصور اليمن :

> جعل الله سبع سموات وسبع أرضين ، وسبع [كذا] أبحر وجعل الأيام سبعة والليالى سبعة ، وجعل أيضا في السماء اثني عشر برجا والأرض اثنتي عشرة جزيرة [!] وفى كل يوم اثنتى عشرة ساعة وفي كل ليلة اثنتى عشرة ساعة وجعل السنين في كل سنة اثنى عشر شهرا فجعل السبعة والاثني عشر موجودة في كل ما خلق . ثم خلق الانسان وجعل طوله سبعة أشبار ، كل انسان طوله سبعة بشبره[!] .... وغير ذلك من دلائل السبعة والاثني عشر في كل شيء ما يطول شرحه ولا يجهله من تدبره ، وانما جرى الذكر بذلك تنبيها عليه ... ولما جعل الله عز وجل دينه انما يقوم بالرسل والائمة واسبابهم ... جعل مراتبهم ومقاماتهم على السبعة والاثني عشر وجعل هذه المخلوقات دلائلا [كذا] عليهم وأمثالا لهم وأشارات اليهم . وسماهم الآيات في الباطن .[١]

ولا يخفى أن هذه التسبيعات وتلك الاثني عشريات من الأمور التى لا علاقة لها بالعقيدة الاسلامية ، كما أنها ليست فى الحقيقة على الصورة التي ذكر الداعي الباطني فالشهر مثلا ليس سبعين يوما وكذا السنة ليست كذلك ، والأصابع ليست سبعة وكذا الآذان والعيون والأفواه والوجوه وغير ذلك كثير ، وقد رد على الباطنيين في هذا القول محمد بن الحسن الديلمي (القرن الثامن)

١- مخطوطة كتاب الشواهد والبيان ، ص ص ١٢ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧

فذكر ما يدحض تلك الآراء[١] .

ان الذى يهمنا هنا استعراض هذه العقيدة التي بنى الباطنيون عليها كثيرا من أفكارهم ، ولما كان للرقم (٧) مالم يكن لغيره من الأعداد عندهم فهو أخص مافي العقيدة الباطنية منها بل هو قطب الرحا بالنسبة للباطنيين ، فقد اخترته نموذجا لما تقول به العقيدة الباطنية من تقديس للأعداد . ٥

التسبيع عند الباطنيين : ذكر النوبختي أن القرامطة :

كانوا فى الأصل على مقالة المباركية ثم خالفوهم فقالوا لا يكون بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم الا سبعة أئمة ... وأولوا العزم عندهم سبعة ... باضافة علي عليه السلام ومحمد بن اسماعيل على معنى أن السموات سبع والأرضين سبع وان الانسان بدنه سبع ، وأن الرأس سبع[٢] . ١٠

ولهذه العقيدة أصل عند الغلاة ، فان الفرقة المنصورية قالت بما يشبه ذلك (ر. ص ١٢٠) ، وقد طور الباطنيون عقيدة التسبيع حتى لازمتهم فسموا بالسبعية .

في عقيدة التسبيع دروب شتى ، فقالوا بأن هناك سبعة كواكب تدبر عالم الكون والفساد[٣] ، وفى التأويل الباطني قالوا بأن للكلمة سبعة معانى وسبعين وسبعمائه (ر. ص ١٩٠) ، وفى الدعوة الباطنية من التسبيع الشيء الكثير وفكر الباطنيين عموما زاخر بتسبيعات شتى[٤] . ١٥

---

١. انظر قواعد عقائد آل محمد ، القاهرة ، ص ٣٥
٢. فرق الشيعة ، ط ٤ ، ص ٨٢
٣. أنظر : الامام المستور . الرسالة الجامعة ، مصطفى غالب ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٤ ، ص ص ٤٠١ — ٤٠٩ والأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمى . الأسرار الخفية) ص ص ٩٥ ، ٩٦
٤. انظر : المجالس المؤيديه . تحقيق عبدالناصر ، القاهرة ، دار الثقافة ١٩٧٥ ، المجلس ٢٤ ، ص ص ١١٢ — ١١٥ .

١.

وفات الباحث في حديثه عن الغلاة أن يتحدث عن هذه النقطة التي قال بمثلها " الخطابية " الذين :

زعموا أن أرواح من جحد أمرهم يجري في كل الانشاء [كذا وربما كان الصواب تجري في كل الأشياء] في الانسانية وغير الانسانية ، وانما يجرى في كل ذى روح وفي جميع المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات ... حتى النجوم والكواكب فاذا جرى في ذلك كله صار جمادا صخرة أو مدرة أو حديدا وتأولوا في ذلك قول الله : قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الله الذي خلقكم [كذا والصواب هو : قل الذى فطركم أول مرة*] فذلك عندهم جهنم يعذب بذلك أبد الابدين .

وزعموا أن المؤمن العارف منهم لا ينتقل روحه في شيء من الأشياء وان روح المؤمن منهم ألبس سبعة أبدان بمنزلة سبعة أقمصه[٢] .

وبالنسبة لأقمصة مؤمني الخطابية بزعمهم فانها مشابهة لما نسب الى اليهود من أنهم يقولون :

بالرجعة الى الدنيا بعد الموت أمرارا أقلها ثلاثة وأكثرها سبعة وذلك لأجل تكميل الوصايا التوريه [ربما كانت

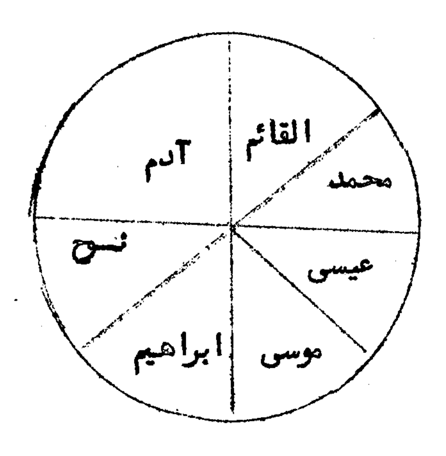
١ همجية التعاليم الصهيونية ص ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، وانظر الكنز المرصود ص ٦١

* - انظر الآية في سورة الاسراء ٥١

٢ المقالات والفرق ص ص ٥٨ ، ٥٩

عقيدة الأدوار السبعة : ان عقيدة الأدوار السبعة في الحقيقة جانب رئيسي من جوانب التسبيع عند الباطنيين وهذه العقيدة توضح لنا مدى قيمة السبعية عندهم ، وهي أخص ما في التسبيع ٠

فالباطنيون يصورون حياة البشر على هذه الدنيا ، على طريقة خاصة ، فهم يرون أن الحياة على هذا العلم لا تنتهي أبدا ، بل انها على شكل دائرة تبدأ من حيث انتهت ، أمم تحيا وأخرى تموت ، وقسموا هذه الدائرة الى سبعة أقسام سموا كلا منها دورا ، وجعلوا كل دور منسوبا الى أحد الناطقين السبعة والناطق كلمة قد ترادف كلمة الرسول (ر٠ص ٢٢٥) والناطقون السبعة هم آدم ، نوح ، ابراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد ، القائم المنتظر ، على هذا النحو :



الأدوار السبعه ١.

سمّى الباطنيون هذه الدائرة باسم الخلقة الدينية وهي مقابلة للخلقة الطبيعية التي تصور مراحل تخلق الانسان كما تشير اليه الآيات الكريمة (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) *٠

١. انظر : الداعى ابو يعقوب السجستانى (— قبل ٣٨٦) كتاب اثبات النبوات بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٦ ، ص ١٣١ وانظر : رسالة بذر الحقائق ص ١٦٨٠

* المؤمنون ١٢ — ١٤

فآدم عليه السلام مقابل للسلالة ونوح للنطفة وابراهيم
للعلقة وموسى للمضغة وعيسى للعظام ومحمد صلى
الله عليه وعليهم مقابل اللحم .[١]

واعتبروا القائم المنتظر مقابلا للخلق الآخر . واعتبروه آخر الرسل وآخر
النطقاء .[٢] ٥

ان التصوير الباطني هذا يوضح أن فكرهم ينهل من منابع غير اسلامية
وأن هدفهم هو تحقيق دين لا علاقة له بالاسلام ، فهدفهم من الاستشهاد
بالآيات الكريمة السالفة الذكر ليس تعظيم القرآن الكريم ، بل انهم أرادوا بذلك
صبغ فكرهم بالصبغة الاسلامية للتغرير بالبسطاء الذين ينطلي عليهم
مثل هذا ، والدليل على ذلك:أنهم حذفوا قصدا بقية الآيات التي تصور ١٠
خلق الانسان وموته ثم بعثه بعد موته وهو أمر لا يؤمنون به فاقتصر استشهادهم
بما على ما يؤيد عقيدتهم التسبيعية على طريقة من قال : لاتقربوا الصلاة .
لأن الله تعالى بعد أن قال : (ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن
الخالقين) قال : (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون)*
فأغفلوا مرحلتين ليتم بذلك ما ذهبوا اليه من القول بالتسبيع . ١٥

وشبه الباطنيون الناطقين السبعة بأيام الأسبوع فجعلوا آدم مثالا على
الأحد ... ومحمدا مثالا على الجمعة والقائم المنتظر مثالا للسبت . قال
الداعي جعفر بن منصور اليمن :

والجمعة مثل محمد صلى الله عليه وسلم ... فلهذا أمرنا بتعظيم
يوم الجمعة وتشريفه فاتخذناه عيدا تعظيما لنبينا محمد صلى الله عليه ٢٠
وسلم ... والسبت مثل القائم من آل محمد صلوات الله عليه
وعليهم أجمعين فهو سابع النطقا والسبت سابع الأيام وهو اليوم الآخر.[٣]

---

١. رسالة تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٧
٢. أنظر : الأنوار اللطيفه (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفيه) ص١٠٧
* المؤمنون ١٥ ، ١٦ ٣. مخطوطة : الشواهد والبيان ص٤٠

ولعل القارئ الكريم تنبه الى ما فى النص من تلغيز تعودناه من الدعاة الباطنيين فهو أسلوبهم في نشر دعوتهم . هذا التلغيز الذى يوحى بتعظيم السبت أكثر مما عظمت الجمعة لأن السبت من نصيب القائم المنتظر الذى هو فى نظرهم أفضل من سيدنا محمد (ص) . (ر. ص ۲۳۰)

وهم بذلك يضاهئون قول اليهود بتعظيم هذا اليوم[١] ولليهود أعتقاد آخر يتصل بالسبت ، وهو أن مسيحهم المنتظر يجيء من نهر السبت[٢] . والمقارنة واضحة .

وتلتقى عقيدة التسبيع مع عقيدة التناسخ التي دان بها الباطنيون في عقيدة الأدوار السبعة هذه لأن الباطنيين يرون أن بعد الدور السابع الذى هو دور القائم سيعود دور آدم من جديد[٣] ، وسيأتى بعد آدم نوح فابراهيم ... الخ . كما توضحه صورة دائرة الأدوار السبعة .

فشل الباطنيين في اثبات التسبيع واقعيا :

اذا أعيد النظر الى الدائرة السبعية فلنتخيل أن كل سُبع منها انما هو في حد ذاته دائرة تتكون من سبعة أجزاء ، لأن دور كل ناطق عند الباطنيين يحتوي علَى سبعة أئمة ، فبعد آدم كان وصي وستة أئمة وبعد نوح كذلك وكذا بعد ابراهيم وموسى وعيسَى ومحمد (ص) . وقد ظل الباطنيون يقولون بهذا الرأي حينا من الدهر كما ورد فى نص النوبختي عن القرامطة (ر. ص ۲۰۰) وكما أشارت رسالة المهدى عبيدالله الى

---

١. انظر : العهد القديم سفر التكوين ٢/٢ ، ٣
٢. أنظر : الأب الطوبان . كشف الفضائح الدرزية ، مخطوط مصور في مكتبة تيمور ، عقائد ٦٦٣ .
٣. استشهادا بالآية (كما بدأنا أول خلق نعيده) سورة الأنبياء ١٠٤ . انظر تفصيل ذلك فى الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمى ، الاسرار) ص ص ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ فما .

باطنية اليمن الذين كانوا يعتقدون كما يعتقد جميعهم أن :—

بين الناطق الى الناطق سبعة أئمة .[1]

ولكن بعد قيام الدولة العبيدية أضطر الباطنيون الى التخلي عن تلك الدعوى ، بعد أن أوجدوا لذلك تبريرا على الطريقة الباطنية ، فقالت رسالة المهدي عبيد الله الى أهل اليمن :

انما هي سبع مراتب ، تدور كما تدور الأيام ، يكون فيها من الأئمة ما شاء الله ، حتى يظهر الناطق بغتة متى أراد الله سبحانه .[2]

وقد أيد الداعي ابو يعقوب السجستاني ذلك فقال :—

محمد صاحب الدور السادس وأساسه علي ومن بعده أئمة كثيرون حتى القائم الذي هو صاحب الدور السابع .[3]

وعلى ذلك يمكن القول ان عقيدة التسبيع لم تكن أمرا ذا بال في الفكر الباطني بعد ظهور دولتهم العبيدية التي وقع فيها كثير من الانتهاكات لهذه العقيدة .[4] والأصح أنهم لم يستطيعوا تطبيقها عمليا .

وعلى اثر قيام الدعوة الدرزية لتأليه الحاكم بأمر الله العبيدي في عهده ، كتب الداعي الكرماني دحضا لتلك الدعوى ، ولكنه في نفس الوقت أضفى على الحاكم بأمر الله صفات أكبر من صفات أي امام سابع عند الباطنيين فقال :

---

١. في نسب الخلفاء الفاطميين ، نشر ، الجامعة الامريكية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨ ، ص ١٤
٢. في نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ١٤
٣. اثبات النبوات ص ١٩٣
٤. انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٠١

ان أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله سلام الله عليه في كونه اماما في وقته وقائما في زمانه وقائدا لأهلـه وشفيعا للمتعلقـين بحبله وان لم يكن سابعا من الأسابيع فله من القوة والتأييد الممتد اليه من جهـة الله تعالى بموازنته للأعداد التي من شأنها افادة التماميـة ومناسبته اياها ما يخدمه باذن الله تعالى الفلك بأجرامه والزمان بشهوره وأعوامه فينجز الله تعالى به وعده لمحمد جده صلى الله عليه ، بقوله تعالى : " يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كما فاعلين "* ١.

ويلاحظ أن كلمة (التماميـة) التى وردت فى النص ذات علاقة بالامام السابع فى الفكر الباطنى وقد ورد نص يوضح ذلك فى هذا البحث (ر. ص ص ١٧٥، ١٤٧).

ان عدم استطاعة الباطنيين السير بالتسبيع كما وضعته نظرياتهم لدليل علَى فساد تلك النظريات وأنه لا علاقـة لما يصير علَى هذه الدنيا بحركات الكواكب والبروج التى يرون أنها ذات سيطرة علَى الحوادث (ر. ص ٢٠٠) لأن حركات الكواكب تخضع لنظام لايتبدل ولا يتغير بينما الأحداث التي تقع بين الناس لا يمكن وصفها بذلك والتاريخ الباطني خير شاهد على ذلك . خاصـة قيام دولتهم وزوالها .

---

* الأنبياء ١٠٤

١- الرسالـة الواعظـة . مجلـة كليـة الآداب ، جامعة القاهرة مايو ١٩٥٢ ، ص ٢٣ ، وأنظر كتابه : مباسم البشارات .

أصل التسبيع : من أين جاء الباطنيون بالتسبيع ، هل هو من تأثير الديانات البابلية القديمة مثلا كما قد يظن البعض . أم أن عقيدة التسبيع ونحوها من تقديس الأعداد كان من تأثير القبالا اليهودية [١]، في الفكر الباطني .

أن فكر القبالا اليهودية يعتمد على السحر ويقولون انه منزل من الله الى الأنبياء [٢]، لذا فلا غرابة أن يقدسوا الأعداد ، ولاشك أن القبالا قد حشرت التسبيع في كثير من المصطلحات . فهم في اعتقادهم أن اليهود هم النسل الطاهر من آدم الى يعقوب [٣] يقولون عن آدم אָדָם קַדְמוֹן = [آدم قديمٌ] ويلاحظ أن العبارة تتكون من سبعة حروف ، ومن اللفظ يظهر ما يشبه الحرف قبل الحرف الأخير وهو [וֹ] وهو ليس بحرف بل هو حركة مد [٤] للحرف الذي قبله وهو [מ] .

واذا عدنا الى عقيدة الأدوار السبعة ، فقد ضرب لها الباطنيون مثلين رئيسيين أحدهما عن حياة الانسان في بطن أمه حتى ولادته ، وقد اشير الى أن اعتمادهم كان على الآيات الكريمة (ولقد خلقنا الانسان من سلالة ...الآيات) . وأشير الى أنهم كتموا آيتين تدلان على الموت ثم البعث بعد الموت في يوم القيامة . وذلك لغرض تحقيق التسبيع الذي لاتحققه الآيات المقحمة الا بكتمان الايتين (ر . ص ٢٠٢) لذلك فان هذا الاستدلال لا يحقق لعقيدة الأدوار السبعة شيئا ، ولكن الذي تستطيع عقيدتهم تحقيقه هو اعتمادهم على السبعة الأيام التي أعطوا كل ناطق

---

١. انظر : سامي النشار ، نشأة الفكر الفلسفي ط ٧ ، ص ٣٠٧
٢. ظفر الاسلام خان . التلمود ، ص ٣٧
٣. انظر : مقالة فريدلاندر في JAOS Vol. XXIX ١٠٤
٤. أنظر : ربحي كمال . المعجم الحديث — عبري — عربي ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٧٥ ص ١٩

من ناطقيهم السبعة يوما وأعطوا الناطق السابع يوم السبت(ر٠ ص ص ٢٠١ ، ٢٠٢م)
وهذا يدل علَى معان كثيرة منها أن العنصر اليهودي واضح في
الاستدلال لأن الباطنيين يدّعون أن دور الناطق السابع — قائم
الزمان — ٠ انما هو خلوه من الشرائع التكليفية وسموه دور الكشف
(ر٠ ص ص٢٢٨ فما) ومعنى الخلو من الشرائع التكليفية الاستراحة ٥
من العبادات التى تتطلب العمل فلا صلاة ولا صوم ولا حج ، وما قالوه
عن الجهاد في هذا الدور لا يعني شيئا لأنه لايعني الجهاد المقصود
به اعلاء كلمة الله ليدخل الناس في دين الله ، ولكنه يهدف
فقط الى الانتقام من أعدائهم علَى طريقة مسيح اليهود المنتظر (ر٠ص٢٩٧)
وفوق ذلك فانهم أشاروا صراحة الَى أن دور القائم المنتظر سبت واذا عدنا ١٠
الى العهد القديم وجدنا أن الله استراح في اليوم السابع الذي هو
يوم السبت ، واليهود مأمورون بالاستراحة من الأعمال في هذا اليوم
ففى العهد القديم :

اذكر يوم السبت لتقدسه ٠ ستة أيام تعمل وتصنع
جميع عملك ٠ وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك ١٥
لاتصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك
ونزيلك الذي دخل أبوابك ٠[١]

ستة أيام يُعمل عمل وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة
محفل مقدس ٠ عملا مالا تعملوا ٠ انه سبت للرب في
جميع مساكنكم ٠[٢] ٢٠

---

١. خروج ٢٠/٨—١٠
٢. لاويين ٢٣/٣

كل ذلك دليل علىَ أن تقسيم الأدوار السبعة ، بحيث يكون آخر الأدوار
— السابع — خاليا من العبادات التكليفية ٠ كل ذلك يدل علىَ أن الأمر
لم يأت اعتباطا ، سيما وأن للباطنيين في كل شيء من عقيدتهم رمز ومثل
بعيد الادراك ٠ وهو هنا يدلنا علىَ الأصل اليهودي للفكرة وهو نابع
من السبت وما تعنيه الكلمة عند اليهود ٠ ٥

ذكر محمد كامل حسين أن عقيدة الأدوار السبعة عبرانية وبابلية
قديمة في أصلها [١] ، وقوله هذا يذكرنا بما وقع بين دانيال ونبوخذ نصر ملك
البابليين وقد أشير الى طرف من القصة في هذا البحث (ر٠ ص ٦٠)
وتكملتها أن دانيال طلب من الملك البابلي أن يتخلى عن ملكه ليعيش
سبعة أزمنة مع الحمر الوحشية ويطعم حشيشا كالثيران ٠٠ الخ ٠ ويمكن ١٠
اعتبار هذه القصة التى وردت في سفر دانيال نموذجا لفكرة تناسخية
قال بها اليهود ، كما يلي :—

أما اليهود الذين يمرقون من دينهم أو يقتلون
أحد أبناء ملتهم فان نفوسهم بعد الموت تسير تــوًّا
الى الحيوانات والنباتات وتقطن بها ، ثم بعد حياة ١٥
شقية يرسلون الى الجحيم ليحتملوا ألوان العذاب اثني
عشر شهرا ٠ وعقب انتهاء المدة يبعثون أحياء وينتقلون
متجسدين في الجماد والحيوان وعبدة الأوثان وعندما
يطهُرون يعودون الى اليهودية [Seph. emek hamel. f 16, I].
وهذا الانتقال الروحاني والجسماني هو رحمة من ٢٠
الرب الذى يريد ان يشرك جميع أبناء اسرائيل بسعادته
الخالدة ٠ [Seph. abad, hak II, 48, 2; & Nischm. Chaijm, f. 163, 2.] [٢]

---

١٠ انظر : فى أدب مصر الفاطميه ص٣٦

٠٢ أنظر هامش ٠١ الصفحة التالية

التوراتيــة]حتى لا يهلك منهــم ولا واحــد[١] ٠

وقد نسب الباطنيون ذات الفكرة التناسخيــة التي تقول بانتقال الــروح خلال الكائنات الى الكواكــب فى مراحــل طويلة ٠ يقول الداعي علي بــن محمد بن الوليــد (ــ ٦١٢)*

وقد دفعت تلك العنايــة الساريــة صفو ذلــك المعدن والنبات والحيوان من بين سائر الخلقة الـــى شخــص الانسان فيتناول ذلك الصفو مغتذيا بمعدنــه ونباته وحيوانه المحــلل الصاعــد بعد طول انحداره وترادف كراته فتنقلــه الى الدائرة البشريــة وترفعـــه بعد الركــس والعكــس والنكــس والوكس الى القامـــة الألفيــة [يعني البشريــة] ويتجــه أن قارنه التوفيــق الى الطريقــة المثلَى السويــة[٢] ٠

وفي مصدر باطني آخــر نجــد :

ان أهل العذاب اذا ماتوا وشاعت نفوسهم فـــى اجسادهم سُلك بها فى برازخ العذاب وقمصه السبعين المشار اليها بالسلسلــة وكون زحــل والمريخ نحســي الفلك يتوليا ن من موجودات عالم الطبيعة الأخس منهـــا الأرذل من معدنه ونباته وحيوانه التى يسلك فيهـــا أهل العذاب فتلك الروحانيات اشارة الَى تحــــرك زحل والمريخ لما هو يتولى له من هذه البرازخ حركــة خفيفة بها يكون تنقل المعذبين في مراتب العـــــذاب فاذا بلغوا غايــة ذلك وهو آخــر السلسلة وأوقفوا الـــى

---

* أنظر ترجمته فى اعلام الاسماعيلية ص ٤٠٨ فما

١ـ مخطوطــة كشــف الفضائــح الدرزيــة ق ٨

٢ـ الداعى ابن الوليد ٠ رسالة الايضاح والتبيين في تسلسل ولادتى الجسم والدين (شتروثما ن ٠ أربعة كتب) ص ١٤٤٠

أوان القيامة ليحصلوا في العذاب الأكبر [١].

ونعود بعد ذلك الى عقيدة الأدوار السبعة التي يعتبر ما مضى
جزءا منها بطريق غير مباشر كان الغرض منه اثبات أن هذه العقيدة
وان نسبت بطريقة ما الى البابلية القديمة فان اتصال الباطنيين بها
لم يكن الا بوساطة اليهود .   ٥

ولكننا نجد فريد لاندر يعود بهذه العقيدة ـ الأدوار السبعة ـ
الى مقولات كليمانس المسيحي (١٥٠ ـ ٢١٧ م)* . ذكر فريد لاندر
ما قيل من أن الرسل الحقيقيين هم آدم وأنوش ونوح وابراهيم واسحق
ويعقوب وموسى ، وفي قول آخر له نجد فريد لاندر يحذف موسى
ليضع بدلا منه المسيح بين حاصرتين هكذا : [المسيح] ، وعزا   ١٠
القول الأول الى سيمون المجوسي، والثاني الى معلِّق على كلام
سيمون [٢]. ولكن هذا الرأى لا ينسحب بالضرورة الى الفكر المسيحي ، لأن
ما يستفاد من عبارات فريد لاندر يعني تناسخ الأنبياء ـ أى أنهم شخص
واحد يتبدل جسمه كل مرة ، وليس فيما نسب الى كليمانس هنا من علاقة
بالتسبيع بقدر ماله من علاقة بالتناسخ الا من حيث كون عدد الأنبياء   ١٥
سبعة فذلك صحيح . وأما قول سيمون المجوسي فليس في تسلسله السبعي
للرسل ذكر لنبي بعد موسى ، مما يرجح وجود النكهة اليهودية
الخالصة فيه ، ويؤيد رأي الباحث هذا ما ذكره فلها وزن حول هذا

١ـ مسائل مجموعة من الحقائق ... (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٦٤ وأنظر أيضا ص ٤١ وانظر مخطوط حياة الأحرار ق ٣٧ أ

* ـ انظر عن كليمانس : يوسف كرم . تاريخ الفلسفة اليونانية ، بيروت دار القلم ١٩٧٧ ، ص ص ٢٦٣ فما .

٢ـ انظر : JAOS . Vol. XXIX. pp. 104, 85 ، وعن سيمون المجوسي اقلب الصفحة ==

الموضوع من حيث علاقته بكليمانس من جهة وبالتناسخ من جهة أخرى فاحتمل — بصيغة التأكيد — كون الفكرة يهودية الأصل .[١]

على العموم يمكن اعتبار كلا الفكرين : الباطني واليهودى زاخران بتسبيحات كثيرة فى الملائكة (ر. ص ٢١٥) والرسل والانبياء ، والدعاة ومراتب الدعوة (ر. ص ص ٣٢٧ ، ٣٥٩) والتناسخ والشياطين والكواكب وغير ذلك .

ثمة نقطة أخرى تتعلق بالحروف وما لذلك من علاقة وثيقة بالأعداد وهي جديرة بالبحث هنا الا أن الوقت لم يسعف الباحث فى التحدث عنها وهي ما نجده في الفكر الباطني من استعمال حساب الجُمّل عند الاسماعيليين والدروز[٢] وعلاقة ذلك بالقبالا[٣] . وحيث أن الموضوع لم يطرق فلا بأس بالاشارة اليه على هذا النحو .

---

٢. يقول فان فلوتن : سيمون المجوسى صاحب الفرقة الفلسطينية الذى جمع بين العقائد التوراتية وعقائد الوثنيين (أنظر : السيادة العربية ، هامش ص ٧٥) .

١. انظر : فلهاوزن . أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤٩ .

٢. انظر فى القبالا : النشار . نشأة الفكر الفلسفى ٢/هـ ط ٤ وفى علاقة الباطنيين بالحروف رسالة الاسم الأعظم (شتروثمان . أربعة كتب) . خاصة ص ١٧٥ وأنظر : الشيبي . الفكر الشيعى والنزعات الصوفية ص ص ٢٢٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤

٣. انظر نموذجا من ذلك فى مخطوطة . رسالة نسخة تقليد المقتنى . دار الكتب المصرية . رسائل درزية سرية — ٥٤ ق ٦٠ .

الفصل الثالث : الاله عند الباطنيين

ان دعوى العمل بالظاهر والباطن التي يحتج الباطنيون بها ، تصبح شيئا عجيبا غريبا اذا كان الحديث عن الذات " الالهية . وأفعاله تعالى . فمن أفعال الله تعالى سبقت الاشارة الى أن " فيلون اليهودي " نسخ كل اتصال مباشر لله مع العالم الخارجي بفضل ما درسه عن نظريات "أفلاطون " و " زينون الرواقي " ، وكذا ما فعله اليهودي صاحب كتاب " الحكمة " الذى سبق " فيلون " في التأويل الباطني للكتب السماوية (ر. ص ٨٣ ا ـ ١/٦) .

ان التأويل الباطني عند الفرق الباطنية يسير على ذات المنوال، ولتوضيح ذلك لابد من معرفة قصة الخلق عندهم ، حيث يقولون :ـ

ان الله أبدع عالم الأمر دفعة واحدة بلا زمان بل أوجدهم كما قال سيدنا حميد الدين الكرماني في كتاب (راحة العقل) دفعة واحدة ... لا شرف لأيهم على غيره عند الابداع ، بل الكل في الكمال واحد متساوون فكان من واحد منهم أنه فكر في ذاته بذاته لا من معلم ولا من ملهم ، بل جعل له من ذاته تصور وعلم أنه له ولجميع ما معه من أبناء جنسه مبدعا وخالقا ليس هو كهم فنفى حينئذ عن نفسه الألوهية وأقر لمبدعه بالوحدانية وهو قوله تعالى " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو " * فكان هو الشاهد بالغيب

* آل عمران ١٨

سبحانه فلم يسم ولم يكن بل قال : الا هو لقلة احاطته بمبدعه وتصوره عن ذلك .[١]

جدير بالملاحظة أن هذا النص في تفسيره للآية الكريمة ، يجعل من كلمة " الله " ذاتا مغايرة لكلمة " هو " التي تعني هنا الذات الالهية، فالباطنيون كما سيأتي لا يعتبرون اسم " الله " واقعا على الذات الالهية ، لأن الذات الالهية عندهم لا تسمَّى ولاتكنَّى ، فحروف المعجم محدثة لاتقع الا على محمد لذا فان من يقرأ الكتب الباطنية سيفاجأ بأنهم يطلقون على الاله من لاتتجاسر نحوه الخواطر .

أما ذلك المبدَع (بفتح الدال) الذي تحدث النص السابق عنه فهو ليس الا " العقل الأول " وهى تسمية فلسفية يونانية ، كانوا يطلقون عليها " اللوغوس ".

بعد العقل الأول الذي يعتبرونه أول من اكتشف مبدعه ، نجد الباطنيين يكررون القصة مع عقول أخرى فأوجدوا " العقل الثاني " أو"النفس الكلية " أو روح القدس ، فالقدس هو العقل الأول وروحه العقل الثاني .[٢]
وهكذا حتى تكوَّنت لديهم عشرة عقول ، هذا هو كل ما خلق الله عندهم وفعله . أما سوَى ذلك فهو من فعل تلك العقول العشرة ، ولنقف على أفعال أدنَى هذه العقول وهو العاشر وهو مدبر عالم الطبيعة ، يقول الباطنيون :

قدرة مدبر عالم الطبيعة التى تسير ... فى كل لحظة
الى عالم الكون والفساد والنفس مجبورة علَى ذلك الفعل

---

١. حاتم الحامدى (٥٦٦) الداعى الباطنى . رسالة زهر بذرة الحقائق نشر : عادل العوا ، دمشق ، الجامعة السورية ، ١٣٧٨ ، ص ص ١٦١ - ١٦٢ .
٢. كتاب الأنوار اللطيفة . (محمد حسن الأعظمى ، الأسرار الخفية) ص ٨٤

بتلك القدرة لاتختاران تفعل ذلك ولا تشعر به بل هي مثل الفضة التي يصوغها الصائغ أي صورة أراد بالالات صياغته ، كذلك مدبرعالم الطبيعة يصور كل مادة من المكونات من معدن أو نبات أوحيوان أي صورة شاء بحسب ما يستحقه بآلاته التي هي القوة الفلكية والامهات الطبيعية.[١] ٥

وفي تفسيره لقوله تعالى " اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين"* يقول أحد الدعاة الباطنيين :

انى وجهت وجهي للذي فطر الأنبياء العظام ، وأرسلهم بالظواهر في الأنام . وأرسل حججهم بتأويل ما أتوا به وبحقائقه وأسراره ودقائقه وما أنا من القائلين انه يحل ١٠ في الأجسام ، بل هو يتجلى في كل زمان ومكان بكل مقام وذلك هو العقل العاشر والمدبر الظاهر .[٢]

بعد أن عرفنا مهمة " العقل العاشر " ليس بالضرورة معرفة مهمة من فوقه من العقول ، الا أن هناك ملاحظة وهي ان العقول التي بين التالي الذي هو النفس الكلية والعاشر الذي نحن بصدده عقول ١٥ أخرى وهي الثالث والرابع والخامس ... الخ ، ويسميها الباطنيون الكروبيين السبعة .

قبل الحديث عن الكروبيين السبعة لابد من الاشارة الى نص " حياة الأحرار " الآنف الذكر الذي نفى عن نفسه اعتقاد أن العقل العاشر

١- مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ، ص ص ٢٣ ، ٢٤ وأنظر أيضا ص ص ٦ ، ٧ وأنظر حياة الأحرار ق ١٤
* الانعام ٧٥
٢. حياة الأحرار ق ٢٤ ب .

يحل في الأجسام ، انه ينفي ذلك عن نفسه بخلاف " النصيريين " الذين يقولون بالهية علي بن أبي طالب ، كما قال أصحاب عبدالله بن سبأ اليهودي . وأنكر البعض قول الدروز بظهور الاله في الأشخاص البشرية عن طريق الحلول بل عن طريق التجلي أيضا [١] .

ولكنه في نفيه تلك التهمة عن نفسه أثبتها من وجه آخر حيث يقول : ان مدبر عالم الطبيعة يتجلّى في كل مقام ويعني بكل مقام فيما يعني أئمته .

أما ما قاله الباطنيون عن الكروبيين السبعة فهم :

> كما وصفهم سيدنا المؤيد أعلى الله قدسه في مناجاته ... وذكر أن كل واحد منهم ناظر الى فلك من الأفلاك الجرمانية متول لتدبيره وادارته لاحظ لكل ذي مرتبة من رتب الدين مقبل عليه بامداده وافادته ... وأما أسماءهم فهم الموسومون بالكروبية وبالعقول المجردة بلسان الدعوة وبالملائكة بلسان الشريعة فاعلم ذلك [٢] .

ووردت في رسائل اخوان الصفا كلمة الملائكة بأنهم كواكب السماء خلقهم لعمارة عالمه وتدبير خلائقه [٣] . ولفظة الكروبيين يهودية وردت في " العهد القديم " بلفظ " الكروبيم " واليهود يزعمون انهم الملائكة [٤] .

وليس المقصود هنا التشابه اللفظي للكروبيين عند كل من الباطنيين وان كان أمرا مهما ولكن العمل الخاص بالكروبيين عند الفريقين يكاد يكون متقاربا ، لأن تصويرهم

---

١. انظر : مخطوطة كتاب تقسيم العلوم ، دار الكتب المصرية ، عقائد النحل ٥٤ ق ق ١٠٥ أ — ١١١ ب وفيه ما يشبه القول بالحلول .
٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٣٣ وانظر أيضا ص ص ٦٢ ، ١٣٢ .
٣. انظر : عارف تامر . مقدمة كتاب الايضاح ص ذ
٤. انظر : سفر التكوين ٣/ ٢٤ وسفر الخروج ٢٥/ ١٧ وسفر خرقيال ١

في الفكر الباطني أنهم يمدون أصحاب المراتب الدينية ويفيدونهم وأن العمل الخاص بالنفس الكلية هو محاسبة الناس يوم القيامة[١] وان العمل المطلق " للسابق " أو " العقل الأول " ، انه أبدع كل شيء . ان ذلك يدل على أنهم نفوا كل اتصال مباشر لله تعالى بالعالم الخارجي . ذلك الذي أثبته القرآن الكريم** . ويؤكد ذلك على توافق آخر بين تأويلات الباطنيين وتأويلات فيلون وفي ما يماثله اليهود . وفوق ذلك نجد " ابن ميمون اليهودي " (- ٦٠٢) يسلك نفس المسلك حيث يقول :

ان شريعتنا [يعني شريعته اليهودية] لا تنكر كونه تعالى يدبر هذا الوجود بوساطة الملائكة[٢] .

ان ابن ميمون يعتبر من عظماء المفكرين اليهود ، ومن عرفه فإنه سيقف على خطورة هذا التصريح الذى أدلى به باسم الشريعة اليهودية ، واذا وقف شخص ما قائما بالاعتراض على هذا النص بزعم أن فكر ابن ميمون مشوب بالفلسفة اليونانية ، فان الباحث على استعداد لاستبعاد الجانب الفلسفي اليوناني من الموضوع عند كل من الباطنيين وابن ميمون ، لتصبح الفكرة المجردة عند كل : أن تدبير أمر هذا الوجود يتلخص في أن هناك من يعين الله فيه - تعالى الله عن ذلك - ان هذه الفكرة موجودة عند اليهود قبل ابن ميمون فحكماء التلمود يقولون ان الله :-

تبارك وتعالى لا يصنع شيئا دون أن يستشير الحشم فوق . [هذا اللفظ مأخوذ من التلمود اليورشليمي : براشيت ربه ١٢ وسنهدرين ٢ والتلمود البابلي : سنهدرين ٣٨] . . وفي براشيت ربه أيضا قالوا : أينما قيل : والرب [القصد منه *] هو ومحكمته[٣] .

---

١. انظر : الرسالة الجامعة ، ص ٣٦٠ ٢. دلالة الحائرين ص ٢٩١
٣. دلالة الحائرين ص ٢٩١ * الحاصرتين وما بينهما من وضع المحقق .
** أنظر في ذلك : سورة النحل الآيات ٥٩ - ٦٦

وورد أيضا في كتب اليهود :

ان عمل الملائكة الرئيسي هو سكب النوم علَى عيون
البشر وحراستهم في الليل ، أما في النهار فانهم
يصلون عن البشر ، ولذلك يجب أن نلجأ
اليهم [Jalkchod.f.118] .[1]   ٥

ان ما مضى من نصوص يهودية يوضح لنا وجود هذه العقيدة عند الباطنيه واليهود ، أما في الدين الاسلامي فان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز : (ان الله لغنى عن العالمين)* وقال : (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)** وقال : (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين)*** وقال : (ولقد خلقناكم   ١٠
ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ..)**** ، فبين سبحانه أنه غني عن العالمين وأن له الخلق والأمر ، وفي الآية الأخيرة دليل علَى أن صيغة الجمع في قوله تعالى (ولقد خلقناكم ...) لاتعنى أن معه شركاء في الخلق أو نوابا بل تعني الذات الالهية بدليل قوله تعالى : (ثم قلنا للملائكة) اذ لا يمكن أن يتكلم الله عن ذاته وملائكته كمجموعة خلقت وصورت   ١٥
ثم يقول ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم اذ لا يعقل أن يأمر هو وملائكته مطلق الملائكة بالسجود لآدم .

ان فكرة العقول العشرة ودورهم في تدبير الكون ، لاتعدو أن تكون فكرية شركية بعيدة كل البعد عن الاسلام ، وهي مما جرّه القول بالتأويل الباطني على الباطنيين . هذا عن أفعال الله .   ٢٠

---

١. همجية التعاليم الصهيونية ص ١١٦
* العنكبوت ٦ ** ـ الأعراف *** فصلت ٩
**** الأعراف ١١

أما عن اسم الله فان الباطنيين لا يجدون غضاضة في ذكر اسم الله تعالى ، فكتبهم تبدأ بالبسملة والحمدلة . الا أن باطن هذه الكلمة لايشير بالضرورة الى ذي العزة والجلال رب العالمين كما تقدم.

انهم كما أشركوا مع الله عقولا عشرة في الملك والخلق والرزق وتدبير الأمر ، فانهم أشركوا معه غيره في لفظ الجلالة ذلك اللفظ الذي لايدل على سواه عند جميع المسلمين ، وزادوا علَى ذلك أن لفظ الجلالة انما هو في الأصل مما يستحقه العقل الأول ، فقد نقلوا عن الداعي الكرماني :

> ان اسم الالهية لا يقع الا على المبدع [بفتح الدال] الأول ، وان ذلك أشتق من الوله الذي هو التحير في ادراك مبدعه ومن الهانية التي هي الاشتياق الى الادراك ، والعجز يمنعه عن ذلك لجلالة مبدعه تعالى أن يدرك .[1]

ويقول داعي باطني آخر عن العقل الأول :

> وترادفت عليه الأسماء المذكورة في القرآن ، وهو أيضا يستحق اسم الله وذلك لوله العقول فيه ، ووله في مبدعه فبذلك قيل : " شهد الله أنه لا اله الا هو ".[2]

ان الباطنيين يدّعون العمل بالظاهر والباطن ولكنهم في الحقيقة لا يعملون الا بالباطن ، والا فما معنَى قولهم بأن اسم الله هو العقل الأول بحجة :

---

١. مجموع مسائل في الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٨١
٢. رسالة بذر زهرة الحقائق (عادل العوا) ص ١٦٢

ان حروف المعاجم لما كانت محدثة لم تدل الا علَى

محدث مثلها ، وانما يضطرنا العجز الَى أن يكنَّى عنه

بما يستحقه اسماؤه العليا لعدمنا ما نصفه به[١] .

وهل ما في هذا النص من الظاهر أم من الباطن ، واذا كان من الظاهر فمن أي ظاهر استنبط وان كان باطنا فأي ظاهر دل عليه ، ثم كيف يستطيع اى باطني أن يقتنع أن ألعمل بالظاهر والباطن ممكن بل كيف يستطيع أن يقنع غيره بصدق هذه الدعوى ، وعلى ضوء التفاسير الباطلية السابقة لبث شعري كيف يفسرون قوله تعالى :

(انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني واقم الصلاة لذكري)[*] ؟ ؟

ان الذي يعنينا هنا هو أن الباطنيين يجعلون من اسم " الله " اسما مشتركا بين (الله) الذي لم يسموه بذلك الا اضطرارنا . وبين عقلهم الأول المستحق الحقيقي لاسم الله وبين أسماء الله العليا التي هي العقول العشرة ، أو أئمتهم ودعاتهم[٢] . وقد أطلقوا اسم الله وصفاته علَى امامهم المنتظر ففي تفسيرهم لقوله تعالى : " والله بكل شيء عليم "[**] قالوا :

وهذا القائم IكٔJI.J⊥⊥X .. [= مقام الله]
٣كـ ٣٢-٢طم ٩ .
ومقام رسوله

بكل شيء من امور الدنيا وأمور [كذا] المقبلة وأحكامها

وما فيها من النجاة عليم خبير لا يشتبه عليه شيء منه وهذا

الجواب ملتقط أيها الأخ من كلام سيدنا حميد الدين

اعلى الله قدسه في راحة العقل[٣] .

---

١. مجموع مسائل في الحقائق (شتروثمان) ص ٣٥

* . طه ١٤

٢. أنظر حياة الأحرار ق ٥٨ فما ، عن أن لله تسعا وتسعين اسما .

** . النور ٣٥

٣. مسائل مجموعة في الحقائق . (شتروثمان) ص ص ٣٨ ، ٣٩

كما أطلقوا لفظ الله علَى علي وأبيـه ، والنص غير مأخوذ من كتـب النصيريـة الذين يؤلهون عليا بل من كتب المستعلين " المكارمة " ، مـن تفسيرهم لقوله تعالى : " الله لا اله الا هو رب العرش العظيم "* .

يعنى الامام علَى ذكره السلام ، الذي ولهـت
فيه العقول وتبلبل في حقيقة أمره السائل والمسئـول .
هو الرب الراب للدعوة العظيمة ، والمقامات الفخيمـة
وأن TLJΛHTJ [= ابو طالب "كذا"] العظيم
هو IϝT? [= مربي] محمد الكريم ، بل هـو
IϟSI [= مقيم] امير المؤمنين XX×II.ISJI
[= فهو مقام] العرش العظيم ، فهو رب العرش العظـيم
والنبأ العظـيم .[1]

وفى تفسيرهـم لقوله تعالى : " الله يتوفـى الأنفـس حين موتها "** قالـوا
ان اسم الله تعالَى في هذا الموضـع واقع علَى ٢٢٣٢،
٢ط٥ ٣٢٤. ط/٧٥٨.٢ط٢٩٦ط٨٩ [= امام الزمان صلوات اللـه
عليه] ... هذا فى التأويل ، وفى الحقيقة ان اسـم
الله تعالى واقـع على ٣ϟϕ× . ٢٦ ط ٣.٢ط٧
ϕ٨٦٩ [= مدبر عالم الطبيعة = العقل العاشـر] .[2]

كل ذلك يوضـح لنا أن المسلك الباطني في مسألـة الذات الالهيـة وأفعالـه سبحانه وتعالَى مسلك فلسفـي هيليني بلا ريب . الا أن الموقـف الباطنى في مسألـة جمـع الدين والفلسفـة في اطار واحـد في أمر الـذات

---

١. حياة الأحـرار ق ١٣
٢. مسائل مجموعة فى الحقائق (شتروثمان) ص ٥٥
* النمـل ٢٦
** الزمـر ٤٢

الالهية خاصة ، غير ذلك تماما ، ولما كان الأمر غير اسلامي الصيغة ، فان الباحث يستغرب أصل الاشتراك اللفظي في كلمة "الله" بينه عز وجل وبين سواه ، ففي العهد القديم نجد خطابا موجها لموسى :

هو يكون لك فما [يعني هرون] وأنت تكون له الها .[١]   ٥

ليس بخاف أن عبارات العهد القديم تتحدث عن مرافقة هارون لموسى الذي يشكو من لسانه الثقيل ، وقد بين الله تعالى في القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى على لسان موسى :" وأخي هرون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا يصدقني اني أخاف أن يكذبون. قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا ..." *، ولكن التحريف اليهودي هو الذي   ١٠ جعل من موسى الها لهرون ، وهو يدل على الاشتراك اللفظي في اسم الله في الفكر اليهودي عامة كما فصّل ابن ميمون أنه :

قد علم كل عبراني أن اسم الله مشترك للاله والملائكة والحكام مدبري المدن .[٢]

وعلى أي وجه كان تحليل ذلك الاشتراك ، فان الذي يُهمنا هو   ١٥ ذات الفكرة . وهي هنا الاشتراك اللفظي لاسم الله مع ما سواه وأصل ذلك عند الباطنيه .

ان تأثر الباطنيين بالفكر اليهودي واضح في الاشتراك اللفظي لاسم الله كما وضح من قبل في أفعال الله الخاصة بذاته العلية كالخلق والرزق والاحيا والاماتة وتدبير الامور التي جعلها كلا الطرفين: الباطنيون واليهود موزعة   ٢٠ بين العقول المفارقة والكروبيين .

---

١. خروج ٤/ ١٦
٢. دلالة الحائرين ص ٢٨
* . القصص ٣٥

ولا يفوتنا هنا الحديث عن تأليه النصيرية لعلي بن أبي طالب ، وأنه في القمر . وهو رأي طائفة منهم (ر. ص ١٤٣) .

ان تأليه النصيرية لعلي بن أبي طالب يذكرنا بعقيدة السبئية الذين قالوا بمثل ذلك وأنه في السحاب ... الخ (ر. ص ص ٣٣–٣٥) ، وكذا نجد مثل ذلك عند " البيانية " الذين قالوا بحلول الاله في طائفة من البشر حتى انتهت الى علي ثم الى ابنه محمد بن الحنفية فابنه أبو هاشم فبيان بن سمعان (ر. ص ٩١) .

كما قال الدروز بأن روح الله تعالى كانت في أجساد عدد من البشر كان آخرهم الحاكم بأمر الله (ر. ص٤٢٣) .

وعليه فان مسألة الألوهية عند الباطنيين عموما لا تبعد كثيرا عن الحلول أو التجلي على بعض البشر . ويحضرنا هنا قول باطني عن قصة جرت بين علي زين العابدين وجابر بن عبدالله الأنصاري ، قال زين العابدين بعدها لجابر :

أعقلك يحتمل هذا يا جابر ، هي قمص في كل وقت
وزمان تتبدل القمص ولا أتبدل فالأنبياء والأئمة
هم هياكل النور المتجلي بهم الحق عند الظهور .[١]

والمرجع من مصادر المستعلية ، الذين يقال انهم أخف الباطنيين غلوا .

١- زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٤ .

الفصل الرابع

عقيدة الباطنيين في سيدنا محمد (ص) وفي كونه خاتم الانبياء والمرسلين

ان الباطنيين حين يتطرقون الى سيدنا محمد (ص) بالحديث، فانهم يقرنون ذلك بالصلاة والسلام عليه وعلى آله ، في أغلب مصادرهم وهم يقرنون اسمه (ص) أيضا بمثل ما يقرنه به المسلمون عموما ، فكلمة خاتم النبيين ترد بكثرة في معظم المصادر الباطنية ، وخاتم النبيين وسيد المرسلين أحيانا .[١]

وفوق ذلك ، فقد ذكر الداعي جعفر بن منصور اليمني :

أن محمدا صلى الله عليه قال : أنا أفضل الأنبياء ، وقال : أنا سيد ولد آدم ولا فخر . فلا يشك مسلم أن محمدا أفضل الأنبياء جميعا .[٢]

وأكثر منه ما قاله الداعي حاتم بن ابراهيم الحامدي (— ٥٩٦)* عن سيدنا محمد (ص) :

فنسخ شريعة عيسى وقام بشريعة جديدة وأمر جديد . وأمر (صلع) ونهى ، وختم الله بمبعثه الرسل وختم بملته الملل وجعله الله خاتم النبيين وأشرفهم وأفضلهم لأن به وبشريعته كمال الدين . وخاتم المرسلين لانه سلام الله عليه صاحب الكمال والتمام .[٣]

وفي محاورة بين المعز لدين الله وأسير له يدعى ابن واسول ، قال المعز :

فيما بلغنا أنه انتهى اليك عنا أنا ندفع نبوة محمد (ص) وندّعي النبوة بعده ، وندفع سنته وشريعته ، وندعوا

---

١. انظر : السجلات المستنصريه ، تحقيق ، ماجد ، القاهره ، دار الفكر العربي ١٩٥٤ ، في مواضع كثيرة منه

٢. مخطوطة كتاب الشواهد والبيان . عقائد تيمور ، ص ٢٣

* انظر ترجمته في : الحبشي . مصادر الفكر العربي والاسلامي في اليمن ص ١٠٠

٣. مخطوطة المجالس الحاتميه . مصوره . المجلس السابع من المائة الاولى ، ق ٣٣أ

الى غيرهما ؟ ... فلعن الله من قال هذا وانتحلـــه وادعاه . ومن تقوله علينا ، ورمانا به ، ونسبه الينا .[١]

ان هذا النص يدل علَى أن هناك اتهامات للباطنيين منذ أيـــام المعز* (ـ ٣٦٥) حول نبوة محمد (ص) وشريعته الالهيـة ، وهـــذه التهم وردت في كثير من الكتب المناهضــة للفكر الباطني ، ولنقف سويـــا أمام نــص ذكره الديلمي اليماني الزيدي حول رأي الباطنيين في نبـــوة محمـد (ص) وشريعته وكونه خاتـم الأنبياء والمرسلين ، يقول الديلمـــي :

يطعنون علَى الأنبياء صلوات الله عليهم خصوصـــا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويسمونه زعيم الأمـــــة المنكوسـة .

ويقولون ان القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلـــم : لقوله تعالى (انه لقول رسـول كريـم)**[٢]

مما تقدم يظهر أن خصوم الباطنيين يرمونهـم بالطعن في خاتم النبيـــين والمرسلين والوحـي الذي نزل عليه ، ويدعون الى غير سنته وشريعته .

يمكن الحكم علَى صحـة دعوَى المخالفين وفسادها بالرجوع الى المصـادر الباطنية. واذا علمنا أن العقيدة الباطنيـة تبنى الكثير من أحكامهـــا على التأويل الباطني والتسبيـع (ر. ص ص١٥٨ فما ، ١٩٩ فما) فانهم يقولـــون بوجـود سبعة ناطقـين وكلمـة ناطـق قد تكون مرادفـة لكلمـة رسول أو نبـي (ر. ص ٣٦١) ، والباطنيون يعرفون الناطقين بأنهم :

---

* أنظر ترجمته فى اعلام الاسماعيليه ص ٥٢٦ فما

١. القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ص ٤١٥ ، ٤١٦

٢. قواعد عقائـد آل محمـد . ص ص ١٥ ، ٤٨

** الحاقـة ٤٠ والتكوير ١٩

أرسلو الهداية المخلوقات وتنظيم المبدعات

ومن الشرائع والأحكام ، والتبليغ والانذار ، والشهادة

فهم العباد المكرمون الذين لا يسبقون [كذا] بالقول

وهم بأمره يعملون * ١.

ولن يتطرق الباحث لمناقشة هذا التعريف • حصر الباطنيون تعريفهم السابق في : آدم ونوح وابراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد (ص)، وأضافوا اليهم ناطقا سابعا هو القائم المنتظر الذي ذكروا أن اسمه أيضا محمد بن عبد الله ؛ ويدعون أن سيدنا محمدا (ص) بشّر بظهوره وبأنه موافق له في الاسم والكنية واسم الأب.

ان معظم المصادر الباطنية لا تتحاشى الخوض في مسألة القائم المنتظر ، تصريحا أو تلميحا باعتباره ناطقا سابعا • فنجد الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا — مثلا — تقول بأن محمدا (ص) هو صاحب الدور السادس • كما أن هذه الرسالة التي يزعم الباطنيون أن مؤلفها من ذرية علي بن أبي طالب أي أن جده محمدا (ص) ؛ هذه الرسالة تستهزئ بمحمد (ص) ؛ ففي معرض حديثها عنه تقول : ان المولود لا يعيش اذا ولد في الشهر السادس ، ووجه ذلك الاستهزاء والطعن أن الباطنيين يعتقدون أن السبعة النطقاء انما جاءوا ليكونوا في المجتمع البشري صورة تماثل تكون الجنين في بطن أمه (ر. ص ٢٠١، ٢٠٢) ولأن ترتيب النبي محمد (ص) في هذه السلسلة السبعية الحلقات أنه صاحب الدور السادس فقرنوا ذلك بأن المولود اذا ولد في الشهر السادس فان نموه لم

---

١. الداعي أبو فراس • مطالع الشموس (عارف تامر • أربع رسائل) ص ص ٣٣، ٣٤ وانظر : الرسالة الجامعة ص ٣٣

* الذي في القرآن عن الملائكة: لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون• سورة الأنبياء ٢٧ •

يكتمل بعد . لذلك فان الطعن موجه الى ذاته (ص) . ومن ضمن هذا الطعن ما قالته الرسالة المذكورة أن صاحب الدور السادس يملك الأجساد ، وأن صاحب الدور السابع (رسولهم المنتظر) يملك نفوس أهل الدور السادس ونفوس وأجساد أهل دوره السابع.[١] ولتفسير معنى ملكية محمد (ص) لأجساد أهل دوره دون نفوسهم ، لابد من الاشارة الى أن الباطنيين يعتقدون أن ملوك الدنيا أمثال الامويين والعباسيين مثلا ، كانوا يملكون أجساد الناس وأن أئمتهم هم مالكوا نفوس تلك الأجساد.[٢] وكلمة النفوس في الفكر الباطني مرادفة لكلمة الروح في بعض معانيها . وبناء على ذلك نجد الداعي جعفر بن منصور اليمن في تفسيره لقول الله تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)* يقول :

> انما عنى الله عز وجل أن من آمن بالله واليوم الآخر يعني به القائم سابع النطقاء . فمن آمن به من كل فرقة وعمل صالحا بطاعته كان لهم آخر ذلك عند ربهم ولا خوف عليهم ومن كان منهم في التكذيب لمن قبله من الرسل . لأنه خاتم الرسل وصاحب الفضل صلى الله عليه.[٣]

لابد هنا من اشارة الى القارئ الكريم بأن يعود الى نص آخر لصاحب هذا النص في أول هذا الفصل في مدحه لمحمد (ص) للمقارنه (ر.ص ٢٢٣) .

---

١. انظر الرسالة الجامعة ص ٥١٩ ، ص ٥٢٣ .
٢. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ٢٨ ، ٦١ .
٣. مخطوطة كتاب الشواهد والبيان ، ص ٤٢
* البقرة ٦٢ وأنظر أيضا المائدة ٦٩

ومثل هذا النص الطاعن في سيدنا محمد (ص) ، ما قاله الداعي الكرماني في أبيات عن الناطق السابع :

وعما قليل يـــزول العناء ** ويكمل دينا به قد ختم [١]

ومثل ذلك ما ذكر عن المعز في دعائه الموسوم بدعاء يوم السبت (ر، ص ٢٧٦) وفيه يقول بأن محمد بن اسماعيل نسخ ظاهر شريعة محمد (ص) وأنه الناطق السابع . قارن بين ذلك وبين ما جاء في أول هذا الفصل في دفاعه عن الباطنيين أمام أسيره ابن واسول (ر، ص ٢٢٣ ، ٢٢٤) وأنظر أيضا الأنوار اللطيفة ص ١٠٧ وثبته ، ومثله ما ذكر الداعي الحارثي عن أفضلية القائم على الستة الذين قبله [٢] .

ان آخر الرسل عند الباطنيين يقينا هو القائم المنتظر ، وحيث انهم اعتبروا اسمه كاسم النبي (ص) فقد لبّسوا ذلك على الناس وعلى أنفسهم من حيث من هو خاتم الأنبياء والمرسلين ، فتارة يقولون بأنه محمد بن اسماعيل وتارة أنه منتظر لم يوجد بعد ، ولابد هنا من الاشارة الى أنهم يعتبرون أن اسم محمد بن اسماعيل الحقيقي هو محمد بن عبدالله كما ورد في رسالة للمهدي عبيد الله لأهل اليمن . (ر، الملحق ١) ونجد في قول المعز في دعاء يوم السبت وفي قول للداعي الحارثي سيتبع ما يؤيد أن محتوى رسالة عبيد الله تعبر عن فكرة سادت المعتقدات الباطنية في فترة ما وكذا ما أورده جعفر بن منصور اليمن الذي اعتبر محمد بن اسماعيل خاتما للرسل [٣] .

ما يمكن للباحث أن يعتبره توثيقا لرسالة المهدي عبيد الله لأهل اليمن . أما

---

١. رسالة أسبوع الستر . (عارف تامر . أربع رسائل) ص ٦٦

٢. انظر : كتاب الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية) ص ١٠٧

٣. انظر : مخطوطة الشواهد والبيان ص ص ٤٧ ، ٤٨ .

نص الداعي الحارثي حول محمد بن اسماعيل فانه يقول :—

فكان محمد بن اسماعيل متمم الدور وخاتم الرسل
المنتهية اليه غاية الشرائع المختومة به .[1]

وفوق ذلك فقد ادعوا أن جملة (أشهد أن محمدا رسول الله)
التي ترد في الأذان ، انما المقصود بها محمد بن اسماعيل . وان رسول
الله (ص) حينما يقول تلك العبارة انما يعني محمد بن اسماعيل أيضا ،
اذ لا يمكن أن يقول ذلك عن نفسه بزعمهم .[2]

والتفسير الباطني لقوله تعالَى : (هو الذي أرسل رسوله بالهدَى ودين
الحق ليظهره علَى الدين كله)* لا يذهب بهما الَى سيدنا محمد (ص) بل
الى القائم المنتظر — الرسول السابع . بزعم أن نبينا محمدا (ص) انتقل
الى جوار ربه واليهود لا يزالون علَى دينهم وكذا النصارَى وغيرهم وهذا
بزعمهم تكذيب للآية وعليه فالمقصود هو المنتظر .[3]

أما مسألة نسخ شريعة محمد (ص) فذكر بعض المحققين أنها خلافية
فيما بين الباطنيين . الا أن الباحث يرَى أن من يقول هذا بعيد عن
الصواب لأن الداعي الكرماني الذي نفَى نسخ الشريعة المحمدية في كتاب
الرياض[4] ذكر أن التكاليف الشرعية ستنسخ في دور الناطق السابع القائم
كما ينقل الباطنيون أنفسهم ذلك عنه[5] ، وان لم أعثر علَى ذلك في كتابه المذكور
بعد . وليس بعيدا أن تكون العبارة الدالة علَى ذلك قد حذفت من النسخة
المطبوعة من كتاب الرياض لأن محققها عارف تامر متهم من زميله الباطني مصطفى

١ـ الداعي الحارثي . الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الأسرار الخفية) ص ١٥٩ * — التوبة ٣٣ والفتح ٢٨ والصف ٩

٢ـ أنظر : مسائل مجموعة من الحقائق ص ٩٩ ، الأنوار اللطيفة ص ١٦١

٣ـ انظر : مخطوطة : الشواهد والبيان ص ص ٣٢ ، ٣٣

٤ـ انظر : الداعي الكرماني . كتاب الرياض ص ٢٠١

٥ـ انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٩١

غالب في امانته العلمية [١] . وسواء أكان الباطنيون يرون أن الشريعة المحمدية
منسوخة نسخا كليا وجزئيا علَى يد القائم فان ذلك يدل علَى أنهم
يعتقدون أن الشريعة المحمدية غير دائمة ، ولا عبرة بالتفاصيل ، ويؤيد
هذا ما جاء من همز ولمز من صاحب الرسالة الجامعة من أن شريعة
الأول تصبح معصية عند ظهور الثاني وقد أعقب قوله هذا بأن تلك ٥
سنة الله (سنة الله في الذين خلوا من قبل) (ولن تجد لسنة الله
تبديلا) [٢] وكذا ما رواه الباطنيون على المعز لدين الله في دعاء يوم السبت
(ر . ص ٢٧٦) . ويتفق مع ذلك ما ذكره الباطني حسين الهمداني ؛
في بحثه الذي نشره في مجلة المعرفة العدد الأول سنة ١٩٣١ من
أن الاسماعيلية يرَون القرآن كتاب العامة ويرون رسائل اخوان الصفا كتاب ١٠
الأئمة [٣] ، وان الرسالة الجامعة تشير الى مصدر معلوماتها الى ما تلقته
الأنبياء والمرسلون من الملائكة الحفظة المقربين [٤] . أي أن علمهم سماوي
بزعمهم . كل ذلك يدل علَى أنهم في الحقيقة نسخوا الشريعة المحمدية
منذ زمن طويل ولم يبقوا منها الا واجهة ظاهرية تنسبهم الَى الاسلام .

ان شخصية محمد (ص) بالنسبة للفكر الباطني غالبا ليست تلك الشخصية ١٥
الفذة العظيمة التي جاءت بأعظم الشرائع الالهية . فان كتب الباطنيين
السرية ترفع من قدر علي بن أبي طالب وتعتبره مساويا لمقام سيد الأولين
والآخرين محمد (ص) وأنهما خلقا من نور واحد :

---

١. انظر : مقدمة مصطفى غالب في تحقيقه لكتاب : الهفت الشريف .
٢. أنظر : الرسالة الجامعة ص ص ٣٢٥ ، ٣٢٦
٣. انظر : مصطفى غالب . أعلام الاسماعيلية ص ١٣٤
٤. انظر : الرسالة الجامعة ص ١٦

وانقسم ذلك النور نصفين في عبد اللـــــه

وأبي طالب فقال الله تعالَى يا هذا كن محمـــــدا

ويا هـذا كـن عليا [١]

بل ان بعض تلك المصادر اعتبرت عليا في مقام اللهوهو روح الشريعـــــة

المحمدية [٢] وعلى ذلك كان "علي" عندهم المولَى الذي كان في خدمـــة ٥

عبده الذي هو "محمد" (ص) (ر٠ ص ٣٢٥) وهذه العقيـــــدة

لاتبتعد كثيرا عن عقيدة النصيريـــة٠

يمكن هنا العودة الَى الأقوال الباطنيـــة التي صرحـت بأن محمـــــدا

هـو خاتم الانبياء وسيد المرسلين وغير ذلك تلك الأقوال التى وردت فـــى

هـذا الفصـل (ر٠ ص ٢٢٣) ٠ ١٠

ان تلك الأقوال تضع أمام الباحـث احتمالات منها :

أن أفضليـة محمد (ص) التي ذكروها انما تعني افضليته علَى من سبقـــه

من المرسلين ٠ وهذا الاحتمال مؤيـد بقول باطني يدّعي أن محمدا (ص) .

سيكون أفضـل الحاضرين مجلس قائم الزمان المنتظر ـ الناطق السابع وأن القائم

سيضعـــه فى المقام المحمود [٣] وقول باطنى آخـر يزعم أن القائم المنتظــــر ١٥

السابع ليس في مرتبـة الانبياء والمرسلين انما هو في مرتبـة أعلَى من ذلـــك،

وهو قول العيسويـة اليهود (ر٠ ص ١١٦) ٠

ان المقصود بمحمـد في كل ما تشير اليه المصادر الباطنيـه علَى أنه خاتـم

الأنبياء ليس سوَى القائم السابع سواء أكان محمد بن أسماعيل أومحمــــدا

---

١. تحفـة المرتاد وغصة الأضداد (شتروثمان ٠ أربعة كتب) ص ١٦٨

٢. أنظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمى ٠ الحقائق الخفية) ص٧٦

٣. أنظر مسائل مجموعة من الحقائق العاليه (شتروثمان ٠ أربعة كتب) ص ٢١

آخر ينتظرونه لزعمهم أن رسولهم المنتظر اسمه واسم أبيه وكنيته كالنبي محمد "ص" ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك مقرونا بأدلة باطنية (ر. ص ٢٢٥) .

يعن للباحث أن يفترض عدم وجود تلك الاحتمالات ، ويفترض أنهم يعنون بقولهم خاتم الانبياء والمرسلين : شخص محمد (ص) . هنا يظهر في المراجع الباطنية مفهوم آخر لكلمة خاتم الانبياء والمرسلين غير المفهوم الاسلامي بأنه (ص) آخر نبي وآخر رسول . وهذا المفهوم الباطني يرتكز على رأي لهم يقول ان المقصود من وجود النطقاء السبعة، تشكيل صورة تشبه تكون الانسان في بطن أمه الذى يتدرج من السلالة الى النطفة الى العلقة الى المضغة الى العظام الى اللحم (ر.ص ٢٠٢) ثم يكون بعد ذلك خلقا آخر حينما يخرج الى الحياة . وقد جعل الباطنيون لكل ناطق مرحلة من تلك المراحل السابق ذكرها فكان آدم مقام السلالة .. ومحمد (ص) مقام اللحم الذى كسا العظام وبه تم تشكيل الصورة وانتهى ، والناطق السابع سيكون مقامه مقام الروح التي تجعل الصورة متحركة .

ولذا فان كلمة خاتم النبيين يصورها الداعي المؤيد في الدين بقوله :

> الا أن الوقوف في كمال الصورة عند اللحم الذي هو
> مثل على النبي (ص) وكما أنه عند انتهائه التصويري
> الى اللحم يقع الختم على الصورة أن تقبل أشكالا
> أخرى غير ما هو لها ، كذلك اذا انتهت النبوة الى
> محمد (ص) يقع الختم عن أن تغير الى غير ماهي
> عليه فمن ذلك قيل خاتم النبيين[١] .

١- المجلس الثامن والخمسين من المائة الثانيه من المجالس المؤيدية . نشره محمد كامل حسين في تعليقاته على كتاب : ثقة الاسلام علم الامام ، المجالس المستنصرية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د . ت ، ص ١٩٣

فكان كلمة (النبيين) عند الباطنيين علَى هذا تعني الذين يساهمون في تشكيل الصورة الجسدية التي لا روح فيها وهو دليل علَى أن شرائع اولئك الأنبياء ميتة في حكم الباطنيين • وتتضح مرتبة خاتم النبيين عندهم انه ليس سوى جثة هامدة لا روح فيها حتى يأتي القائم السابع •

وللداعي القاضي النعمان رأي مماثل لرأي الداعي المؤيد في الدين • الا أن رأيه مبني علَى أن كل ناطق مسئول عن دعامة من دعائم الاسلام السبعة عندهم • قادم جاء بالولاية ••• ومحمد (ص) جاء بالحج وهو خاتمة الأعمال • أما الجهاد الذي هو سابع الدعائم وآخرها عندهم فهو من نصيب القائم المنتظر • فهو ليس من الأعمال بزعمهم وعليه فان دور القائم يسمى دور الكشف أي كشف الباطن ولا عمل فيه بل قتل المخالفين فقط • وعليه فان كلمة خاتم النبيين التي تطلق على محمد (ص) عندهم انما تعني أن الدور السادس هو آخر أدوار العمل والنبيون هم الذين جاءوا بفرض العمل على أتباعهم [١] بخلاف القائم السابع.

ولا يخفى على القارئ اللبيب من خلال ما ورد في هذا الفصل ان كلمة نبي قد تعني شيئا أقل قدرا • وهي تخص الستة الذين آخرهم محمد (ص) ولا تخص القائم [٢] • اما كلمة ناطق فانها تعم السبعة كلهم •

يستنتج من ذلك أن الذين خططوا لزرع الفكر الباطني في جسم الاسلام انما كان همهم الأكبر هدم الاسلام تماما والدعوة الى دين جديد لا علاقة له بالاسلام • فكان من أهدافهم النيل من نبوة محمد (ص) ضمن مخططهم السري •

أما علاقة هذا الفصل بالبحث ككل فهي واضحة • اذا علمنا أن الغرض هو هدم الاسلام والنيل من قوته التي لم تستطع القوى المعادية النيل منه فاختارت العمل في الظلام.

---

١. انظر : تأويل الدعائم ١/ ٥٢

٢. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان • أربعة كتب) ص ص ٢٤، ٢٥

الفصل الخامس : الامامــــة

تعريف الامامة :

قال في مختار الصحاح :

(أم) القوم في الصلاة يؤم مثل رد يرد (امامـة)
و (أئتم) به اقتدى . و (الامام) الصقع من الأرض
والطريق . [= الناحيـة منه] . قال تعالى : "وانهما
لبامام مبين"* و (الامام) الذى يقتدى به وجمعـه
(أئمة) وقرى "فقاتلوا أئمة الكفر"** ١.

ومن معانيها القدوة ، قال تعالى : (واجعلنا للمتقين اماما)*** ، وقولـه
صلى الله عليه وسلم : انما جعل الامام ليؤتم بـه ٢.
أي ليقتدي به المصلون في قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه ، وتعـدى
اللفظ الى الامام الأعظم وهو أمير المؤمنين - مطلقا - الذي يتولـى
شئونهم وجاء فيه :

سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله...
[وذكر الامام العادل] ٣.

الشيعة والامامة :

تميزت فرق الشيعة عامة بالقول بالنص على الامامة في أهل البيت ، حتـى
أن احدى فرقهم لقبت (الاماميـة) نسبة لذلك .

والباطنيون يعتبرون الامامة الدعامة الأولى من دعائم الاسلام . يقول القاضـي
النعمان :

---

* الحجر ٧٩ ** التوبـة ١٢ *** - الفرقان ٧٤
١. مادة (أ م م) ص ٢٦
٢. صحيح البخاري ك ١٠ ب ٥١ أنظر : فتح الباري ١٧٣/٢٠
٣. صحيح مسلم ب: ١٢ أنظره في شرح النووي على مسلم ١٢٠/٧

رُوينا عن أبي جعفر محمد بن علي أنه قال : بني الاسلام
علَى سبع دعائم . الولاية وهي أفضلها وبها وبالولي
يوصل الى معرفتنا .[1]

وذكر أن المقصود بالولاية ولاية الأئمة من أهل بيت رسول الله
أجمعين . وهو قول باطني فيه من الغرابة ما فيه لتناقضه مع تخصيصهم ٥
للامامة أبناء محمد بن اسماعيل وآبائه ، حتى أن أحب ألقابهم اليهم
هو ، الاسماعيلية . ويهمنا هنا أن الباطنيين يعتبرون الامامة مركزا لدائرة
عقائدهم كما يشير الى ذلك النص السابق .

ولكن هل الامامة علَى هذا النحو أصيلة في دين الاسلام أم أنها مبتدعة ؟
ان الله تعالى يقول في كتابه العزيز (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)* ١٠
فلا بد أن تكون الامامة مما أشار اليه القرآن وذلك من حيث تخصيص علي
وذريته بها . انهم يقولون : نعم فقد ورد ذلك في قوله تعالى : (يا أيها
الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله
يعصمك من الناس)** ، ويمكن الرد عليهم أنها اذا دلت علَى الامامة كما
تقولون فقد أصبحت أمرا حتميا أن ينصاع المسلمون لأمر الله ، وان لم يفعلوا ١٥
ذلك فهم عصاة . ولكن الذي حدث غير ذلك فلم يخبرنا التاريخ عن مقاومة
علي بن أبي طالب علَى ما عرف عنه من قبل ذلك ومن بعده من غيرة علَى حرمات
الدين ومن شجاعة واقدام وحكمة ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك بالتفصيل
في الباب الأول من هذا البحث . (ر. ص ص ٧ — ٩ ، ١١) . كما
ورد الحديث عن عبدالله بن سبأ اليهودي ، باعتباره أول من قال بفرض امامة ٢٠

---

* النحل ٨٩
** المائدة ٦٧

علي بن أبي طالب (ر٠ ص ص ٢٩ ، ٣٠) ٠ وهذا بالتحديد هو ما ذهب اليه الباطني المعاصر عارف تامر بعد أن استبعد تماما وجود نص من النبي (ص) على امامة علي[١] ٠ ان عارف تامر بصفته باطنيا متحمسا مسؤول عن قوله هذا خاصة وأنه منحاز لجانب ابن سبأ اليهودي ومعتبرا اياه شخصية مرموقة نادت بحب علي بن أبي طالب (ر٠ ص ٥٥) ٠ ٥

ان الدور السبئي اليهودي في فكرة الامامة سبقت الاشارة اليه تفصيلا (ر٠ ص ص ٦٣ — ٦٥) ذلك الدور الذي يتمثل في نقل الفكرة من تراثه اليهودي بعد تحوير شخصياتها ، الى الفكر الاسلامي ومن ثم الدعوة اليها حتى أصبحت كما هو الحال مركزا لدائرة العقائد الباطنية بعد أن أضاف اليها الباطنيون وحوروها وطوروها ؛ ١٠

ان امامة علي بن أبي طالب ووصايته هي الجزء السبئي اليهودي في مسألة الامامة ، أما من حيث انحصارها في ولد الحسين بن علي فيبدو أنه غير ذلك ، الا أن بعض المحققين قرنها بالقول اليهودي بأن الملك لا يقوم الا في ذرية داود كما روي عن الشعبي[٢] ، وفي العهد القديم ما يأتي :— ١٥

وفي تلك الليلة كان كلام الله الى ناثان قائلا
اذهب وقل لداود عبدي ، هكذا قال الرب ٠٠٠ ويكون
متى كملت أيامك لتذهب مع آبائك أني أقيم بعدك نسلك
الذي يكون من بنيك وأثبت مملكته[٣] ٠

وهي عقيدة قائمة حتى يومنا هذا ، اذ لم يزل من اليهود من يرى أن الدولة اليهودية المغتصبة لديار الاسلام في فلسطين ليست دولة اسرائيلية ٢٠

١. انظر : الامامة في الاسلام ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د ٠ ت ، ص ٦٢
٢. انظر : العقد الفريد ٢ / ٤٠٩
٣ اخبار الايام الاول ١٧ / ٣ ، ٤ ، ١١

لافتقارها الى ملك من ذرية داود .[1]

الامامة عند الباطنية :

تميزت عقيدة الامامة عند الباطنيين بميزات ، جعلت الفرق الباطنية تختلف في ذلك عن بقية فرق الشيعة الأخرى ، وتفصيل تلك المميزات قد يلقى بعض الضوء على هذه العقيدة ، فمن بين مظاهر الامامة عندهم ما يأتي :—

خصائص الأئمة :

اتهم بعض أصحاب المقالات . الباطنيين بأنهم أضافوا الى أئمتهم صفات الألوهية والنبوة وغلوا فيهم . ورد الباطنيون بأن ذلك ليس من فعلهم بل من فعل الغلاة ، ونجد في التراث بعض الباطنيين تكفيرا للغلاة أمثال: أبي الخطاب والمغيرة ، لذات السبب (ر. ص ١٢٥) .

وهكذا ظلت مسألة غلو الباطنيين في أئمتهم مجرد أكاذيب روجها عليهم أعداؤهم . كما هو الحال في كثير من عقائدهم الأخرى . فنجد محمد كامل حسين يدافع عن نظرة الباطنيين لأئمتهم ، بقوله ان الاسماعيليين ذهبوا الى أن :

الامام من البشر يجري عليه ما يجري على البشر من حياة أو موت .[2]

ولكن الكتب الباطنية السرية التي نشرت . أظهرت الكثير مما كانوا يخفون ، واتضح أن لأئمتهم خصائص فوق البشر ، في خلقتهم وحياتهم وموتهم وبعد موتهم وعلمهم الخ . ومن ذلك ما يأتي :—

١. انظر عن طائفة (ينثوري كارتا) حراس المدينة ، خبرا في صحيفة الشرق الاوسط ، لندن ، العدد ٢١٠ في ١٢ و ١٣/٤/١٣٩٩ ص ٢

٢. في أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٣١

١ـ تكون الامام من لاهوت وناسوت :

يتكون الامام عند الباطنيين من جزئين : ناسوت ولاهوت وبعبارة أخرى إله في جسم انسان كما قال شاعر العبيديين تميم بن المعز لدين الله (ـ ٣٧٤)* وهو يمدح أخاه امام الباطنيين العزيز بالله(ـ ٣٨٦)**

ما أنت دون ملوك العالمين سوى * روح من القدس في جسم من البشر
نور لطيف تناهى منك جوهره * تناهيا حاز حد الشمس والقمر[١]

وهذا يعود بنا الى اعادة النظر حول الحلول والتجلي الذي يقوله الباطنيون (ر. ص ٢١٤) لا سيما وأن الشعر منسوب الى أحد أبناء الأئمة الباطنيين .

وعن جسم الأئمة ذاته ـ بغض النظر عن روحه ـ نجد أن الباطنيين يعتبرون أجسام أئمتهم كالياقوت الأحمر الذي يفوق جميع الأحجار مع كونه حجرا[٢]، وهذا الرأى عن أجسام أئمتهم يوضحه الداعي المؤيد في الدين حيث يقول :

قد خلقتم من طينة وخلقنا * نحن منها ولكن بدي***[كذا] ترتيب
ان أجسامكم لناشئة الطين * الذي منه شق منا القلوب [كذا][٣]

وهو تمييز للطين التي خلق الأئمة منها كما يقول محمد كامل حسين . وهناك تمييز آخر على هذا النحو ، فان الامام الباطني بزعمهم حينما يكون جنينا في بطن امه فانه لا يغتذّى من دم الحيض كبقية البشر لأن أمهات الأئمة

* انظر ترجمته فى اعلام الاسماعيلية ص ص ١٧٣ ـ ١٧٩
** انظر : ترجمته فى اعلام الاسماعيلية ص ص ٥٧٧ ـ ٥٨٢ .
*** ربما كانت الكلمة فارسية وتعنى : بهذا كما ورد ذلك عن كلمة بدين . انظر: المعجم الذهبى ـ فارسى . عربى ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٩ ، ص ١٠٥

١ـ اعلام الاسماعيلية ص ١٧٥ ، والبيتان المذكوران غير موجودين في ديوان تميم ابن المعز الذى طبعته دار الكتب المصرية .
٢ـ انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٨
٣ـ ديوان المؤيد في الدين ص ٢٠٩ وانظر ص ٧٧

منزهات عن الحيض ، بل يغتذي دهنا لطيفا شريفا[1] . هذا عن جسم الأئمة أو ناسوتهم .

أما لاهوت الامام — الجزء الالهي — فهو هيكل نوراني هو حقيقة الامامة تتحد مع جسم الامام بعد ولادته أو بعد النص عليه . — عن الهيكل النوراني (ر . ص ٩٢) ، ذكر بيان بن سمعان بأن معبوده هيكل من نور — .

ان طريقة امتزاج اللاهوت بالناسوت الباطنية ، هي نفس الفكرة اليهودية التي تعلل خبث الجبلة في الانسان ، فقد قال اليهود :

ان خبث الجبلة يحدث في الشخص الانساني
عند ولادته (فعند الباب خطيئة رابضة) وكما
نصت التوراة (منذ حداثته)[2] .

وأما في العهد القديم فاننا نجد قوله :

وان لم تحسن فعند الباب خطيئة رابضة واليك
اشتياقها وأنت تسود عليها .
... لأن تصور قلب الانسان شرير منذ حداثته[3] .

وهذين النصين هما اللذان استشهد بهما الحكيم اليهودي فيما ذهب اليه والرابط بين التصور الباطني لعملية امتزاج اللاهوت بالناسوت والتصور اليهودي لعملية امتزاج الجبلة الخبيثة بجسم الانسان واضح لا سيما وأن الهيكل اللاهوتي أيضا يظل عند الباب ينتظر ولادة الامام أو النص

---

١ . انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٨
٢ . دلالة الحائرين ص ص ٥٥٣ ، ٥٥٤ .
٣ . سفر التكوين ٤/٧ و ٨/٢١

عليه ليلج جسمه كما ورد في النص الباطني المعتمد عليه آنفا .

ان مسألة اتحاد اللاهوت بالناسوت مما ظهر به ابن سبأ اليهودي في الاسلام حين أضاف الجزء الالهي الى علي بن أبي طالب ، كما سبق بذلك الحديث (ر. ص ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٥) . ان ابن سبأ حاول أن يكرر مافعله سلفه اليهودي شاؤول (بولس) حينما أضاف اللاهوتية الى عيسى بن مريم بهدف افساد المسيحية[2] ، وقد سبق الحديث الى أن هذه الفكرة تمتد في جذورها الى عقائد ذات أصل بابلي وردت في العهد القديم (ر. ص ٦٠)

أطلق الباطنيون على اللاهوت عبارة هيكل النور الذي يضيفونه الى الأنبياء والأئمة وقد رووا عن علي بن الحسين (زين العابدين) يقول للصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري :

فالأنبياء والأئمة هم هياكل النور المتجلي
بهم الحق عند الظهور[3] .

ويقول أحد دعاتهم :

واعلم بان الامام الموجود للأنام لا يخلو منه
مكان [كذا] ولا يحوزه مكان لأنه الهي الذات سرمدي
الحياة ولو لم يتأنس بالحدود والصفات لما كان للخلق
الى معرفته وصول[4] .

---

١. انظر مسائل مجموعة في الحقائق العالية .
٢. انظر : أحمد شلبي . المسيحية ، ط ٤ ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٣ ، ص ص ١٢٣ ، ١٢٤
٣. الداعي ادريس . زهر المعاني ، نشر ايفانوف ، المنتخب ، الهند ١٩٤٢ ، ص ٦٤
٤. الداعي شهاب الدين أبو فراس . رسالة مطالع الشموس (عارف تامر أربع رسائل) ص ٣٣ .

وفي أبيات للداعي الكرماني عن قائم الزمان المنتظر يقول :ـ

تأنس للخلق لكنه * تنزه عن كل لحم ودم[١]

ونجد مثل هذا عند " الدروز " بكل وضوح ، كما نجد عند " النصيرية "

القول باتحاد الناسوت باللاهوت في "علي بن أبي طالب" على الطريقة السبئية[٢] .

وعند الدروز أيضا نجد في شجرة السبع السموات ، التى تعني تسلسل ٥

الأئمة على نحو امتزج فيه التناسخ واتحاد اللاهوت بالناسوت[٣] ، وهذه

الصورة مما وجد عند المستعلية المعتدلين ، فقد رووا حديثا عن علي بن أبي

طالب وهو يتحدث الى جابر بن عبدالله الانصاري وسلمان الفارسي وأبي

ذر الغفاري ، وهو يقول :ـ

يا جابر أنا الأمر من الله لأنه عزوجل يقول (يلقي ١٠

الروح من أمره على من يشار من عباده) * فلما أمرني الله

بقوله (فاذا جاء أمرنا وفار التنور) ** بنجاة نوح ع م نجيته

وقوله : (فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها) *** ، وأما

قولي ان ميتنا لم يمت لأنه من روح الله ، وقتيلنا لم يقتل

وأنا مولى كل مؤمن ومؤمنة ممن مضى وممن بقي ، ياسلمان ١٥

ويا جندب [هو أبو ذر] فلما أيدت بما أيدت به الأنبياء

من الروح نطقت على لسان عيسى بن مريم في المهد ،

فآدم وشيت ونوح وسام وابراهيم واسمعيل وموسى ويوشع

ابن نون ومحمد ، وانا كلنا واحد ، ومن رآني فقد رآهم

جميعهم ، وأنا عبد من عباد الله ، فلا تسمونا أربابا وقولوا ٢٠

---

١. أنظر الأبيات في : رسالة أسبوع الستر (عارف تامر. أربع رسائل) ص ٦٦
وأنظر : مخطوطة رسالة الانصنا . دار الكتب المصرية ، عقائد النحل
ـ ٥٤ ، ق ٦٣ أ . ٢ـ انظر مخطوطة كتاب مجموعة حقيقة حق اليقين ص ٤
٣. انظر مخطوطة كتاب تقسيم العلوم . خزانة تيمور .. عقائد ٦٦٢ ص ٢٣٧
* غافر ١٥ ** المؤمنون ٢٧ *** هود ٨٢

في فضلنا ما شئتم ... يا سلمان ويا جندب أنا أحيي
وأميت وأخلق وأرزق وأبرئ [كذا] الأكمه والأبرص
وانبئكم [كذا] بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم
باذن ربي ، وكذلك المحقون من ولدي لأننا كلنا
شيء واحد يظهر في كل زمان ... ولقد أعطانا ٥
الله ماهو أعلى وأجل وأكبر من هذا كله ، أعطانا
الاسم الأعظم الذي لو شئنا لعرجنا به الى السماء
وأطاعتنا الشمس والقمر والنجوم والدواب .[١]

وليس من تعليق للباحث على هذا النص الا الاشارة الى ما ذكره الباطنيون
فيه من معرفة الاسم الأعظم وهو قول سبق الحديث فيه ، حين أدعى ١٠
ذلك " بيان بن سمعان " (ر. ص ٩٢) .

ان كل من درس الخصائص التي أضفاها الباطنيون على أئمتهم ، يستطيع
اكتشاف سر تلك الخصائص — وهي غير بشرية بلا مراء لا كما ادّعى البعض
— حين يعلم بأنهم على مختلف فرقهم يقولون باتحاد اللاهوت بأجسادهم .

٢ — وصف الامام بصفات الله : — ١٥

اعتبر الباطنيون جميع أسماء الله تعالى وصفاته التي في القرآن الكريم
صفاتًا للعقل الأول ولبقية العقول المدبرة — بزعمهم — ، حتى انهم فسروا
بعض الآيات التي تتحدث عن الله تفسيرا باطنيا ذهبوا به الى القول
انها تخص العقل الأول (ر. ص ص ٨ ، ٢١ ، ٢١٩) .

---

١ — زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٧٦ ، ٧٧

الا أنهم أحيانا يؤولون تلك الاسماء والصفات بأئمتهم ، بل انهم قد نسبوا أفعال الله الى الأئمة كما لاحظنا في الفقرة السابقة في النص المنقول عن (زهر المعاني) الذي يمكن اعتباره شرحا لنص ذكره الداعي القاضي النعمان[١] لا حاجة للبحث في ايراده لما ظهر لنا . قولهم في أئمتهم بالخلق والرزق ونحوه .

٣- وصف الأئمة بأنهم يعلمون الغيب والسر :-

ان علم الغيب من خصائص الله تعالى . وقد نفى القرآن عن سيد الأولين والآخرين (ص) أن يكون عالما بالغيب ، فقال جل من قائل (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء)[*] ، فكيف تجوز نسبة العلم بالغيب الى من هو دونه (ص) من الخلق كائنا من كان .

ان الباطنيين - كما ذكر بعض اصحاب المقالات - يدّعون مثل ذلك لأئمتهم وقد نفى كثير من الباطنيين هذه التهمة ، من ذلك ما رواه القاضي النعمان عن المنصور العبيدي ، أنه قال :

قد جعلني بعضهم ربا وجعلني بعضهم نبيا ، وقال بعضهم أعلم الغيب .. فانما نحن عباد من عباد الله وخلق من خلقه ولكن لنا منه منزلة أكرمنا بها ، بأن جعلنا أئمة عباده وحججه على خلقه[٣] .

---

١. أنظر : دعائم الاسلام ص ص ٥٧ ، ٥٨

* - الأعراف ١٨٨ . وانظر آل عمران ١٧٩ والانعام ٥٠ ويونس ٢٠ وهود ٣١

٢. انظر على سبيل المثال : تثبيت دلائل النبوة ص ٧٥

٣. دعائم الاسلام ط ٢ ص ٥٥

كما روى هذا الداعي أيضا عن المعز قوله :

سمعت القائم بأمر الله (صلع) يقول في قوم
من الدعاة بلغه أنهم غلوا فيه وفي آبائه ... وقالوا
انهم يعلمون الغيب ، فلعنهم وقال هؤلاء الصادون
عنا الكاذبون علينا .. ٥

ثم قال المعز ... الغيب الذي تعلمه الأئمة
هو ما غاب عن الناس من العلم الذي أودعهم الله اياه
واستحفظهم سره . فأما الغيب الذي قال جل ذكره : قل
لايعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله *فلا يعلمه
الا هو كما قال عز وجل .[1] ١٠

ولكنا نجد الداعي حاتم بن ابرهيم الحامدي يروي عن علي بن ابي طالب حديثا فيقول :

فقال علي ع م اعلم ياجندب أن رسول الله صلع
افضى اليّ بما أذكره لكم من هذا الأمر .[2]

ثم سرد هذا الداعي حديثا طويلا عن الأحداث التي ستقع للأئمة ، علّى ١٥ أنها من أقوال علي بن أبي طالب ، والطريف أن ما يحتمل الصدق من تلك الأحاديث هو ما كان قبل عصر الداعي المذكور وما عاصره ، أما الأحداث التي زعم أنها ستكون بعد ذلك فلم يقع شيء منها مثل ادعائه خراب مصر وادعائه فتح القسطنطينية وخراب رومية علَى يد الامام السابع عشر ، ويوجد في التراث الباطني من التنبؤات الشيء الكثير وقد نسبوا بعضها ٢٠ الَى النبي (ص) .[3]

* ـ النمل ٦٥ ١. المجالس والمسايرات ، ص ٨٤ وأنظر أيضا ص ٥٢٣
٢. مجالس حاتم (نشر ايفانوف . المنتخب) ص ١٠٧ وانظر الى ص ١١٣
٣. انظر : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٣ ـ ١٤

واذا عدنا الى القاضي النعمان الذي ينفي علم الغيب عن أئمته ، فاننا نجده ينقل عن المعز تفسيرا للحديث الخاص بفضائل القرآن والذي فيه (فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم) قال :—

وهذا حديث قد رواه عامة أصحاب الحديث فينبغي
لهم أن يطلبوا في القرآن خبر من يأتي من بعدهم ٥
فان لم يجدوه فليسألو عنه أهله كما أمرهم الله (عج)
بقوله : " فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ".*
وقول المعز (صلع) : ان عندنا علم ما يطلب
كقول جده علي (ع) : سلوني قبل أن تفقدوني ،
فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا تسألوني عن علم ١٠
ما كان وما يكون وعن علم مالاتعلمون الا أخبرتكم ،علمنيه
النبي الصادق عن الروح الأمين عن رب العالمين .[١]

وهذا النص بالاضافة الى ما يوضحه لنا من تناقض بين في أفكار الدعاة ومقالاتهم فانه يوضح لنا قيمة النصوص المشابهة لذلك ، وأعني بذلك مثلا : نص زهر المعاني الذي ورد من قبل (ر. ص. ٢٤٠) ونجد شواهد ١٥ لدعوى معرفة الأئمة بعلم الغيب بشكل ملفت للنظر اذا تصفحنا التراث الاسماعيلي الباطني ، ففي الخلاف الذي وقع بين أبناء المستنصر بالله العبيدي حول الامامة والذي نتج عنه الانقسام الكبير في الباطنيين فصار منهم النزارية والمستعلية ، نجد تبريرا بأن الامامة من حق المستعلي بنص أبيه المستنصر بالله على ذلك قبل ولادته فقال اثر نزاع بين ابنين ٢٠ له حول الامامة :

---

* . النحل ٤٣
١ . المجالس والمسايرات ص ٢٧٢ وانظر ص ٤٠٤

لا تشاجرا ولا تنازعا ، فليس واحد منكما بصاحب
هذا الأمر وانما صاحبه ها هنا وأشار بيده الى
ظهره الطاهر وكان مولانا المستعلي حينئذ لم يولد
بعد ، وهذا كان في يوم مشهود ومقام غير خفي ولا مجحود .[1]

والمقصود من النص واضح وهو ان المستنصر يعلم الغيب وأن الامام ٥
الحقيقي بعده هو المستعلي ، ومن نافلة القول الاشارة الى أن دعوى
المستعلية هذه لم تجز على أخصامهم الألداء وبني عومتهم النزاريين
بل أتوا بدعاوى مثلها من هذا القبيل .

وان علم السر من علم الغيب أيضا . فالأئمة الباطنيون يعلمون السر
كما يعلمون العلن ففي تفسير باطني لقوله تعالى : (ما يلفظ من قول الا لديه ١٠
رقيب عتيد)* وقوله تعالى : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ... الآية)** قال الباطنيون انها في صفة الأئمة :

وذلك أن الله تعالى أطلعهم بمادته وتاييده
لهم على نيات الخلق وما تخفيه صدورهم فما يتحرك
متحرك ولا يسكن ساكن الا وعندهم صلوات الله عليهم ١٥
علمه كما جاء في الرواية عن مولانا الصادق صلوات الله
عليه أنه قال يوما لبعضهم ما كان عاملا البارحة في دار فلان
فاستحيي الرجل من كلامه صلوات الله عليه . فقال
بعض من حضره أو تعلم ما يفعل يا ابن رسول الله
فقال : (ما كان الله ليجعلنا شهداء على خلقه ويحجب ٢٠
عنا شيئا من أمورهم ، استحيوا منا في السر كما تستحيون منا
في العلانية) .[2]

---

١ . الوثائق الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٢١٦ ، وانظر أيضا ص ٢٢٢
* سورة ق ١٧ ** ـ البقرة ١٣٧
٢ . مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ١١٦

وفي ذات الموضوع ذكر القاضي النعمان أنه سمع المعز لدين الله يقول :

سمعت المنصور عليه السلام ورحمته وبركاته يقول :

رأيت المهدي (ص) وقد وقف مع شيخ من كبار الدعاة - ذكره - بعد أن قام من مجلسه وكلمه بكلام، ثم ولّى عنه ، فأهوى ذلك الشيخ الى الموضع الذي كان عليه المهدي عليه السلام قائما من الأرض فأخذ من ترابه بيده شيئا فقبّله ثم صرّه في منديل كان في كمه فلا أدري كيف التفت اليه المهدي عليه السلام بعد أن صار بعيدا عنه فرآه وما فعل ، فقال : يجزيك الله بذلك خيرا يا أبا فلان .

وما ظننت ولا ظن ذلك الشيخ أنه رأى ما فعله لأنه لم يفعله الا بعد أن ولّى ظهره ومضى عنه .[1]

والنص واضح في قصده الذي ذهب اليه من أن المهدي علم بما فعل داعيه دون أن ينظر اليه . وكل ما سبق يوضح الغلو الذي سلكه القوم . في هذا الأمر .

٤- الاتيان بخوارق العادات :-

اشتهر أئمة الباطنيين بأنهم يأتون بالمعجزات . ومع أن المعجزات التي جاء بها الأنبياء ليست أمرا ذا بال عندهم بل انهم لم يعترفوا بها ، فقد أولوا تلك المعجزات النبوية تأويلات باطنية مع أن القرآن الكريم نص عليها وأخبر بها مثل :

---

١. المجالس والمسايرات ص ١٥٧

* هدهد سليمان والنملة التي حذرت النمل من جيشه ؛فقد أولوا الهدهد فقالو: إنه أحد الدعاة لسليمان وأن النملة كانت داعيا مأذونا من دعاته ٠

* عصا موسى هو أخوه هارون وهو أيضا يده التي خرجت أمام فرعون بيضاء من غير سوء ٠

* كون عيسى من غير أب فلأنه أخذ علمه من أحد دعاة الامام ولم يأخذه من الامام نفسه وهم يدعونه عيسى بن يوسف[١]. ويقول اليهود أن عيسى ابن غير شرعي حملته أمه وهي حائض كما ذكر ذلك في قصة طويله في كتاب (Synag. Jud. VIII, p.133)[٢] ٠

أما معجزات أئمتهم فقد آمنوا بها ولم يؤولوها تأويلا باطنيا بل انهم أضافوها الى كثير من مصادرهم ؛ مما يدل أنها أحد أساليبهم الدعائية لمذهبهم ٠

من ذلك تظاهر اسماعيل بن جعفر الذي ينتسبون اليه بالموت وبقاءه مسجّى ثلاثة أيام ، والناس يغدون عليه ويروحون ؛ ثم دفن جعفر بن محمد له في البقيع على مشهد من الناس ٠ وليست هذه هي المعجزة فقط ؛ بل ان اسماعيل هذا ظهر بعد ذلك بمدة في أحد أسواق البصرة وأنه مسح على زَمِنٍ في كساحه فشفي في الحال (ر٠ ص٢٦٤ف٥) ٠

وقد تقدم في الفقرات السابقة شيء من معجزات الأئمة مثل معرفة المستنصر بالله بأنه سيولد له ولد وسيكون اماما بعده (ر٠ ص٢٤٥) ٠ ومن ذلك أن المهدي عبيد الله حينما كان في طريقه الى المغرب من الشام أُلقي القبض عليه في مصر وسجن ؛ يقول الداعي ادريس :

١ــ انظر : مخطوطة حياة الأحرار ٠ الأوراق ١٠ ب ، ١٢٥ أ ، ١٢٦ أ
٢ــ انظر : زهدى الفاتح (مترجم) ٠ فضح التلمود ، سلسلة اليهود والعالم ــ ١١ ، بيروت ، ١٣٩٤ ، ص ص ٥٧ ، ٥٨ ٠

فلما صار بالسجن وفيه قوم مسجونون منذ مدة طويلة ،
فقال لهم تحبون أن تخرجوا معي من السجن ، فتغامزوا
مستهزئين ... فنهض الى باب من أبواب السجن
فقلعه وأخذ الفحم وخط في الباب صورة مركب ، فلما
أكمل الصورة قال من أحب منكم الخروج فليقعد ٥
معي على الباب ، وجلس على الباب هو وولده وجلس
معه الجميع الا واحدا منهم كذب ذلك ، فلما
رأى الباب ارتفع في الهواء تعلق به فسقط فاندق ساقه
ووقع الباب على النيل ، واشتهر الخبر وخاب من كفر
ونظر الناس الى الباب على البحر يجري فأيقنوا المهدي ١٠
[كذا] المنتظر المبشر به .[١]

ان هذا الأسلوب مما سار عليه الباطنيون بهدف جذب الجماهير الى مذهبهم
منذ بدء دعوتهم على أيام القداحيين وقد أشار ابن النديم الى أن عبد الله
ابن ميمون كان يلجأ الى الشعابيذ والسحر واستعمال الطيور في نقل الأخبار
ليموه بذلك على الناس .[٢] ١٥

٥- عصمة الأئمة :-

ان عصمة الأئمة خصوصية هامة في الفكر الباطني ، وقد صيغت لغرض
بعيد وهو تقبل كل ما يروى عنهم بلا مناقشة لصدوره عن شخصية معصومة
عن الخطأ .

---

١. زهر المعاني . ص ٦٨
٢. انظر : الفهرست . القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، د . ت ، ص ٢٧٨ .

يرى محمد كامل حسين أن العصمة رأي جميع فرق الشيعة[١]، ويقول كامل الشيبي ، ان هشام بن الحكم (— ١٩٩) كان أول من أضاف الى الأئمة العصمة ، انطلاقا من فكرته القائلة :—

ان الامام أحوج الى العناية الالهية من النبي بحكم اتصال الانبياء بالله عز وجل عن طريق الوحي وامتناع ذلك على الامام[٢].

ولا يخفى علينا أن الباطنيين ينطلقون في قولهم بعصمة الأئمة من منطلقات بعيدة عن الذى ذكرعن هشام بن الحكم .

ان اضفاء العصمة على الأئمة متكرر ذكرها في أدب الباطنيين (ر. ص٢٦٢) من ذلك عبارة الداعي ابن الوليد الآنف :

فهل أيها الاخوان بعد كلام الامام المعصوم يُطلب شاهد[٣] .

وقول المعز لدين الله العبيدي :

فالحمد لله الذى من علينا بالعصمة[٤] .

وقد تقدم الرأى القائل ان العصمة شيعية المنبت . وذلك فيما ذكر عن هشام بن الحكم ، وهو تأييد لرأى المستشرق (دونالدسون) القائل ان العصمة لم ترد عن طريق الأسفار اليهودية[٥] . وهى نقطة مهمة في هذا البحث لأن مما سبق ذكره أن اليهود ينفون الخطأ عن الحاخامات ولو تضاربت أقوالهم (فكلما هذا وذاك كلمات الله الحي) (ر. ص١٩١) وهو ما يقوله الباطنيون .

---

١. انظر : في أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٢٥
٢. الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٨٥
٣. رسالة الايضاح والتبيين (شتروثمان . أربعة كتب اسماعيلية) ص ١٥٠
٤. المجالس والمسايرات ، ص ٤١٨
٥. الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٤٢ ، ٣٨٥

والمعروف أن الخطأ صفة بشرية لا خلاف بين اثنين فيها والعصمة نفي لتلك الصفة . ولوجود ذلك عند الباطنيين واليهود .

- يصبح قول " دونالدسون " باستبعاده أن تكون العصمة مما لم يأت الشيعة عن طريق الأسفار اليهودية أمرا صعب التصديق .

٦- نزول الوحي :- ٥

هذه خصوصية نبوية أخرى أضافها الباطنيون الى الأئمة . واذا اردنا الدقة فيجب أن لا يكون العنوان لها كما هو : (نزول الوحي) فاني لم أجد ذلك في المصادر الباطنية ، وانما وجدت الداعي الكرماني يقول :

فلا يستفيد من الملك الروحاني وحيا - على
ما ينقسم حسب المراتب - الا نبي أو وصي أو امام .[1] ١٠

وهذا يعود بنا الى الفقرة السابقة الخاصة بالعصمة والتي ورد فيها أن كلمات الحاخامات كلمات الاله الحي وكل ذلك يوضح أن كثيرا من خصائص النبوة قد أضيفت الى الأئمة . كما أضيفت اليهم أسماء الله وصفاته وعلمه ... الخ .

٧- الأئمة بعد موتهم :-

سبق في هذا الفصل الاشارة الى أن الباطنيين قالوا ان أئمتهم يتكونون من لاهوت وناسوت (ر. ص٢٣٧) أما وقد علمنا ذلك ، فلا بأس بالوقوف على ما يؤول اليه هذا المزيج البشري الالهي بعد موت الامام . وخاصة قائمهم المنتظر . ١٥

ان اللاهوت الذي في جسم الأئمة وهو (الهيكل النوراني)

اذا آنت نقلته عليه السلام [يعني الامام مطلقا] صعد ذلك الهيكل النوراني الى أفق العاشر المدبر . ٢٠

١- الرسالة الواعظة . ص١١

أما أجسام الأئمة وكذا الأنبياء ٠ انها بعدحمه٩

[= ثلاثـــة] أيام تتحلل وتصعد الَى حيث كانت أولا وهي

× ٨ ط ٩٨ [= ريحية] وقد صارت في حالة أعلـــــى

وأشرف لمجاورتها الهياكل النورانية وكونها كانت حجبـــا

للابداع فتقيم ما شاء المدبر ٥ ثم تصير ٣٥٢٤٣ . ٨٧ 5

٩ [= مواد لطيفة] تتصل بنفوس٢٥٤٣٥٤٣ [الابــــواب]

والحجـج ودعاة٢٤٤٢٨ [= البلاغ] وتشعشع نفوسهـــم

وتصعد بصعودها وذلـك حقيقـة ما قاله مولانا الصادق

٠٠٠ " كثائفنا لطائـف شيعتنا "٠ [١]

والمقصود بالعاشر ؛ العقل العاشر الذي يتولّى تدبيرعالم الطبيعة (ر٠ص٢١٣). 10

ان لاهوت الأئمـة يصعد الَى أفـق ذلك العـقل ليتولى معه تدبير هـــذا

العالم ٠ [٢] وهـذا يذكرنا باستشارة الله (تعالى عن ذلك) للحاخامات اليهـود

حينما توجـد مسألـة معضلة لا يمكن حلها في السماء ٠ [٣]

ولعل الفرق بين التصورين أن اليهود جعلوا من حاخاماتهم مستشاريـــــن

أرضيـين لما يجري في السماء بينما أرجأ الباطنيون ذلـك في أئمتهم فصــــار 15

لاهوتهم ممن يتولى تدبير شئون الحياة علَى الأرض ٠ ولنقف أمام هذا النـــص

الباطنى للداعي شهاب الدين أبى فراس الذي يمزج الامام بالاله علَى طريقـــة

باطنية خالصة فيقول :—

---

١٠ مسائل مجموعة من الحقائق العاليـة (شتروتمان ٠ أربعة كتب) ص ص ٨ ، ٥٥ ، ٥٦ ٠

٢٠ أنظر : محمد كامـل حسين ٠ فى أدب مصر الفاطميـة ، ص٣٢ ٠

٣٠ أنظر : الكنز المرصود فى قواعد التلمود ، ص ٤٦ ٠

وهو قلب هذا العالم الكبير ، ومدبره ، وممده ،
فبمعرفته وطاعته والتخلي عن ضده صلاح المؤمنين
وهو فرد الحقيقة ومرتب الدوام وموجد النظام وهو
القائل على نفسه " ظاهرنا امامة وباطننا غيب لايدرك "
وقال : " عبدي أطعني أجعلك مثلي حيا لا تموت ٥
وعزيزا لاتذل وغنيا لا تفتقر ".[١]

وان كان شيء ما في حاجة الى تعليق فهو ليس سوى العبارة الأخيرة من النص " عبدي أطعني ... " وهي عبارة تتكرر في المصادر الباطنية عن لسان الله تعالى وهي هنا عن لسان الامام الذي هو في الحقيقة الله، والباطنيون ينسبون العبارة الى التوراة . وقد وردت في بعض المصادر ١٠
: أطعني يا ابن آدم أجعلك ...[٢]

وبعد هذا فاننا نجد أن الخصائص التي خص بها الباطنيون أئمتهم لا يمكن أن تكون خصائص بشرية كما أن من الصعب ادعاء ذلك واثباته .

استمرار الامامة :

ان الفرق الاسماعيلية الباطنية تختلف عن الفرقة الاثني عشرية وما ١٥ انشق عنها في مسألة الامامة من حيث استمرارها ذلك ان الاثني عشرية يرون أن آخر الأئمة هو الامام الثاني عشر الذي دخل مغارة واختفى فيها وهم ينتظرونه منذ مئات السنين[٣] ويستسخف الباطنيون هذه الفكرة

---

١. رسالة مطالع الشموس . (عارف تامر . أربع رسائل) ص ٣٣
٢. انظر : مقدمة الأعظمي على تأويل الدعائم ص ٤٢ وأنظر أيضا الأنوار اللطيفة ص ١٠٦
٣. انظر : أسرار النطقاء . (ايفانوف . المنتخب) ص ٩٢ وأنظر أيضا : محمد كامل حسين . في أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ٣١

وقالوا ان الامامـــة :-

تنتقل ولا تزول وانما الأئمـة صلوات الله عليهم

يتوارثون بالانتقال والاتصال خلفا عن سلف . [١]

وقالوا ان سبب عدم زوال الامامة أنها حجة الله على خلقه . [٢]

ان فرقة الدروز تعتبر في هذا الأمر ممن شذ عن الاسماعيلية وذلك ٥
منذ أن أعلنوا ألوهية الحاكم بأمر الله . وهم الآن لا يقولون بوجود امام
لهم .

والنزاريون لهم امام معروف باسم آغاخان . أما المستعلية فان امامهم
مختف ويدعون وجوده في الستر . وهذه الفرقة هي التي حافظت على
التقليد الباطني الذي يقول بوجود امام مستور . ١٠

ان القول الباطني باستمرار الامامة أمد الدهر أوجد عندهم قولين :
الأول : القول بامام ظاهر وامام مستور . الثاني : القول بامام مستقر
وآخر مستودع . أي أن الامامة وضعت عنده على سبيل الوديعة ويمكن اعتبار
الكيسانية أول من قال بالامام المستودع (ر. ص ٨٩) :

القول بأئمة ظاهرين : ١٥

عرفنا في الباب الأول أن الفرق الباطنية انما وجدت من بين الفرق
الغالية التي كانت تقول بامامة الحسين بن علي وذريته (ر. ص ١٣٩) . لذا

---

١. زهر المعاني . (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٢
٢. ابن الوليد . تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٩

فهم يقولون جميعا بامامة هؤلاء أي علي والحسن ويرى الباطنيون في مجملهم أنه مستودع للامامة وليس مستقرا [١] والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد . وهؤلاء بزعمهم الأمة الظاهرون ويسمون هذه المرحلة دور الظهور . ان دور الظهور قد لا يهمنا في هذا البحث ، الا من حيث أنه مرحلة لازال الباطنيون يعتبرونها جزءا من تاريخهم . بل ان معظم مافي فكرهم وتراثهم انما يرتكز على أهل هذا الدور ، وأعني بذلك الجانب الاسلامي من فكرهم اذا لم تخنني الألفاظ ، لأنهم يروون أحاديث عن الأئمة من أصحاب هذا الدور لاسيما علي بن أبي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد . ولا أقصد أنهم لم يسندوا الى هؤلاء شيئا من الفكر الباطني . ويأتي بعد ذلك في عدم أهمية دراسة هذا الدور أنه خال من التناقض والمشاكل التي نتجت عن دور الستر وظهرت فيه ، وهنا تصبح دراسته خالية من الاثارة العلمية بحيث يمكن اعتبارها تكرارا لأقوال من سبق من المحققين لن يأتي منه جديد ، لاسيما وأن الباب الأول قد أشار الى عقائد الفرق الغالية والتي لم تظهر في معظمها الا في هذه الفترة .

دور الستر :

ان الدراسات الباطنية تختلف اختلافا بينا في تحديد الفترة التاريخية التي يمكن أن يطلق عليها دور الستر ولكن الباحث من خلال مقارنته بين المصادر الباطنية وغيرها وبين تطور العقيدة الباطنية ، فانه لا يجد مانعا من القول ان وفاة جعفر بن محمد (ـ ١٤٨) هي ما يمكن أن يعتبر

---

١. انظر : رسالة تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦٨ وأنظر : مصطفى غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية . دمشق ، دار اليقظة د ت ، ص ٢٨

تاريخا لدور الستر بالاصطلاح الباطني • وقد يتضح ذلك جليا فيما سيتبع :

١- المقصود بدور الستر :

ان مدلول هذه العبارة (دور الستر) عند الباطنيين : أن يختفي الامام عن الناس تماما بحيث لا يكون له أي نشاط ظاهر يدل عليه ، ولا يعرفه الا أخص الدعاة المقربين بعد أخذ العهود والمواثيق عليهم وفي هذه الحالة يكون حجته هو الظاهر للعيان[١] • كما هو حال الباطنية المستعلية اعني الفرقة المعروفة منهم باسم البُهرة[٢] - بل ان هناك رأيا باطنا يقول بأن الأئمة المستورين :

> أخفوا شخصياتهم عن أقرب المقربين اليهم من دعاتهم
> بأساليب لا يمكن أن يتصورها العقل[٣] •

ويتميز دور الستر عامة بالنشاط السري الخفي الذي ربط المحققون بينه وبين أسلوب الديانات السرية كالماسونية اليهودية وأمثالها.

٢- أسباب القول بالامام المستور :

ان التعليل الباطني لظاهرة الامام المستور ينطلق من منطلقين أحدهما فكري والآخر نفسي فأما المنطلق الفكري الذي علل به الباطنيون دعواهم فهو أنهم يعيشون في دور الستر ولهذه الكلمة معنًى آخر موسع غير معناها الذي يختص بما نحن فيه ؛ وهذا المعنى يتصل بعقيدة الأدوار •• السبعة (ر• ص ٢٠١) ؛ فالأدوار السبعة في جملتها مكونة من دورين أحدهما

١• انظر : الجويني • تاريخ جهانكشاى (جمال الدين) ص ١٥٧

٢• انظر : محمد كامل حسين • فى أدب مصر الفاطمية ، ط ٢ ، ص ص ٦٥ - ٦ •

٣• عارف تامر • القرامطة ، بيروت ، مكتبة الحياة ، د • ت ، ص ١٠١

دور الستر ويبدأ بآدم وينتهي بانتهاء الدور السادس وهو دور محمد (ص) بزعمهم . والآخر دور الكشف الذي هو دور القائم المنتظر . وفي دور الكشف تكون العلوم الباطنية مما يتلى على رؤوس المنابر ، أما في دور الستر فلا يمكن التصريح بهذه العلوم الا بعد أخذ العهد وما الى ذلك[١]، وبصفة تدريجية (ر. ص ٣٢٦) .

أما المنطلق النفسي ، وقد سماه الباحث نفسيا لأن له باعثا من حالة نفسية وهي الخوف من الضد - وكلمة الضد تعني كل مخالف للعقيدة الباطنية - ولذلك بررعارف تامر استتار الأئمة بعد جعفر الصادق خوفا من العباسيين الذين يطاردون الأئمة[٢] . واذا صح هذا الاحتمال أعني احتمال الخوف من الضد ، فلا يمكن بأى حال حصر ذلك في الخلفاء العباسيين بل لابد من اضافة الرأي العام الاسلامي سُنيّه وشيعيّه وهم مخالفون للباطنيين جملة وتفصيلا ، لأننا اذا عدنا لفرق الغلاة نجد أنهم نادوا بمثل ما نادى به الباطنيون ولكنهم لم يلجؤا الى فكرة الستر بعامة مع أنهم ضلوا مكروهين ملعونين من أهل البيت النبوي أمثال محمد بن علي ابن الحسين وجعفر بن محمد قبل غيرهم . وهذا ما جعل طريقتهم الهادفة الى افساد الدين الاسلامي طريقة فاشلة فلم تحقق أهدافها المرجوه . وقد علم الباطنيون الدرس ووعوه فغيروا طريقتهم بعدم الاعلان عن عقائدهم ، وبالدعوة الى امام مستور ، علهم بذلك يحققون ما فشل فيه أسلافهم الغلاة من تدمير كيان الدين الاسلامي ، ولا يعتقد الباحث في صحة أي تحليل آخر لانتهاج الباطنيين للسرية .

---

١. انظر: مسائل مجموعة في الحقائق (شتروتمان . أربعة كتب) ص ص ١٠ ، ١٩ ، ١٠١ ، ١١٥ ، ١٣٣ .

٢. انظر: القرامطة ص ١٠١ ، وأنظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧

ثمة بعد ذلك نقطة جديرة بالملاحظة حول هذا الموضوع وهي أن الأفكار السرية لا تنمو في بيئه تعتمد علَى الفكر الحر ، وهو اتهام للخلفاء العباسيين بالقمع الفكري ، وسيأتي رأي الباحث في هذه النقطة مفصلا (ر• ص ٣٣٥) ، وهذه النقطة ذات علاقة وثيقة بما أشير اليه في هذه الفقرة •

٥

الفصل السادس : الأئمة المستورون

ظل الباطنيون مدة طويلة وهم يُعمّون على شخصية الامام المستور ، ولما حاصرتهم الاتهامات من جميع الجبهات ، كشفوا عن شخصيات الأئمة المستورين ، الا أنهم اضطربوا في ذلك أشد الاضطراب ولا يزالون ٠ فقد قال بعضهم : ان أول امام مستور هو اسماعيل بن جعفر حين تظاهر بالموت في حياة أبيه جعفر بن محمد (ر ٠ ص ص ٢٦٤، ٢٦٥) وقال بعض آخر ان محمد بن اسماعيل هو أول الأئمة المستورين فلقب بالمكتوم لذلك (ر٠ ص ص ٢٧٠، ٢٧١) في الوقت الذي نجد فيه مرجعا باطنيا هو الرسالة التي أرسلها المهدي عبيد الله الى أهل اليمن أوضح فيها[1] أن كلا من اسماعيل ابن جعفر ومحمد بن اسماعيل ليسا شخصيتين حقيقيتين ـ وأن اسم الامام الحقيقي عبد الله بن جعفر وأنه تسمى باسماعيل تقية ، ولا ننسى هنا أن الباطنيين ذكروا أن امامة اسماعيل ومحمد بن اسماعيل كانت في حياة جعفر بن محمد الذي نص عليهما واحدا بعد الآخر ٠ ونجد من الباطنيين من يعتقد أن اسماعيل بن جعفر هو الامام السادس وان محمد بن اسماعيل هو الامام السابع من أئمة دور الظهور[2] ٠ وهنا يكون أول امام مستور هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، والى هذا تميل كثير من المراجع الباطنية ٠

كل هذا يجعل مسألة تعيين أول أئمة الستر الباطنيين من المسائل الصعبة ، مما يسمح للباحث أن ينظر بعين الاعتبار الى الفكرة القائلة ان عبيد الله المهدي بعد استيلاء ه على مقاليد الأمور وظهور دولته في

---

١. انظر : في نسب الخلفاء الفاطميين ص ١٠ أنظرها في الملحق ـ ١

٢. انظر : عارف تامر ٠ الامامة في الاسلام ص ٢٥٥

المغرب ، لم يكن قد استقر رأيه بعد على نسب ينتسب اليه ، فنسب نفسه الى أهل البيت[١] ، ثم ادعى أنه من ولد عبدالله بن جعفر ولكنه عدل عن ذلك - حينما علم أن عبدالله لم ينجب - وادعى الانتساب الى اسماعيل بن جعفر[٢] • ويؤكد ذلك رسالة المهدي عبيد الله الآنفة الذكر التى اتفقت الى حد ما مع ما ذهب اليه ابن حزم • وهذا يؤدي بنا الى الحديث عن نسب الخلفاء العبيديين الذين حكموا مصر وهو ليس مطلوبا هنا ، بل ان الذى ساق الحديث اليه هو تعذر معرفة من يمكن أن يكون أول أئمة دور الستر عند الباطنيين ، وما أدى الى ذلك من نتائج منها على سبيل المثال : أن تسمية الباطنيين أنفسهم بالاسماعيلية من المحتمل أن تكون متأخرة ، ويفسر ذلك اغفال أبي الحسن الأشعري الحديث عن فرقة تسمى الاسماعيلية[٣] • واطلاق النوبختي تسمية (الاسماعيلية الخالصة) على فرقة أنكرت موت اسماعيل بن جعفر وقالت بعودته مهديا على الطريقة السبئية ، وتسميته (الخطابية والقرامطة) بالاسماعيلية[٤] •

خلاصة القول ان الظن هو السبيل الذي يمكن به تعيين الأئمة الباطنيين المستورين والظن أيضا يذهب بنا الى احتمالات عديدة •

من المحتمل أن تكون أبلغ صورة لوضع الفرق الباطنية في دور الستر هذا ما ذكر القاضي عبدالجبار المعتزلي الذي يقول ان الباطنيين كانوا يكتبون كتبا تتضمن الدعوة لامامهم المستور :

---

١. تثبيت دلائل النبوة ٢/٥٩٨
٢. انظر : ابن حزم (- ٤٥٦) جمهرة أنساب العرب ، ص ص ٥٩ - ٦١
٣. انظر : مقالات الاسلاميين • ص ص ١٠٠ - ١٠١
٤. انظر فرق الشيعة ط ٤ ص ص ٧٩ ، ٨٠

ويكون مع تلك الكتب الأموال والهدايا والتحف
العجيبة ويذكرون للمكتوب اليه ملكهم ، وأنهم قد
وجدوا ذلك في كتب الحدثان ... ويحلفونه في كتمان
ذلك وكتمان ما يلقونه اليه ... ويقولون السنة السنة
تكون الغلبة ، وظهور الأمر على جميع الأرض ، فلا يكون ٥
لذلك أصل . ويموت من وعدوه ذلك ، ويتناسى
ويبتدئون فيسخرون بقوم آخرين فيبطل ذلك ولا يكون
ويبتدئون بقوم آخرين ، ويموت ذلك الذي قالوا لهم
انه الامام الذي يظهر ، ويدعون الى آخر ويموت الذي
بعده ثم الذى بعده كذلك .[١] ١٠

وقد أثبت التاريخ بالاضافة الى ذلك أن أكثر من جهة باطنية كانت تدعو الى امام مستور .

الأئمة المستورون :

١ـ اسماعيل بن جعفر :

يعتبر اسماعيل بن جعفر اسما هاما عند الفرق الباطنية ، فهو الامام ١٥ الذي ينتسبون اليه على اختلاف فرقهم عدا النصيرية ، فيقولون الأسماعيلية النزارية ، الاسماعيلية الطيبية ... الخ ، كما درج كثير من الكتاب على اعتبار خلفاء الدولة العبيدية من نسل اسماعيل بن جعفر هذا ، وعليه غلب على اسمهم الفاطميون .

---

١. تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٥١٧

هو اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[١] ومن ألقابه عند الباطنيين الميمون والمبارك[٢] • ولابد من الاشارة الى علاقة ما بين لقبي (الميمون) و (المبارك) لما لهما من ارتباط بشخصيتين لهما دور في تأسيس الفرق الاسماعيلية هما ميمون القداح ، والمبارك صاحب الفرقة المباركية (ر• ص ص ١٤٥ ، ٢٧٢) وعليه فان اعتبار اللقبين خاصين باسماعيل بن جعفر بعيد عن واقع هذه الشخصية بل من المحتمل أن يكون هذان اللقبان مما أضافته الفرق الباطنية فيما بعد على اسماعيل وأئمة الستر[٣] لغرض الايحاء بأن الذين أسسوا الفرق الباطنية هم الأئمة المستورون من أهل البيت ، ويبدو أن هذه الطريقة لم تلق رواجا في التراث الباطني ، مما جعل عارف تامر ينحي للائمة على الباطنيين أنفسهم في عدم استطاعتهم اثبات أن مؤسسي الفرقة الباطنية هم الأئمة المستورون أنفسهم[٤] •

مولده ونشأته :

يقول مصطفى غالب :ـ

كانت ولادة الامام اسماعيل سنة ١١٠ هجرية في المدينة المنورة[٥] •

وعلى ذلك يكون قد نشأ في كنف أبيه جعفر بن محمد[٦] • ومن الطبيعي أن يصف الباطنيون اسماعيل بن جعفر بالذكاء والفطنة المبكرة ، والعلم اللدني وهذه قصة ذكرها الباطنيون عن اسماعيل في ذلك ، قالوا :ـ

١. انظر : النوبختي • فرق الشيعة ، ص ٨٤
٢. انظر : زهر المعاني (ايفانوف • المنتخب) ص ٤٧
٣. انظر : في نسب الخلفاء الفاطميين ص ص ٩ ، ١٠ أنظرها في الملحق ـ ١
٤. انظر : القرامطة ص ١٠٨
٥. اعلام الاسماعيلية ص ١٦١
٦. انظر : زهر المعاني (ايفانوف • المنتخب) ص ٤٧ •

وقد جاء عن بعض أصحابه [يعني اصحاب جعفر بن محمد] وكان من دعوة أبي الخطاب ، أنه قال: رأيت اسماعيل عند منصرفه من الكتاب فأجلسته في حجري وقبلت رأسه ، وقلت : ما أعجب بأمركم وأيت منكم [كذا] ، فقال : بأي الأمور أنت تعجب يا فلان؟ فقلت : يقول لنا أبوك بالأمس : أبو الخطاب معدن سرنا ، وعيبة علمنا واليوم يلعنه ويأمرنا بالبراءة منه ، فقال : يا فلان وسماه ، ان الله جل وعز لما دعى [كذا بالمقصورة] السموات والأرض وذلك قوله ايتنا [كذا] طوعا أوكرها ... قالتا أتينا طائعين ، فكانتا مطيعتين وكذلك النطقاء والأوصياء والأئمة كانوا مطيعين فى اجابتهم ، فلذلك صاروا معصومين ، وسائر الأتباع لهم مستقر ومستودع لأنهم مجتابين (؟) وليسوا معصومين ، وأن أبا الخطاب ممن استودعه الله علمنا فلذلك قال بولايتنا ، فلما أفسد في دينه قبض الله وديعته فتبرأنا منه . فمن أي هذه الأمور انت تعجب ؟ ونهض الصبي من حجره مسرعا .

فقال الرجل : مالي ولصغير بني هاشم وكبيرهم، ودخل الرجل لوقته الَى الصادق فاخبره بما جرَى بينه وبينه فقال (من) يتكلم بمثل هذا ، ثم أحضره وامره بأن لا يعود الَى الكتّاب وصار يصونه من كلام الناس خوفا عليه من ضده .[١]

---

١. جعفر بن منصور اليمن . أسرار النطقاء (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٩٥ ، ٩٦ ، انظر القصة فى الكشي ، راجع لويس . أصول الاسماعيلية ص ١٠١ .

ان النص ذو دلائل أهمها علم وذكاء اسماعيل وهو صغير • وهذا يؤهله للزعامة والقيادة ، وهذا ما أولاه الباطنيين اياه فانتسبوا اليه واعتبروه أول أئمة دور الستر تارة أو السماء الدنيا من السموات السبع التي هي[١] الأئمة المستورون كما يقول الدروز وسادس الأئمة ممثول اللحم في الروحانيه مقابل جده نبي الهدى (ص) تارة أخرى[٢] •

امامته : ان المصادر الباطنية لا تستطيع أبدا أن تدعي أن امامة اسماعيل كانت بعد وفاة جعفر الصادق ، لذا فقد قالوا ان جعفرا سلم اليه الأمر وهو على قيد الحياة[٣] • وهذا من الصعب حدوثه نظريا في العقيدة الباطنية • ولكن ما باليد حيلة فليس لديهم من طريقة سوى هذه كي يجعلوا لمذهبهم علاقة بمحمد بن اسماعيل • فادعوا أن جعفر فعل هذا وسلم الأمر الى ابنه " بأمر الله ووحيه "[٣] • ولكنهم أوردوا قصة أخرى تعليلا لهذا التسليم المزعوم ، وان كان يُشتَمُّ منه أسلوب الأساطير ، وهو أن أبا جعفر المنصور الخليفة العباسي المشهور رغب الى جعفر بن محمد في أن يسلم اليه الامامة ، وهدده بالقتل هو وأولاده وشيعته ان أبى ، فوعده (الصادق) بذلك عند موته ولكنه سلم الأمر الى اسماعيل في سر وانكتام[٤] • وعلى هذه الصورة اعتمد الباحث على أن الصواب اعتبار اسماعيل بن جعفر أول أئمة دور الستر الباطنيين وهذا مؤكد أيضا بانتساب الباطنيين اليه •

الا أن الشيعة الاثني عشرية أعداء الاسماعيليين حاولوا الطعن في دعوى الباطنيين امامة اسماعيل بالنيل من شخصية اسماعيل وأنه لا يصلح للامامة لسوء

---

١. انظر زهر المعاني (ايفانوف • المنتخب) ص ٥٠
٢. انظر " " (" ") ص ٤٧
٣. انظر اسرار النطقاء (ايفانوف) ص ٩٤ ، ص ٨١
٤. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان • أربعة كتب) ص ١٥٥

سلوكه وأنه كان يعاقر الخمر لذا فقد اعتبره جعفر شيطانا تصور في صورة ابنه [١]، وفي كتب الاثني عشرية نجد جعفرا يلعن ابنه اسماعيل ويعتبره فاسقا ويبشره بالنار [٢].

وفاته : ان وفاة اسماعيل بن جعفر كانت في سنة ١٤٥ في حياة أبيه ، ويطيب للباطنيين انكار هذه الوفاة ويعتبرونها بدءا [٣] لاستتار اسماعيل تكذيبا منهم لحادثة وفاته التي يقول الاسفراييني (— ٤٧١) انها صحّت عند جميع أهل التواريخ [٤]. ويوضح لنا النص التالي أن الباطنيين لا ينكرون جملة حادثة وفاة اسماعيل ولكنهم وظفوها باطنيا على أنها ايهام للضد الذي هو "أبو جعفر المنصور". يقول النص :

فلم يرمولانا [يعني جعفر] الا أنه أمرمولانا ٨٦٢٢٣٣٢م [= اسماعيل] بأن يظهر الموت. وأقام مسجّى ثلاثة أيام ، ومولانا ٢م/٢٩٢٥ [= الصادق] يشهد عليه من حضره ثم أمر بدفنه في اليوم الرابع [٥].

ومع مافي القصة من تضارب بين قوله الذي سبقت الاشارة اليه بأن جعفر سلم الأمر الى اسماعيل ثم قوله إن جعفر أمر اسماعيل بالموت أو التظاهر به اذ كيف يأمره وقد سلم اليه الأمر وصار هو الامام. وصدّق من قال اذا كنت كذوبا فكن ذكورا. مع ذلك فلا يسع الباحث الا أن يعتبر أن اسماعيل مات في حياة أبيه لعدم استقامة مسألة التظاهر بالموت ولأنها تتعارض مع المنطق السليم فضلا عن كونها من الأمور التى لا داعي لها حتى مع حسن الظن

---

١. جهانكشاى (ترجمة جمال الدين) ص ١٥٣
٢. انظر : الاسترابادى . منهج المقال ، دمشق ، المكتبة الظاهرية مخطوط رقم ٧٥٧٣ ، ص ٨٥ .
٣. انظر : اعلام الاسماعيلية . ص ١٩٥
٤. انظر : التبصير فى الدين . ص ٢٣
٥. مسائل مجموعة من الحقائق العاليه (شتروتمان . أربعة كتب) ص ١٦ .

بالباطنيين باعتبار ذلك من قبيل التقية التي يدين الباطنيون بها ، لأن من يستطيع اخضاع الظواهر البشرية لرغبته قادر على استعمال وسائل أقل غرابة من ذلك للاستتار والتخفي بل وايهام الضد .

ان مناقشة هذه القصة على النحو المذكور ليس الغرض منها الا الوقوف على البداية الغريبة اللا معقولة للفرق الباطنية التي انتسبت الى اسماعيل بن جعفر ، ويالها من بداية غير طبيعية كما يظهر للقارئ الكريم .

ولكي تكتسب قصة التظاهر بالموت التي نسبها الباطنيون الى اسماعيل ابن جعفر صفة الشرعية فانهم الحقوا بها رواية نسبوها الى جعفر بن محمد :

لو جاءكم أحد بدماغ ابني هذا [يعني اسماعيل] في صورة [كذا] فلا تشكوا أنه الامام بعدي .[1]

وليس بعيدا أن يصدق الباطنيون هذه الرواية ويكذبوا حادثة وفاته . ولعل الرواية هذه تذكر القارئ بقول ابن سبأ اليهودي حينما نُعِيَ اليه أمير المؤمنين علي ، قال : ... ولو جئتمونا بدماغه في صرة لعلمنا أنه لا يموت ... (ر. ص ص ٢٩ ، ٣٠) . وقد درج الشيعة والغلاة خاصة على نفي موت من مات من الذين يدعون أنهم أئمتهم . (ر. ص ص ٧٦ - ٧٩ ، ٩٤ ، ١٣٢ ، ١٤٠) .

ظهور اسماعيل بعد موته : ادعى الباطنيون ظهور اسماعيل بعد حادثة موته ، وأضافوا الى معجزة ظهوره معجزة أخرى لا تقل عن معجزة ظهوره ، قال الداعي ادريس :

١- أسرار النطقاء . (ايفانوف . المنتخب) ص ٩٥

فلما كان بعد ذلك ظهر اسماعيل عليه السلام بالبصرة
وأقبل اليه الناس يهرعون وهم يقولون : هذا اسماعيل
ابن جعفر عاد حيا الى أن مر بشيخ زمن على دكانه
من الشيعة الموالين لأبيه ، فقال له : يابن بنت
رسول الله ! خذ بيدي ، أخذ الله بيدك ، فطلع
اليه ومسح على ظهره بيده المباركة فثبت ظهره
وبرئ من علته وشاهد الخلق ذلك ، وغاب عنهم .[١]

ان الباحث لن يناقش هذه القصة . ولكن لابد من الاشارة الى أن حادثة ظهور اسماعيل على أهميتها وخطورتها ، الا أنها كالكثير من أخبارهم وعقائدهم - تتسم بالتناقض الواضح والاختلاف البين ، ففي تحديد تحديده لزمن قصة ظهور اسماعيل هذه ذكر مصطفى غالب أنها حدثت عام ١٥١ أي بعد سنوات ست من موت اسماعيل أو تظاهره بالموت.[٢] ولكن في رواية أخرى نجد أن أبا الدوانيق - كنية لأبي جعفر المنصور - استدعى جعفر الصادق (- ١٤٨) وعاتبه على ظهور ابنه اسماعيل بعد وفاته أو على ما زعم له كذبا من وفاته[٣] بينما نجد مصدرا باطنيا آخر يدّعي أن أخبار هذه الحادثة - ظهور اسماعيل - وصلت الى أسماع أبي جعفر المنصور بعد أيام من تلقيه خبر وفاة اسماعيل. رغم كل هذا التناقض نجد مصطفى غالب يرجح أن حادثة الوفاة كانت عام ١٤٥ ، وأن اسماعيل توفى سنة ١٥٨ ثم يقول في ثقة انه توفي سنة ١٤٥. ورغم ذلك نجد مصطفى غالب ينتقد بشدة النصيرية الذين تقوم عقائدهم على الخرافات .[٤]

---

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٨
٢. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ١٦٥
٣. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق العالية (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٦
٤. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٤٤٧ وأنظر مقدمته على الهفت الشريف ص ١١

الاسماعيلية بعد اسماعيل : من عجب أمر الباطنيين انهم ينفون أمرًا ثم يبنون آراءًا على ما سبق أن نفوه ، فبعد أن مجد الداعي ادريس معجزة اسماعيل للخلائق - السابقة الذكر - وحلل أسبابها نجده يقول بعد ذلك :-

ثم ان الصادق عليه السلام أقام موسى بن جعفر حجابا على محمد ابن اسماعيل .[١] ٥

ثم يستمر في حديثه عن محمد بن اسماعيل معتبرا اياه ولي الأمر ناسيا كليا أمر اسماعيل ومعجزاته .

يمكننا هنا القول عطفا على ما سبق أن الباطنيين أنفسهم يحددون ظهور فرقتهم - الداعية لامامة محمد بن اسماعيل - بوفاة اسماعيل سنة ١٤٥ رغم نفيهم لحداثة وفاة اسماعيل . ١٠

الا أن جعفر بن منصور اليمن قسم الفرق الشيعية بعد وفاة جعفر ابن محمد سنة ١٤٨[٢] وكذا فعل النوبختي . ومن جملة تلك الفرق كانت فرقة (الاسماعيلية الخالصة) التي زعمت مهدية اسماعيل بن جعفر ورجعته التي يرى أنها فرقة (الخطابية) في أصلها وأنها انضمت بعد ذلك الى القائلين بموت اسماعيل وامامة ابنه محمد[٣] واذا صح ما ذهب النوبختي اليه فهذا معناه أن أبا الخطاب الزينبي هو أول داعية اسماعيلي ، ولكن بعض أصحاب المقالات يرون غير ذلك ، فان أبا الحسن الأشعري مثلا اعتبر ابا الخطاب داعية لنفسه .[٤] ١٥

---

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٩
٢. انظر اسرار النطقاء (ايفانوف . المنتخب) ص ٨٣
٣. انظر : فرق الشيعة ط ٤ ، ص ٧٩ ، ص ص ٨٠ ، ٨١
٤. انظر : مقالات الاسلاميين ١/ ص ص ٧٦ - ٧٩ ، ١٠٠

ويؤيد هذا ما وجده الباحث من تمجيد لأبي الخطاب في أحد كتب الباطنية النصيرية وهم لا يقولون بامامة اسماعيل كما هو معروف (ر ٠ ص ١٢٨) ٠ كل ذلك يوضح أن فرقة الاسماعيلية التي نفت موت اسماعيل اعتبرته مهديا منتظرا ثم انقرضت أو انضمت الى القائلين بامامة محمد بن اسماعيل ٠ وهذا يوحي بأن حكاية ظهور اسماعيل بعد موته انما هي مما حيك بعد ذلك ربما بمدة طويلة ٠

دور اسماعيل في الفكر الباطني : مما سبق يتضح لنا أن اسماعيل بن جعفر ليس الا اسما عابرا في الفكر الباطني ، وذلك استنادا على ما يأتي :—

١— ان تلقيبه بالمبارك أو الميمون ليس الا من قبيل الخلط وأن المبارك والميمون شخصان آخران ؛

٢— ان قصة نبوغه في طفولته مختلقة لعدم وجود أي امتداد لها يثبت ذلك ، فان العقائد الباطنية خالية من أي فكرة أو رواية عن اسماعيل مما ابتنى عليه فكرهم ، فيما عدا معجزة الموت أو التظاهر به وظهوره في البصرة وشفاء الرجل الزمن ، وهما مما لم ينعكس عليه أية فكرة باطنية ٠

٣— تناسي الداعي ادريس لاسماعيل بعد مبالغته في اظهار معجزته وانصرافه الى القول بامامة محمد بن اسماعيل ٠

وعليه فان اسماعيل بن جعفر اسم التصق الباطنيون به ، ولكنهم لم يجيدوا ذلك فتناسوه وهذا شاهد على أن الدعاة الباطنيين هم صانعوا الفرقة الباطنية حقيقة ٠

٢— محمد بن اسماعيل :

اسمه : محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ولقبه المكتوم.[١] ان المراجع الباطنية

---

١. انظر الأعلام ٢٥٨/٦ وانظر : سعد محمد حسن ٠ المهدية في الاسلام ، القاهرة دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣ ، ص ١٣٨

لاتشير الى هذا اللقب حين تتحدث عن محمد بن أسماعيل ، ولكن هذه لا يغير كثيرا في الأمر .

مولده : لم تشر المصادر الباطنية الى تاريخ مولد محمد بن اسماعيل وعليه فلم يستطع مصطفى غالب تحديده الا استنتاجا بأنه كان سنة ١٣٢ في المدينة المنورة [١] ، وهو تاريخ قد يتعارض مع بعض المراجع . أما نشأته ، فلم يرد فيها شيء محدد ، ويحتمل أنه تربى في المدينة المنورة ربما في كنف جده جعفر بن محمد ، ولكن الداعي ادريس صرح بأن ميمون القداح ربى محمد بن اسماعيل وأخفى شخصه منذ كان في الثالثة من عمره [٢] وقد أكد الداعي أبو الخطاب الحجوري هذا حين تطرق الى أن والده اسماعيل ابن جعفر مات ومحمد في حد الطفولية [٣] وهذا قد يتعارض مع ما ذكر مصطفى غالب من تاريخ ولادته ، لأننا نعلم أن وفاة أبيه كانت سنة ١٤٥ .

ولكن الداعي جعفر بن منصور اليمن يقول في معرض رده على الاثني عشرية :

ولم تعلموا أن أسماعيل عليه السلام لم يغب عن الدار حتى

خلف ولدا كاملا ... وقد كان هذا رجلا كاملا له أربع

عشرة سنة . [٤]

وهو ما يتناسب مع ما ذكر الزركلي من أن ولادته كانت سنة ١٣١ .

امامته : ربط الباطنيون امامة محمد بن اسماعيل بوفاة أبيه أو غيبته أو استتاره أي في حياة جعفر بن محمد ، جده ، وفي ذلك يقول الداعي ادريس :

---

١. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٤٤٧
٢. انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧
٣. انظر : غاية المواليد (ايفانوف . المنتخب) ص ٣٦
٤. اسرار النطقاء (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٨٢ ، ٨٣ .

وأوصى اسماعيل والده الصادق عم الأمين أن يقيم
لولده حجبا ومستودعا كما أوصى هارونُ موسى أن يقيم
لولده كفيلا فأقام له يوشع بن النون سترا عليه
وحجابا .[١]

ولا يغيب عن البال أن يوشع بن نون هذا هو الذي علق الشيعة الغلاة ٥
والباطنيون على كتفه كثيرا مما له علاقة بالامامة وذلك منذ أيام عبد الله بن
سبأ اليهودي (ر. ص ص ٢٩ ، ٣٠) . وهذه النقطة التي ذكر يوشع
فيها هنا ، ذات علاقة بما ذهب الباطنيون اليه من القول بتكرار الأحداث
في الأدوار والعصور المختلفة (ر. ص ٣٨١).

أن الداعي ادريس في حديثه عن هذه الفترة من نشأة الاسماعيلية الباطنية ، ١٠
يضيف نقطة أخرى بقوله :

ثم ان الصادق عليه السلام أقام موسى بن جعفر حجابا
على محمد بن اسماعيل وعلى من جعله له بابا الذي هو
ميمون الستر عليه والكفيل ... وكتم الصادق منزلة ابن ابنه
وأقام له ميمون القداح وابنه عبدالله بن الميمون كفلاء .[٢] ١٥

وهذا ما يزيد الأمر غموضا . وفوق ذلك فان الباطنيين يصرون على
الاشارة الى التفرق الذي وقع بين الشيعة اثر وفاة جعفر بن محمد (– ١٤٨) حين
قالت كل فرقة منهم بامامة أحد أبناء جعفر بل ان فرقة قالت بمهدية جعفر
ورجعته ، ويصفها الباطنيون بالفرقة التي قالت برجوع الامامة القهقرى[٣]
(ر. ص ١٤٠ فما) ويصبح الأمر حينئذ كما يلي :– ٢٠

---

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧
٢. المرجع السابق ص ٤٩
٣. أنظر : اسرار النطقاء وزهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٥٠ ، ٨٣

سلم جعفر الامامة الى ابنه اسماعيل ، الذي أوصى جعفرا أن يولي الامامة ابنه محمد بن اسماعيل ، فيولي الجد ـ وهو امام منصوص عليه بالنص الالهي ـ حفيده الامامة ويسلمه الى شخص مجهول (اسمه ميمون القداح) ويجعل ابنه موسى بن جعفر حجابا عليهما ـ الواجهة المزيفة أو القفاز ـ . ثم يموت جعفر ، ويختلف شيعته في ابنائه كل يدعو لواحد منهم الامامة ، وكل واحد منهم يدّعي الامامة لنفسه بما في ذلك موسى ابن جعفر ، الذي صار في هذه الصورة خائنا للأمانة حيث ادعى الامامة لنفسه وهو ليس الا حجابا للامام محمد بن اسماعيل ولكفيله القداح . والقداح وأبناؤه وأحفاده أوفياء لمحمد بن اسماعيل وأبنائه يدعون اليهم ردحا طويلا من الزمن .

ان هذه الصورة ليست مستقاة الا من النصوص الباطنية الآنفة الذكر . وهي صورة من الصعب أن تتحقق في أسرة عادية فضلا عن أن يوصم بها آل بيت رسول الله (ص) الذين شرفهم الله بالانتساب الى خير أنبيائه ورسله وخاتمهم . وأنهم توارثوا ذلك (ذرية بعضها من بعض) ، حقا ما أقرب هذه الصورة الى قوم ذوي غرض دنيوي زائل منه الى قوم هدفهم الأسمى الدعوة الى دين الله الحق وأنهم حجة الله على خلقه في الأرض :

كل هذا والامام الحقيقي متكتم على أمره تلبيسا على الضد . ولكن من هو الضد هنا بعد هذه الأسطورة العجيبة التي يقول الباطنيون انها تمثل بدء تاريخهم . فياله من تاريخ غامض يضرب بعضه بعضا .

أما أصحاب المقالات والفرق فيرون غير ذلك . لأن فرقة المباركية قالت :

ان الأمر كان لاسماعيل في حياة أبيه فلما توفي قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد بن اسماعيل

وكان الحق له ولا يجوز غير ذلك لأنها اي الامامة
لا تنتقل من أخ الى أخ بعد الحسن والحسين عليهما
السلام ، ولا تكون الا في الأعقاب .[1]

ولكن الملاحظ علَى الباطنيين أنهم لا يسندون هذه الفرقة الَى المبارك الذي يعتبره كامل الشيبي كوفيا من موالي اسماعيل بن جعفر أو لاسماعيل ابن علي بن عبد الله بن عباس ، فهم يتجاهلون المبارك ويؤلونه علَى أحد أئمتهم .[2]

ان شخصية المبارك هذا لا تقل غموضا عن الشخصيات الباطنية الأخرَى التي سادت في هذه المرحلة وهي بذلك تلقي ضوءا علَى أن الدعوة لمحمد ابن اسماعيل لم تكن مدنية المنطلق بقدر ما هي كوفية . ويؤكد هذا ما ذكره النوبختي من انضمام فلول الخطابية الى المباركية وقولهم بقولها وقوله ان القرامطة فرقة مباركية .[3] وبذلك فان القداح وذريته / علَى ضوء ما ذكره غير الباطنيين / شخصيات ثانوية في الدعوة الى محمد بن اسماعيل ويوضح ذلك التخبط الذي في المصادر الباطنية حول القدّاح وذريته مما يدل على أنهم لم يجدوا بدا من اقحامهم في تاريخ الدعوة الباطنية المبكرة على أي صورة من الصور ، وذلك ليدفعوا كتابات أهل السنة وغيرهم حول القداحيين . ولا يمنعنا هذا من متابعة الباطنيين في تصويرهم لنشأة هذه الدعوة وزعمهم أنها انطلقت من المدينة المنورة بزعامة محمد بن اسماعيل .

بالرغم من الستر واللبس الذي جازحتى علَى أبناء جعفر بن محمد بحيث

---

١. النوبختي ص ٨٠ وأنظر : مقالات الاسلاميين ١/١٠١ والشهرستاني ١/١٦٨ .
٢. انظر : الصلة بين التصوف والتشيع ط ٢ ص ١٩٦ وفرق الشيعة ط ٤ ص ٨٠ وفي نسب الخلفاء الفاطميين ص ١٠
٣. انظر : فرق الشيعة ط ٤ ص ص ٨٠ - ٨٣ .

دعا كل منهم الى نفسه . فقد هجّر الباطنيون مركز الدعوة لمحمد بن اسماعيل الى خارج المدينة المنورة ، وقبل فعلهم هذا أوجدوا سببا منطقيا لذلك التهجير ، فبينما محمد بن اسماعيل في المدينة المنورة يقوم بمهام الدعوة وبث الدعاة ،

أمر دعاته بطلب دار هجرة يلجأ اليها ، وكان
في عصر الرشيد فلما بلغه علم محمد بسبب انتشار دعوته
أمر بالقبض عليه ، وأن يؤديه الى [؟] وكان الامام قد
أعد بداره سربا ينكتم فيه من الضد ، فلما وصل الرسول
من الرشيد الى المدينة ، دخل ذلك السرب واختفى فيه ،
وطلبوه فلم يجدوه ولا قدروا عليه فعادوا الى الرشيد
وأنهوا اليه خبر ما فعلوه ، ولما هدأ الطلب سار الامام
في طلب دار هجرته .[1]

أي أن أمور محمد بن اسماعيل كانت على ما يرام في المدينة المنورة من قبل ، الى أن خرج من أيام الرشيد (- ١٩٣) واذا قدرنا هذه المدة منذ وفاة جعفر بن محمد (١٤٨) فانها قد تصل الى ربع قرن أو يزيد والشيعة الاثنا عشرية يؤكدون خروج محمد بن اسماعيل من المدينة أيام الرشيد على صورة أخرى .[2] ويدعي مصطفى غالب أن الشخص الذي أوصل الى محمد بن اسماعيل خبر عزم الرشيد على القبض عليه هو زوجة الرشيد (زبيدة) اذ كانت بزعمه تعتنق المذهب الاسماعيلي .[3] هناك نص باطني آخر يدّعي خروج محمد ابن اسماعيل من المدينة ربما بصحبة ميمون القداح قبيل وفاة جده جعفر بن

---

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٣
٢. أنظر : هامش فرق الشيعة ص ٨٠
٣. انظر : أعلام الاسماعيلية ص ٤٤٩

محمد وهو بعد في الرابعة عشر من عمره[١] . ولكن هذا ليس ذا بال سيما وأن الداعي ادريس أكد أن محمد بن اسماعيل حينما خرج من المدينة خلف ولدين هما اسماعيل وجعفر وهما بزعمه خاليين من الامامة ، أي ليسا بامامين . وقد أشار ابن حزم (- ٤٥٦) الى ابني محمد بن اسماعيل هذين باسميهما[٢] . والصواب كما يبدو هو أن محمد بن اسماعيل كان مقيما في المدينة المنورة ، وان يكن قد خرج منها فلم يكن ذلك الا في فترة متأخرة .

الا أننا لا نجد أي أثر - مهما كان ضئيلا - للدعوة الاسماعيلية في المدينة المنورة ، ولا يخفى أننا وجدنا من قبل أثرا لفكر غال على نطاق ضيق جدا حينما تبع أناس من أهل المدينة حمزة بن عمارة البربري (ر. ص ٨٣) ، فلماذا اجمعت المصادر الباطنية وسواها على عدم وجود أي أثر للدعوة الى محمد بن اسماعيل في المدينة المنورة ، بينما نجد الأثر الواضح لتلك الدعوة في الكوفة . ان هذا الاستنتاج يؤدي الى رفض النص الباطني القائل بانطلاق الدعوة الى امامة محمد بن اسماعيل من المدينة المنورة ، رغم بقائه فيها زمنا طويلا .

ان من يقف على أسماء المدن التي يدعي الباطنيون وصول محمد بن اسماعيل اليها يجد : فرغانه ، وسلا ، ومعسكر مكرم ، ونيسابور[٣] . أما الكوفة فلا ذكر لها ، ولكن النوبختي يشير الى الكوفة باعتبارها من أوائل المعاقل التي ظهرت فيها الدعوة الى محمد بن اسماعيل[٤] . وهي مدينة زخرت بالأفكار -

١. انظر : أسرار النطقاء (ايفانوف . المنتخب) ص ١٠٤
٢. انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٣ وانظر : ابن حزم جمهرة أنساب العرب ط ٤ . عبدالسلام هارون ، ص ٦٠
٣. انظر أعلام الاسماعيلية ص ص ٤٤٨ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ .
٤. انظر : فرق الشيعة ص ٨٢

الشيعية الغالية منذ أن ظهر بها ابن سبأ اليهودي بعقائده المعروفة ،
اذن ما معنى ظهور الدعوة الاسماعيلية والعقائد الباطنية من الكوفة
ومحمد بن اسماعيل لم يقم فيها بينما يقيم في المدينة المنورة عمرا ولا نجد
فيها شيئا من ذلك •

ان معنى هذا بكل صراحة أنه لا علاقة لمحمد بن اسماعيل بالدعوة ٥
الباطنية الاسماعيلية ، بل ربما أمكن القول أنه لا يدري شيئا عن امامته
والدعوة اليه •

دور محمد بن اسماعيل في العقيدة الباطنية :

لو افترضنا جدلا أن محمد بن اسماعيل كان القائم الفعلي بالدعوة التي
نفسه أو أنه ادعى الامامة • فلابد أن يكون له أثر ما في الفكر الباطني • ١٠

ان الباطنيين أعطوا ابن اسماعيل مرتبة في الامامة لم تعط لأحد من
الأئمة قبله ، فهو :

سابع الأئمة وقائمهم مقابل لجده على أمير
المؤمنين ، تمام الدور الروحاني والخلق الآخر
الذي هو نفس الشيء وروحه ومعناه ، وهو تمام ١٥
الدور الأول ، ومنه ابتداء الدور الثاني • [١]

ويعني بالدور الثاني • دور الستر (ر • ص ٢٥٥) ويعني بالخلق
الآخر القائم المنتظر ويكنّى عنه الباطنيون بالخلق الآخر اشارة الى الآية
الكريمة التي فيها (ثم انشأناه خلقا آخر) (ر• ص ٢٠١) •

---

١. زهر المعاني (ايفانوف • المنتخب) ص ٥٣ •

ان لقا محمد بن اسماعيل ما يذكرنا برسل المسيح المنتظر الذي قالت به العيسوية اليهودية (ر• ص ١١٦) فهو القائم صاحب القيامة بالقوة ، صاحب الكشفة الأولى :

لأن القائم بالفعل هو القائم الكلي الذي هو صاحب الكشفة الأخرى والبطشة العظمى ، قائم القيامة الكبرى ، لأن القيامات كثيرة •[1]

وقد أظهر الخليفة المعز العبيدي غلوه وباطنيته حين وصف محمد بن اسماعيل في دعائه الشهير بدعاء يوم السبت قائلا :

سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الأئمة من آله سلام الله وصلواته عليهم أجمعين ••• الذي شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبائع وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد (صلع) •[2]

وقالت القرامطة[3] من قبل في محمد بن اسماعيل بأنه رسول ، وكذا الدروز الذين يعتبرونه ناطقا [= رسول] (ر• ص ٢٢٥) بعد سيدنا محمد (ص)[4]

وقد حاول الباطنيون نفي الدعوى القائلة بأن محمد بن اسماعيل هو خاتم الانبياء والمرسلين ، فقالوا انه قائم بالقوة وليس بالفعل ، كما حاولوا تأويل قول المعز العبيدي في دعاء يوم السبت ـ الواضح المعاني ـ على ما يأتي :

١• زهر المعاني (ايفانوف • المنتخب) ص ص ٥٤ ، ٥٥
٢• زهر المعاني (ايفانوف • المنتخب) ص ٥٦ والأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي • الحقائق الخفية) ص ١٣٠
٣• انظر : النوبختي ط ٤ ص ٨٤
٤• انظر : مخطوطة كتاب تقسيم العلوم • المجموعة الدرزية ، الخزانة التيمورية ـ عقائد ٦٦٢ ص ٢٢٩

وانما عنَى الامام المعز بقوله (وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد) لما كان لمعانيها مبينا ولأسرارها كاشفا ومجليا ، فأزال الله عن أتباعه وأشياعه اعتقاد الظاهر علَى ما فيه من تعطيل وتشبيه للمبدع الحق .[١]

وعند المقارنة بين ما جاء في دعاء يوم السبت وما ذكره الداعي ادريس نجد أنه لافرق ، بل كان الداعي المذكور كمن جاء ليكحلها فأعماها .

ان من الثابت جدا أن الباطنيين يرون في محمد بن اسماعيل أنه رسول بعد محمد ، وقد ابتكروا تأييدا لمزاعمهم أدلة نسبوها الى النبي (ص) .

وهذا يوضح حقيقة الدعوة الباطنية التي اتخذت من محمد بن اسماعيل ومن أهل البيت النبوي رموزا لتحقيق أهداف يأتي علَى رأسها تعطيل الشريعة المحمدية والنيل منها .

ولكنهم في الحقيقة لم يستطيعوا تحقيق ذلك . فقد فشلوا تماما في تحقيق دور الكشف الذي أعدوا العدة له حسب ما كان مخططا له في نظرياتهم التسبيعية فلجؤوا الى القول بالأدوار الصغيرة وما الى ذلك (ر. ص ٢٠٣) وحتى تلك الأدوار لم تتحقق في نشأة دولتهم العبيدية مع زعمهم أن هذا ناموس الهي سارت عليه الحياة قبل آدم ، وليت شعري ما الذي غير هذا الناموس لوكان حقا ما يدعون !

أما دور محمد بن اسماعيل في تحقيق ما ألصقوه به بل دوره في الفكر الباطني ، فهو لا يعدو أن يكون نتفا من الأخبار حفلت بها بعض مصادرهم لا يكاد الباحث يعثر عليها الا بصعوبة وتتعلق هذه الأخبار بنشأته

---

١. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٧

وثبت دعاته وزواجه وغير ذلك مما لا علاقة له بالعقيدة الباطنية التي من الممكن الجزم بالقول أنها خالية من أي قول منسوب الى محمد بن اسماعيل شأنه في ذلك شأن أبيه اسماعيل بن جعفر تماما ، وبعكس من سبقهم من الأئمة الذين نسبوا اليهم أقوالا وأحاديث كثيرة مثل جعفر بن محمد ٠ ٥

وعليه فان ما أضفوه من مراتب عالية الى محمد بن اسماعيل لا يمكن اعتبارها الا نظريات كانوا يستدرجون بها الناس ، استهواءا لهم وايحاءا بأن دينهم نابع من البيت النبوي ٠ وهذا يعني أن القوة السرية التي كانت تعمل باسم محمد بن اسماعيل واسماعيل بن جعفر انما قالت بأقوالها ودعاواه بعد عصر اسماعيل وبعد عصر محمد بن اسماعيل ٠ ١٠

الأئمة المستورون بعد محمد بن اسماعيل :

كان هؤلاء ثلاثة أئمة يقال انهم من ذرية محمد بن اسماعيل ، ولكن من هم هؤلاء الأئمة الثلاثة المستورون ؟ ٠

ان ابن خلدون* (ــ ٨٠٨) ذكر اسمين منهم ، هما " جعفر المصدق " واعتبره ابنا لمحمد بن اسماعيل و " محمد الحبيب بن جعفر "[١] ، وقد سبق ١٥ الحديث الذى يدحض هذا الرأى من مصدر باطني ادعى خلو جعفر هذا من الامامة (ر٠ ص٢٧٤) ٠ وهذا يوضح الوهم الذي وقع ابن خلدون فيه حول هذا الموضوع٠

---

* انظر ترجمته فى الأعلام ١٠٦/٤

١٠ انظر : المقريزى (ــ ٨٤٥) اتعاظ الحنفاء ج ١ ، تحقيق جمال الشيال ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ١٣٨٧ ، ص ٥٠

والمراجع الباطنية مختلفة في أسماء الثلاثة المستورين على النحو التالي :ـ

ان الامام عندهم بعد محمد بن اسماعيل هو : عبدالله بن محمد ابن اسماعيل وقيل أحمد وقيل الرضي .

والامام بعده : ابنه أحمد وقيل الحسين وقيل الوفي وقيل عبد الله ، ٥

والامام بعده ابنه الحسين وقيل علي وقيل التقي وقيل محمد وقيل ان بعد هذا الامام امامين مستورين هما الحسين وأحمد .[1]

وهذا يوضح لنا من ناحية الغموض والتناقض الذي تاريخ الدعوة الاسماعيلية الباطنية ، ويوضح لنا من ناحية أخرى السبب الذي أوجد مشكلة النسب الفاطمي الذي لم تستطع المصادر الباطنية ١٠ ذاتها توضيحه .

---

١. انظر : غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ، ص ص ١٤٨ ـ ١٥٧ ومخطوط مجالس حاتم ق ٢٥ ب ومخطوط حياة الأحرار ق ٥٩ أ وزهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ص ٦٠ ـ ٦٣ ومخطوط رسالة تقسيم العلوم ، دار الكتب المصرية ، كلام النحل ٥٤ ، ق ق ١٠٥ ب ـ ١٠٨ ب .

الفصل السابع : قائم الزمان (المهدي المنتظر)

تمهيد :

من عقائد الفرق الشيعية عامة القول بالمهدي المنتظر ويطلق الباطنيون عليه (قائم الزمان) وهي كلمة لاتعني تماما ما يعتقده أهل السنة في (المهدي) لأن الباطنيين وصلوا بالمهدي الى نواح بعيدة جدا عن ما تعنيه كلمة (المهدي) عند أهل السنة والجماعة ، وعليه فان التعرض للمهدي عند أهل السنة يعتبر ملزما للباحث قبل الخوض في عقيدة (قائم الزمان) الباطنية .

المهدي عند أهل السنة :

ان المصدر الأول عند أهل السنة هو (القرآن) ويليه (الحديث) الذي صح عن رسول الله (ص) وحيث ان القرآن لم يورد شيئا مما يتعلق بالمهدي المنتظر . فان أهل السنة يعتمدون في ذلك على ما صح من (الأحاديث النبوية) .

في الاونة الأخيرة ظهرت رسالة علمية جليلة كتبها (عبدالعليم عبدالعظيم) وقدمها الى (كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة) وتتعلق هذه الرسالة (بالمهدي) وعنوانها (الأحاديث الواردة في المهدي) ، وقد اعتمد الباحث على تلك الرسالة فيما يورده من أحاديث حول المهدي .

من بين الأثار والأحاديث التى أوردها صاحب الرسالة المذكورة ذكر أن هناك تسعة أحاديث مرفوعة ، وستة آثار ثابتة صريحة في ذكر (المهدي)، وثلاثة عشر حديثا وخمسة آثار ثابتة غير صريحة في ذكر (المهدى) .[1]

١. انظر : الأحاديث الوارده في المهدي ص ص ١١٦ - ١٧٢ ، ١٧٥ - ٢٧٠ .

كما ذكر صاحب الرسالة المذكورة ما يأتي :—

١) ان خلافة المهدي في آخر الزمان حق ولا يمكن انكاره لثبوت هذه الأحاديث الصحيحة والحسنة ، ولورود أحاديث أخرى كثيرة وهي ضعيفة في تفاصيلها ، ولكنها تشارك الصحيحة في أصل الفكرة ، وهي " وجود خلافة المهدي " وهكذا يصبح الأمر متواترا تواترا معنويا .

٢) ان الكثير أو الأكثر من الأحاديث والاثار الواردة في موضوع المهدي ضعيف أو موضوع لا يمكن الاعتماد عليه والأخذ به ، ولذلك فلا يمكن أن نقبل هذه الفكرة على علاتها ، بل لابد من تمحيص القول وأخذ ما صفى وترك ما كدر .[1]

ومن خلال الأحاديث الثابتة المرفوعة كما يقول صاحب الرسالة المذكورة خلص الى معرفة شخصية (المهدي) شكلا ومضمونا على النحو التالي :—

١) اسمه يواطئ اسم النبي صلى الله عليه وسلم .

٢) اسم ابيه اسم ابي النبي صلى الله عليه وسلم .

٣) يكون من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وعترته .

٤) يكون من ولد فاطمة .

٥) يكون أجلى الجبهة ، أقنى الأنف .

٦) يصلحه الله في ليلة .

٧) تملأ الأرض قبل خلافته ظلما وجورا .

٨) فيملؤها بعد خلافته قسطا وعدلا .

---

١. انظر : الأحاديث الواردة في المهدي ص ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ .

٩) يبايع له بين الركن والمقام •

١٠) يملك سبع سنين •

١١) يلي في آخر الزمان • ولا تقوم الساعة حتى يملك •

١٢) يخرج في رايات سود من قبل خراسان •

١٣) يسقيه الله الغيث •

١٤) تخرج الأرض نباتها •

١٥) تكثر الماشية •

١٦) تعظم الأمة •

١٧) تنعم الأمة في ولايته نعمة لم تنعمها قط •

١٨) يعطي المال صحاحا •

١٩) يحثي المال حثيا •

٢٠) يعطي المال بغير عدد (لا يعده عدا) •

٢١) ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيصلي وراءه • وهذا يقتضي ان الدجال يخرج في عصره لأن عيسى ينزل فيقتل الدجال •

٢٢) يرى أبو داود وغيره أنه من الخلفاء الاثنى عشر الذين ورد فيهم الحديث •

٢٣) يرى ابن حبان وغيره أن الجيش الذى يخسف به هو الجيش الذي يخرج لمحاربة المهدي • [١]

وقد لاحظ (عبدالعليم عبدالعظيم) :

ان أغلب الأحاديث الثابتة في المهدي ليس في اسانيدها من رمي بالتشيع والروايات التي فيها من رمي بالتشيع لها شواهد من طرق أخرى •

١- أنظر : الأحاديث الواردة في المهدي ص ص ٥٨٨ - ٥٩٠

وأن كل ما صح ... عنده من الأحاديث والآثار ليس فيها رواية واحدة . لكعب الأحبار ولا رويت عن طريقه.[1]

الا أنه ذكر رواية واحدة عن (وهب بن منبه) :

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي : تعال صف بنا . فيقول : لا ، ان بعضهم أمير لبعض، تكرمة الله لهذه الأمة .[2]

وقد دافع كاتب الرسالة عن (وهب) بتوثيق الرجال له ما عدا (الفلاس) وحده ، وبأن هذه الرواية ليست من الاسرائيليات وهي في غيرها حجة .

وبذلك تكون الأحاديث والآثار التي أثبتتها الرسالة المذكورة خاصة بأهل السنة والجماعة ، وليس لسواهم فيها أى دور .

ثم ان (عبد العليم عبد العظيم) ينفى أي تعارض في الروايات الثابتة (في المهدي) في حين أكد هذا التعارض بالنسبة للروايات الضعيفة والموضوعة .[3]

وقد علق شيخي (محمد الغزالي) بارك الله في عمره بعد قراءة ما سبق، وما قاله حفظه الله ما يأتي :ـ

١) ليس المهدي من علامات الساعة الكبرى .

٢) ليس ركنا من أركان الدين .

٣) لم يرد في المهدي حديث صريح وما ورد في المهدي صريحا فليس بصحيح .

---

١. انظر : الأحاديث الواردة فى المهدى ص ٦٠٦
٢. انظر : الأحاديث الواردة فى المهدى ص ١٤٢
٣. انظر : " " " " ص ٦٠٨

المهدي عند الشيعة :

ان الكثير من الفرق الشيعة جاءت بمهدي خاص بها حتى قيل ان المهدية (صارت من طابع الشيعة عموما)[١] ، ومن الواجب القول بأن هذه الظاهرة الشيعية في عقيدة المهدي ذات أصل يعتمد على أحاديث منسوبة الى النبي (ص) . ولكن لهم في ذلك ما يمكن أن نسميه " التفسير الشيعي للمهدية " وهو تفسير قولي وعملي ، ظهر من خلال الأقوال الشيعية عموما على مر الزمن ، حتى صار لديهم من الأشخاص العدد الكثير الذي يمكن أن يطلق على كل واحد منهم لقب (المهدي) بكل ما تعنيه الكلمة في هذا البحث من معنى ، وان الكثرة الكاثرة من مهديي الشيعة هم من أئمتهم الا أن أولئك المهديين كانوا في الحقيقة خالين من صفات المهدي السنية - على الأقل - . والمهدي الشيعي في الغالب يكون اماما ، مات أو قتل في ظروف خاصة . كما دلت على ذلك أخبار فرق غلاتهم التى ورد بعض منها في الباب الأول من هذا البحث . تلك النهاية الحتمية لهذا الامام أو الزعيم تغري أتباعه بالقول برجعته مهديا ربما رغبة في جمع أفراد الفرقة خوفا من تفرقهم . هذا ما يدل عليه ظاهر الأمر ، على أنه ليس من المستبعد وجود جهات ما يهمها استمرار الفرقة لهدف أولآخر لا سيما في تلك العصور التي تميزت بالغموض والأفكار المتباينة مع جوهر الاسلام الواضح .

المهدية المبنية على الرجعة :

أول ما ظهرت فكرة المهدية عند الشيعة ، ظهرت على أساس

١- الشيبي . الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، ص ٢٤

مبني علَى الرجعة بعد الموت الَى الدنيا ؛ حين نفَى (عبدالله بن سبأ اليهودى) موت علي بن أبي طالب حينما نعي اليه . وقد سبق نقل النصوص الكثيرة التي تؤيد هذا القول . (ر. ص ٢٨ — ٣٥) .

الا أن هناك من ينسب المهدية علَى هذا النحو الى غير الشيعة الغلاة والى غير ابن سبأ بل الى عمر بن الخطاب ؛ يقول (كامل الشيبي) : ٥

لما مات النبي [ص] ، قال عمر برجعته ومهديته مما يوحي بانسانية الفكرة أو اسرائيليتها اذا شئنا أن نرجع كل شيء الى أصل معين ، وذلك أن عمر قرن موت النبي (ص) بغيبة موسَى أربعين ليلة .[1]

ان هذا الرأي المنسوب الى (عمر) اذا صحت تسميته كذلك ليس الا رد فعل للمصيبة التي أصابته الا وهي وفاة الرسول (ص) ، لا ينبغي اتخاذه بداية للقول بالرجعة والمهدية ، لأنه لم يدم أكثر من دوام وقع المفاجاة علَى نفس عمر ، وتلاشَى واضمحل أمام الحقيقة التي أعلنها أبو بكر في خطبته المشهورة حين قال : ١٠

من كان يعبد محمدا (ص) فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت .[2] ١٥

ولو لم يكن الأمر كذلك لوجدنا فرقة تنتسب لعمر وتدعو الى رجعة النبي (ص) . وهذا ما حدث بالنسبة للغلاة ؛ فان فرقة " السبئية " قالت برجعة علي بعد موته وسار على ذلك كثير من الغلاة ، وصار لهذه الفكرة السبئية أصداء مختلفة . فكيف تستساغ نسبة ذلك الى عمر بن الخطاب . ٢٠

---

١. الشيبي . الفكر الشيعي والنزعات الصوفيه ، ص ٢٣
٢. البخاري ك ٦٢ ب ٥ انظره في : فتح الباري ج ٧ ص ١٩

ان " المهدية " المبنية علَى "الرجعة " لا يمكن أن تنسب لغيرعبدالله ابن سبأ ، والنصوص التي تحدثت عن " ابن سبأ " وعقائده الغالية تشير الَى ذلك تفصيلا (ر. ص ٦٠ ــ ٦٢) .

ان صورة "المهدي " السبئية تتلخص في أن عليا ارتفع الى السماء وأنه سيعود ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما ، وأنه سيظهر لينتقم من أعدائه .

ثم ظهرت الكيسانية بدعوَى مهدية (محمد بن الحنفية) وقالوا انه في جبل رضوَى في حراسة وحْشَيْن وانه يأكل عسلا ويشرب ماء ، (ر. ص : ٧٦) .

ويرى " فلهاوزن " أنه لاخلاف بين السبئية والكيسانية الا في الأسماء[١] ولكن " فان فلوتن "أظهر فروقا بين " الكيسانية " و " السبئية " من ناحية مهديهم فالمهدي الكيساني يعيش علَى الأرض بعكس المهدي السبئي الذي يعيش في السماء أو في السحاب[٢] .

الأصل اليهودي للمهدي الذي سيرجع الى الحياة :

ان صفة (المهدي السبئي) مما ورد في العهد القديم على النحو التالى :ــ

كنت أرَى رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتَى وجاء الى القديم الأيام فقربوه قدامه فأُعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه أبدي مالن يزول وملكوته مالا ينقرض[٣] .

١. انظر : أحزاب المعارضة (الترجمة العربية) ص ٢٤٣
٢. انظر : السيادة العربية (الترجمة العربية) ص ٨١
٣. دانيال ٧/ ١٣ ، ١٤

هلم يا شعبي ادخل مخدعك وأغلق أبوابك خلفك

اختبئ نحو لحيظة ، حتى يعبر الغضب لأنه هو ذا الرب

يخرج من مكانه ليعاقب اثم سكان الأرض فيهم فتكشف

الأرض دماءها ولا تغطي قتلاها فيما بعد .[١]

وذكر " جولد زيهر " أن فكرة الرجعة مما يحتمل أن يكون قد تسرب ٥

الى الاسلام عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية ، لأنهم يرون أن

النبي " ايليا " قد رفع الى السماء ، وانه سوف يعود الى الأرض في آخر

الزمان .[٢] وفي العهد القديم نجد :

فصعد ايليّا في العاصفة الى السماء .[٣]

أما " المهدي " الكيساني " فقد سبقت الاشارة الى قول (كثير) في ١٠

" محمد بن الحنفية " :

هو المهدي خبرناه كعب ** أخو الأحبار في الحقب الخوالي

وقوله : علي والثلاثة من بنيه ** هم الأسباط ليس بهم خفاء

(ر: ص ص ٧٧ ، ٨٠) وفي الأبيات ما يشعر بأصل يهودى للفكرة ، أكده

" فلهاوزن " الذي يعتبر " المهدي الكيساني " صدًى لفكرة وردت في العهد ١٥

القديم ، وتتلخص في نبوءة عن مهدي منتظر يأكل زبدا وعسلا .[٤][٥]

ان المهدي الذي يختفي في الجبال ويأكل عسلا . ظهر كثيرا في فرق

" الغلاة " فعند " الجناحية " نجد أنهم اعتقدوا أن " عبدالله بن معاوية "

في جبل من جبال أصفهان .[٦] وكذا " المغيرية " اعتقدوا أن " محمد بن

---

١. اشعيا ٢٦/٢٠ ، ٢١

٢. انظر : العقيدة والشريعة ، ط ٢ (الترجمة العربية) القاهرة ، دارالكتاب العربي ، د . ت ، ص ٢١٥ .

٣. الملوك الثاني ٢/ ١١

٤. انظر : أحزاب المعارضة فى الاسلام ، ص ٢٤٧

٥. انظر : أشعيا ٧/ ١٤ ، ١٥ وانظر أيضا الاصحاح / ١١

٦. انظر / مقالات الاسلاميين ١/ ٦٨

عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي " لم يمت وأنه مقيم في جبال حاجر الى أن يؤمر بالخروج[١] . كما أن فرقة " زيدية " قالت أن " محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين " مثل ذلك[٢] .

ويهمنا كثيراً هنا أن فرقة " القرامطة " التي تقول بامامة محمد بن اسماعيل قالت انه حي لم يمت وأنه في بلاد الروم وأنه "القائم " المنتظر وأنه رسول ، وأنه لا يكون بعد النبي (صلع) الا سبعة أئمة وهو سابعهم الذي سيبعث بشريعة جديدة ينسخ بها شريعة محمد (ص)[٣] .

ويؤكد ما نسب الى "القرامطة " هنا - وهو للنوبختي - ما ورد في المصادر الباطنية من القول بالرجعة ، في قول منسوب الى علي بن أبي طالب :(من لم يؤمن برجعتنا فليس من شيعتنا) .

وحيث ان " الباطنيين " يسخرون من الامامية الذين ينتظرون امامهم الغائب فانهم أولوا الرجعة علَى أنها تكون في شخص القائم المنتظر الذي هو في ذاته مجموعة من ذواتهم وأن هذه الذوات قادرة علَى الانفصال والتشخص عن ذات القائم ... الخ[٤] . وأما عن قائمية وناطقية محمد بن اسماعيل ، فهو ما تؤكده المصادر الباطنية أيضا (ر. ص ص ٢٧٥ ، ٢٧٦)مما يترجح به كلام النوبختي في القرامطة .

كل ذلك يوضح لنا أن المهدي الباطني ، ظهر أول ما ظهر على نحو كيساني ممزوج بفكرة السبعة الذين سيكونون بعد رسول الله (ص) ذلك القول الذي ظهرت به فرقة المنصورية (ر. ص ١٢٠) .

---

١. انظر : مختصر التحفة الاثنى عشرية ، ط ٢ ،ص ١١
٢. انظر : مروج الذهب ط ٥ ٤/ ٥٣
٣. انظر : النوبختي ص ٨٤ .
٤. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٤٩

المهدي الباطني :

رغم ما ظهر لنا من كيسانية محمد بن اسماعيل باعتباره مهديا فان عقيدة "قائم الزمان" لم تستمر على هذه الوتيرة تماما حين قالوا بأنه سينسخ شريعة محمد (ص) ثم قالوا انه نسخها فعلا وأنه من اولي العزم من الرسل كما ذكر ذلك النوبختي ، أو سابع النطقاء كما ذكروا (ر. ص٢٧٦) ٥

ان هذه العقيدة استمرت فترة طويلة بين بعض الباطنيين ، وخاصة الذين كانوا في جزيرة الري بايران ، حيث مكثوا ينتظرون عودة محمد بن اسماعيل حتى عصر "المعز لدين الله" تمسكا بهذه العقيدة .[١]

كما أن كثيرا من مصادر باطنية اليمن لا تزال تشير الى نفس هذه العقيدة على شكل نظري ، تطرق الحديث اليه في هذا البحث رغم رسالة "عبيد الله المهدي" اليهم ، تلك الرسالة التي كان سببها ظهور الشخص المذكور بلقب المهدي رغم عدم كونه سابعا في الترتيب (ر. الملحق -٢) . ١٠

اننا نجد "عبيد الله" في تلك الرسالة قد وجد تعليلا للهروب من عقيدتهم القائلة بانتظار محمد ابن اسماعيل ، وما أسهل تعليل العقائد عند الباطنيين، حتى تخلصوا من عقيدة المهدى من حيث علاقتها بسابع الأئمة ومن حيث علاقتها بالرجعة . واتخذت شكلا آخر ذا علاقة ما بعقيدتهم القديمة . ١٥

أفضلية القائم المنتظر على المرسلين :

ان عقيدة "قائم الزمان" في باطنية اليوم ، تعتمد على التسبيع من حيث ٢٠

---

١. انظر : دولة الاسماعيلية في ايران ، هامش ص ٦

عقيدة الأدوار السبعة التي تقول بسبعة نطقاء أولهم آدم ممثول "السلالة" أو ممثول " الأحد " من أيام الأسبوع وسابعهم المهدي المنتظر ممثول " الخلق الآخر " أو ممثول يوم " السبت " (ر. ص ٢٠٢) فجميع الستة النطقاء / الذين آخرهم محمد (ص) / يشكلون صورة مخططة بلا روح [١]، وعليه فان المهدي الباطني أو " قائم الزمان " هو روح هذه الصورة ، لأن :

كل واحد من النطقاء وأهل دوره جزء من الشخص العلمي الالهي الذي يكون قائما آخر الدور وهو المنبعث الثالث الذي غابت صورته ثم عادت بحالة أبهى وكمال أعظم ، وبهم كماله وظهوره على ذكره السلام اذ هم أجزاؤه وهو كلهم .[٢]

وهذه الصورة ذات علاقة ما من جانب أو آخر بالفكر اليهودي أثبتها هذا البحث ، من حيث علاقتها بتناسخ الأرواح والحلول (ر. ص ٢٠٥) .

وعلى ذلك فان أفضلية القائم مطلقة باعتباره (الانسان الكامل) أو (الانسان المطلق) حتى على سيدنا محمد (ص) بزعمهم ، لأنه سيظهر به دين الله على جميع الأديان (ر. ص ٢٢٨) .

ولكن الباطنيين الذين صنعوا للقائم المنتظر مجمعا عاما تجتمع فيه الخلائق ، يقولون ان :

أحمد المحمود يعني نبينا محمدا صلى الله عليه وعلى آله تراه في المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به بقوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا)*

---

١. انظر : مخطوطة كتاب تقسيم العلوم ص ٢٢٩
٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان ، أربعة كتب) ص ٤٨ ، وانظر أيضا ص ٦
* الأسراء ٧٩

وهو كونه في مجمع القائم علَى ذكره السلام أعلَى من فيه مرتبة .[1]

القائم يعني قائم القيامة :

ان كلمة " القائم " تضاف في الفكر الباطني الى " القيامة " بل من الممكن اعتبار الكلمتين مترادفتين بمعنَى أنهم يعتقدون أن ظهور " القائم " معناه قيام القيامة ، كما سيأتي :

وهذه العقيدة مخالفة لمعنَى القيامة عند المسلمين ، تلك التي تعني : قيامة الأموات من قبورهم لحياة أخرَى فيها يحاسبون فيعاقب المسيء ويثاب المحسن .

أما الباطنيون فان يوم القيامة عندهم يعني ظهور " الناطق السابع " القائم المنتظر . وفي الفكر اليهودي نجد ما يشبهه ذلك ففي التلمود : (بتراث ص ١٦) ((أن عيسو[*] بن اسحق أخطأ خمس مرات في يوم واحد ، احداها بسبب انكاره قيام الموتَى — كما يزعم البعض — عند حضور المسيح))[2] المنتظر ، ووجه الشبه قيام القيامة بظهور المنتظر .

بظهور القائم ينتهي دور الستر الذي بدأ بآدم ويبدأ دور الكشف الذي يعتبر ايذانا بالغاء الشرائع والتكاليف أو بعضها[3] وهو ما عناه الداعي الكرماني في رسالة أسبوع الستر بقوله ، وعنده تكون الاستراحة (ر . ص ٢٢٧) . وهذا يدل على أن الباطنيين لا يعتقدون أن هناك بعثا من القبور لحياة أخرَى بل ان القيامة تكون استمرارا للحياة علَى هذه الدنيا علَى نمط آخر لا يرتبط بالبعث والنشور .

---

١. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٢١

* ورد في النص باسم عيسى . أنظر فيه سفر التكوين ٢٥/ ٢٥ ، ٢٩ ، ٢٧/ ٢٦ ، ٣٣ ، ٣٦ .

٢. انظر : الكنز المرصود ص ١٦١

٣. انظر : اسبوع الستر (عارف تامر . أربع رسائل) ص ٦٦ ورسالة مجموع الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٠ .

والبعث والمعاد لاعلاقة له عند الباطنيين بيوم القيامة ، ولهم فيه تفسير آخر ، تقول الرسالة الجامعة :

ان النفس اذا فارقت الجسم عادت الى ما منه بدأت وعنه صدرت ، كرجوع الجسم الى ما منه نشأ وعنه بدأ ، ثم تكون مرهونة بما كسبت وعملت ، فلا تكون موجودة بآلات طبيعية ، ولا في أشخاص انسانية ولا موصوفة بصفات جسمانية .[١]

ولا شك أن هذا نفي لمعاد الأجساد ، لأنهم يزعمون أن : الله جل وعز يعذب الروح الحسية لا بتوسط شيء[٢]

وعن رجوع الأرواح سئل أحد الباطنيين ، حيث قالت الرسالة الجامعة برجوعها ، ولعل السائل لم يقرأ رأي الرسالة المذكورة في المعاد فاستنكر قولها برجوع الأرواح واستفسر عن حقيقة ذلك فاجيب :

انه عند قيام [illegible] [= القائم] على ذكره السلام [illegible] [= ويتشخص] كل مقام من المقامات وحد من الحدود ومؤمن من المؤمنين الكائنين في زمرة القائم كل واحد لأهل زمانه ومن كان يحاده ويعاديه في الدنيا ويترای لهم في جسمه الذي يعرفونه وسنه ... فذلك معنى رجوع الأرواح الى الأجساد ووجه ثان أن جميع المعذبين الكائنين في البرازخ تجمعهم القدرة الالهية لقرب ظهور القائم وتسوقهم الى الحصول عند البشر من أهل ذلك الزمان بالولادة فيخرجوا ويحضر كل واحد منهم في سنه الذي كان عليه وقت

---

١. الرسالة الجامعة ص ٣٠٢
٢. الداعي أبو فراس . الايضاح ، تحقيق عارف تامر ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٥ ، ص ١٥

انكاره من شيخوخة أو شباب يأتي عند قيام القائم وقد بلغ من حد ولادته ذلك السن والعمر ويحضر لأن يواقف ويجازَى علَى فعله فذلك أيضا معنًى رجوع الأرواح الى الأجساد[١] .

ان النص السابق يدل بوضوح علَى وجهة النظر الباطنية في معنَى يوم القيامة ، ومعنًى المعاد ، والوجه الأول الذي احتمله النص الباطني صورة جلية للتناسخ - تناسخ الأرواح - ، وكذا الاحتمال الثاني ليس الا صورة أخرى للتناسخ قال بمثلها اليهود : حين يدَّعون أنه :

كان لقايين [= قابيل] ثلاث [كذا] أرواح الأولى دخلت في جسد (قورش) والثاني في جسد (جثرو) والثالثة في المصري الذي قتله موسى[٢] .

وعند النصيرية أن روح " قابيل " كانت في "عمر بن الخطاب " وروح "هابيل" في "علي بن ابى طالب"[٣] . وهذا ليس بعيدا عن معنَى النص الباطني السابق في تفسيره لعودة الأرواح الى الأجساد ، وهذا يوضح ما ذهب اليه الباحث منذ برهة من أن القيامة عند الباطنيين تعني ظهور القائم في الحياة العادية للبشر ، وليست كما أشار اليها القرآن الكريم (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض ... (ر. الآية ٦٨ من سورة الزمر) . وقد نصت " رسالة المهدي " عبيد الله الى أهل اليمن (ر. الملحق١) علَى ظهور القائم بغتة على الطريقة المذكورة الخاصة بهم .

---

١. مجموع الحقائق . (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٦١
٢. الكنز المرصود ، ط ٢ ، ص ٦٠
٣. انظر : الهفت الشريف ، ص ص ٨٤ ، ٨٥ ، وأنظر ص ١٩٥ من هذه الرسالة

ولأن الباطنيون لا يؤمنون " بالمعاد " الا علَى النحو السالف الذكر؛ فانهم قالوا في الثواب والعقاب بما يأتي :–

١ – ان الثواب والعقاب ليس جسمانيا ويبدأ بعد الموت مباشرة ولا تحشر الأجساد للحساب فالثواب والعقاب علَى نحو ما يعرفه المسلمون غير صحيح عندهم؛ بمعنَى أن الآخرة عندهم تبدأ بعد الموت علَى الكيفية التالية :–

ان النفوس العاصية المنكرة لباريها المتخلفة عن الطاعة ... فانهم اذا حل الموت بهم ، ونزلت الملائكة الغلاظ الشداد اليهم وهي روحانيات زحل والمريخ الى الأشخاص التي هي مسئولية على مواليدها ،مخصوصة بنفوسها ، وهى البرزخ المظلم وهى أول طبقة جهنم ... ولا يزال ذلك دأبها ما دامت السموات والأرض.

واعلم يا أخي أن النفس الطائعة اذا أكملت طاعتها وبلغت نهايتها ... ونزل الموت بساحتها ، نزلت اليها الملائكة الطيبون ... وهي روحانيات الزهرة ،وروحانيات المشتري ، بالرأفة والرحمة ،والشفقة فتلقتها وقبلتها بالروح والريحان ... ثم بعد ذلك اذا كان يوم القيامة وبلوغ النهاية ، عرجت بها الملائكة الى الجنان والنعيم المقيم والملك الدائم ولا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولَى .[١]

---

١. الامام المستور . الرسالة الجامعة ص ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠

٢ـ أما العتاب والثواب الذي يقع يوم القيامة ـ أي بعد قيام قائم الزمان، فهو شيء آخر لأن:

القائم على ذكره السلام اذا قام وأوقف جميع
الأضداد علَى ما فعلوه ٣٢ × [= أمر] بذبحهم
بعد أن يذبح بيده رؤساءهم وكل ٣ [illegible] ٣٢
[= مقام] عنده ٨ [illegible] [= يتشخص،
ويذبح] أضداده وكذلك يفعل ٢ [illegible]
[= الحدود] والمؤمنون فاذا صاروا مطروحين في الفضاء
وشكا المؤمنون من ع/ع [= نتن] ريحهم نزلت نار من
الأثير فأحرقتهم عن آخرهم .[١]

ويلاحظ هنا أن الفرقة الباطنية "النصيرية" يقولون بأن يوم "القيامة" غير يوم ظهور القائم" الا أنهم في مسألة الذبح والانتقام من "ابليس" تكون حين ظهور القائم الذي سيقتل "ابليس" وكل كافر في ذلك اليوم الذي يرون أنه "عيد النوروز" الذي يحتفل به "الفرس" و"النصيرية" كذلك يحتفلون به علَى ما تقدم من معنًى ويذبحون فيه من الأغنام وخلافه ثم يأكلونها علَى أنها أبو بكر وعمر وامثالهما من المخالفين لهم .[٢]

والفرقة الباطنية الأخرَى المسماة "بالدروز" تعد نفسها بظهور القائم علَى هذه الصورة وهو عندهم "حمزة بن علي" الذي يقول مخاطبا شخصا اسمه "خمّار" في رسالة يطلب اليه فيها الدخول في مذهب "الدروز" ثم يقول له فيها:

---

١. مسائل مجموعة في الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١١، ١٢
٢. أنظر: مخطوطة مجموعة حقيقة حق اليقين ص ١٧٦ فما ، ٣٠٧

وان أبيت ذلك واستكبرت فاخرج منها فانك رجيم وعليك
اللعنة الى يوم الدين وهو يوم قيامي بالسيف علَى جميع
المشركين ثم أمرت العبيد بضربك بالسياط واشهارك
بالقاهرة المقدسة وشوارع مصر وأزقتها فان تبت ورجعت
عن قولك والا أمرت العبيد بسلخك وحشوت سلخك ٥
تبنا وصلبتك علَى باب زويله وباب الفتوح ... ونصلح
بقتلك العباد ونمهد البلاد ثم نبتدي بمن هو مثلك
فنقتلهم قتل الكلاب.[١]

ويقول في رسالة أخرَى :

أنا ناسخ الشرائع ومهلك أهل الشرك والبدع ١٠
أنا مهدّم القبلتين ومبيد الشريعتين ومدحض الشهادتين
أنا مسيح الأمم ومنّي افاضة النعَم ... أنا قائم الزمان
وصاحب البرهان والهادي الى طاعة الرحمن فالويل كل
الويل لمن حاد عن طاعتي وصدف، وبتوحيد المولى سبحانه
[يعني الحاكم بأمر الله] لم يعترف . فقد أوحَى الي ١٥
سبحانه أنه لابد حتما من انجاز الوعد المحتوم وقتل كل
كافر ظلوم . وأفني أهل الشرك والعناء والمنافقين والأضداد
وأملك بسيفي جميع البلاد وأحكم علَى جميع العباد
ففريق يسعد وفريق يحل به العذاب السرمد .[٢]

وهذا يتفق تماما مع ما نسب الى "الدروز" من أن "حمزة بن علي" ٢٠
سيأتي يوم القيامة حاملا سيفه ويملأ البر والبحر بجنوده القادمة من الصين

---

١. مخطوطة رسالة خمار، الخزانة التيمورية - عقائد ٦٦٢، ص ص ١٢٣ ، ١٢٤

٢. مخطوطة : رسالة التحذير والتنبيه (التيموريه - عقائد ٦٦٢) ص ص ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

ولا يضرب بسيفه حتى يدخل مكة ويهدم الكعبة ويأخذها حجرا حجرا [١]
على نحو ما ورد في الحديث الشريف عن تخريب ذي السويقتين الحبشي
لها [٢] . وبعد ذلك يستل السيف ويقتل كل العالمين . الخ .

ان ارتباط القائم المنتظر بالقتل والانتقام فكرة ظهرت قديما عند الغلاة
منذ أيام عبدالله بن سبأ اليهودي حين قال " والله لا يموت حتّى يذودكم ٥
بعصاه ... أو أنه ينزل الى الدنيا وينتقم من أعدائه " (ر. ص ص ٢٩ ، ٣٠ ،
٣٢ ، ٣٣) وقد تجلّى القائم المنتقم في فرقة " المنصورية " الغالية
(ر. ص ١١٨) .

وهذا دليل على أصل الفكرة اليهودية ، ففي العهد القديم :—

فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور وكل المستكبرين ١٠
وكل فاعلي الشر يكونون قشا ويحرقهم في اليوم الثاني
قال رب الجنود فلا يبقي لهم أصلا ولا فرعا [٣] .

وهو صورة للقائم الباطني وردت آنفا (ر. ص ٢٩٥) . وفي مرجع
باطني آخر نجد :

سلمان الفارسي رح مما أثره عن رسول الله صلع أنه ١٥
ذكر المهدي ع م وقال (انه لقاتل الظالمين ويقتل الزنادقة
ولا يقبل منهم توبة ولا يأخذ منهم جزية ولا يدع في
الأرض احدا على غير دين الاسلام الا قتله [٤] .

وفي العهد القديم أيضا ورد مثل ذلك (ر. ص ٢٨٧) .

---

١ انظر البخاري ك ٢٥ ب ٤٩
٢ انظر مخطوطة كشف الفضائح الدرزية (التيمورية — عقائد ٦٦٣) ق ٩ ب .
٣ سفر ملاخي ٤ / ١
٤ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار . (ايفانوف . المنتخب) ص ٤

وقد أكد ذلك الأب ألطوبان في رسالته التي ذكر فيها نقاط الالتقاء بين " اليهود " و " الدروز" فقال :

ولقد حكيت مع اليهود فرأيتهم يعللوا [كذا] نفوسهم بهذا التعليل بعينه حيث يقولوا [كذا] يجيء المسيح من نهر السبت واليهود هناك أعداد كثيرة ولما يجيء المسيح يحكم الأرض ويملكنا العالمين ويجمعنا الى بلادنا أرض القدس ونتملك الى أبد الآبدين .[1]

وهو تأكيد لما سبق ايراده في هذا البحث (ر. ص ٢٨٦) نقلا عن سفر دانيال . أما الغريب فهو ما ورد في مخطوط "درزي" يتحدث عن جنود قائمهم المنتظر بما يلي :-

رؤساء الأعراف الأعلام . وحجج السيد الهادي الامام وشموس القيامة وأقمار التمام بسيوفهم ينتقم من أبالسة الأدوار وأشياعهم الفاسقين . وبسعادتهم وميامين بركاتهم تحقن في الآفاق دما الموحدين [كذا] ، وببصايرهم عن تأييد الوالي تكشف للعالم معالم الدين . وهم بالحقيقة أصحاب الهندية الحداد .

وآل النجدة والسواعد الشداد . وأعضادهم خلوف الطهرة الأنبياء . وأسباط الحق البررة الأتقياء . كنوز أقاليم الدين وصفوة آل نفتالي وبنيامين وسلالة آل منشا وآل جاد

---

١ مخطوطة <u>كشف الفضائح الدرزيه</u> ق ١٠ أ .

الآخذين بثار أهل الحق عند قيام القائم الهاد [كـذا]
الذين اختارهم على علم • وسترهم عن العالمين • وبشر
بمجيئهم في اليوم الآخر نصرة ورحمة للمؤمنين • [١]

ان جنود قائم الزمان الدرزي كما يقول النص يهود • فهل كانت الدعوة
الدرزية في حقيقتها دعوة يهودية؟ ، أم أن الدعوة الباطنية عموما كانت ٥
تمهد في الحقيقة الى قائم يعيد دولة اليهود ؟ لا سيما وأن الفرقة
الدرزية ليست سوى الابن الشرعي (ر• ص ٣٧٨، ٣٧٩) الذي أجهضته
" الباطنية " قبل أوان ولادته! • فكشف كثيرا من مكنون عقيدتهم ودعوتهم
وأهدافهم • ان النص الدرزى السابق يشير بكل وضوح الى آل نفتالي
وبنيامين والى آل منشا وجاد • ١٠

من هم هؤلاء الأربعة ؟ ان نفتالي وبنيامين وجاد من أبناء يعقوب بن
اسحق • وأما منشا الذي هو منسّى بن يوسف بن يعقوب بن اسحق [٢]
أيضا أي أن الاربعة المذكورين من الاسباط ••• من بني اسرائيل •

وهذا يعود بنا الى ما قالت به " الكيسانية " عن الأسباط الأربعة ،
الذين في الفكر اليهودي ، لاوى ويهوذا ويوسف وبنيامين (ر• ص ٩٥، ٩٦) ١٥
وهؤلاء الأربعة هم الذين تميزوا عن بقية أسباط اسرائيل الاثني عشر •

أما أربعة النص الدرزي فلا يتفقون مع اولئك الا في بنيامين ، ومنسى
(أو منشا) الذى هو ابن يوسف البكر • [٣]

ان العهد القديم جعل " سبط نفتالي " أنصار مسيحهم القائم المنتظر

---

١. مخطوط رسالة الايقاظ والبشارة • دار الكتب المصرية ، عقائد النحل ١٣٨ ، ق ٥ أ •
٢. انظر : التكوين ١٦/٤٦ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ •
٣. انظر : التكوين ١٤/٤٨ ، ١٨

الذي سيقيم مملكة داود الأبدية[١] .

أما آل بنيامين ، وآل منشا أومنسّى ، وآل جاد فقد كانوا على رأس الجيش الذي حارب به داود نفسُه لاقامة مملكة اسرائيل في معركته ضد شاول بن قيس[٢] .

وهكذا تظهر "الفرقة الدرزية" لتوضح لنا الهدف الذي تسعى اليه الفرق الباطنية وهو اقامة مملكة داود الاسرائيلية على يد أحفاد الذين ساعدوا داود على اقامة مملكته الأولى .

ان الفكر الباطني الذي اعتمد السرية منهجا في مخططاته أشار من حيث لايدري الى هذه الرغبة الباطنية ، ليس على النطاق الدرزى الواسع ، بل ان كثيرا من بقية المصادر الاسماعيلية تشير صراحة الى أن بني اسحق بن يعقوب هم السند الأول للأئمة الباطنيين (ر. ص، ص ١٧٦، ٤٤٤) .

٣ـ الثواب والعقاب في الدنيا :

سبق الحديث أن الفرقة الخطابية الغالية ترى أن الدنيا لا تفنى، وعليه فقد اعتبروا الجنة والنار ما يصيب الانسان في الدنيا من خير أو شر (ر. ص ص ١٣١ ، ١٣٢)

وقد قالت النصيرية بأن ذبح الأغنام ونحوها انما هو تعذيب لأرواح .. أعدائهم الذين انتسخوا على صورة الدواب تلك (ر. ص ٢٩٥) .

---

١. انظر : أشعياء ٩/ ١ ـ ٧

٢. انظر : أخبار الأيام الأول ١٢/ ١ ـ ٢٢

والتناسخ عقيدة يؤمن بها الباطنيون في معظمهم ، ولو زعم البعض غير ذلك ، وهو يعني عندهم العذاب الدنيوي ، ويطلقون عليه " العذاب الأدنى " وهي عبارة نجدها في بعض من المصادر الباطنية[*][1] وقد فسر أحد هذه المصادر مدلول هذه الكلمة ، حيث يقول :-

ان العذاب ٨٤٩٥٣ [= الأدنى] يكون أوله ما يعذب به أهل الضلال من الشكوك والشبهات التي تدخل عليهم في دينهم في الدنيا وأوسطه ما يكون في براثن الهبوط التي تستحيل اليها نفوسهم وأجسامهم معا بعد الانحلال بالقبر ثم التصاعد بالبخار ثم التكون نباتا ثم يغتذيه من يستحقون العبور عنده من أصناف الهبوط من الحيوان الى أن يستوفي مثل ذلك ثم ينتقل من يستحق من أهل ٢م٦ ٥٢٩ [= العذاب] بالبخار الصاعد الى أطراف الأرض فيكون فيها معذبا بأنواع العذاب الحسي في جنس الحجارة المنعقدة وهو يحس بالألم في جميع البرازخ ويعلم ما سبب حصولها هنالك وهذا أيضا انتهاء أشد العذاب الأدنى[2] .

واذا عاد القارئ الكريم الى قراءة النص فانه لا يجد فرقا بين ما عليه النصيرية من اعتبارهم الدواب التى يذبحونها أو يركبونها أشخاصا آدميين استحقوا العذاب فصاروا على تلك الصورة . وهذا ما يراه الباطنيون فيما

١- انظر : المجدوع (القرن الثاني عشر) فهرست الكتب والرسائل ، عليتقى منزوى ، طهران . مطبعة الجامعة ، ١٩٦٦ ، ص ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٧٠ ،
٢- مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١١ وأنظر أيضا ص ٦٤ .
* ربما كانت الكلمة مأخوذة من قوله تعالى " ولنذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون " السجدة ٢١

يسمونه بالسلسلة ، وهم يعنون بها التي وردت في قوله تعالى * (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) ، وهم يقولون بأن ذلك يجري في الدنيا ، ففي مرجع باطني يتسائل شاعرهم :

ما حد سلسلة تكامل ذرعها سبعين مؤذنة بطول شقاء

... ان حد السلسلة التى ذرعها سبعون ذراعا على التمام ... والسبعين [كذا] من السلاسل هي القُمص الملعونة المصورة من الرذائل فأدراك العذاب سبعة على النظام في كل دَرَك سبعون قميصا .. يسلكها كل شيطان مريد .[1]

(ر. ص ٢٠٩) ، وليشرح لنا مرجع باطني آخر مدلول كلمة القُمص قبل العودة الى حديث السلسلة ، يقول الداعي ادريس :

ظهر زين العابدين لجابر بن عبد الله الأنصاري في صورة الميم والفاء والحاء والسين ، وعاد الى صورة العين ، وقال أعقلك يحتمل هذا يا جابر ، هى قُمص في كل وقت وزمان تتبدل القمص ولا أتبدل فالأنبياء والأئمة هم هياكل النور المتجلي بهم الحق عند الظهور .[2]

وهو يذكرنا بالحلول الذي أشير اليه من أن روح الله تحل أو تتجلى في الانبياء والأئمة (ر. ص ص ٢٣٨ ، ٢٣٩) .

---

* الحاقة ٣٠ — ٣٢

١. مخطوطة حياة الأحرار ق ق ٣٦ ، ٣٧

٢. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٤ .

وقد وردت كلمة القمص وهي جمع قميص في هذا البحث حين جرى الحديث الى ذكر الخطابية وقولهم بجريان أرواح من جحد أمرهم في كل الأشياء على نحو لا يبعد أبدا عن التناسخ وهو صورة لما ذكر عن السلسلة (ر. ص ٢٠٨) . وقد بقيت العقيدة هذه على صورتها عند الباطنيين وظهرت في كتب المتأخرين منهم مثل ٥ " حياة الأحرار " و " مسائل مجموع الحقائق " ، و " رسالة الايضاح والتبيين " (ر. ص ٢٠٩) مما يدل على أنها من عقائدهم التي يدينون بها ، رغم ما تجده في بعض مراجعهم من نفي التناسخ والرد على القائلين به[1] .

ان الحديث عن القمص والسلسلة والتناسخ والقول بالثواب والعقاب ١٠ في الدنيا كلها شيء واحد ، وجد مثله في الفكر اليهودي[2] وسبقت الاشارة اليه تفصيلا (ر. ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩) مما يدل على منبع هذه العقيدة .

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول : ان المهدي الباطني المنتظر - قائم الزمان - بدأ سبئيا يهوديا وانتهى كذلك ، وان يكن الباطنيون قد أضافوا ١٥ اليه تفصيلات وحواشي أدت بهم الى نفي القيامة والقول بالتناسخ وما اليه ، كما أضافوا اليه أفكارا فلسفية جعلت منه مهديا فريدا من نوعه لايكاد يوجد الا عند الباطنيين ، ومن ذلك ما قالوا في مهديهم الذي تقوم القيامة على يديه أنه يموت بعد مدة من الزمان ويصبح أحد العقول المدبرة للعالم (ر. ص ٢٥٠ فما) . كيف يكون هناك موت بعد قيام ٢٠

---

١. انظر : فهرست المجدوع ص ١٧٤ والمجالس المؤيدية ص ١٥٢

٢. انظر : محمود أحمد عبدالسلام . النبي أشعيا وأزمة الكيان الصهيوني رسالة علمية ، الاسكندرية ، كلية الآداب ، ١٩٧٨ ، ص ٣٠٩

القيامة والله تعالى يقول " لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى "*.

وفي ختام هذا الباب يتضح لنا أن :

١ـ العقائد الباطنية في حقيقتها تعتمد علَى التأويل الباطني ، وان المظهر الاسلامى لها ما هي الا قشرة رقيقة لاتصمد على اخفاء دينهم الحقيقي

٢ـ العقائد الباطنية في مجملها ما هي الا استمرار لعقائد الفرق الغالية الشيعية التي بدأ ظهورها على يد عبدالله بن سبأ اليهودي

٣ـ اعتمدت العقائد الباطنية علَى الفكر اليهودي اعتمادا واضحا في مختلف ما ذهبت اليه فرقها المتباينة ، وهذا يشير الى أن الدور اليهودى الفكرى قائم عند الباطنيين في مراحل متتابعة في فرقهم .

٤ـ الامام اسماعيل بن جعفر والامام محمدبن اسماعيل لم يوجد لهما أي أثر في العقائد الباطنية ، وليسا سوى واجهة ينتسب اليها الباطنيون .

٥ـ ان المهدى المنتظر عندهم ليس سوى، مشروعا لسيادة دولة الباطنيين على العالم ، بل ليس حقيقته سوى ترجمة لطموح اليهود واقامة دولتهم التي تسود العالم هذا اذا اعتمدنا علَى ما في مراجع الباطنيين عامة ومراجع الدروز خاصة .

---

* الدخان ٥٦

الباب الثالث : الدعوة الباطنية

تمهيد : مما ميز الفرق الباطنية ، أنها اهتمت بالدعوة اهتماما خاصا فاق . كل ما اهتموا به في عقيدتهم . لأن عناصر الدعوة الباطنية تشكل في مجموعها الشرايين التي يسير فيها مختلف مظاهر الفكر الباطني ، وتوقفها يعني نهاية ذلك . ٥

نظم الباطنيون دعوتهم تنظيما فريدا أدهش مختلف الدارسين والمفكرين ، حتى صار الاسلوب الباطني للدعوة مضربا للأمثال . وهذه حقيقة لا يستطيع أحد اخفاءها .

عرفنا مما سبق أن الباطنيين في عقيدتهم ماهم الا استمرار للعقائد التي جاءت بها الفرق الغالية منذ نشأتها . الا أن ما يختص بالدعوة ١٠ لا يصدق ذلك عليه تماما لأن من الصعب القول أن الغلاة كان لهم اسلوب مثالي للدعوة ، وكل ما كان من ذلك لا يمكن وصفه الا بخطوات بدائية أمام التنظيم الدعائي الذي أظهره الباطنيون بعد ذلك ، ولا تزال الطريقة الدعائية التي نسبت الى الفرقة الكيسانية الروندية تعتبر أرقى أسلوب للدعوة عرفته فرق الغلاة ، ورغم ذلك فان الدعوة العباسية ١٥ استطاعت احتواء هذه الفرقة والسيطرة عليها بعد أن استغلتها في تثبيت أركان الدولة العباسية ، وبعبارة أصح هذا ما يدعيه بعض المفكرين (ر. ص ١٠٠ - ١٠٣) .

ان ذلك قد يجعل من السهل القول : ان الفرق الباطنية - التي تعتبر الفرقة الاسماعيلية أمًّا لها تجوزا - وان نشأت عن الفرق ٢٠ الغالية السائدة في القرن الثالث الهجري ، الا أن شخصيات أخرى تولت الزعامة عند اضمحلال فرق الغلاة ، وأن هذه الشخصيات تمكنت من وضع

مبادئ لأسلوب الدعوة هي ما صار يسمّى فيما بعد بالدعوة الباطنية

أما ما آلت اليه الدعوة الباطنية اليوم ، فان فرقة " الدروز " قد توقفت عن الدعوة الى دينها منذ أيام حمزة بن علي (* ـ ٤٣٣) وصارت قاصرة على أفرادها الذين لا يقبلون دخول احد ما في فرقتهم [١] . وجدير بالذكر أن الفرقة الدرزية حينما كانت تمارس الدعوة لم تكن تفعل ذلك على النحو الباطني تماما بل كان زعيمها " حمزة بن علي " يرسل رسائل شخصية للدعوة لمذهبه ، ولعل ذلك يرجع الى أن " الحاكم بأمر الله" الذي يدعون الوهيته ، كان يشجع هذه الدعوة بطريقة ما كما تقول رسائل "حمزة بن علي " الموجودة الى اليوم [٢] .

والنصيرية ـ وهم ليسوا اسماعيليين ـ فلا اخال أن لهم برنامجا أو أسلوبا للدعوة الا في محيط طائفتهم ، ولا يدعون الشخص الى دينهم حتى يبلغ الثامنة عشرة من عمره [٣] .

أما بقية الباطنيين فلا زالت الدعوة قائمة عندهم ، الا أن ذلك يجري ـ كما يظهر ـ في بطء شديد . ويدل على وجود الدعوة الباطنية بين أوساط جديدة ، وجود خلايا باطنية في اندونيسيا [٤] ، رغم أن انتشار الاسلام في هذه البلاد كان على يد التجار الحضارم واليمنيين والمكيين ، كما أن هناك رغبات باطنية في العودة الى مصر ، ويوضح ذلك اهتمامهم ومشاركتهم في تجديد بعض آثار العبيديين من أضرحة ومساجد هناك .

---

* انظر ترجمته في الأعلام ٢/٣١٠

١. انظر : ميخائيل بلشاروييم . التليد في مذهب أهل التوحيد ، القاهرة مجلة رعمسيس ، د . ت ، ص ٢٣

٢. انظر : مخطوطة الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم . دار الكتب المصرية ، رسائل درزية سرية ، علم كلام النحل ـ ٥٤ ، ق ٢٣ ، ق ٥٠

٣. انظر : سليمان الأذني . الباكورة السليمانية ص ٢

٤. انظر : ابن جندان مخطوطة السهم الرامي ، مصورة في مركز البحث العلمي بكلية الشريعة بمكه .

ولكن لابد من الاشارة الى ان طابع الدعوة الباطنية في هذا العصر
وان لا يستبعد محافظته على التنظيم السائد في العصور الخالية الا أنه
اتخذ نمطا آخر يعتمد على استجلاب المناصرين والمتعاطفين
ربما كمرحلة أولى ، لأن البوهرة يخططون لاظهار قائمهم المنتظر أو قائم
أقل منه درجة لأنهم يرون أن القيامات كثيرة (ر. ص ٢٧٦) وقد 5
أفاد بمسألة قرب ظهور قائمهم أحد الباطنيين أنفسهم .

الفصل الأول : الدعوة الباطنية

أركان الدعوة الباطنية :

ان تنظيم الدعوة الباطنية يعتمد في مجمله على نقطتين أساسيتين هما :

١– وجود الضد : وتعني كلمة الضد ؛ كل من خالف الفكر الباطني ، وهو يعني الرأي العام الاسلامي في الدرجة الأولى ، لأنهم وان قالوا في الرسالة الجامعة ان دعوتهم موجهة الى جميع الملل والأديان (ر. ص٣١٢ ، ٣١٣) الا أنهم فيما بعد أفصحوا عن أن دعوتهم لاتخص سوى المسلمين اذ لا يجوز أخذ العهد (ر. ص ٣٣٤) على غير مسلم[١] ، وفي هذا ما قد يشير الى المقصود من الدعوة الباطنية . وعليه فان المسلمين ضد لهم حتى يكونوا باطنيين . وكلمة " الضد " يمكن اعتبارها مرادفة لكلمة " الشيطان " .

ان أخذ الباطنيين بعين الاعتبار هذه النقطة جعلهم ينتهجون السرية منهجا أساسيا في الدعوة الى عقيدتهم ، اما خوفا من الضد أن يعلن الحرب عليهم ، أو تلبيسا عليه حتى لا يدري ما يجري حوله وقد اشير الى أن الضد يعني مخالفيهم المسلمين .

٢– تحقيق هدف الايمان والعمل بالباطن المحض الذي هو أقصى غايات الباطنيين ، على اعتبار أنهم يقولون : ان لكل ظاهر باطنا وهذا الباطن هو اللب وهو الأصل والمقصود (ر. ص ص ١٥٩ – ١٧٢) ..

---

١. انظر : تأويل الدعائم ١/ ٥٧ .

ولاختلاف هذا الهدف صراحة مع ظاهر الدين الاسلامي بقول الباطنيين أنفسهم الذين يروون حديثا عن "علي" يقول فيه :-

علمني رسول الله صلع من مكنون علمه الف باب
فتح لي كل باب منها الف باب . لو اطلعتم
عليه لاضطربتم في أديالكم اضطراب الأرشية ٥
في الطي البعيد .[١]

وعليه فانهم اختاروا لتحقيق هذا المأرب اسلوب التدرج في نقل المفاهيم الباطنية الى المستجيب شيئا فشيئا .

سرى التدرج بعد ذلك الى الدعوة الباطنية ذاتها والى دعاتها فصار لكل منهم مرحلة يختص بها ولا يتجاوزها كما سيتضح . ١٠

وعلى ذلك تصبح السرية والتدرج وسيلتين أساسيين في الدعوة الباطنية ينبغي التطرق اليهما .

١- السرية : يدعي الباطنيون أن السرية في الدعوة أسلوب سلكه الأنبياء والمرسلون ، فهم يعتقدون أن لكل ناطق (= نبي رسول ر. ص ص ٢٢٤ ، ٢٢٥) دعوتين احداهما ظاهرة معلنة وتسمّى العبادة العملية ١٥ كالصلاة والصوم وغير ذلك ، والثانية باطنية يختص بها وصي الناطق وهي سرية وتسمي العبادة العلمية (ر. ص ص ١٥٩ ، ١٧٥ ، ١٧٧) .

وسبب ذلك كما يزعمون ، قصة قابيل وهابيل ، وتفصيلها الباطني كما يأتي :-

---

١. مخطوطة المجالس الحاتمية . المجلس الثاني من المائة الأولى ق ١١ ب .

أنزل الله على آدم كتابا وأنطقه بشريعة فكان
ناطقا أول النطقاء ثم أمره تعالى باختيار رحجته
ووصيه من ولده فكان ولده هابيل كثير الخير
والاجتهاد في السعي في طاعة الله فنظر اليه
آدم وأشار اليه بحجته ووصيه ثم قرب هو وأخوه ٥
قابيل فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان
قابيل فعلم قابيل ان الاشارة تصح الى هابيل
فقتله في الظاهر فخرج من الدنيا وقتله بالباطن
بالطعن عليه والكسر لمقامه ونسب الأمر الى نفسه
وادّعى على آدم مالم يسنده اليه واختار الله لآدم من ١٠
ولده غيره وهو شيث بن آدم فكان حجته وموضع
اختياره فكتم أمره شفقة عليه من أخيه ودعا
اليه سرا بالعهد والميثاق وكان ذلك أول ما سنه
الله من ستر الحق وصاحب الحق بالدعوة
اليه سرا بالعهود والمواثيق في أوقات غلبة الظلمة .[١] ١٥

وهكذا أوجد الباطنيون تاريخا لدعوتهم من عهد آدم كما أوجدوا
تاريخا للتأويل الباطني منذ ذلك العهد والقصة السالفة التي أوردها
الداعي جعفر بن منصور اليمن (كان حيا في ٣٨٠) يمكن اعتبارها تأويلا
باطنيا لما جاء في العهد القديم :

---

١. مخطوطة كتاب الشواهد والبيان ، ص ص ٢٥ ، ٢٦ وأنظر مخطوطة المجالس
الحاتمية ق ٣١ والأنوار اللطيفة (الأعظمى . الأسرار الخفية) ص ١٢١

وعرف آدم امرأته أيضا فولدت ابنا ودعت اسمه شيثا .
قائلة لأن الله قد وضع لي نسلا آخر عوضا عن
هابيل . لأن قايين كان قد قتله . ولشيث أيضا
ولد ابن فدعا اسمه أنوش . حينئذ ابتُدِيء أن يدعَى
باسم الرب .[١]   ٥

حقا لا أحد يستطيع الادعاء بأن تاريخ الدعوة الباطنية مذكور في العهد القديم ، الا أن من المفيد الاشارة الى أن النص التوراتي اليهودي مما نظر اليه بعين الاعتبار في هذا الموضوع .

ان أسلوب السرية - وأعني المنظم منها بالذات - ربما كان قديما جدا الا أن الزعم بأنها كانت منهجا سماويا للأنبياء والمرسلين منذ آدم ، أمر لا يمكن تصديقه بأي حال ، والأمر على حقيقته أن ذلك تبرير لبدعتهم . لأن علي بن أبي طالب الذي يزعمون أنه صاحب الدعوة الباطنية في الدور المحمدي لم يكن لا في عصره ولا في عصر الذين كانوا من بعده ما يمكن أن يسمَّى بالدعوة الباطنية (ر . ص ١١ فما) ولو كان شيء من ذلك حقيقة لعرف ، فان عليا لم يستشهد الا في سنة (٤٠) بمعنى أنه عاش بعد رسول الله (ص) ثلاثين سنة تقريبا ، فأين دعوته الباطنية .   ١٠   ١٥

قد يزعم الباطنيون : أن عليا أقام دعوته الباطنية ، ولكن لأنها دعوة سرية فلم يظهر منها شيء . الا أن هذه الدعوى ستهوي قبل أن تقوم ، وذلك حينما تصطدم بالتراث الباطني نفسه قبل غيره ، لأنه لا يمكن تصور وجود السر المطلق في هذا العالم الا شيئا لم يجرأ ولم يحدث ، فحينما اتخذ الباطنيون السرية المنظمة منهجا صدر عن ذلك   ٢٠

---

١. تكوين ٤/ ٢٥، ٢٦

رد فعل معاكس قاده المؤرخون وأصحاب المقالات والفرق بين منتقد لها ومخبر علها في زمنها الذي حدثت فيه أو بعيده ، ولو كانت السرية منذ ايام على لأشير الى ذلك ولكان له صدًى عند الغلاة وعند الذين تحدثوا عن فرقهم من غيرهم وجلهم أضداد وأخصام للدعوة الباطنية ولهذا فقد يزعم الباطنيون أن الأخصام لا يفيدهم الحديث عن وجود دعوة باطنية أيام علي ، فهو حجة عليهم ، هنا نتفحص كتب الباطنيين أنفسهم وخاصة ما ظهر منها في فترة الأئمة المستورين أي ما بين منتصف القرنين الثاني والثالث ، وتأتي " الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا " النموذج المناسب لذلك ، ففي هذه الرسالة نكتشف أن السرية المنظمة شيء جديد في البيئة الفكرية عند الاسلاميين . صحيح أن هذه الرسالة حاولت تكوين قاعدة مثالية للسريه المنظمة ، الا أننا بكل ثقة نستطيع القول ان " الرسالة الجامعة " كانت تقدم لنا هذه السرية باعتبارها شيئا جديدا غير معروف من قبل ، كما يدل على ذلك النص التالي وهو مقتطع من الفصول المعنونة " برسالة الدعوة الى الله " من الرسالة المذكورة ، يقول النص :

قد قلنا لك في الرسالة ، رسالة الدعوة : ان لنا كتبا لا يقف علَى قراءتها غيرنا ، ولا يطلع علَى حقائقها سوانا ، ولا يعلمها الناس الا من قبلنا ، ولا يتعلم قراءتها الا من علمناه ، ولا يعرف صور حروفها الا من عرفناه وهي صور الموجودات بما هي عليه الآن ظاهرة للحواس ، مرئية للناس ، وهي آيات بينات ، هم عنها معرضون ، منها حركات الأفلاك الدائرات ، والكواكب السائرات وأركان الأمهات ، وفنون أشكال النبات وعجائب هياكل

الحيوانات . ولنا علم آخر لا يشاركنا فيه غيرنا ولا يفهمه سوانا ، وهي معرفة جواهر النفوس ... وقد أقمنا لكل طبقة من طبقات طوائف الأمة ، الذين عمتهم دعوة الأنبياء ، قوما يدعولهم الينا ويدلونهم علينا ويعرفونهم بقدومنا ، ويعدونهم بظهور أمرنا ، وخروج مهدينا ، وقيام قائمنا ، وطلوع شمسنا ، وخروجنا من كهفنا ، فاذا كان ذلك كذلك ، فيجب لنا أن نبتدئ ونأخذ في بناء المدينة التي تضم شملنا ، وتجمع جملتنا ، ونتخذها دارنا ونجعل فيها قرارنا ، ومن استجاب الينا ، وطرا بأمرنا علينا ، وقد وصفناها لك ، وعرفناك كيفية بناءها .[1]

من ذلك يتضح لنا أن السرية المنظمة لم تكن مذهب الأئمة من أهل البيت ، فضلا عن أن تكون أسلوب الأنبياء والمرسلين منذ آدم بل هي مجرد فكرية بشرية ظهر بها الباطنيون ، حتى ولو ادعت الرسالة الجامعة نفسها أن العلم الباطني علم الأنبياء ... ، فلو كان الأمر على هذا الزعم ما اضطرت الرسالة المذكورة الى تقديم السرية كما فعلت ، ولكان الكتاب الذي يفترض فيه أن يقدم السرية علَى هذا النحو قد ظهر الى الملأ في عصر أسبق من عصر الرسالة الجامعة ، وهذا لا يمنع من الاشارة الى وجود السرية بشكل آخر عند السبئيين (ر. ص ٤١) والتوابيين .[2]

---

١. الرسالة الجامعة ص ص ٥٢٦ ، ٥٢٧

٢. انظر : مصطفى الشكعة . اسلام بلا مذاهب ، الطبعة الرابعة ، ١٣٩٩ ، ص ١٧٦ .

ومن جوانب السرية ، أن الباطنيين جعلوا الناس صنفين :

١- صنف "العامة" وهي اصطلاح شيعي المقصود به غالبا أهل السنة والجماعة " . والعامة لا يستحقون العلم السرّي الباطني ، لحديث رووه في ذلك عن رسول الله (ص) أنه قال :

لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموها [كذا][1] ٥

ورووا عن جعفر بن محمد أنه قال :

" رحم الله امرءا أحيا أمرنا . قيل يا ابن رسول الله وما احياء أمركم ؟ قال ذكره ونشره وتبليغه من لم يكن بلغه " .

يريد به أولياءه المستحقين لذلك[2] . ١٠

وعليه فقد فسروا قوله تعالى : (لتبيننه للناس ولا تكتمونه)* ان المقصود بالناس : الذين أنسوا الى الحكمة والتزموا بطاعة الحدود والأئمة[3] .

وهذا يتلاءم مع ما قيل من أن الباطنيين يعتبرون " المسلمين " حميرا وأنهم " الامة المنكوسة " ، أو الخلق المنكوس[2] وفي " الهفت الشريف " ١٥ نجد أن غير الباطنيين انما هم من ذرية الشياطين[3] ، وكذلك يعتقد الداعي أبو فراس : أن أهل الظاهر أو القشريين — نسبة الى القشر لتمسكهم بقشور الأشياء أي ظواهرها — مما يمكن أن يسمّى شيطانا لأنه

---

١. الأنوار اللطيفة : (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ٧٨

* آل عمران ١٨٧

٢. انظر : ابن أبي الفضائل . كشف أسرار الباطنيه ، (عزت العطار) — القاهرة ، ، ص ١٥
وانظر ايضا : قواعد عقائد آل محمد ص ص ٤٨ ، ٩٥ وانظر أيضا مخطوطة رسالة لبعض الأفاضل ، عقائد تيمور ، ٤٨٤ ، ص ٢٤

٣. انظر : ص ٨٤ في قصة تزويج علي ابنته من عمر بن الخطاب .

سيصير شيطانا بالفعل وهو الآن شيطان بالقوة .[1]

ان اليهود يسلكون هذا المسلك في نظرتهم الى سواهم من الأمم :

لأن هؤلاء تشتق نفوسهم من الشيطان [f.221,4

.[Schefa,t.f. 4,2; Menachem,p.53

وهي مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد [Jolk.Chad.f.154,2] ٥

ولهذا يقول التلمود : ان زرع الرجل غير اليهودي

هو زرع حيواني [Tr. Jeham, f.94, 2.Tos].[2]

وهذا مشهور عن اليهود فالتلمود يقول أيضا :

ان كلام التوراة " ليس في الله غضب " أشعيا

٣٧ — ٤٠ * يلائم اليهود وان كلام التوراة " اني ١٠

أهجم عليهم " ** يوافق شعوب الأرض.[3] [Aboda, S.f.4,1]

واذا عدنا الى التفسير الباطني لقوله تعالى : (لتبيننه للناس) يتضح لنا مدى التشابه بين كلمة " الضد " في الفكر الباطني وكلمة " الغويم " عند اليهود وأن مثل هذا التأويل هو الذي اعتمد الباطنيون عليه في مسألة السرية ، ١٥

٢ — الصنف الثاني من أصناف الناس عند الباطنيين هم المستجيبون لمذهبهم والمؤمنون به وهؤلاء أيضا لا تباح لهم العلوم الباطنية الا بطريقة التدرج (ر. ص ٣٢٦ فما) البطيء . ويبدو أن كثيرا من الباطنيين يعيشون طوال حياتهم وهم لا يعلمون شيئا عن حقائق مذهبهم الا أنه مذهب الأئمة الصادقين من أهل البيت وهذا مكمن من مكامن خطورة هذه الدعوة . ٢٠

---

١. انظر : كتاب الايضاح (عارف تامر) ، ص ٣٥ .
٢. همجية التعاليم الصهيونية ص ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، والهوامش في ص ١٢٩
* لم أجده كذلك والاصحاح ٣٧ ليس فيه الا ٣٨ عبارة .
** لم أعثر على هذه العبارة بهذا اللفظ .
٣. همجية التعاليم الصهيونية ص ١٤٣ والهامش ص ١٤٧ .

ان السرية التي تغلف الفكر الباطني أكثر مما يتصور المتصورون ، فعلى سبيل المثال، ان كتابا باطنيا خاصا بعلم الحقائق — الذي هو أشد سرية من علم التأويل الباطني — وهو كتاب " حياة الأحرار " نجده بعد أن تكلم في كثير من المسائل الباطنية التأويلية بما ليس في أكثر الكتب السرية التي اكتشفت في هذا العصر، نجده بعد ذلك يقول :

وإذا شاء سيدي محمد وسيدنا جعفر
وسيدنا سليمان لوّحنا بحقائق الأسرار في
غير هذا الكتاب العظيم الشأن ·[١]

وعلى ذلك فان على الباحثين الكثير من الجهد والوقت حتّى يتعرفوا على حقيقة الفكر الباطني ·

<u>الوسائل السرية الباطنية :</u>

ان للسرية عند الفرق الباطنية وسائل شتى لتداول المعلومات الخطيرة التأويلية بين أفراد الطائفة بحيث لا يطلع الغريب على المقصود مما هو مكتوب اذا كان مكتوبا · الا أن الأسلوب الشفهي بطبيعة الحال يظل أكثر أساليب الباطنيين اغراقا في السرية ·

• — <u>الطريقة الشفهية :</u> ان بعض المعلومات والأسرار الباطنية لا يطمئن الدعاة الى تسجيلها على القراطيس حتى مع الأخذ بكافة المحاذير ، وحتى لو وثق فيمن سيقرؤها ، من ذلك أن داعيا مجهولا سئل فأجاب ، سائله بما يأتي :—

١- <u>مخطوطة حياة الأحرار</u> ق ٧ أ

وسألت الاجابة عنها وهى أيها الأخ تقتضي
جوابا من زبد الحقائق المصونة وسرائر الحكم
المكنونة ولب الفوائد المخزونة وأنا أتحقق
أنك أهل لأن تطلع على ذلك ، وحقيق بأن
تخص بفضل ما هنالك الا أنه مما لا يودع بطون ٥
الاوراق ، ولا يجب أن يرمق من العيون الشخصية
بالأحداق صيانة له من ابدائه وبذله وخوفا عليه
أن يقع الى غير أهله بل يجب أن يكون قرطاسه
الآذان الواعية وقلمه اللسان المترجمة عن جواهرها
العاليه ، لكني لما أوثره من الجلاء لبصيرتك والزيادة ١٠
في انارة صورتك كتبت لك هذه الأوراق .[١]

وفي موضع آخر يقول لسائل آخر :

وقد كشفت لك هذه الجوابات[؟] مالم يكن
يجب كشفه الا من لسان الى اذن .[١]

وفي ثالث يقول : ١٥

فتصفحتها فوجدت أكثرها مما لا يجب ايراده في
المكاتبات ولا ركوب حتف الخطر معه في المراسلات .[١]

وفي كتاب باطني لحاتم بن حسين الحامدى (— ٥٩٦) نجده يقول لسائل :

ولأسباب أخر لا يجب كشف ذلك .[٢]

ويقول : وجواب ذلك لا يكون الا من لسان الى أذن .[٢] ٢٠

ويقول : وفيه جواب ثان ليس هذا موضعه .[٢]

---

١. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ٥ ، ٦٤ ، ١١١

٢. زهر بذرة الحقائق (عادل العوا . منتخبات اسماعيلية) ص ص ١٦٦ ، ١٧٤ ، ١٧٨ .

يرد هنا احتمال أن بعض الدعاة قد يستعمل هذا الأسلوب ليستحوذ علَى فكر السائل وليجعله يهتم بما يُلقَى اليه من أجوبة ، ولكن امتناع الدعاة عن الاجابة على السؤال يؤكد بالاضافة الى صحة الاحتمال السابق أن هناك بعضا من الأسرار لا يتناقلها الباطنيون الا شفاهاه كما توحي النصوص ويدل عليها أيضا النص التالي :- ٥

وأما سؤاله عن الأبيات الملفوزة ، فقد تقدم
جوابها شفاها وان الاشارة فيها الى المجمع . فاعلم
ذلك .[١]

ان هذه الطريقة - الشفاهية - عرفت عند اليهود وهي عن تلك القوانين التي : سموها القانون الشفهي ، زاعمين انه حيث أن موسى ١٠

لم يكتب هذه القوانين فلا يجوز لأحد كتابتها،
وكان الحاخامات يتناقلونها سرا من جيل الى جيل .[٢]

وهذا " القانون الشفهي " هو الذي كتب فيما بعد وسمي " التلمود " ولكن هل توقف الأسلوب الشفاهي عند اليهود بعد كتابتهم " التلمود "؟ والجواب هو : كلا لم يتوقف ذلك مما يدل على أن بعض علومهم باطني سري ، وفي ذلك يقول فيلسوفهم الشهير ابن ميمون (- ٦٠٢) : ١٥

ولا يطلبني النبيه ولا تتعلق آماله بأنا اذا ذكرنا
غرضا ما أننا نتمه ، أو اذا شرعنا في تبيين ، معنى
مثل من الأمثال ، أننا نستوفي جميع ما قيل في ذلك
المثل ، هذا لا يمكن عاقلا فعله بلسانه لمن يحاوره ٢٠
فكيف أن يضعه في كتاب ؟ لئلا يصير هدفا لكل
جاهل يظن به العلم ...

١. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٣٦
٢. ظفر الاسلام خان . التلمود ، ص ٣٠ نقلا عن دائرة المعارف اليهودية .

وبيَّنَا قولهم حكماء اليهود : ولا تعطي "قصة
الأمر" لكل أحد مالم يكن حكيما ويفهم بنفسه،
فحينئذ تُعطَى له رؤوس الفواصل [أنظر : التلمود
البابلي : حجيجة ١١/ ب ، ١٣/ أ] فلاتطلبني
هنا غير رؤوس الفواصل ... اذ غرض [كذا] أن تكون ٥
الحقائق تلوح منها ، ثم تخفى [كذا] حتى
لا يقاوم الغرض الالهي الذي لا يمكن مقاومته
الذي جعل الحقائق الخصيصة بادراكه خفية عن
جمهور الناس . قال : سر الرب لمتقيه* [المزمور
٢٥/ ١٤] ... ولو بين أحد تلك الأمور ١٠
كلها في كتاب لكان قد فسر لآلاف الناس .[1]

ان نهج اليهود للأسلوب الشفاهي ظهر في بعض نصوص التلمود ،
فحين اكتشفوا فيه ما يجب أن لا يطلع عليه سواهم ؛ قرر المجمع
اليهودي في بولونيا سنة ١٦٣١م بالاجماع حذف العبارات التي تهين
الأغراب واستبدالها بدوائر هندسية أو ترك مكانها خاليا من أي شيء ، وأن ١٥
التعاليم التي تسب المسيحيين لا يصح نشرها الا شفويا في مدارسهم .[2]

وفي الكتاب الباطني " زهر بذر الحقائق " ذكر محققه أن فراغا كبيرا
بين عبارتين وجده في النسخة الأصلية للكتاب .[3]

ان هذه الظاهرة التي وجدت في التراث الباطني ، توضح لنا الى
جانب مدلولها ذي المرامي المعينة ذات العلاقة بالدعوة الباطنية ، أن ٢٠

---

* الذى وجدته فى العهد القديم فى نفس المكان : سر الرب لخائفه
انظر : الطبعة العربية ، ١٩٧٨

١. دلالة الحائرين ص ١١
٢. انظر : همجية التعاليم الصهيونية ص ٩٨
٣. انظر : هامش ص ١٧٥

ليس الموجود في بطون التراث الباطني هو كل شيء حتى لو افترض أن نشروا كامل تراثهم وهو مستحيل لأن السرية جزء أساسي تعتمد عليه الدعوة الباطنية ، وهذا يصدق على اليهود أيضا .

الكتابة السرية :

٥ من الوسائل الباطنية في تحقيق سرية دعوتهم كانت وسيلة الكتابة السرية التي اعتمد الدعاة فيها على نقل معتقداتهم السرية الى أتباعهم، وهي طريقة باطنية قديمة ، وقد اشارت الرسالة الجامعة الى وجود كتب سرية مكتوبة بها[١] . كما ذكر القاضي النعمان قصة توضح لنا بعض المعلومات عن تلك الكتابة وحروفها ، يقول القاضي النعمان ١٠ أنه سمع المعز لدين الله يقول :-

> دفع الي المنصور بالله [أبوه] ... كتابا
> بخط المهدي فيه حروف المعجم بخط كان الامام
> قبله يكاتب به الدعاة . فقال المنصور بالله (ع) انقله
> بخطك . وقد كان عرفني معناه . ثم قال لي :
> ١٥ لما أزمع القائم (صلع) على الخروج الى المغرب
> جمع ولده وأنا فيهم فقال : أنتم ترونني وما أخرج
> عليه من هذه الحلة ، ولا أدري ما يكون من أمر الله .
> وهذا قلم يتوارثه الأئمة يكتبون به أسرارهم ، وبيانه
> وشرحه تحته يكون عندكم . فما كتبت به اليكم عرفتموه
> ٢٠ وما أردتم ستره كاتبتموني بـه .
> فقال المنصور : فقال لي أحد الاخوة سرا،

---

١. انظرها ص ٥٢٦

هذه أ ب ت ث عرفناها ، فكيف نكتب بذلك ؟ فغمزته وقلت له : أسكت ويحك ! اذا عرفت هذه الحروف فما بقي عليك ؟ (قال) فنظر القائم الي فقال : ماقال لك ؟

٥ قلت : شيئا ذكره يامولاي . وطارحته الحديث . وبادر المتكلم فذكر له ما ذكر لي ، فتغير وجه القائم ... وقال : انا لله على المصيبة بكم ، وانتهرنا واخرجنا من بين يديه ولم يمكنني أن أعتذر عنده ولا أضيف ذلك الجهل الى قائله .

١٠ فخرجت ، فوقفت من وراء الباب فسمعته يقول لبعض الأهل : خذي هذا الكتاب فمن سألك من هؤلاء اياه فادفعيه اليه . فسررت بذلك ، فلما خرج سألتها الكتاب فدفعته الي ، وهو عندي الى اليوم .

قال المعز عليه السلام : فأخذته فنسخته كما أمر .

١٥ ثم دفع الي بعد ذلك خطا يشبه حروف ذلك الخط فاذا اعتبرت لم يبن عن كلام صحيح ، وقال لي أنظر في هذا واستخرجا (قال) فأخذته منه فمكثت أياما أتدبره ولا ينفتح لي فيه شيء وأنا من الغم بذلك فيما حال بيني وبين النوم والطعام والشراب .[١]

٢٠ ان مما يدل عليه النص ، توارث الكتابة السرية وحروفها بين الأئمة الباطنيين كما وضح النص وجود كتابة سرية خاصة عن الكتابة السرية التي تعلمها

---

١. المجالس والمسايرات ص ص ١٣٠ ، ١٣١ .

المعز العبيدي من قبل ورغم ذلك فانه لم يستطع معرفة الكتابة السرية الخاصة رغم انها بنفس الحروف الرمزية ، مما يعني أن ترتيبا آخر لتلك الحروف يغير مدلولها احيانا في السرية ، وهذه الطريقة نفسها مما ورد ذكره في الرسالة الجامعة ٠

ان الحروف الهجائية السرية في الفكر الباطني ذات أشكال مختلفة حفلت بها كثير من كتب الدعوة الباطنية السرية ، وقد سبق ذكر نماذج منها في الفصول السابقة ٠ ولعل التي وردت في الرسالة الجامعة من بين ما منها هي الأقدم سيعرض على القارئ الكريم ٠ وتتشابه الحروف السرية في (أربعة كتب اسماعيلية) الذي نشره "شتروثمان" مع التي وردت في مخطوطة (كتاب الشواهد والبيان لجعفر بن منصور اليمنى) ومع التي وردت في (مخطوطة حياة الأحرار لداعى مكرمي مجهول) ٠

٢	را	ر	ى	[illegible]	الا	٣	٩	٧	ما
٨	حا	ر	لع	ل	٧	٨	ع	ـــ	٨
ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
ل	سا	ما	ط	هـ	طه	٩	ص	ع	٨
⊖	لما	سا	ط	ط	ط	٩	□	٢	و
ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف

لـ	هـ	ك	٧	لـ	ع	لع	x	سالا
ط	ن	له	<	ل	٢	٥	x	٦<
ق	ك	ل	م	ن	و	هـ	لا	ي

شكل الحروف السرية كما وردت في الرسالة الجامعة ١٠

///

٢	ф	✓	⚭	٣	ط	ا	٩	٥	x
J	T	ط	⊸	ح	٥	٨	٢		ع
ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر
٥	X	]	^		٧	٩	٦	١	٤
✓	H	٩	٩		⋀		٧		X
ز	س	ش	ص	ض	ط	ظ	ع	غ	ف
ع	╧	٢	٣	٤	٩	۵	٨	٥	
ى	8	┴	I	٣	X	II	٩	٤	
ق	ك	ل	م	ن	هـ	و	ي	لا	

شكل الحروف السرية كما وردت في "أربعة كتب اسماعيلية" ٢٠

////

---

١٠ أنظر: مصطفى غالب ٠ الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا ص ٢٣٨

٢٠ أنظر: ايفانوف ٠ أربعة كتب اسماعيلية ص ١٧٨

التلغيز

من وسائل السرية في الدعوة الباطنية أن يقصدوا توضيح شيء فيلغزوا اليه بمعان تعمى على من ليس له اطلاع على فكرهم كقولهم "البيت لا حق برب البيت"[1]، ولم يستطع الباحث التوصل الى المعنى المقصود بهذه العبارة الا أنه قد يعني المفاد بالمعنى الباطني لأنهم يعتقدون أن النفوس الجزئيه تلحق بالنفس الكلية، والادنى يلحق بالأعلى والأعلى هو الرب. وأن مخطوطة (حياة الأحرار من الكتب التي قد تشبع فهم الباحثين حول التلغيز عند الباطنيين ذلك أنه شرح لقصيدة شعرية ملغوزة مطلعها :-

لم أبك دائر عرصة الزوراء ** لم أعف دائرها بسمراء
بعد الأنيس بها كما لم يلهني ** فيها نعيم وهي غير خلاء

وفيها يقول :

من عبد مولاه رهن جداره ** وغرابه ذو صبغة سوداء

فالمولى والسيد في الظاهر هو عبد المؤمن الطاهر ولو كان العبد المؤمن في رقه[2].

وفي نفس الموضوع نجد في مرجع باطني آخر :

قال سيدنا جعفر بن منصور (قس) : وقد ذكر في بعض التواريخ والسير أن الله لا يقبل توبة نبي ولا ... الا بولاية علي بن أبي طالب (ع) . ومن أتى بغير ولايته، أسقطت نبوته ... لأنه (ع) مجمع الأنبياء والأولياء والأئمة من أول الأدوار الى قيامه (ع)

---

١ انظر : زهر بذرة الحقائق (العوا . المنتخبات) ص١٧٤
٢ المخطوطة المذكورة : ق ٤٣ أ، ق ٦٤ أ .

ومن هذه الجهة والحالة ، صح قول الداعي

" عبدان " * (قس) : ان الجمعة علَى خدمة

المولَى لعبده في هذا الدور ، لأن أصحاب الدعوة

الظاهرة في الأدوار الماضية الذين هم أولاد اسحق

(عه) كانوا حججا ودعاة وخدما لأرباب الدعوات ٥

الباطنة الذين هم أولاد اسماعيل (عه) واجتمعت

أولاد إسحق عند ناطق الدور (ص) وجب في

مزية عدل الله تعالَى خدمة أمير المؤمنين لمحمد

(ص) قضاء بما سبق من خدمة أولاد أسحاق

... لأولاد اسماعيل ميزان العدل قائم ، وهذا ١٠

معنَى خدمة المولَى لعبده[١] .

من النصين السابقين يمكن الوقوف على اسلوب التلغيز بالمعاني الذي يسير عليه الباطنيون فى دعوتهم ، وكلا النصين يتحدثان عن موضوع واحد بمعاني ملغوزة ليس المقصود بها الا تفضيل علي بن أبي طالب علَى سيدنا محمد (ص) كما أوضحه النص الثاني منهما . ١٥

وفي الفكر اليهودي نجد " ابن ميمون " يقول :

واعلم أن الأمور الطبيعية أيضا لا يمكن التصريح

بتعليم مبادئها علَى ما هي عليه . وقد علمت قولهم ، عليهم

السلام : ولا تعطي قصة الخلق لاثنين معا ** ... ولذلك

جاءت تلك المعاني أيضا في كتب النبوة بأمثال ، وتكلموا ٢٠

[؟] فيها أيضا الحكماء عليهم السلام بألغاز وأمثال اقتفاء

لأثر الكتب[٢] .

---

* أحد دعاة القرامطة الأول أيام حمدان قرمط . أنظر : ابن النديم . الفهرست ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، د . ت ، ص ٢٨١ وأنظر : ...van. Ismaili literature.p17

١. الأنوار اللطيفة : (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٢٦

** الاضافة من المحقق .

٢. دلالة الحائرين ص ١١

وجاء في التلمود :

كلما كان من الخطر التحدث عن شيء بصراحة
تكلم عنه تحت ستار علامة معروفة لدى المخاطبين
وحدهم .[1]

ولا يعلم الباحث بعد هذا ما هو الغرض من دين يتعامل بالألغاز والسرية اذا كان هدف الدين هداية الخلق الى الصراط المستقيم .

٢- التدرج في الدعوة الباطنية :

ان النظرة التي سار عليها الباطنيون في مسألة التدرج ذات قيمة لديهم لاتقل عن قيمة السرية التي اشير اليها آنفا .

والمقصود بالتدرج في الفكر الباطني هو عدم اعطاء العلم الباطني دفعة بل اعطاءه للشخص على جرعات منظمة ترفع المستجيب شيئا فشيئا . وقد يصل الى الدرجات العالية وقد يموت قبل أن يصل اليها وهو ما يحدث غالبا .

والتدرج بحد ذاته يذكرنا بالتقديس الباطني لرقم ٧ (ر. ص التسبيع) ذلك لأنهم يتدرجون في الدعوة على ذلك الترتيب كما سيأتي من قول الداعي الكرماني (ر. ص ٣٤٨) وذكر الغزالي وغيره أن مراتب الدعوة الباطنية تسع :

أولها الرزق [كذا] والتفرس ، ثم التأنيس ،
ثم التشكيك ، ثم التعليق ، ثم الربط ، ثم التدليس
ثم التلبيس ، ثم الخلع ، ثم السلخ .[2]

١. التلمود . اعداد محمد صبري ، القاهرة مكتبة مدبولي ، د. ت ، ص ٢٦

٢. فضائح الباطنيه ، ط ٢ ، (عبدالرحمن بدوى) ، الكويت ، دارالكتب الثقافية ، ١٩٦٤ ، ص ٢١ وانظر أيضا : الديلمي . قواعد عقائد آل محمد ص ١٤

وقد دافع الداعي علي بن محمد بن الوليد (— ٦١٢) عن الباطنية وأنها لم تقل بهذه المراتب التسع *.[١]

ومن قصة دخول الداعي جعفر بن منصور اليمن هذا المذهب ما يدل على ان فيما ذكره الغزالي شيئا من الحقيقة، ولأهمية هذه القصة في الاحاطة بنظام التدرج في الدعوة الباطنية ، فلا بأس من ايرادها كما نقلها الداعي القاضي النعمان ، ففيها بالاضافة الى ما ذكر تسجيلا لما يمكن اعتباره بداية مكتوبة لتاريخ الدعوة الباطنية :

قال أبو القاسم الحسين بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي [= منصور اليمن] : —

... خرجت الى الفرات — أو قال دجلة — واني لأمشي على النهر اذ حضر وقت الصلاة فتوضأت وصليت ، وجلست مفكرا فيما كنت فيه ثم أخذت في قراءة القرآن . فافتتحت سورة الكهف ، فاني لأقرأ فيها اذ أقبل شيخ ومعه رجل لا والله ما نظرت عيني قبل ذلك الشيخ الى أحد ملأ قلبي هيبة منه ، ونزل ناحية ، وجلس الرجل بين يديه بعيدا مني . فقطعت القراءة لهيبته ، وبقيت أنظر اليه اذ أقبل غلام يمرح في مشيته . فقرب مني . فأنكرت ذلك عليه اجلالا للشيخ ، فلم يلوعليّ . فقلت من انت فقال : حسيني . فاستعبرت . قلت : بأبي الحسين (صلوات الله عليه) المضرج بالدماء . الممنوع من هذا

---

* انظر مقدمة تأويل الدعائم ج ١ للمحقق محمد حسن الأعظمي ، ص ٢٢

١. انظر : مخطوطة دامغ الباطل وحتف المناضل ، مكتبة جامع صنعاء الغربية ، غير مرقمة ، ص ٧٣ .

الماء . فرأيت الشيخ نظر اليّ عند ذلك . وتكلم
الرجل الذي بين يديه كلاما لم أفهمه فقال لي
الرجل : تقدم الينا رحمك الله فقمت اليه حتى
جلست بين يدي الشيخ ، فرأيت دموعه تسيل
علّى لحيته — أظنه عند ذكر الحسين (صلوات الله عليه)   ٥
وقال لي : من أنت الذي تذكر الحسين بما ذكرته ؟
قلت : رجل من الشيعه . قال : ما اسمك ؟ قلت :
الحسن بن فرج بن حوشب . قال : أعرف أهلك من
الشيعة الاثني عشرية . قلت : نعم . قال : فأنت
على ذلك ؟ فسكتُّ . قال : تكلم ! فأنا من اخوانك .   ١٠
قلت : كنت فيمن كان علّى ذلك الى أن بطل الأمر
في أيدينا ، وما أخرجني الى هذا المكان الا ضيق
صدري بذلك ، وذكرت له ما عرض لي ، قال : أرى فيك
نباهة ، وقد سمعتك تقرأ ثم قطعت القراءة ! قلت :
والله — أيدك الله — ما أسكتني الا هيبتك . قال :   ١٥
فاقرأ كما كنت تقرأ ، فابتدأت من حيث وقفت حتّى بلغت :
(فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) * فأومى بيده اليّ أن
أسكت . فسكتّ فقال : أنت ممن يقول بالعدل
والتوحيد ؟ فقلت : نعم ، هو مذهبي ، قال : فمن
أي وجه العدل أن تقتل نفس زكية بغير نفس —   ٢٠
الآية الى قوله : (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) **

---

* الكهف ٧٤
** الكهف ٨٠

فسكتّ . قال : قل . فقلت : ماذا أقول ؟ والله
لكأني ما قرأتها قط واني الّى علم الوجه في ذلك
لفقير ، فان رأيت تعريفى ذلك فعلت . قال : دون
ذلك ستر رقيق . قلت : ترَى كشفه لي جُعلت
فداك ! قال : يكون ذلك اذا أمكن انشاء الله (تع)
وأخذ في غير ذلك حتّى اذا وقف منه على مكان
الجواب فيه أخذ في غيره ، وأنا كل ذلك أسأله
الجواب فيه ، فيقول مثل ما قال . ثم تحرك للقيام ،
فقلت : يا سيدي أحب أن أعرف المنزل ، قال لماذا ؟
قلت : لاقتضاء وعدك فتبسم وقال : لعلنا أن نجتمع
ههنا في الغد ان شاء الله (تع) ، ومضى وتركني .

فلما غاب عني ندمت اذ لم أكن تبعته حتى أعرف
مكانه ، وعظم موقع كلامه من قلبي وشغل ما سمعت
منه ذهني ، وعدت في غد الى المكان ، وأقمت به
الّى الليل . فلم أر أحدا فاختلفت كذلك وأنا في
الغم بما فاتني منه فيما لا أصفه ، حتى اذا كنت
في حد اليأس منه ، مرّ بي الرجل الذي كان معه ،
فنهضت اليه وسلمت عليه وقلت : ما فعل الشيخ —
حفظه الله — وقد كان وعدني في غد يوم لقيته معك
ههنا ، واني لمتردد من يومي ذلك الّى وعده ؟ قال :
لو وعدك ما أخلفك ، ولكن لم يكن في مخرج قوله
وعد ثابت . قلت : فأين لي به ؟ فوالله ! لقد شغل
قلبي ما سمعت منه . قال لي الرجل : اجلس نتحدث

قليلا . فجلسنا فاذا الرجل معه علم كثير . فطارحت
عليه ، وأراد القيام والمسير ، فقلت : والله! لا
أفارقك أو تكشف لي هذا الأمر ، فما زلنا حتى
أخذ عليّ العهود وعرّفني أن الشيخ هو امام ٥
الزمان ، وفتح لي من المعرفة كثيراً ، وعرفني
الموضع وجمع بيني وبين الامام . وكان يخصني
ويقربني ويرمز بقرب الأمر ، ودنو العصر ، ويقول
في كثير من كلامه : " البيت يماني والركن يماني
والدين يماني والكعبة يمانية ولن يقوم هذا ١٠
الدين ويظهر أمره الا من قبل اليمن .[١]

اذا قرأنا النص السابق وجدنا فيه ما يقارب تقسيم الغزالى لمراتب
الدعوة الباطنية ، وهو نص باطني يؤرخ لفترة قديمة من تاريخ "الدعوة
الاسماعيلية الباطنية " .

ومهما يكن الأمر فلا خلاف بين ما ذهب اليه " الغزالي " من قوله ١٥
بالمراتب التسع من حيث المضمون وبين من قال بأنها سبع مراتب
مثل : " محمد بن مالك بن ابي الفضائل اليماني " (ــ أواسط القرن
الخامس)[٢] * ، وأحمد بن يحيي المرتضى (ــ ٨٤٠)[٣] ، وما قال دعاتهم
في التسبيع كما سيأتي (ر. ص ٣٤٨) والمقصود الى جانب مايفيدنا
في معرفة التدرج أنه ليس اسلامي المنشأ ، لأن أحدا من المسلمين ٢٠
لم يقل بالتدرج على هذا النحو .

---

١. افتتاح الدعوة ص ص ٥ ــ ٨ وانظر : كشف أسرار الباطنية ص ص ٢١ ــ ٢٣
٢. انظر : كشف أسرار الباطنية ص ص ١١ ــ ١٦
* انظر : ترجمته في الحبشي . مصادر الفكر . . في اليمن ص ٥٨٣
٣. مخطوطة المنية والأمل ، ق ٣٨ ب

وقبل التعرض لمراتبهم السبعة لابد من اعادة القول بأن كل من خالف دعوتهم " ضدّ " لهم كما يرون • وهو المطلوب لاستجلابه لهذه الدعوة يقول "محمد بن مالك " الذي دخل مذهبهم وخرج منه :

انهم يبدؤ ن بتخير المخالف بالملاحظة السرية
من حيث لا يشعر فاذا وجدوا فيه مطمعا فانهم
يحضونه على شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والصيام •
كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه ، فيقيم أكثر
من سنة يمحنون به وينظرون صبره ويتصفحون أمره ويخدعونه
بروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم محرفة وأقوال مزخرفة
ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ويحرفون الكلم
عن مواضعه فاذا رأوا منه الانهماك والركون والاعجاب
بجميع ما يعملونه والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ :
اكشف عن الأسرار ولا ترض لنفسك ولا تقتنع بما قد
قنع به العوام من الظواهر • وتدبر القرآن ورموزه واعرف
مثله وممثوله [١]

وليس الذي ذكره ابن ابي الفضائل هذا ببعيد عن أسلوب دعوتهم اذا عدنا الى مصادرهم التي تتحدث عن ما ذكره [٢] باسلوب آخر حيث يسمون ما أشار اليه ابن ابي الفضائل بقوله (فاذا رأو منه الانهماك •••)"بالمكاسرة" وهي أولى مراحل التدرج في الدعوة الباطنية وهى مهمة الداعي المكاسر ويقولون انه :

المعلم الصادق المتولي لمكاسرة اهل الظاهر

---

١. ابن مالك • كشف أسرار الباطنيه ص ص ١١ ، ١٢
٢. انظر : القاضي النعمن • افتتاح الدعوة ، ص ٩

فكسر عليه [أي على المستجيب] شوّقه الى الدخول

في دائرة أهل الحق .[1]

وقد عرف " القاضي النعمن " المكاسرة بأنها تعامل بين الداعي والمدعو

للمذهب الباطني حتّى اذا :

كوسر ونوظر بمذهب الحق فانكسرت حجته وبطلت ٥

لظهور حجة الحق ولم يجد ما يدفعها به ولم يبق

له الا أن يوخذ عليه ميثاق دعوة الحق .[2]

ولمن أراد المقارنة فليقرأ نصّ أبي الفضائل مرة أخرَى .

ان المخالف الذي وصل الى هذه المرحلة يسمّى باصطلاح الدعوة

الباطنية : المستجيب ، ومعناه أنه أسلم أمره واستجاب لهذه العقيدة . ١٠

يعتبر الباطنيون المستجيب : أدنَى حدود دينهم وأضعفها وأول مراتبها

وهو رغم ذلك أحد أجزاء الصورة الناسوتية للامام (ر. ص ٢٣٨) .[3]

كي ينضم المستجيب اليهم ويصير شخصا يعتقد العقيدة الباطنية

لابد له من شروط تقنع الباطنيين بصلاحه لما أرادوه له ،[4] وهو ما يتضح

في قصة ابن حوشب (ر. ص ص ٣٢٧ ، ٣٣٠) وبعد استيفاءه تلك الشروط ١٥

يرشحه الداعي لأخذ العهد والميثاق عليه ، وان اكتشفوا عدم

صلاحه أو تخلّى بذاته عن الرغبة في الدخول الى مذهبهم يتركونه أو أنّ ..

يعود بنفسه .[5]

---

١. الداعي حاتم . الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١١٥

٢. تأويل الدعائم ص ٢٤٨.

٣. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ٨ ، ٨٨ ورسالة الاسم الأعظم (شتروثمان أيضا) ص ١٧٤

٤. انظر : رسالة الدستور . للداعي أبي فراس (عارف تامر . اربع رسائل) ص ص ٦٩ ، ٧٠

٥. انظر : تأويل الدعائم ٣/ ٢٥٠

أهمية أخذ العهد على المستجيب :

تعود هذه الأهمية الى ما درج عليه الباطنيون من الأخذ بأسباب الحيطة والحذر خشية وصول عقيدتهم الى المخالفين لهم وبالتالي كشفها وفضحها .

ان الأخذ على المستجيب يعني في عرف الباطنيين تطويقه من عنقه كما يطوق الخنصر بالخاتم ولذلك سماه الغزالي " حيلة الربط "[١]

ان هذه المرحلة تسمى في اصطلاحات الدعوة الباطنية " حد التربية " لذلك يرى بعضهم أن لاتكشف فيها للمستجيب المعارف الباطنيه[٢] . ونقل المستجيب من هذا الدور الى الأدوار الأخرى التي ستفتح له الأبواب الباطنية السرية شيئا فشيئا يوضح لنا أهمية أخذ العهد عليه ، هذا العهد الذي يمكن اعتباره الباب الموصل الى علم الباطن . ويوضح لنا الداعي الكرماني السبب الذي دعا بهم الى عملية الأخذ على المستجيب ، فيقول :

انما وجب أخذ العهود والمواثيق من الناس
في دين الله لحالين :
أحدهما : لكي تجب عليهم الحجة من جهة الله
بقبولهم ما يقبلونه من أوامر الله (تع) وبذلهم
القيام بها وان قصروا فيها ، فتكون مجازاتهم بحسب
فعلهم بعد الميثاق .

---

١. انظر : رسالة الاسم الأعظم (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٧٣ وأنظر فضائح الباطنية ص ٢١ ، قواعد عقائد آل محمد ص ٣٩
٢. انظر : الداعي حاتم . زهر بذرة الحقائق (العوا . منتخبات) ص ١٦٩ وأنظر رسالة الاسم الأعظم (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٧٤ .

وثانيهما : لكون الخلاف فيما بين الناس موجودا وامتناع
الأمر في الاطلاع علَى سرائر الناس فيمنع من كانت
سريرته غير الاخلاص لله ، وفى الله . ولئلا يكون من
يعاهد عينا وعدوا فيطلع علَى ما يدبره الامام أو الدعاة
من المكر بأئمة الدين [كذا] ، فيكون الاستضرار بمكانه ٥
فيما يراد من اقامة عبادة الله (عج) على وجهها
أكثر من الانتفاع به ، ثم ليكون الأمر في الميثاق
الى أمانته بعد الاستيثاق فيستحق بالنقض ان نقض
ما على الناقضين ، وبالوفاء ان وفّى ما للموفين ، ولذلك
كان الأنبياء يبايعون الناس الذين يجيبون الى ١٠
دعوتهم . والعهد والميثاق رسم سابق من الله (تع) .[١]

ولكن قيام الحجة لم يكن في دعوة الأنبياء بأخذ العهد ، والا فان
الحجة لا تقوم علَى كفار قريش الذين علموا بنبوة محمد (ص) وسمعوا القرآن
وفهموه . والله تعالَى يقول : (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير)* وعليه فأننا اذا اخذنا بقول الباطنيين ١٥
فلا يكون لمجازاتهم بجهنم أي معنى حيث لم يؤخذ عليهم العهد ، ان
غرض الباطنيين هو تأييد يختلقونه لدينهم بأي دليل كان حتّى ولو اصطدم
مع القرآن والسنة وجميع الأفهام والمفاهيم ، وهذا قد اتضح لنا من قبل
ولكن الرد عليهم من هذه النقطة كان لتبيان ضعف السبب الأول الذي اعتبره
الكرماني موجبا لأخذ العهد ، وليس بمستبعد أن يكون وضعه في ذلك ٢٠
المكان لمجرد صرف الكلام باستعمال الألفاظ المزخرفة ، وعلَى ذلك فان السبب
الثاني هو المقصود ولكن علَى وجه آخر كما سيتضح :

---

١. نقلا عن مجموع رسائل الكرماني . الرسالة الكافيه ص ٤١١ انظر ذلك في المجالس والمسايرات هامش ص ٥٤٧

* فاطر ٣٧

يطيب للباطنيين أن يصوروا أنفسهم في مكان المقهور والمظلوم والمعتدى
عليه تبريرا لنهج اتخذوه لأنفسهم وأعني به " التأويل الباطني " والأخذ
بالسرية المطلقة في تنظيم الدعوة ... الخ . كما يوحي بذلك نص
الكرماني السابق . وقد سبق نص باطني آخر يقول ان أول من اتخذ
السرية في الدعوة كان آدم عليه السلام (ر. ص ٣١٠) . فصارت ٥
سنة يقتدى بها ، وفي تعليلهم لغموض تاريخ دعوتهم ، أن سبب ذلك
مالا قوه هم وأئمتهم من اصناف الاضطهاد والنفي والقتل منذ وفاة رسول
الله (ص) وحتى آخر أئمتهم المستورين[1] . وأن جعفر بن محمد
اضطر الى اخفاء أمر الدعوة الى محمد بن اسماعيل سترا عليه وخوفا من " الضد "[2] .

كل هذا يوحي بأن للقمع الفكري والاضطهاد والتنكيل دور في تكوّن ١٠
الفرق الباطنية ، وقد لمّح المستشرق (دى بور) الى ذلك في تعليله
ظهور الفرق السرية في العالم الاسلامي فقال :

نستطيع أن نقول ان الجماعات التي تتكون
على هذا النحو ... تتألف عادة في البلاد التي
يضيّق فيها على حرية الفكر[3] . ١٥

من الخطأ انكار خطورة القمع الفكري والاضطهاد والتنكيل الا أن ما ادعاه
الباطنيون ومن تعاطف معهم حول هذه النقطة يحتاج منا الى اعادة
نظر ، لا سيما وأن (دي بور) لم يستطع أن يعلن ذلك صراحة في
تلميحه الذي يمكن للباحث أن يستشف منه عدم اليقين . وعليه فان على
من يتصدّى لهذه النقطة أن يقف على انتشار المذاهب الفكرية المختلفة أبان ٢٠

---

١. انظر : مخطوطة مجالس حاتم ق ٥
٢. انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٥٠
٣. تاريخ الفلسفة في الاسلام (الترجمة العربية) القاهره ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٧ ، ص ٩٦ .

العصر العباسي بالذات وهو العصر الذي انتهج الباطنيون فيه السرية حين قالوا بالأئمة المستورين .

في هذا العصر مثلا نجد جمعيات سرية في أكثر الدول التي تقول بتقديس حرية الفكر ، كما هو حال الجمعيات الماسونية وجمعية الكوكلوكس كلان والألوية الحمراء . ٥

واذا افترضنا صحة دعوى وجود قهر فكري أدّى الى تكوين الفرق الباطنية أيام العباسيين فكيف يمكننا تفسير وجود دولة ذات قوة واقتدار وتكون السرية منهاجا لدينها الذي تدين به وهذا هو الحال السائد في جميع مراحل الدولة العبيدية التي لم تتخل الدعوة الباطنية فيها عن سريتها ؛ ففي السجل الذي وُجه الى أحد ١٠ الدعاة في تلك الدولة بتنصيبه داعيا للدعاة ؛ نجد الامام العبيدي يقول في مرسومه :

> وخذ العهد على كل مستجيب راغب ، وشد العقد علَى كل منقاد ظاهر ممن يظهر لك اخلاصه ويقينه ... ولا تلق الوديعة الا لحفاظ الودائع ١٥ ولا تلق الحب الا فى مزرعة لاتكدي على الزارع وتوخ لغرسك أجل المغارس ... وصن أسرار الحِكم الا عن أهلها ولا تبذلها الا لمستحقيها ... واستخدم كاتبا دينا أمينا مؤمنا بصيرا عارفا ، حقيقا بالاطلاع على أسرار الحكمة التي أمر الله بصيانتها وكتمانها عن ٢٠ غير أهلها .[1]

---

١. محمد عبدالله عنان . الحاكم بأمرالله ، القاهرة ، دار النشر الحديث ، د . ت ، ص ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ نقلا منه عن صبح الأعشى

نرى في النص مدى التأكيد على السرية وأخذ العهد كل هذا يحدث من حاكم باطني لدولة مذهبها باطني ولها من السلطان والقوة ما ملكت به الشام واليمن والحجاز ومصر وشمال افريقيا ، وفوق ذلك تعد هذه الدولة أتباعها بأنها ستتملك رقاب العالمين وأن خيولها ستدوس بطون بني العباس[1] ．   ٥

ان هذا يجعل الباحث يستبعد تماما أن يكون الغرض من السرية عامة وأخذ العهد علَى المستجيب خاصة ، هو الخوف من بطش الأضداد ．

ان الأمر أكبر من ذلك كثيرا لأن الغرض والهدف أكبر من اقامة دولة تنتسب الَى أهل البيت — فقد كان الباطنيون يتسترون خلف دعوى القائم من أهل البيت النبوي — ان الهدف الحقيقي هو هدم الاسلام   ١٠ واقامة عقائد لا تمت اليه بصلة ، وأن الذي يخطط لهذه المهمة قوًى خفية سرية وقد دل على ذلك من قبل العقائد الباطنية ، وتؤكده هنا أساليب تلك الدعوة ، وهذا ما ذهب اليه كثير من المحققين المسلمين وخاصة "أهل السنة" منهم فاتهموا للأسف بالحقد وتشويه الحقائق ．

ان أخذ العهد علَى المستجيب — في صورته هذه — أسلوب استهوائي   ١٥ الغرض منه السيطرة الكاملة على المستجيب ، فهو "الربط" كما سماه الامام الغزالي ، بل هو كما وصفه محمد بن الحسن الديلمي بقوله :

واعلم ان مثل هذا العهد والدخول تحته الا[؟]
مثل رجل صحيح سليم بصير لاحائل بينه وبين
ما يريد رؤيته ، فقال له غيره : دعني حتى أجعل   ٢٠
على عينيك حجابا حتى أقودك الى النجاة فساعده على
ما أراد فهل أضل عقلا منه[2] ．

---

١. انظر : القاضي النعمان ． افتتاح الدعوة ، (الدرشراوى) ص ص ٣ ، ٧٣
٢. قواعد عقائد آل محمد ص ٤١

هذا المثل الذي ضربه الديلمي واقع في المحافل الماسونية التي تجسّد لنا الطريقة الباطنية في التدرج فعندهم يضع " المرشد " - والمرشد اصطلاح باطني معروف يؤدى نفس المعنى كما سيأتي (ر. ص ٣٤٢) - على عيني طالب الانتساب للدرجة الأولى للمحفل الماسوني قطعة سوداء، وفي عنقه حبلا ، ويقوده المرشد لتتم مراسيم الانتماء الى الماسونية (ر. ص ٣٤٤).[١]

صيغة العهد : ان العهد الذي يأخذه الباطنيون علَى المستجيب عهد غليظ شديد موثق بالايمان التي تبعده عن كونه مجرد عهد ، بل تذهب به الَى قيد المستجيب حتى ما يستطيع حراكا وقل أن تخلو كتب الباطنيين من التذكير بالعهد حتى كاد يصبح من مستلزماتها بعد البسملة والحمدلة والتصلية . صوّرت "الرسالة الجامعة" العهد علَى أنه :

العهد الذى أخذه الواحد المنبعث من
الأحد ، الفرد الصمد المنزه عن الوالد والولد
لا اله الا هو . على ثانيه ... فخذ هذا العهد
الشريف علَى من ألقيت هذه الرسالة اليه ، ومننت
بها عليه ، ومره بأخذه علَى من يهم بالقائها اليه . كذلك
السلف عن الخلف . والأول على الثاني ، حتى تصل
الى من أراد الله ويظهر عليها من يشاء من عباده .[٢]

---

١. انظر : محمد على الزعبى . الماسونيه فى العراء ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الزعبى ، ١٣٩٥ ، ص ص ٢٥ ، ٢٦

٢. الرسالة الجامعة . ص ص ٢١ ، ٢٣ .

وأما الداعي الحارثي فيقول :

وأنا آخذ عليك عهد الله المؤكد وميثاقه
المغلظ المشدد الذي أخذه علَى أسمائه النورانيين
وصفاته الروحانيين ، وملائكته المقربين ، وأنبيائه المرسلين
وأوصيائه الطاهرين وأئمتهم الميامين ، وحدود دينه ٥
اجمعين ، من أهل السموات وأهل الأرضين علَى كل
من وقع كتابي في يديه وحصل لديه من خاص وعام ،
وعالي الرتبة ودان ، أن لا قرأه ولا وقف عليه الا بأمر
من ذوي الأمر ، ولا اباحه وبذله وأطلع عليه الا من
يكون اخانا حقا يرَى برأينا ، ويقول في فضل ائمة ١٠
الحق بقولنا .[1]

والداعي المجهول صاحب " مسائل مجموعة من الحقائق العالية والدقائق والأسرار السامية " يقول :

وأنا آخذ عليك عهد الله تعالَى وعظيم الميثاق
الذي أخذه علَى ملائكته المقربين وانبيائه المنتجبين ١٥
وائمة دينه الهادين وحدودهم الميامين والا فانت
بريء منهم أجمعين .[2]

ان النماذج السابقة تشير الَى عهد خاص بالكتاب الذي نقل منه ، وهي في مجموعها توضح للقارئ الكريم صورة من صور العهد الباطني ، وواضح فيه أسلوب الترهيب والترغيب . ٢٠

---

١. الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص٧٨
٢. مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٥

ولا يبتعد أسلوب أخذ العهد على المستجيب عن ذلك كثيراء، لأن الذى يظهر أن الباطنيين أطلقوا الحرية لدعاتهم لاختيار أغلظ الايمان والمواثيق ، حسب مكان وزمان أخذ العهد ، وتوضح ذلك الصيغ المختلفة الآنفة الذكر للعهد ، وهذا عهد آخر لأحد الأئمة النزاريين المتقدمين : ٥

اقسموا بمولاكم العلي العظيم ، وبالعرش الرفيع ، والكرسي المنيع الجواد الكريم ، الحاضر الموجود ، الغائب الغير[كذا] مفقود ، بالأمر الالهي ، والابداع الغير متناهي ، له الملك والقدرة الأبدية ، والكلمة الأزلية السرمدية ، والنفس الناطقة القدسية ، على ١٠ كل نفس بما كسبت ، وما أسلفت ، وبالعهد القديم تمسكت . لا تكونوا لعهدنا ناكثين ، ولأمرنا غير طائعين ، لاتبدل النفوس في رضا الملك القدوس ، والخروج من المحسوس ، والتخلص من العالم المنكوس .

فمن بدلها أبعدناه ومن باعها أنزلناه ، بما له من ١٥ النعيم ، مجاورا للرب الرحيم . فيا ربح من باع ويا خيبة من أضاع ، أنتم اخوان في الرضاع ، تترقّى نفوسكم بالانصياع ، ومن كفر خسر وضاع ، في دار البوار الذي ليس له قرار ، والمستغيث منها لا يجار ، من الكبرياء والافتخار ، والاستماع الى الفجار ، ونعوذ بالله ٢٠ من الأشرار الذين خسروا أنفسهم فلهم اللعنة وسوء الدار . ومهما بدّلنا [كذا] لكم من عهد فصونوه ، وأودعوه للمؤمنين يعرفوه من بعد امتحان فأوصلوه ، ولا تدعوه

وتتركوه ، فالعهد لأبناء الحقيقة واخوان الطريقة ، المتمسكين
بالعلاء من الخليقة ، والسلام على من اتبع الهدَى ، والحمد
لله رب العالمين[١] .

وهذا نص آخر يوضح لنا المراسيم التي تتبعها الفرقة الباطنية النزارية
في أخذ العهد :— ٥

يحلف المريد [= المستجيب] فيقول : أقسم بالله الذي
لا اله الا هو الحي الجبار القهار الطالب الغالب عالم
الغيب والشهادة والنقص والزيادة ، القائم على كل
نفس بما كسبت القوي الشديد الآخذ لها بما ظهرت
وأضمرت ، العليم بما في الضمائر ، الخبير بمكنون السرائر ١٠
الذي لاتخفَى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا تفوته
غوامض الأشياء ، الذي من أقسم به كاذبا واستشهده باطنا
[؟] استحق الخزي والخذلان وحلَّ في مقام السخط
والهوان ، وأقسم به ثانيا وثالثا ورابعا كما أقسمت به أولا ، وأقسم
به وبجميع أسمائه الحسنَى وصفاته العليا ، وأشهد ملائكته ١٥
المقربين وأرواح أنبيائه المرسلين ونفوس الصادقين والصالحين
من عباده العارفين أنني طالب راغب المذهب الاسماعيلي
من خالص اعتقادي وصميم فؤادي ، اعتقاد لا يشوب
باطنه الدنس ولا الشك ولا الريب ولا الشبهة في الايمان
وليس لي قصد في هذه الرغبة الا تحقيق أمر الدين ، وطلب ٢٠
معرفة حقيقة اليقين ، وتصحيح الاعتقاد والدخول مع الفرقة

---

١. رسالة " فرمان مبارك " انظرها في : مصطفى غالب ، سنان راشد الدين شيخ الجبل الثالث ، بيروت ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٧ ، ص ص: ٨٠ ، ٨١ .

الناجية من الطغيان والفساد ، ومعرفة مولانا صاحب الوقت وامام الزمان ، واني اذا فهمت منه أمرا ، وعرفت منه سرا أكتمه وأخفيه عن من لايعتقد كمعتقدي ، ولا أظهر لأحد من الخلائق لا بقول ولا بنية ولا اشارة ولا عبارة ، ولا تكتبه يداي ، ولا ينطق به لساني ، وان أضمرت خلاف ما أنطق به ، أو كنّيت أو نسيت أوتخليت أو تفكرت أو تموهت أكون كافرا بالله وبرسله وأوليائه وملائكته وكتبه ، وأكون محاربا لهم ومنكرا أمرهم ومخالفا قولهم وذابحهم وشارب دمائهم وبريئا منهم في الدنيا والآخرة وخارجا من دين الاسلام والايمان والمروءة والفتوة ، والله على ما أقول شهيد ،

فاذا حلف المريد كما ذكرنا بعد تجربة الامتحان يقرأ المرشد :

" ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما * " ، " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ** "

ثم يفتح عليه المرشد [؟] ويدرجه بين يدي الجماعة فأول ما يعطيه ، البسملة والتشويق ثم الشهادة الالهية ثم معرفة الموجودات ثم كيفية الاعتقادات ثم تأويل المعتقد

---

* الفتح ١٠
** الزمر ٧٥

ثم معرفة مرتبة الامام ثم تحقيق التوحيد ، فهذه السبعة فصول مع الفصل الأخير ، هي الغاية للدخول والطريق للوصول [١].

وللامام "الغزالي" صيغة أخرى للعهد الباطني ، ويميز هذه الصيغة أن الداعي (= المرشد) هو الذي يقرأ العهد ، وما علَى المستجيب الا أن يقول في النهاية : نعم [٢].

وأورد المقريزي في خططه صيغة للعهد الباطني ، ولكن الباحث لا يرى أهمية لوصفها لأن الذي يظهر أن فلسفة العهد عند الباطنيين واحدة.

العهد الماسوني : ان الماسونية مثل الباطنية لا تختلف عنها في هذا الأمر ، فان لهم في أخذ العهد علَى المستجيب طريقة لاتختلف عن مثيلتها الباطنية ، وهذا تسجيل لذلك المشهد :-

أين نحن الآن ؟ هل المحفل [مكان ممارسة الطقوس الماسونية] مغلق ؟ هل هو محكم الاغلاق ؟ هل تتأكدون سلامته من غريب ؟ [كذا] ويسمع أجوبة متقاربة ، خلاصتها ، نحن في محفل سليمان . والمحفل مغلق محكم .

يقدم طالب الانتساب [= المستجيب] طلبا خطيا علَى نسختين احداهما للمحفل والثانية للشرق [ربما كان هذا الاصطلاح يعني مجمع المحافل في المنطقة] مشتملا علَى اسمه وكنيته وعنوانه ومهنته وعمره ، مرفقا بصورتين شمسيتين مصدقتين من مختار المحلة ونسختين من السجل العدلي ، ويستعاض عن هذه ، التزكية ، من ماسونيين ، أو من كلِّي الاحترام . [ربما كان لقبا ماسونيا] وحده .

---

١. الداعي شمس الدين الطيبي . رسالة الدستور (عارف تامر ، أربع رسائل) ص ص ٧٣ ، ٧٤ .

٢. انظر : فضائح الباطنية ص ص ٢٨ ، ٢٩ .

ويرفق الطلب بمبلغ لا يقل عما يعادل عشر ليرات لبنانيه ، وفيه يتعهد الطالب بدفع جميع الرسوم قبل التكريس * .

يعرض الطلب في الجلسة ، فيجري التداول ، واذا تمت الموافقة ، حددت جلسة التكريس وأحيط الطالب علما بها .

يزور الطالب المحفل بالوقت المحدد ، فيستقبله المرشد ويدخله غرفة مظلمة (تدعى غرفة التأمل) مشحونة بالهياكل العظمية ، والجماجم والحيات النحاسيه وعظام ساعدي الانسان أو فخذيه .

ثم يجرد من ثيابه ومما معه من المعادن ، حتى الساعة والخاتم ويكشف ذراعه الأيمن والجانب الأيسر من صدره ، وركبته اليمنى . ويكرر صاحب السِّدة السؤال قائلا :

هل لاتزال مصرا على طلب النور الماسوني ، فان أصرّ على كلمة نعم ، وضع المرشد على عيني الطالب قطعة سوداء وفي عنقه حبلا ، وأخرجه من الغرفة نحو باب الهيكل المغلق . ثم ان المرشد يطرق الباب طرقة مزعجة ، فيقول الحارس الداخلي : من الطارق ؟

---

* التكريس : هو التأسيس فيقال : كرسى البناء . وهو التخصيص . فيقال كرس الشيء له وكرس نفسه على الشيء ، وقفها عليه انظر : المنجد . مادة كرس ص ٦٨٠ ط ٢٢ والكلمة غير موجودة في مختار الصحاح في نفس المادة والكلمة نصرانية دخيلة انظر ط ١٥ ، ص ٧٢١ سنة ١٩٥٦ .

المرشد : طالب فقير في حالة الظلام ، سبق وطلب انتسابه ودخوله الماسونية مختارا ، وهو الآن آت ليكتسب النور من هذا المحفل الموقر .

الحارس : بم يأمل هذا ؟ .

المرشد : بطيب السيرة وحرية النسب . ٥

ينقل الحارس هذا للرئيس ، المتربع على السدة — سدة سليمان — فيأمر بادخال الطالب قاعة الحفل ، يقوده المرشدان ، ويطوفان به سالكين طرقا ملتوية ، ولا يكاد يتعثر حتّى يقبلا عثرته وما أن يمر على الصفوف وصاحب السدة فيسألوا : من هذا وبم يأمل أن يرَى النور ؟ ١٠

ليجيب المرشد : بطيب السيرة وحرية النسب . حتّى يقولوا مرّ يا حر النسب .

ثم يوقف الطالب بين العمودين ، ويتعرض لأسئلة من الرئيس ، وهذا يختمها قائلا :

(أنت قادم على امتحان شديد ، ستقسم علَى الكتاب المقدس بشرفك وذمتك ، وتوقع بمداد دمك ، فهل لاتزال مصرّا ؟ ان معك وقتا كافيا للتفكير ، ولك حق الانسحاب قبل القسم) . ١٥

أما الطالب فيظهر اصراره ويعلن رغبته والحاحه ، فيسقيه الرئيس كأسا من الماء العذب ، فكأسا من الماء المر ولايكاد يشمئز حتى يقول الرئيس : ٢٠

((حياة الانسان معرضة للمرارة أيضا فعليك أن ترضى لتكون سعيدا)) .

ويأمر الرئيس بمسح يد الطالب بالتراب ، ويركع الطالب على ركبته اليسري متخذا من اليمين زاوية قائمة ويستعد للقسم واضعا يده على كتاب مقدس (عهد قديم . انجيل . قرآن) وهو موضوع على منصة يعلوه الزاوية والبيكار .

(لقد طال مكوثك في الظلام ، والجمعية التي تحاول الانتساب لها قد تكلفك آخر نقطة من دمك ، فهل لاتزال مصرّا على الانتساب) .

فان أجاب : نعم ، قيل له :

— ماذا تتمنّى الآن ؟

— النور .

الرئيس : ليعط النور .

ولا يكاد يرفع الغطاء الأسود عن عيني الطالب حتى يرى سيوفا مسلولة موجهة الي قلبه ووجهه . وفي هذه اللحظة يقول الرئيس :

(ان هذه السيوف ، للدفاع عنك عند الحاجة ، وللفتك بك ان خنت عهودك ومواثيقك وأقسامك ، والحبل الذي في رقبتك ، هو لخنقك ان بدا منك حركة أو اشارة تدل على النكث بالأقسام .

قبل لحظات كنت أجنبيا عن عشيرتنا وكنا نخاطبك ب (الطالب) .. أما الآن فقد أصبحت أخا ماسونيا لك ما لجميع الاخوان وعليك ما عليهم .[١]

---

١. الزعبي . الماسونية في العراء ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الزعبي ، ١٣٩٥ ، ص ص ٢٤ — ٢٨

ان صيغة العهد والطقوس والتكريس متشابهة لدى الماسونية والباطنية كما يبدو للقارئ الكريم من حيث المظهر . كما يلاحظ التشابه في نقطة أخرى تتضح في نص الزعبي وهي أن الماسونيين مع اصرارهم التنويه بأن المحفل محفل سليمان الا أنهم لا يطلبون من المستجيب الذي سينتمي الى الدرجة الأولى حين يقسم الا أن يقسم على القرآن اذا كان مسلما وعلى العهد الجديد ان كان مسيحيا وعلى العهد القديم ان كان يهوديا ، وفي هذه النقطة ما فيها لمن تدبره وهذا معروف عند الباطنيين ويسمونه " البناء على الاعتقاد السابق "[1] . ان كلا الطرفين لا يطلب من المستجيب التنكر الفوري لما كان يعتقد بل ان الباطنيين قد يمتحنونه بذلك على سبيل التجربة (ر. ص ٣٣١) ولكنهم لا يزالون يوحون اليه تدريجيا أن ما كان يعتقده في السابق لا يتقبل منه كعقيدة وهذا ما يسمونه في الباطنية بالرضاع لأنهم يلقنونه علم الباطن حتى لا يؤمن بسواه وهو الترقي في الباطن . ومثل ذلك في الماسونية نجد أنهم يفهمونه أنه في محفل سليمان منذ اليوم الأول ولكنهم في تكريس الدرجة الثالثة والثلاثين لا يقبلون منه القسم على القرآن الكريم مثلا كما هو الحال في تكريس الدرجات الدنيا بل لابد أن يقسم على العهد القديم[2] .

هناك نقطة أخرى وهي التشابه في التدرج الباطني ومثيله الماسوني بعد أخذ العهد على المستجيبين ، فالباطنيون كما قال الداعي الكرماني " .

---

١. انظر : الديلمي . قواعد عقائد آل محمد ص ص ٢٧ ، ٢٨ والغزالي .فضائح الباطنية ص ٢٣ ، وانظر : الداعي القاضي النعمن . افتتاح الدعوة ص ٩/ ١٥

٢. انظر : الماسونية في العراء ص ١١٩

اذا استجاب الواحد منهم صار مؤمنا ثم صعد
فصار مكاسرا ثم صعد فصار مأذونا ثم صعد فصار
داعيا ، ثم صعد فصار حجة ، ثم صعد فصار
بابا ولا يحصل ذلك الا الآحاد والأفراد ... وذلك
لمن صابر على العلوم الالهية ورقي في الدرجة ٥
الدينية وكان عنده أيضا شيء من الأسرار القديمة
فبذلك يحوز بهذه الرتب ؟ [١]

والماسونيين كذلك . فان الارتقاء في درجاتها انما يكون على مراحل
أيضا . ولنلاحظ أن هناك درجتين ماسونيتين يكون الوصول اليها من
الصعوبة بمكان ولابد فيهما من توفر شرطين في المريد وهذان الشرطان ١٠
لايبتعدان كثيرا عن شرطي الكرماني : ١ـ المصابرة في العلوم الالهية ،
٢ـ أن يكون لدى الشخص شيء من الأسرار القديمة ، يقول الزعبي :ـ
١ـ درجة الرفيع : درجة فوقها المحفل الكوني ،
ودونها جميع الدرجات ... لايطمع بها الا اليهود ،
ومن فازوا بالتهود ، بصعود الدرجات الماسونية ١٥
بكفاءة واخلاص لهيكل سليمان .
ظفر بها كثيرون ، لاسيما من الانكليز ، وكانت سبب استماتتهم
في سبيل الهيكل [هيكل سليمان] وحدثنا عنهم كتاب
العقد الملوكي * بما نصه :

---

١. الداعي حاتم . رسالة بذر الحقائق (عادل العوا . المنتخبات) ص ص : ١٦٩ ، ١٧٠

* ذكر الزعبي أن هذا الكتاب من الكتب السرية الماسونية التى لاتمسها يد العميان وأنظر فى أمر العميان : الماسونية فى العراء ص ص ٧٨ـ٨١

" وقد كان لأسرار هذه الدرجة تأثيرعظيم علَى
جمّ غفير من الاخوان الانكليز ذوي النفوذ والأفكار
الحرة ، الذين لايزالون يحفظون اعتقادات اسرائيل
الأصلية ، اذ أن لنا اصدقاء دائمون[؟] هم
الانكليزوأعداء دائمون هم العرب وفي رأسهم ٥
المصريون [كذا]. [١]

وعلى ذلك فان التوافق بين الماسونية والباطنية ظاهر لايحتاج
الى تنبيه خاصة فيما يأتي :ـ

١ـ العهود التي توخذ علَى المستجيب أوطالب الانتساب وفي المراسم
والطقوس المصاحبة لذلك عند كل . ١٠

٢ـ التدرج في المراتب،

٣ـ السرية والكتمان.

سبب التوافق بين الماسونية والباطنية :

ما هو سبب التوافق بين المذهبين الماسوني والباطني ؟ هل هو
المصادفة ؟ أم أن اسلوب الدعوات السرية القديمة (ر. ص ٣٥٠) أثر في ١٥
كلا الفريقين ؟ أم أن الماسونية قديمة قدم اليهودية ، وأنها هي التي
صنعت الفكر الباطني ؟ أم أن الماسونية تأثرت بأسلوب الدعوة الباطنية .

١ـ ان عنصر المصادفة غالبا لا يمكن أن يكون دليلا على التشابه والتوافق
لاسيما ماكان على نمط الباطنية والماسونية لأنهما مظاهر لأفكار
ملأت حيزا مكانيا وزمانيا واسعا ، وعليه فان عنصر المصادفة بعيد الاحتمال ٢٠

---

١ الماسونية في العراء ص ١٤٧

على الأقل فيما نحن بصدده •

٢ــ أما كون الديانات السرية التي انتشرت في المنطقة هي المعنى الذي استقى منه الباطنيين أسلوب الدعوة عندهم ، فهو موضوع جدير بالدراسة لاسيما وأن هناك شبه تطابق بين مراتب الدعوة الباطنية ومثيلها في الديانة الميثرائية *[١] •

ان المرحلة الزمنية التي عاشتها الميثرائية — قبيل الاسلام — وعدم استمرارها — كما تدل المراجع المتوفرة — كل هذا يؤدي الى التحفظ في اصدار حكم حول هذا الموضوع • والباحث يقترح في حالة القيام بدراسة حول علاقة الماسونية والباطنية بالديانة الميثرائية الأخذ بعين الاعتبار ما يأتي :ــ

أ ــ الفترة الزمنية التي ازدهرت فيها الميثرائية والتي اضمحلت فيها ؛

ب ــ منافسة الديانة المذكورة للمسيحية وتأثيرها فيها [٢] ؛

جـ ــ الاتهام الذي وجهه السير "جون أ ، هامرتن" أسقف كاندرائية القديس بولس بلندن لليهود الذين اعتبر ديانتهم مسئولة عما وجد في المسيحية من آثار الديانة الفارسية [٣] •

د ــ ما ذكر من أن " جيبون " و " تونبي " أشار الى دور اليهود في هدم الحضارة الرومانية حين أثاروا الفساد في المجتمع الروماني مما عجل بانهيار حضارتهم [٤] ، ومقارنة ذلك بما قيل عن انتشار الميثرائية بين الجنود الرومان [٥] •

٣ــ ان الاحتمال القائل بأن الماسونية قديمة قدم اليهودية يؤدي الى القول بأن الباطنيين ليسوا سوى حلقة في السلسلة الماسونية •

---

* الديانة الميثرائية ديانة فارسية ظهرت في المنطقة قديما •

١. انظر : ايمار وزميلته روما — امبراطوريتها ، بيروت • عويدات ، ١٩٦٤ ، ص ٤١٥ •

٢. انظر : أحمد شلبي • المسيحية ، ط ٤ ، ص ص ٧٧ ، ١٥٤

٣. انظر : تاريخ العالم جـ ٤ ، (الترجمة العربية) القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، د • ت ، ص ٧١

٤. انظر : أنور الجندي • المخططات التلمودية •• في غزو الفكر الاسلامي ، القاهره دار الاعتصام ، ١٩٧٧ ، ص ٢٠٧ — ٥ — انظر : تاريخ العالم ٤ / ٧٤

ويلاحظ عن يهودية الماسونية أن المستشرق الهولندي " دوزى " عرف الماسونية بأنها:

جمهور كبير من مذاهب مختلفة يعملون لغاية واحدة هي اعادة الهيكل اذ هو رمز دولة اسرائيل.[١]

ان الماسونيين أنفسهم لم ينفوا هذه التهمة عنهم ، فقد أكد أحد كتبهم أن مقتل " حيرام " مهندس هيكل سليمان هو السبب الذي من أجله وجدت الماسونية أي البنائون الأحرار.[٢] كما قالت دائرة المعارف الماسونية الأوربية (ط فيلادلفيا ١٩٠٦) أنه :—

يجب أن يكون كل محفل (ماسوني) على نمط الهيكل اليهودي . وكل رئيس محفل يمثل ملكا يهوديا ، وكل ماسوني هو تجسيد للفرد اليهودي.[٢]

واليهود أنفسهم يثبتون انتساب الماسونية اليهم ، فنجد في دائرة المعارف اليهودية (٣/٤) أن :

لغة الماسونية الخفية واشاراتها ورموزها وطقوسها كلها أفكار ومترادفات يهودية.[٣]

وكذا ما ذكرته صحيفة جويش تريبيون (نيويورك ١٩٢٧/١٠/٢٨) :

تعتمد الماسونية على اليهودية . اطرح تعاليم اليهودية ومبادئها من الطقوس الماسونية ، فماذا يبقى ؟[٣]

وقال اسحق م . وايز في (The Israelite : ١٨٥٥/٨/٣) :

ان الماسونية هى تنظيم يهودي : تاريخها ، رتبها ، عقوباتها كلمة السر التي تستخدمها .. كلها يهودية .. ولكن باستثناء رتبة ثانوية واحدة ، وعدد قليل من الكلمات التي تستعمل فى حالات طارئة نادرة.[٣]

---

١. الزعبى . الماسونية فى العراء ، ط ٢ ص ١٧
٢. انظر : الأصول الماسونية للمحافل المصرية الوطنية ، القاهرة ، مطبعة الآداب ١٨٨٩ ، ص ص ٢٩ — ٣٧
٣. زهدى الفاتح . اليهود ، ط الأولى ، بيروت ، ١٣٩٢ ، ص ١٦٢

لقد تبين للقارىء الكريم توافق الباطنية والماسونية وتوافق اليهودية والماسونية بل ان اليهودية في الحقيقة هي صانعة الماسونية ، وعلى ذلك لا يمكن استبعاد الفكرة القائلة ان الدعوة الباطنية ليست الا جناحا ماسونيا في أصلها . وهذا يضعف الاحتمال الذي يعتبر الماسونية صنيعة باطنية استنادا على ما قيل من أن تأسيس الماسونية كان عام ١٧١٧ . ٥

ويستخلص من كل ذلك أن كلا أسلوبي الدعوة الباطنية ، والماسونية من المحتمل أن يكونا نابعين من مصدر واحد هو المصدر اليهودي .

~~~~~~~~
~~~~~~~~

الفصل الثاني : الدعاة الباطنيون

ان التنظيم الباطني للدعاة في الحقيقة جزء من الدعوة الباطنية ، وقد تميز بالدقة المتناهية مما أثار الدهشة في كثير من الأوساط ، ولكن هذا التنظيم أثار الى جانب ذلك تساؤلات عديدة نظرا لأنه سخر لخدمة أفكار متضاربة وعقيدة متنافرة المعالم اتضحت من خلال دراستنا لتلك العقيدة • وهدف هذا الفصل هو الاجابة على تلك التساؤلات من خلال ما يتيسر للباحث من مقدمات •

ان التنظيم الخاص بالدعاة الباطنيين في حد ذاته مما قد تسهل دراسته للوهلة الأولى ذلك أنه قد يرتكز على مفاهيم رياضية لاتقبل الجدل •

أما تاريخ أولئك الدعاة ، فانه مليء بالسرية والحلقات المفقودة في مختلف جوانبه الفكرية والحياتية ما يجعلنا نفتقد بعض المتعة أثناء سبر أغواره وقبل الحصول على نتائج •

التنظيم الخاص بالدعاة :

بالنسبة للفرق الغالية التي ظهرت قبل وفاة جعفر بن محمد (- ١٤٨) فانه من الصعب القول بوجود تنظيم خاص بدعاتها ، وما قيل عن الدعاة العباسيين لا يمكن مقارنته بما وصل اليه التنظيم عند الباطنيين الاسماعيليين بعد ذلك • وعليه فان بداية تنظيم الدعاة الباطنيين لا يمكن تصورها قبل " ميمون القداح " الذي تدعي المصادر الباطنية أنه تسلم كفالة محمد بن اسماعيل بعد وفاة جده جعفر بن محمد (ر• ص ٤٣١) •

وكذلك الأمر بالنسبة للبداية الحقيقية لتنظيم الدعاة ، لا يمكن مقارنتها بما تطور الأمر اليه بعد ذلك ففي " الرسالة الجامعة " نجد صورة عن ذلك حين تقول :-

وقد أقمنا لكل طبقة من طبقات طوائف الأمة الذين
عمتهم دعوة الأنبياء قوما يدعونهم الينا ويدلونهم علينا ،
ويعرفونهم بقدومنا ، ويعدونهم بظهور أمرنا .[١]

ومع عدم اغفال ما يقوله الباطنيون بعد ذلك من أن الدعوة قديمة قدم البشرية ومقارنته بهذا النص وقول " مصطفى غالب " عن مؤلف " الرسالة الجامعة " أن في عهده انتقلت أنظمة الدعوة من دور التأسيس والتكوين الى طور العمل[٢] فان الباحث يحتمل أن التنظيم الخاص بالدعاة الباطنيين تعرض لتغيرات مختلفة وليس هو هو ذلك الذي بدأت به هذه الفرق .

الدعاة الباطنيون والأعداد :

ان اعتماد الباطنيين على الأعداد معروف لدينا من قبل (ر° ص ١٩٩) وان جانبا هاما كجانب الدعوة والدعاة لابد أن يخضع أيضا الى تنظيم له علاقة بالأعداد ، وقد قالت " الرسالة الجامعة " بدعاة سبعة الا أنها لم توضح ما يتبع كل داع من الأعوان وان أشارت الى وجود أعوان يتصل بعضهم ببعض كحبل طرفه بيد الله والطرف الآخر بيد من تمسك به[٣] وهي اشارة مباشرة الى أن فكرة الحبل المتصل بالله هذه مما يعول عليه الباطنيون ، ولا أستبعد أنها سبب لتسليم أبي عبدالله الشيعي الأمر للمهدي عبيد الله .

وذكر كتاب " استتار الامام " أن الدعاة الذين اجتمعوا في " معسكر مكرم " لبحث أمر اختفاء امامهم " عبدالله الأكبر " كانوا سبعة نفر[٤] ، والحادثة متقدمة التاريخ وان كان مؤلف الكتاب متأخرا .

---

١. الرسالة الجامعة ص ٥٢٦
٢. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ١١٠
٣. انظر : الرسالة الجامعة ص ٥٣١
٤. انظره في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٩٣

ولا ننس أن " الطبري " ذكر في حوادث سنة ٢٧٨ أن المجهول الذي اتخذ من قرية " النهرين " بسواد الكوفة قاعدة له أقام لنفسه اثني عشر نقيبا من المستجيبين له [١].

وأهمية السبعة والاثني عشر ليست بغريبة علينا في الفكر الباطني وهي جلية في تنظيم الدعاة .

ثمة شيء آخر وهو : رغم اعتراف " جعفر بن منصور اليمن " بأهمية العددين سبعة واثني عشر في مسألة الدعاة الا أنه صرح بأن الامام الباطني قد يقوم بالدعوة بنفسه :

بأن يقوم بمقام الحجة ومقامات الدعاة كلها [٢].

ان الباحث سيأخذ هذا النص مأخذ الجد لاسيما وأن الظن وارد في أن كثيرا من محتويات هذا الكتاب تتحدث بلغة أقدم من الكتاب نفسه بحيث يبدو وكأنه لا يعبر الا عن الفترة السابقة القديمة التي يسميها الباطنيون — دور الستر — .

وعلى ذلك يستبعد تماما ما قيل من أن الدعوة الباطنية في أول أيام القداحيين أو دور الستر . كانت منظمة ذلك التنظيم الذى كانت عليه بعد ذلك . ويؤيد هذا المذهب . قصة ملاقاة منصور اليمن للامام الباطني على شاطئ الفرات ومباشرة الامام نفسه مهمة الداعي المكاسر له (ر. ص ص ٣٢٨) وهي أدنى درجات الدعاة

كما يؤكد ذلك ما رواه ابن النديم عن كتاب ابن رزام من أن القداحيين كانوا يقومون بجولات في مختلف البلاد وبمختلف الأساليب للدعوة التي الباطنية [٣]. وقد أكد برنارد لويس هذه النقطة [٤].

---

١. تاريخ الطبرى ١٠/ ص ٢٤
٢. مخطوطة الشواهد والبيان ص ٩٤ وأنظر أيضا ص ص ٩٣،٩١،٦١
٣. انظر ابن النديم ص ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .
٤. انظر : اصول الاسماعيلية ص ٥٩ .

أما ما ذكره ابن النديم أيضا عن وجود عملاء لميمون القداح في جميع البلاد يبعثون اليه الأخبار بواسطة الطيور ليخرق علَى الناس بهـا ، فليس دليلا علَى انتشار الدعوة كما أنه ليس دليلا علَى التنظيم الدقيق لهذه الدعوة بمعنَى أن وجود العملاء المذكورين لا يعني بالضرورة أن يكونوا دعاة مدربين صنعهم القداحي لغرض الدعوة ونشرها في البلاد بل كانـوا من المؤسسين للفكرة الباطنية أو المساهمين في تأسيسها ومهمتهم ليس نشرها بقدر رغبتهم في تكوين قاعدة ثابتة تكون مركزا للدعوة ومنطلقـا لها والباطنيون يطلقون علَى قاعدة الانطلاق - دار الهجرة - أي أنهم يشبهون الأئمة بالرسول (ص) حيلما هاجر بأمر الله الَى المدينة فكانت عاصمة الاسلام الأولى .

وللباحث أن يذهب الى أبعد من ذلك فيقول ان التنظيم الخاص بالدعاة لم يكن علَى تلك المثالية المتصورة حتَّى خروج " عبيد اللـه المهدي " الى المغرب ، لأنه حين خرج من " سلمية " لم يكن معه من الدعاة سوَى فيروز أخص دعاته وهذا أيضا هرب الى اليمن وتخلَّى عن المهدي بعد وصولهم الى مصر[1] . مما يدل على أنه وان يكن للباطنيين دعاة متفرقون في أنحاء من البلاد الاسلامية الا أنهم لا يكونون بأي حال تلك الشبكة المعقدة التي أشار اليها بعض الكتاب ، وهذا يصدق على الفترة المتقدمة علَى الأقل .

ومعنى ذلك أن الدعوة الباطنية لم تستطع الطفو على سطح الأحداث قبل منتصف القرن الثالث حين استطاعت تكوين الجيل الأول للدعاة من بين الاشخاص الذين كان زعيمهم يتلقطهم سرا من بين المسلمين . وهذا يتفق تماما مع ما ذهب اليه بعض المحققين المسلمين حين يقول :-

---

١. انظر : سيرة جعفر الحاجب . مجلة كلية الآداب ،جامعة القاهرة ، ج ٢ ديسمبر ١٩٣٦ ،ص ص ١١٠ ، ١١٤ .

اعلم أن ابتداء وضع مذهب الباطنية .. كان سنة
خمسين ومائتين من الهجرة ، وضعه قوم تطابقوا وكان
في قلوبهم بغض للاسلام وبغض النبي عليه السلام
من الفلاسفة والملحدة والمجوس واليهود ليسلخوا
الناس عن الاسلام بعد قوته .[١]

وتحديد التاريخ بهذه السنة — خمسين ومائتين — لايدل الا على الفترة التي نشطت الدعوة فيها في غالب الظن أما تأسيس المذهب الباطني فهو قبل هذا التاريخ بلا شك .

وعليه فان أول نجاح حققته الباطنية كان على يد الجيل الأول من دعاتها — ولا أعني مؤسسيها — الذين لم تكن لهم أية علاقة بالعددين سبعة واثني عشر بل هم أقل من ذلك فكانوا السبب المباشر في تغيير مجرى الأحداث لصالح الباطنية ، وهؤلاء هم : منصور بن الفرح ابن حوشب الشهير بمنصور اليمن وزميله علي بن الفضل الجدني اللذان أرسلا من الكوفة الى اليمن سنة ٢٦٧ ، وحمدان قرمط الذي ظهر في سواد الكوفة بعد سنة ٢٧٨ وأبوعبدالله الشيعي الذي تتلمذ على يد ابن حوشب وظهر في المغرب سنة ٢٨٠ .

وما يخص أبا عبد الله الشيعي من حيث تلمذته على يد منصور اليمن ثم ارساله الى المغرب انما هو دليل على أن العقول التي خططت لظهور دولة الباطنية لم تساهم في الجانب العملي من الدعوة بقدر التخطيط الخفي الذي كان يمارس من وراء حجاب ، فجنت هذه الفئة الثمار القريبة والبعيدة ، وهي في منأى عن مسرح الأحداث . والقاضي عبدالجبار المعتزلي يصور لنا صورة تؤيد هذا الرأى حين يقول :—

---

١. الديلمي . قواعد عقائد آل محمد . ص ١٢

فلما صار أبو طاهر الى البحرين ، سلم الأمر
الى ذكيرة الاصفهاني المجوسي وجمع الناس بالبحرين،
وقال : معشر الناس انا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم،
مرة بمحمد ومرة بعلي ومرة باسماعيل بن جعفر ومرة
بمحمد بن اسماعيل ، وبالمهدي ، وهذا كله باطل ، ٥
وهو سر كنا نكتمه ومن قبلنا منذ ستين سنه ، واليوم قد
اظهرناه ، وهذا الهنا والهكم وربنا وربكم يعني ذكيرة ..
.. ثم قال معشر الدعاة والخاصة ، اذكروا ما عندكم،
فذكروا معنًى ما جرى بين عبد الله بن ميمون بن ديصان
ابن سعيد الغضبان وبين محمد بن الحسين بن جهار ١٠
بختان المعروف ببندار من إعمال الحيلة علَى المسلمين،
والتستر بالتشيع ... فاذا وقع التمكن وصاروا في
ملك وسيف أظهروا تكذيب الأنبياء ، وتعطيل
الشرائع وقتلوا المسلمين .[١]

وليست حادثة التسليم الى ذكيرة — شخص غير زكرويه بن مهرويه الباطني ١٥
الشهير — ليست بدعا في التاريخ الباطني ، بل هي تشبه تماما تسليم
أبي عبدالله الشيعي الأمر الى عبيد الله المهدي باعتباره المهدي المنتظر،
مع الفارق الواضح بين القصتين . وكان من الممكن أن تتكرر عملية
التسليم أو أن تحدث في اليمن علَى يد منصور اليمن اما لذكيرة أو لعبيد
الله المهدي أو لشخص غيرهما . ٢٠

---

١. انظرها كاملة في تثبيت دلائل النبوة ٢/٣٨٦ ، ٣٨٧ .

وهذا بحد ذاته يعني أن جيل الدعاة الباطنيين الأول كان صنيعة المؤسسين الخفيين للدعوة الباطنية ، فكانوا مخالب قط لهم ، أما أولئك المؤسسون فقد أظهر التاريخ بعضا منهم مثل ميمون القداح وذريته ومثل ذكيرة . ولكن بقيتهم مما طواه النسيان أو الكتمان على الترجيح . لأن من المؤكد والحالة هذه أن مؤسسي الدعوة الباطنية كانوا جماعة ، وهذه الجماعة لاعلاقة لها على ما يبدو بالتنظيم الذي ظهر عند الباطنيين بعد ذلك للدعاة ذاك الذي يعتمد على اعداد معينة . وقد تأكد ذلك بالمراجع الباطنية التي لم تستطع اثبات التنظيم الرقمي للدعاة في الفترة المتقدمة . وقد أخفت تلك المراجع أشخاصا وأظهرت آخرين مما يدل على أنه لاحجة لمن يقول بأن تلك الفترة سرية فكيف عرفنا دعاة اليمن والقداحيين مثلا ؟ !

قد تبرز في المستقبل فرضيات تعلل عدم اقامة الباطنيين دولا لهم أو سلطات في قوة الدول في أماكن أخرى من العالم الاسلامي - غير ماكان في المغرب والشام واليمن وشرق الجزيرة العربية - الا أن تلك الفرضيات المتوقعة تظل في حاجة الى مقدمات أخرى تبلور ما تموه من حقائق حول الدعاة الباطنيين .

مراتب الدعاة الباطنيين :

اعتمدت مراتب الدعاة الباطنيين في تنظيمها على المراتب التصاعدية انطلاقا من المبدأ الباطني القائل بأن العلاقة بين العبد وربه لاتكون الا بواسطة، فالباطنيون لا يؤمنون بأي علاقة بين العبد وربه الا عن طريق الواسطة . والمبدأ بحد ذاته يخالف العقيدة الاسلامية كما جاء بها القرآن الكريم ، قال تعالى (والذين اتخذوا من دونه

أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)[*]

فمن علاقة ذلك بمبدأ الوساطة اعتبروا المستجيب (ر· ص٣٣٢)

وهو أدنى الحدود يتصل بالله عن طريق الدعاة الذين :

يتصل بعضهم ببعض كحبل ممدود طرفه بيد
الله عز وجل وطرفه الآخر بيد من تمسك به ·[1]

وفي هذا المجال كتب الباحثون عدة مقالات منها ما كتبه " محمد كامل حسين " عن الدعاة خلال دراسته لكتاب " ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة "[2] واعتمد فيه على مراجع باطنية · وكان خلاصة ما كتب :

١ـ ان هناك واسطة بين الله تعالى والنبي وهي الحدود الروحانية ورووا في ذلك حديثا عن النبي (ص) أنه قال : " بيني وبين الله خمس وسائط جبريل وميكائيل واسرافيل واللوح والقلم "[3] واسماؤها بالاصطلاح الباطني : السابق والتالي والخيال والجد والفتح ·

٢ـ هناك خمسة حدود تسمى الجسمانية تقابل الخمسة الروحانية ، واختلف الباطنيون في هذه الحدود على ما يلي :ـ

	١	٢	٣	٤	٥
كتاب الفترات والقرانات	الناطق	الأساس	الامام	الحجة	الداعي
كتاب سرائر النطقاء	الأساس	الامام	الباب	الحجة	الداعي
كتاب المجالس المؤيدية	النبي	الوصي	الامام	الحجة	الداعي
كتاب تأويل الدعائم	النبي	الوصي	باب الأبواب	النقباء	دعاة القبائل
	أو الامام	أو الحجة	أو داعي الدعاة	أو أصحاب الجزائر	

وفي مقدمته لتحقيق كتاب " تأويل الدعائم للقاضي النعمن " كتب محمد حسن الأعظمي وهو أحد البهرة الباطنيين يقول عن الدعاة الباطنيين :ـ

---

* الزمر ٣
١. الرسالة الجامعة ص ٥٣١
٢. انظره ص ص ٥١ ، ٥٢
٣. انظر ذلك ايضا في : الأنوار اللطيفة (الأعظمي · الحقائق الخفية) ص ٨٩ ·

١- الناطق : وهو الرسول من أولي العزم مرموز اليه بحرف (ن) .

٢- الوصي : وهو الوزير الأيمن للناطق ومرموز اليه بحرف (و) .

٣- الامام ومن بعده : يعتبر كل منهم هاديا في زمنه حتّى يختتم ذلك الدور - ومرموز اليه بحرف (أ) .

٤- الحجة : هو في مكانته ومنصبه للامام بمثابة الوصي للناطق ومرموز اليه بحرف (ح) . ٥

٥- باب الأبواب أو داعي الدعاة هو دون الحجة وفوق الدعاة ، ومرموز اليه بحرف (ب) .

٦- داعي البلاغ : هو الذي يلي داعي الدعاة وأعلى من بقية الدعاة مرموز اليه بحرف (غ) . ١٠

٧- الداعي المطلق : يلي داعي البلاغ وهو النائب عن الامام في دور الاستتار ومرموز اليه بحرف (ق) .

٨- المأذون : خليفة الداعي المطلق ونائبه في دور الاستتار ومرموز اليه بحرف (ذ) .

٩- المكاسر : وهو التالي للمأذون في دور الاستتار ومرموز اليه بحرف (م) . ١٥

١٠- المستجيب : وهو المؤمن الكامل مرموز اليه بحرف (ج) [١]

ويعتبر مصطفى غالب - وهو من نزارية سورية - احد الذين كتبوا في تنظيم الدعاة الباطنيين ومع أنه استعمل بعض المصادر الباطنية الا أنه رتب الدعاة على طريقته الخاصة - مثل محمد حسن الأعظمي ٢٠ الذي اضاف الى ترتيبه ما يقتضيه حال الباطنيين البوهرة اليوم - ، فقسم الدعاة الى مجموعتين :-

---

١. مقدمة تأويل الدعائم ١/ ٣٩

أ — كبار الدعاة الذين كانوا يلازمون مركز الامامة وهم كما يلي :

١— مرتبة (الباب) وهي أعلا المراتب كلها وهي مرتبة سرية للغاية .

٢— مرتبة الحجة .

٣— مرتبة داعي البلاغ . ٥

٤— مرتبة داعي الدعاة ، وهي أعلى مرتبة ظاهرة .

ب — وهناك الترتيبات العامة الرئيسية والتقسيمات التي تعتبر الأساس الذي أقيم عليه جهاز أنظمة الدعوة وهي :—

١— الناطق وله رتبة التنزيل .

٢— الأساس وله رتبة التأويل . ١٠

٣— الامام وله رتبة الأمر .

٤— الباب وله رتبة فصل الخطاب .

٥— الحجة وله رتبة الحكم فيما كان حقا أو باطلا .

٦— داعي البلاغ وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد .

٧— الداعي المطلق وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبارة .. الباطنية . ١٥

٨— الداعي المحدود وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة .

٩— المأذون المطلق وله رتبة أخذ العهد والميثاق .

١٠— المأذون المحدود وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة وهو المكاسر . ٢٠

١١— لاحق } ولهما رتبة مؤازرة المأذون المحدود والقيام بمهمته
١٢— الجناح } أثناء الغياب . ١.

---

١. راجع مقدمة كتابه : أعلام الاسماعيلية ص ص ١٨ — ٢٨ .

ان هذا التقسيم يوافق ما جاء في أحد كتب المستعلية .[1]

وقال عارف تامر وهو نزاري أيضا :

ان الدعوة الباطنية مؤلفة من اثني عشر شخصا وهم حسب الترتيب :

ناطق أساس امام حجة باب داع متم لاحق جناح مكاسر مستجيب .[2]

ويلاحظ أن تقسيم مصطفى غالب يخالف تقسيم عارف تامر مع أن كليهما نزاري بمعنى أنهما يأخذان من معين واحد ، وخلافهما البين يوضح لنا البون الشاسع الذي بين المصادر الباطنية وما كان منها على عقيدة واحدة بالذات ، وقد لاحظ مصطفى غالب ذلك الاختلاف فحاول تبريره بما يأتي :-

ان بعض الاختلافات البسيطة ؟ في أسماء ورتب بعض الدعاة ، قد يجدها الباحث في بعض الكتب الاسماعيلية ، ولربما كان مرد هذا الاختلاف الى ظروف وأسباب خاصة ، أو نتيجة لعدم تعمق المؤلف ووقوفه على التمييز بين كل واحد وآخر . الا أن كتب الحقيقة السرية التي ألفها كبار الدعاة والعلماء والفلاسفة تتفق مع التنظيمات التي ذكرناها آنفا ، واذا صدف ووجدت تنظيمات مخالفة لما أوردناه وذكرناه فهي لاشك وليدة تعليلات لاتنسجم مع واقع الحقيقة ، لأن التنظيمات التي ذكرناها ظلت باقية ومعمول بها حتى نهاية العهد الفاطمي في مصر .[3]

---

١. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق العالية (ايفانوف . أربعة كتب) ص ٨٢
٢. مقدمته في أربع رسائل اسماعيلية ص ١٣
٣. أعلام الاسماعيلية ص ٢٥

بعد هذا التضارب في تنظيم مراتب الدعاة ، ومع عدم اغفال براعة التنظيم واستغلال الباطنيين له أوسع استغلال مما ساهم في نشر دعوتهم ، لابد من الاشارة الى أن الباطنيين يدّعون أن التنظيم هذا الهي، نُظِّم في العالم العلوي السماوي قبل هذا العالم السفلي عالم الكون والفساد كما يسمونه ، وهنا يمكن طرح سؤال هام وهو أي التنظيمات الباطنية الذي جاء من عند الله مع ما رأينا من اختلافها وتضاربها ؟ ألا تكون الاجابة على هذا السؤال أن الدعاة الذين تعاقبوا على أمر هذه الدعوة هم الذين أوجدوا هذه التنظيمات المختلفة ونسبوها الى الله ؟ وبالتالي ألا يكون ذلك دليلا على أن الظروف والأهواء هي التي تتحكم في العقيدة الباطنية — وتنظيم الدعاة عنصر أساسي فيها ؟ — لغرض لا يغيب عن كل فطن لبيب ، وهو هدم كيان الدين الاسلامي كي ينحرف المسلمون عنه ويتبعوا عقيدة ليست لهؤلاء ولا لأولئك . وعلى كل حال فانه لزاما على الباحث من الناحية العلمية النزيهة النظر بعمق من أجل التعرف على عمل كل داع ومهمته ، ولابد من الاشارة الى أن مراتب النبي والوصي والامام والمستجيب لاتهمنا في هذا الفصل ، والمهم هو مراتب الدعاة الباطنيين فهي تتكون من:

١ — الحجة : ويطلق الباطنيون هذا اللفظ على كبار الدعاة الأربعة وأعظمهم " الباب " ورابعهم " داعي البلاغ " أما اذا خصص هذا اللفظ فهو يعني ثاني الحدود بعد الامام الا أن بعض المراجع الباطنية السابق الاستشهاد بها اعتبرته في المرتبة التالية للامام ، وهذا يدل على أن خلافا ما حول هذا الموضوع أو تنافسا بين مركز الحجة ومركز الباب في القرب من الامام . والحجة أحد سموات الدين الباطني ، كما أنه قد ينصب الامام أو الناطق لأن مريم بنت عمران تعتبر حجة باطنية أمرت عيسى بن مريم بالقيام ، واعتبروا أيضا كلا من خديجة

بنت خويلد وفاطمة الزهراء في مرتبة الحجة لكل من النبي (ص) وعلي ابن أبي طالب على التوالي[1] وليس هذا مجال مناقشة ذلك . والمهم من أمر الحجة أنه أحد كبار الدعاة الملازمين للامام كما أشار مصطفى غالب الى ذلك .

ذكرت بعض كتب الباطنيين أنه في فترة الاستتار اضطر الحجج الى أن يتسموا باسم الامام حتى صار للامام عدة أسماء[2] ، وبذلك اختلطت اسماء الحجج بأسماء الأئمة بزعمهم ، ومنهم ، ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون[3]

وعليه فان المراجع الباطنية المتقدمة تشبه الحجة بالقمر يضيء في الليالي أي أيام دور الستر[4] كناية عن ظهوره فيها . ولكن المتأخرين منهم يشبهونه بالليل[5] وهو يدل على اختفاءه في أدوار الستر وقد ذكر مصطفى غالب أن الحجة من المراتب السرية للغاية ، وعلى هذا يسير الباطنيون اليوم، فان أعلى مرتبة في الدعوة الباطنية عند البوهرة اليوم هي مرتبة الداعي المطلق ومرتبته أقل بكثير من مرتبة الحجة .

يمكن القول ان مرتبة الحجة وما شاكلها من المراتب السرية انما هي ثياب فصلت في عصور متأخرة ليرتديها قوم هلكوا من قبل وذلك لمدارات ما انكشف من حقيقة الدعوة الباطنية. لأن الحقيقة أن جميع المراتب سرية ولكن ما حيلتهم بعد أن انكشف أمر القداحيين بحيث لا يمكن ستره

---

١. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق ورسالة تحفة المرتاد ورسالة الاسم الاعظم . (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ٢٨ ، ٨٢ ، ٩٨ ، ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٦٤ ، ١٧٦ وانظر أعلام الاسماعيلية ص ٢٤ .
٢. انظر : مخطوطة الشواهد والبيان ص ٩١
٣. انظر : مخطوطة حياة الأحرار ق ٦
٤. انظر : مخطوطة الشواهد والبيان ص ٩١
٥. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١١٤

الا أن يقولوا انهم حجج تسموا باسم الأئمة أو تسمّى الأئمة باسمهم.

٢- الباب: تعتبره بعض المراجع أول شخصية بعد الامام، بينما اعتبره البعض الآخر بعد الحجة وقد سبقت الاشارة الى ذلك

ومن خلال ما كتب مصطفى غالب يمكن أن نتعرف على هذه المرتبة، فقد كتب يقول:-

وهناك مرتبة سرية أخرى هي مرتبة "باب الأبواب" ولا يعرف شاغل هذه المرتبة الا الامام نفسه. وقد وصف أحد الدعاة الاسماعيلية العلماء هذه المرتبة بقوله "وحد الباب هو من الحدود الصفوة اللهاب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمة ولا ينتهى الى ذلك الا الآحاد الأفراد".

ويقول آخر: "باب الابواب هو باب صاحب الزمان الذي يؤتى منه وحجته على الخلق وحامل علمه وصاحب دعوته فمرتبة باب الأبواب أو الباب فقط من أرفع مراتب الدعوة وتلي مرتبة الامام الدينية مباشرة وهي مرتبة سرية للغاية.[1]

ويبدو أن هناك التباسا ما في الموضوع، لأن بعض الآراء الباطنية تحتم صيرورة الباب اماما بعد الامام[2] ولعل الأمر يتضح اذا علمنا أن هناك بابا أعظم غير الباب وهو الذي يكون اماما وهو أعلى الحجج الأربعة الحرم،[3] بل ربما كان هناك أبواب أخرى لأن الاسطورة الباطنية تقول ان عبدالمطلب

---

١. اعلام الاسماعيلية ص ٢٣
٢. انظر: مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان. أربعة كتب) ص٨
٣. انظر:

ابن هاشم جد النبي (ص) أقام بابين من فضلاء أبوابه ، والخلاصة أن هناك بابا يصير اماما وآخر لا يصير كذلك ، فانهم يقولون ان ابراهيم نصب ابنه اسحق بابا على المقام العالي الذي هو اسماعيل الذبيح[١] ، واسحق هنا بالتعبير الباطني امام مستودع أي ليس الامام الحقيقي وهذا يذهب بنا الى مسألة الامامة المستقرة والمستودعة التي كانت من عجائب الدعوة الباطنية وأوجدت من المشاكل الخلافية بين المحققين الشيء الكثير خاصة ما يتصل منها بالنسب الفاطمي

٣ــ داعي البلاغ: وصف الداعي الكرماني داعي البلاغ بأن له رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد[٢] ان هذا التعريف ، قد لا يدلنا علَى شخصية داعي البلاغ الا أن يكون المقصود به أنه مختص بتجهيز حجج الباطنيين التي يواجهون خصومهم بها ، أما ما يختص بتعريف المعاد فان الباطنيين لا يؤمنون بالمعاد علَى أنه البعث بعد الموت بل عودة كل شيء الى أصله الذي تكون منه (ر. ص ٢٩٢) فهل معنَى ذلك أن داعي البلاغ يوضح ذلك ؟ لا أعتقد لأن هذا يستدعي أن يكون الفكر الباطني موحد المصدر ، أما ما هو عليه الآن من تنافر وتضارب فهو يدل على عكس ما ذكر .

ومن ناحية أخرَى فان في مدلول كلمة البلاغ ما قد يشير الَى أهمية لداعي البلاغ غير ما ذكر . وهي تتعلق بما ذكره " ابن النديم " عن "كتب البلاغ السبعة " وأن سابعها الذي فيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر[٣] وكذا بما ذكره " ايفانوف " عن " كتاب البلاغ والنهاية في التوحيد "[٤] وهو من كتب الدروز ، وحينئذ تصبح كلمة " البلاغ " تعني " البلوغ" أو الوصول .

---

١. انظر: رسالة تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ .
٢. كتاب راحة العقل ، أنظر النص فى أدب مصر الفاطمية ط ٢ ص ٤٠ وأنظر أيضا اعلام الاسماعيلية ص ص ١٨ — ٢٠
٣. انظر: الفهرست ص ٢٨٢
٤. انظر:

ان "داعي البلاغ" لم يحظ بالتفصيل في المصادر الباطنية ، وعليه فان ايراد النُتَف التي تحدثت عنه في تلك المصادر يصبح ذا أهمية ، ففي أحدها نجد أن أجساد الأنبياء والأئمة المتوفين تتصل فيمن تتصل بهم "بدعاة البلاغ" وأن داعي البلاغ أحد الحدود السبعة المتمه - تراجع في النص لدور الامام [١] ، كما ورد في آخر أن "داعي البلاغ" يستتر استتار الامام ، شأنه في ذلك شأن الحجة والباب [٢] ، وفي مصدر آخر أنه كان لابراهيم الخليل ثلاثون داعي بلاغ [٣] ، وذكر الداعي ادريس أن أولاد اسحق هم القائمون بالبلاغ والابلاغ [٤]

ان ذلك كله لم يزدنا شيئا عن "داعي البلاغ" الا الغموض بالرغم من أن كلا من "الباب" والحجة اللذين هما أعلى من "داعي البلاغ" وأرفع قد حظيا بنصيب أوفى من الاهتمام في المراجع الباطنية وقد تنبه "محمد كامل حسين" الى ذلك فقال :-

مرتبة "داعي البلاغ" التي قيل انها مرتبة الاحتجاج بالبرهان في اثبات الحدود العلوية ومراتبها وتعريف المعاد ، فهي من المراتب السرية التي في مركز القيادة العليا ، ولم يفصل مؤرخوا الاسماعيلية وعلماؤها أمر هذه المرتبة [٥] .

٤- داعي الدعاة : ان الذي يظهر أن هذه المرتبة لم توجد قبل ظهور الدولة العبيدية رغم ما قيل عن الداعي فيروز (ر. ص ٤١٨)

---

١. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق العالية . (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ٥٦ ، ٨٢
٢. انظر : تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٧٥
٣. انظر : مخطوطة مجالس الحكمة ق ٦
٤. انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص
٥. الاسماعيلية ص ١٤٢

وعلى ذلك يمكننا أن نعتبر القاضى النعمان أول من تقلد هذا المنصب ، وهذا يعني اذا صح أن ترتيب الدعاة ومسمياتهم تعرضت الى التبديل والحذف والاضافة على مر التاريخ الباطني للدعوة .

وقد حظي "داعي الدعاة" - ربما لأن مرتبته غير سرية - بدراسات وبحوث لعل أفضلها ما كتبه "محمد كامل حسين" في مقدمته لكتاب ديوان المؤيد في الدين ، قائلا في ختام بحثه:

أما عمل داعي الدعاة فهو الاشراف على كل شيء
يختص بالدعوة وعقد مجالسها بالقصر أو دار العلم
فكان داعي الدعاة يكتب ما يلقى في هذه المجالس
ثم يوقع عليه الخليفة ، ويقرؤها الداعي على انها
صادرة من الخليفة نفسه . [١]

ومعنى ذلك أن جميع ما يقوله داعي الدعاة يكون الخليفة أو الامام مسئولا عنه ولو من الناحية الشكلية لتوقيعه عليه .

وممن تقلد منصب داعي الدعاة : القاضي النعمان ، والداعي جعفر بن منصور اليمن الذي كان يقال ان النعمان كان يقبل قدميه ، والداعي الكرماني ، والداعي المؤيد في الدين ، والداعى الحلبي . وقد كان لهؤلاء نتاج فكري ذو أثر بالغ في العقائد الباطنية .

٥- دعاة الجزائر : كلمة الجزائر وردت كثيرا في كتب الدعاة الباطنيين ، وهي لاتعني الاصطلاح الجغرافي بقدر ما تعني تقسيما خاصا بهم يفيد ما يمكن أن نسميه اليوم المنطقة أو الاقليم أو ما شابه ذلك ؛ وبعبارة أدق يمكن القول : ان الجزيرة في اصطلاح الدعاة الباطنيين تعني جزءا كبيرا من العالم

---

١. ديوان المؤيد فى الدين . المقدمة ، ص ٥٧ وانظر بالتفصيل من ص ٥٠ - ٥٧ .

فقد قسموا العالم الى اثنتي عشرة جزيرة ، ونصبوا على كل جزيرة من تلك الجزائر داعيا سموه داعي الجزيرة ، ولقب داعي الدعاة يطلق على داعي الجزيرة التي يقيم فيها الامام ، كما يقول الداعي الحارثي[١] وذكر "محمد كامل حسين" أنه حاول التعرف على أسماء تلك الجزائر فلم يستطع رغم توفر الكثير من المصادر الاسماعيلية لديه[٢] مما اضطره الى الرجوع الى ما كتبه "ايفانوف" حول اسماء تلك الجزائر وهي : العرب ، الترك ، البربر ، الزنج ، الحبشة ، الخزر ، الصين ، فارس ، الروم ، الصقالبة ، وذكر الكاتب الباطني النزارى مصطفى غالب أسماء تلك الجزائر موافقا لما ذكر محمد كامل حسين عن ايفانوف[٣] .

ولكن الباحث عثر على أسماء تلك الجزائر في أكثر من مرجع باطني مثل تأويل الدعائم للقاضي النعمان والأنوار اللطيفة للداعي حاتم ابن ابراهيم ، وفي مخطوطة حياة الأحرار ذكر أن الجزائر هي :

اليمن ، الهند ، السند ، الصين ، الحبشة ، الزنج ، الخزر ، الديلم ، البربر ، الترك ، الصقالبة ، الروم[٤] .

وأما القاضي النعمان فقد ذكر جزيرة النوبة بدلا من الزنج . والديلم بدلا من فارس[٥] كما فعل صاحب حياة الأحرار ، وقد ذكرت بعض المراجع أن الداعي الكرماني كان حجة العراقيين ، ولا أظن ذلك مما له علاقة بالجزائر[٦] . وقد كان المؤيد في الدين داعيا لجزيرة الديلم . ان دعاة الجزائر على ما يظهر يمثلون أشهر السنة الاثني عشر وهذا ما سيتضح حين نتحدث بالتفصيل عن المنظمة التي تتبع داعي الجزيرة .

---

١. انظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٠٢
٢. انظر : في أدب مصر الفاطمية ط ٢ ص ٧٨
٣. انظر : مقدمة أعلام الاسماعيلية ص ٢٠
٤. مخطوطة حياة الأحرار ق ٦١ أ
٥. تأويل الدعائم ٢/ ٧٤
٦. انظر : المؤيد في الدين . السيرة المؤيدية ص ٩

منظمة داعي الجزيرة : ان داعي كل جزيرة في نظام الدعوة الباطنية له جهاز كامل من الدعاة يمكننا أن نطلق عليه " منظمة داعي الجزيرة " ويتكون هذا الجهاز من عدد كبير من الدعاة علّى أن الذين يتبعونه مباشرة ثلاثون داعيا وقد يطلق عليهم النقباء :

هم قوته التي يستعين بها في مجابهة الخصوم ،
وهم عيونه التي بها يعرف أسرار الخاصة والعامة ،
فكانوا بمثابة وزراء ، ومستشاريه في كل ما يتعلق
بجزيرته ...
لكل داع نقيب أربعه وعشرون داعيا ، منهم اثنَى
عشر داعيا ظاهرا كظهور الشمس بالنهار واثنَى عشر
داعيا محجوبا مستترا استتار الشمس بالليل .
فدعاة النهار الاثني عشر في كل جزيرة ، كانوا
يعرفون بالمكاسرين أو المكالبين وهم أصغر طبقة في
درجات الدعاة وعلى عاتق المكالب تقع مهمة مجادلة
العلماء والفقهاء أمام جماهير الناس .[١]

وهكذا يتضح أن دعاة الجزر هم الذين يمثلون السنة التي تتكون من اثني عشر شهرا والدعاة "النقباء" يمثلون أيام هذا الشهر وهم ثلاثون كما سبق بذلك النص ولكل منهم أربعة وعشرون داعيا كناية عن ساعات اليوم الزمني الواحد .

ان هذه السلسلة من الدعاة يتبع كل منهم الذي هو أعلى منه فلا يتحرك ولا يسكن الا بأمره وليس بعيدا أن يكون المسؤول عن دعاة الجزائر هو داعي الدعاة كما تقدم (رص ٣٧٠)

---

١. مصطفى غالب . أعلام الاسماعيلية ص ٢٠

أما الدعاة الثلاثة الذين سبق ذكرهم غير داعي الدعاة وهم : الحجة (ر.ص ٣٦٤) والباب (ر.ص ٣٦٦) وداعي البلاغ (ر.ص ٣٦٧) فهم وان كانوا من ضمن جهاز الدعوة الا أنه لا علاقة لهم كما يظهر بدعاة الجزائر بقدر مالهم علاقة بالامام . شأنهم في ذلك شأن حجج الليل .

حجج الليل : ان اصطلاح حجج الليل مما ذكره الداعي الحارثي (- ٥٨٤) وهو يدل به على اثني عشر داعيا يختارهم الامام ويتركهم بحضرته لايفارقونه [1]، وتسميتهم " بحجج الليل " تمييزا لهم عن " حجج النهار" الذين هم " دعاة الجزائر " ، و"حجج الليل هم -

أهل الحقائق السانية لايدخلوا [كذا] تحت التكاليف
لانهم قد قاموا بذلك قبل التصاريف وهم أهل العصمة
وأبواب الرحمة وهم الملائكة المقربون الذين لا يعصون
امامهم ويفعلون ما يؤمرهم ولكل واحد منهم جناحين
[كذا] يظللون بهم على الفريقين وجملتهم أربع وعشرون تنير
بهم النواظر والعيون وهم أبوابهم أيضا يفيض من قبلهم
العلم فيضا ففيضا باب للعلم الظاهر وباب للعلم
الباطني الباهر [2].

وقال الداعي الحارثي عن حجج الليل انهم :

هم أهل الباطن المحض المرفوع عنهم في أدوار الستر
التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم [3].

ويظهر أنهم يمثلون مجلسا خاصا بالامام له علاقة ما بالدعوة الباطنية وقد تميزوا بأنهم غير مكلفين أي أنهم لاصلاة عليهم ولا زكاة ولا صوم ولا حج

---

١. انظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٢
٢. مخطوطة حياة الأحرار ق ٦١
٣. الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٠٢

ولا غير ذلك ، وهذه النقطة ذات علاقة مباشرة بزعم الباطنية أنهم يعملون بالظاهر والباطن معا ، وقد فند الباحث ذلك بالتفصيل فيما سبق (ر. ص ص ١٦٨ - ١٧٤)

ولكن لابد من الاشارة هنا الى انه ليس لدى المسلمين من هو أعلى درجة من محمد بن عبدالله (ص) فهو سيد الأولين والآخرين ومع ذلك ٥ فلم يقل أحد بأنه منزه عن التكاليف بل كان سباقا اليها ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه .

هذه صورة مصغرة لمراتب الدعاة الباطنيين والقصد منها هو اطلاع القارئ الكريم على التنظيم الذي شكل به الباطنيون دعوتهم السرية وأن الباحث ١٠ لم يخض تماما في دقائقها وجزئياتها لأن ذلك قد لايفيد موضوع البحث كما أن في المراجع التي رجع الباحث اليها ما يغني لمن أراد التوسع في هذا الموضوع .

مظاهر في الدعاة الباطنيين :

منذ ظهور الغلاة على سطح الفكر الاسلامي ، ومرورا بنشأة الفرق ١٥ الباطنية ، وحتى سقوط قلعة الموت (سنة ٦٥٤)* التي آذنت بسقوط آخر دولة باطنية ، بل وحتى يومنا هذا ، يمكن القول بأن في دعاة هذه النحلة مظاهر لو وجدت في الشخص العادي فانها تدعو للاستغراب حينا وللاستهجان حينا آخر ، فما بالك بوجودها في دعاة يقولون بأنهم صفوة نذرت نفسها لنصرة أهل بيت رسول الله (ص) نبي الاسلام ، وتدعي ٢٠ أنها تستقي من معين معصوم عن الزلات والتجاوزات ومتصل بالسماء .

وقبل التعرض لتلك المظاهر لابد من الاشارة الى أن المقصود ليس تسقط

---

* انظر : عبدالرحمن بدوي . مذاهب الاسلاميين ٢/٣٣٣ ، ٣٣٤

أخطاء القوم وتتبع عوراتهم . ولكن حينما تكون المناقص عند قوم هي السائدة والعورات هي الظاهرة فإن الحديث عنها ومناقشتها يعتبر واجبا علَى طلاب العلم والحقيقة . ومن خلال ما وقع في يد الباحث من مصادر باطنية طوال مدة هذا البحث اتضح أن للدعاة الباطنيين مظاهر تتصل اتصالا وثيقا ببعض ما قاله عنهم أخصامهم — حتى غدت تلك المظاهر مما يستلفت الانتباه فضلا عما تسببه من حرج لأهلها — الباطنيين أنفسهم — الذين لازالوا يدعون أن الكُتاب والمؤرخين شوهوا تاريخهم[١]؛ ومن تلك المظاهر :

١— كون الكثير من الدعاة الباطنيين الذين كان لهم الأثر البارز في العقائد الباطنية ؛ مجهولي الاصل ، اذ ظهر معظمهم علَى سطح الفكر الباطني كما تظهر الكمأة .

٢— كونهم يتصرفون في عقائدهم حسب رغبات يبدو أن بعضها شخصي وبعضها مما يمكن اعتباره تنفيذا لم يحن أوانه لما ورد في عقائدهم ؛ فجاءت عقائدهم على نحو من التجاوز والتضاد والتنافر الذي قلَّ مثيله في عقائد أخرَى .

٣— بالرغم من انتساب اولئك الدعاة الى الاسلام وبلغة أكثر دقة : انتسابهم الى الفكر الاسلامي ؛ الا أن بعضهم كان يستدل بما ورد في العهد القديم بخاصة ليثبت آراء عقدية يفترض فيها أن تكون اسلامية .

فأما النقطة الأولى والتي تتحدث عن الغموض الذى يكتنف اولئك الدعاة في أصلهم فانه سيأتي بالتفصيل فى الفصل التالي لهذا الفصل لأنه موضوع شائك وله علاقة بالأئمة الباطنيين الذين أسسوا الدولة العبيدية .

---

١. انظر : مصطفى غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ، بيروت ، دار الاندلس ١٩٧٩ ، ص ص ٥ ، ١٦

وعلى ذلك فان الحديث سيكون عن النقطتين التاليتين لتلك .

١ - تجاوزات الدعاة والعقائد الباطنية : ان خلط الدين بالفلسفة طابع بارز تتميز به العقائد الباطنية جميعا ، بل ان الفلاسفة في عرف الباطنيين في درجة الأنبياء ، ومن يتصفح " الرسالة الجامعة " لرسائل اخوان الصفا مثلا لايشك أبدا أنه كتاب فلسفي وكذلك معظم الكتب الباطنية، الا أنهم يدّعون أن هذه الرسالة وبقية رسائل اخوان الصفا ألفت حينما أراد الخليفة العباسي المأمون أن يخلط بين الدين والفلسفة فغضب الامام المستور أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل لهذا التجني على الدين فألف تلك الرسائل أوأمر بتأليفها[١]، وفوق ذلك يأتي المعز لدين الله لينكر على دعاته خلط الدين بالفلسفة ، واعتبره تغييرا في الدين (ر. ص ١٧٠)

أما تحليل المحارم الذى ظهر منذ أيام الغلاة (ر. ص ص ٨٣ ، ٩٧ ، ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٧٠). كما سار عليه الداعي " علي بن الفضل الجدني " الذي تبرأ منه الأئمة وحاربه عليه زميله في الدعوة " منصور اليمن " حروبا طويلة[٢] ، فقد كان لهم أشباه من دعاة آخرين في المشرق ذكر عنهم القاضي النعمان أنهم قاموا بتحليل المحارم لاتباعهم وأن ذلك كان يعتبر مخالفة لدين الأئمة[٣] لذلك فقد تبرأ منهم الأئمة العبيديون في المغرب ، لان هذا بزعمهم ليس من أهل عقيدتهم ، وانما هو تجاوز شخصي من اولئك الدعاة .

---

١. انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٠ وأنظر أيضا أعلام الاسماعيلية ص ٤٣

٢. انظر : سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة) ص ١١٥

٣. انظر : المجالس والمسايرات ص ٤٠٨ .

وقد قيل ان الانسلاخ عن الدين وتحليل المحارم وان ظهر عند الباطنيين في أماكن مختلفة من العالم الاسلامي ، فهو لم يظهر على العبيديين ، حيث لم يؤثر عنهم الاستخفاف بالدين ، وقد أيد ابن النديم[١] ذلك ، ودفع هذا أنصار هذا الرأي الى القول ان ذلك ليس من عقيدة الباطنيين بل هو تصرفات شخصية من الدعاة الذين في الأماكن النائية ، وهذا يتفق تماما مع ما نجده في المصادر الباطنية من شجب لأمثال هؤلاء وخاصة ما صدر عن القاضي النعمان الذي أعلن تبرؤ الأئمة من أولئك الدعاة .

ولكن حتى مع هذه الحالة يظل السؤال القائم مطروحا ، لماذا كان الباطنيون هم الذين أثر عنهم ذلك دون غيرهم من الفرق الأخرى ؟ ولماذا يصبح عدم الانسلاخ من الدين عن طريق ارتكاب المحرمات شيئا مستثنى يخص المناطق التي قامت فيها دولة العبيديين كالمغرب ومصر ، ولا يكون الأصل هو عدم حدوث أي شيء من هذا باعتبارهم فرقة اسلامية .

وهكذا يتضح لنا أن شيئا ما يكمن تحت ما أثر أنه تجاوزات للدعاة . هذا في حالة اعتراف الطرفين بحدوث انتهاكات مختلفة في نواحي كثيرة وجد فيها الباطنيون على شكل تجمعات أو أشباه دول .

ولكن كيف يكون الأمر اذا علمنا أن القاضي النعمان - الذي تحدث باسهاب عن تجاوزات الدعاة - ذكر أن مثل هذه التجاوزات حدثت في المغرب أيام حكم عبيد الله المهدي نفسه[٢] ، من دعاة عملوا بالباطن دون الظاهر

---

١. انظر : الفهرست ص ٢٨٢
٢. انظر : المجالس والمسايرات ص ٤٩٩

ان الأمر حينئذ يصبح أكثر من ظاهرة لافتة للنظر لأنها تعـدت تجاوز دعاة في أصقاع بعيدة الى حدوثه في أماكن قريبة من السلطان. وهذا بالتالي يضيف جديدا الى ما أورده القاضي عبدالجبار المعتزلي من أن سبب ثورة أبي عبد الله الشيعي (ر. ص ٤٠٩) على المهدي انما قامت لأعمال استقبحها أبو عبدالله أُثِرت عن المهدي نفسه[١]، وقد أكد القاضي النعمان بطريقة غير مباشرة انتقادات ابي عبد الله الشيعي هذه[٢]:

فوق ذلك نجد قيام الدعوة الدرزية في القاهرة المعزية أيام الحاكم بأمر الله العبيدي وتحت سمعه وبصره، تلك الدعوة التي قالت بأمر خطير الا وهو تأليه الحاكم بأمر الله الذي لم يحرك ساكنا تجاهها بل ان الذي بأيدينا من رسائل مؤسس الدرزية الداعي حمزة بن علي، يجزم بأن الحاكم راضٍ عن ألوهيته تلك[٣] ويؤكد هذا الحال التي وصلت اليها مدينة القاهرة، حين وصلها الداعي الكرماني في سنة ٤٠٨ وقد وصف ذلك الكرماني في كتابه " مباسم البشارات "، وأشار الى ظهور الفئة التي تؤله الحاكم بأمر الله[٤] ما يدل أن أمرهم قد استفحل وبات خطيرا. وكل ذلك جرى في عاصمة العبيديين نفسها في أمريخص الامام نفسه وهو الحاكم.

هذه نتف من تجاوزات الدعاة التي يزعم الباطنيون أنها تصرفات " شخصية " ليست من عقيدتهم الأصلية، فحبذا لو عرضنا بالعقيدة الباطنية على تلك التجاوزات، ماذا سيحدث:

---

١. انظر: تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٥٩٨، ٥٩٩.
٢. انظر: افتتاح الدعوة ص ص ٣٠٧ — ٣١٦ وانظر المجالس والمسايرات ص ٤٩٩.
٣. انظر: مخطوطة رسالة الرضا والتسليم ق ٢٣ أ ورسالة الصبحة الكائنة ق ٥٠ أ: دار الكتب المصرية ٥٤ عقائد النحل.
٤. انظر: محمد كامل حسين، طائفة الدروز، القاهرة، ١٩٦٢ ص ص ٥٥، ٥٦ وانظر: مذاهب الاسلاميين ص ص ٥٨٣، ٥٨٤

ان خلط الدين بالفلسفة الذي انكره المعز لدين الله بزعم القاضي النعمان لا يمكن بأي حال اعتباره تجاوزا شخصيا اذا عرضناه على كتب العقيدة الباطنية لاسيما رسائل اخوان الصفا ورسالتها الجامعة التي يزعمون أن الذي ألفها هو أحد أجداد " المعز لدين الله " المستورين، وقد ورد في هذا المبحث نصوص مستقاة من تلك الرسالة وتقول بصراحة انها كتاب فلسفي بل ان هذا يصدق على أكثر كتبهم لاسيما ما كان سريا منها.

أما ما قيل عن تجاوزات الدعاة الذين حللوا لاتباعهم الانسلاخ من الأحكام الشرعية والتهاون في ترك الفرائض ، فقد تبين لنا من قبل أن جميع الفرق الباطنية ترى هذا الرأي على ضربين : الأول أن ذلك حتما يكون حين يظهر القائم المنتظر (ر. ص ٢٩١) الثاني : أن ذلك يكون لفئة معينة من الناس ، الذين وصلوا مرتبة عليا في الدين الباطني ، وذكر في حينه أن هذه المرتبة تتفاوت ضيقا واتساعا بالنسبة للفرق الباطنية المختلفة (ر. ص ١٨٢) .

أما مسألة قيام الدعوة الدرزية بتاليه الحاكم بأمر الله فليست في اصلها الا صورة عن حلول اللاهوت في الناسوت الذي يدّعونه في ائمتهم (ر. ص٢٣٧فما) والذي له علاقة بحلول روح الله في آدم ثم في ...[١]

لماذا اذن نسمي ذلك تجاوزا من الدعاة ، في حين أنه في حقيقته تنفيذ لتلك العقائد .

واذا أردنا انصاف الباطنيين الذين قاموا بتلك التجاوزات ، فان أصوب ما يقال في هذه الظاهرة أنهم نفذوا أمورا نظرية موجودة في عقائدهم فعلا، وكل خطئهم ينحصر في أنهم نفذوا ذلك في غير وقته أي أنهم تعجلوا في قطف

---

١. انظر : مذاهب الاسلاميين ص ٢ / ٥٩٤

ثمار دعوتهم الهدامة ، وان للباحث أن يقول بكل ثقة ، اعتمادا على مافي المراجع الباطنية أنه لو قدر لهم - لا سمح الله - اقامة سلطانهم على بلاد المسلمين بدولة باطنية شاملة فلن تكون تصرفاتهم أدنى من تصرفات من سبق من أجدادهم مثل القرامطة وعلي بن الفضل ودولة ألموت ودعوة الدروز .

أما ما قيل عن اعتدال العبيديين ، فهو لم يكن الا أنهم خافوا كراهية العالم الاسلامي تلك الكراهية التى اكتسبها القرامطة ، والتي اكتوى العبيديون أنفسهم بنارها ، بالاضافة الى الثورات التي قامت ضدهم في بلاد المغرب العربي لما ظهرت حقيقة دعوتهم ، ويؤيد هذا أن مجالس الدعوة الباطنية كانت لاتزال سرية في مصر الفاطمية أيام دولتهم مما يعنى أنهم لم يكونوا قد استطاعوا بعد استمالة المسلمين الى مذهبهم (ر. ص ٣٣٦)

الفكر اليهودي في تراث دعاة الباطنيين :

ان تراث الدعاة الباطنيين زاخر بأفكار منسوبة الى العهد القديم ، ومن النادر أن نجد مرجعا للباطنيين خاليا من فكرة أوعقيدة منسوبة الى العهد القديم ، وقد لاحظ ذلك كثيرمن الباحثين الذين اهتموا بالدراسات الباطنية ، مثل : ديبور الذي استنتج أن هذه الظاهرة قائمة منذ كانت الفرق الباطنية (جماعات سرية) كما يستفاد مما كُتب في هذا الموضوع الا أن المستشرق المذكور أشار الى أن هذه الجماعات السرية كانت تنسب أقوالا للفلاسفة الوثنيين الى أنبياء ممن وردت أسماؤهم في التوراة[1] ، ويبدو أن استنتاجه كان من خلال اطلاعه على " رسائل اخوان الصفاء " ورسالتها

---

1. انظر : دى بور تاريخ الفلسفة فى الاسلام (الترجمة العربية) ص ٩٥

الجامعة . وقد أشار لويس الى ظاهرة الاستدلال بالتوراة التي تميزت بها الفرق الباطنية - الفاطمية - بشيء من التفصيل الذي وضح فيه أن الدعاة درسوا كتب اليهود والنصارى المقدسة ، وعزاه الى العقيدة الباطنية التي تقول بشمولية العقيدة (ر. ص ١١٦ وفيها بداية هذه العقيدة في الفرقة المغيرية)[١] . كما أشار الى ظاهرة الاستدلال بالتوراة عند الباطنيين ، عبدالرحمن بدوي الذي ذكر نماذج من تلك الاستدلالات[٢] .

ان الباحث من خلال دراسته لنصوص الباطنيين يستطيع القول : ان الصبغة اليهودية موجودة في بعض تلك النصوص - اضافة الى ما ذكر - ولكن ارجاع ذلك الى أصوله اليهودية ، كان يتطلب توفر مصادر يهودية أكثر مما توفر للباحث ، وستأتي ان شاء الله شواهد على هذا الرأى (ر. ص ٣٩٣) وقد ذهب " شتروثمان " الى امكانية أرجاع العديد من القصص الخيالية التى وردت في الفكر الاسماعيلي الى التلمود[٣] ، ولعله يتحدث بتلك اللغة الواثقة بسبب توفر المصادر اليهودية لديه . كما أشار الى هذه الظاهرة " باول كراوس " الذي كتب مقالة خاصة حول ذلك فى مجلة : Der Islam الألمانية (العدد ١٩)[٤] ، وقد حاول الباحث عبثا الحصول على تلك المقالة للاستفادة منها . وكان محمد كامل حسين ممن أشار الى هذه الظاهرة التي اعتبرها مفخرة للباطنيين لأنها دليل على سعة ثقافة دعاتهم[٥] . وربما قرنت هذه الظاهرة من هذا

---

١. انظر : أصول الاسماعيلية (الترجمة العربية) ص ١٩٦
٢. انظر : مذاهب الاسلاميين ٥٨٨/٢
٣. انظر : ايفانوف . الاسماعيليون والقرامطة ، نسخة مترجمة الى العربية بقلم : مسعود على مسعود ، وموجودة عند الأخ سليمان السلومى ، ص ١٥
٤. انظر : مذاهب الاسلاميين ٥٨٨/١ وأصول الاسماعيلية هامش ص ١٩٦
٥. انظر : تعليق محمد كامل حسين على الرسالة الواعظة للكرماني ص ٢٢ .

الوجه بما كان من بعض علماء المسلمين الذين درسوا العهد القديم للرد على اليهود ، واذا كانت هناك مثل هذه المقارنة ، ففيها شيء من مجانبة الصواب لأن الدعاة الباطنيين لم يستعملوا التراث اليهودي لمناصرة اليهود والرد عليهم بل استعملوه دليلا يدعّم آراءهم الباطنية ، ولذلك فاننا نجدهم يحورون الأقوال التوراتية علَى طريقتهم الخاصة ويؤلونها تأويلا باطنيا .

ان الدعاة الباطنيين لم يجدوا أي غضاضة أو سبة في وجهة نظرهم هذه ، بل انهم اعتبروا ذلك عين الصواب . وهذا يعود بنا الى القول بشمولية العقيدة على اعتبار أنها تفيض من نبع واحد ، وقد استدلوا فى ذلك بالحديث النبوى (لتتبعن سنن من قبلكم)* هذا الحديث الذى لايكاد الباحث يفتقده في كثير من المصادر الباطنية بصيغ متقاربة[١] .

ان استدلال الباطنين بهذا الحديث لتدعيم مقولتهم في الاستدلال بالأسفار اليهودية ، بحيث جاء وكأنه تنفيذ لأمر رسول الله (ص) بوجوب اقتفاء أثر اليهود ، فيه مقال ، لأن فى ذلك تجاهل لما ورد فى القرآن الكريم من تحريف اليهود لكتبهم المنزلة ، قال تعالى : (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه)** ، فساوَوا بين ما ورد فى تلك الكتب وما ورد في القرآن الكريم الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)*** . ان ذلك لا يضير الباطنيين في شيء ما دام يخدم أغراض الدعوة الباطنية ، ولا شيء غير ذلك .

---

* البخاري ك ٩٦ ب ١٤ أنظره فى : فتح الباري ٣٠٠/١٣

١. انظر : القاضى النعمان . دعائم الاسلام ١/١ والداعى المؤيد فى الدين . المجالس المؤيدية المجلس ٢١ ، ص ص ١٠٤ ، ١٠٥ وقد نسب هذا القول الداعى ابوحاتم الرازى الى الرافضة أنظر : (عبدالله سلوم السامرائى) ص ٢٧١ وأنظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٨/١

** النساء ٤٦ *** — فصلت ٤٢

وقد اختار الباحث نماذج من الفكر اليهودي ظهرت في تراث الباطنيين ونسبها الدعاة صراحة الى التوراة أو أنبياء بني اسرائيل ، من ذلك مثلا :

* — الداعي : أبو يعقوب السجستاني :

اسمه اسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني وقد عاش في القرن الرابع الهجري ، ويعتبر شيخ فلاسفة الاسماعيليين ، وكان يتقن أكثر اللغات السائدة في عصره[1] ، وهذا ما يجعلنا لا نستغرب استدلاله بالتوراة حين يقول في كتابه (اثبات النبوات) :

ان من قصة نوح ما هو مكتوب في التوراة اذ أنه أول من غرس الكرم لايجاد الخمر فمعناه أن نوحا أول من بنَى الشرائع التي منها مخامرة العقول ومدهشة الأذهان فاعرفه وتفهمه[2] .

والداعي السجستاني يعني بذلك ما ورد في العهد القديم :

وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما . وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه[3] .

والمقارنة بين النصين توضح لنا القدر الذي ذهب اليه الباطنية في توظيف ما ورد في العهد القديم لصالح دعوتهم ، الى جانب مافيه من مقصد البحث .

* القاضي النعمان :

هو : أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن احمد بن حيّون التميمي المغربي ، ويعرف عندهم باسم (سيدنا القاضي النعمان) تمييزا له عن

---

١. انظر : مقدمة عارف تامر لكتابه : اثبات النبوات ص و ، ز وأنظر أعلام الاسماعيلية ص ١٥٤ .
٢. السجستاني . اثبات النبوة ص ١٨٥
٣. سفر التكوين ٩/٢٠ ، ٢١

أبي حنيفة النعمان الفقيه صاحب المذهب الحنفي - ويعتبر واجهة الفكر الباطني المشرفة لتميز كتاباته بالاعتدال النسبي اذا قورنت بمثيلها لدى بقية الدعاة ، ولكنه لم يستطع اخفاء باطنيته دائما - وتعتبر كتابات القاضي النعمان الفقهية مصدرا رئيسيا في فقه الاسماعيلية ، وقد تدرج القاضي النعمان في مراتب الدعوة الباطنية حتّى صار داعي دعاة المعز لدين الله العبيدي ، الى أن توفي سنة ٣٦٣ في القاهرة وصلّى عليه المعز لدين الله نفسه.[١] في كتابه (المجالس والمسايرات) يروي القاضي النعمان عن المعز قوله :

- : فماذا تقولون فيما مضى على آبائنا من المحن ولهؤلاء المتغلبين [يعني بني العباس] من الاقبال والدول ؟ أذلك شيء أعطاهم الله اياه أم غلبوا على أمره فيه ؟ .

فقالوا : الله ووليه أعلم .

فقال (عم) : انه كان فيما أوحى الله (عج) الى داود : ياداود ان ولدك سيكون منهم من بعدك ما يوجب عقوبتهم ، واني لست أنزع منهم ما أعطيتك ، ولكن من عصاني منهم فبالعصا أقوّمه . ثم تنفس الصعداء (ص) وقال : في هذا مقال له مقام . وأنه فيما يروى أن القائم منا اذا أسند ظهره الى الكعبة البيت الحرام ، وقام خطيبا للناس فحينئذ يقوم لكلٍ ما عنده .

---

١. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٥٨٩ فما .

فقبلنا الأرض وقلنا : نسأل الله أن يجعلنا ممن يلحق
ذلك ويفوز بمشهده بين يدي وليه وابن نبيه[1] .

ان المعز لدين الله العبيدي يستشهد بما ورد في العهد القديم في خطاب الى داود :

متى كملت أيامك واضجعت مع آبائك أقيم بعدك
فسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته .
هو يبني بيتا لاسمي وأنا أثبت كرسيّ مملكته الى الأبد
أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابنا . ان تعوج أؤدبه
بقضيب الناس وبضربات بني آدم . ولكن رحمتي لاتنزع
منه كما نزعتها من شاول الذي أزلته من امامك[2] .

يستشهد المعز بالعهد القديم ليثبت نظرية الامامة الباطنية التي تقول ان الامامة قائمة في ذرية الحسين بن علي حتى يقوم قائم القيامة المنتظر! ويلاحظ علَى نص القاضي النعمان الَى جانب ما سبق ذكره رد الفعل الذي كان من الباطنيين الذين حضروا المجلس الذي قال فيه المعز مقالته .

* — الداعي أبو فراس :

هو شهاب الدين بن القاضي نصر بن ذي الجوشن الديلمي المَيْنَقي هاجر أبوه سنة ٨٥٩ في ظروف غامضة من اقليم الديلم في فارس الى سوريا وأسباب هجرته مجهولة وحياته قبل وصوله الى سورية مجهولة أيضا . وقد ولد الداعي أبو فراس في قلعة المينقة في اللاذقية سنة ٨٧٢ ومات بها سنة ٩٣٧ه وله مؤلفات باطنية كثيرة مصبوغة بميول صوفية[3] ، ومن نافلة القول الاشارة الىَ أن هذا الداعي من الباطنيين النزاريين .

---

١. كتاب المجالس والمسايرات ص ٤٢٧
٢. سفر صموئيل الثاني ٧/١٢-١٥ وانظر ايضا : أخبار الأيام الأول ١٧/١١-١٤
٣. انظر : مقدمة عارف تامر لكتاب الداعي أبي فراس: الايضاح صأ ومقدمته لكتاب أربع رسائل اسماعيليه ص ١٩ وأنظر أعلام الاسماعيلية ص ٣١٣ فما .

يرى الباطنيون عموما أن لكل ناطق ضد أو ابليس لأن الأبالسة في عقيدتهم لابد من وجودهم في كل زمان مع كل نبي أو امام في تسلسل تناسخي مرتبط على طرف نقيض مع فكرة الأدوار السبعة (ز• ص ٢٠١) •

والداعي أبو فراس يتحدث هنا عن ابليس نوح عليه السلام فيقول :

وابليس نوح عليه السلام حام ، ولذلك روي في الخبر أن حاما رأى عورة أبيه نوح وهو نائم فأطلع على ذلك اخوته كنعانا وساما ويافثا ولم يستره ، أي أنه كشف ما وصل اليه عن أبيه من العلم الذي لا ينبغي كشفه الا لأهله ، ونصحه أبيه [كذا] فلم ينتصح وأصر على المعصية ولم يتب ، فاكتسب بعمله مقام الابليسية •[1]

ان الداعي أبا فراس يعني بالخبر الذي رواه ما ورد في العهد القديم :

فابصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا • فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا الى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما الى الوراء •[2]

وليلاحظ القارئ الكريم كيفية استخدام الداعي المذكور للنص ليتلاءم مع الفكرة الباطنية التي توجب السرية وعدم كشف الأسرار الباطنية ، أما التعليق على نص العهد القديم فليس للباحث أن يخوض فيه •

---

١. كتاب الايضاح ص ٥
٢. سفر التكوين ٩/٢٢ ، ٢٣

* — الداعي حميد الدين الكرماني :

هو الداعي أحمد حميد الدين بن عبدالله بن محمد الكرماني الملقب بحجة العراقين ، وهو : شخصية علمية خارقة يكتنف تاريخ حياتها بالغموض وهو كما يقول الداعي ادريس عماد الدين :

هو أساس الدعوة التي عليه عمادها وبه علا واستقام منارها ، وللغموض الذي رافق هذا الشخص نجد أن تاريخ وفاته لم يعرف على التحديد رغم كونه أحد أعمدة الفكر الباطني وقد رجح أنه توفي سنة ٤١١ كما يقول مصطفى غالب[1] .

وللداعي الكرماني كثير من المؤلفات الباطنية ، ويدل على مكانته في الفكر الباطني أنه مرجع لكثير من الباطنيين الذين جاؤوا من بعده .

استدل الداعي حميد الدين الكرماني بعبارات من العهد القديم في كتابه (مباسم البشارات) حين قدم الى القاهرة لعلاج الموقف الذي نتج عن ظهور الفرقة الدرزية التي قالت بتاليه الحاكم بأمر الله (ر. ص ص ١٥٠ ، ٢٠٣) .

كتب عبدالرحمن بدوي في ذلك ما يأتي :-

في دفاع الكرماني عن الحاكم نراه يغلو فيه ، وان
كان غلوه أقل درجة من غلو حمزة بن علي ومحمد الدَّرَزي
.. ثم يسوق البشارات التي بشرت بالحاكم بوصفه
المسيح أو المهدي الذي بشر به أيشاعيا (أشعيا)
في التوراة [؟] ، حيث يقول : ...

---

١. انظر : مقدمة محمد حسن الأعظمي على كتاب القاضي النعمان (تأويل الدعائم ٣/ ٢٠ ومقدمة محمد كامل حسين على الرسالة الواعظة للكرماني . مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ،ص ١ وأعلام الاسماعيلية ص ٩٩ فما .

" افرحي واشكري يا بنت صهيون — واصرخي
فرحا يا بنت بيت المقدس ، فان ملكك قد جاء
صادقا مطهرا من الأدناس ، زاهدا وراكبا على
حمار الوحش والأتن ".

وقد ذكر الكرماني الاية [؟] بنصها العبري ٥
مكتوبا بحروف عربية ولكن يلاحظ على ترجمته للآية
[؟] ما يلي :—

أ — انه أضاف كلمة "رعاة" وجعل "بنتا" جمعا
هكذا : رعاة بنات صهيون .

ب — ولعل سبب ذلك التأويل الذي يسوقه للآية [؟] ١٠
اذ يقول : " فهل الرعاة الا الدعاة ، وهل "البنات"
الا المؤمنون ، وهل "بيت المقدس" الا الامام ، وهل
ما قاله من العلامة بشارة للدعاة بقوله : " فان ملكك
قد جاء صادقا مطهرا من الأدناس زاهدا راكبا على
الحمار وعلى الحير والاتن " — الا ما عليه حال الامام ١٥
(ع) —؟

فكأن الكرماني اذن قد حرف في الآية [؟] الواردة
في سفر أشعيا — بحسب قوله (وصوابه في سفر زخريا
[= زكريا] اصحاح ٩ آية [؟] ٩) لكي تتلاءم كلها
مع أحوال الحاكم بأمر الله والدعوة الاسماعيلية. وكأن ... ٢٠
المسيح (أو المهدي) الذي بشر به أشعيا هو بعينه
الحاكم بأمر الله ، والدليل على ذلك أن الحاكم كان
زاهدا ، ويركب الحمار في ركوبه .

وهذا قد يُرَدُّ على الكرماني بأن المقصود من بشارة أشعيا هو عيسى بن مريم ، ولهذا يتدارك الكرماني هذا الاعتراض بالرد فيقول : " تقول قد يقع الظن بأن الذي قاله أشعيا (ع) من هذه البشارة التي ذكرناها هو بشارة بعيسى (ع) بكونه راكبا للحمار ، زاهدا - من دون غيره " -

والذي يعين أن الاشارة بقوله ذلك في هذا الموضع هي بالامام (ع) من دون عيسى (ع) ويؤيد الحكم ويقطعه : قول أشعيا ثانيا انه يهلك المفسدين ويفنيهم بريح شفتيه ، حيث يقول مخبرا عن أفعال الزاهد الراكب الحمار الذي يشر به :

- ويقضي بالصدق والعدل للضعفاء والفقراء ويريح الخواص المتواضعين ،

- ويضرب الأرض بعصا فمه وبريح شفتيه ، ويميت المفسدين ، ثم كون عيسى (ع) من هذه الأفعال خاليا (هو) من الشهادة العظمى بأن البشارة ليست به ، اذ لم يبق في قومه فيقال انه يحكم بالصدق والعدل ولم يقتل أحدا ، ولا أمات مفسدا ولا أمر بذلك فيقال انه قتل وأمات . واذا كان ذلك كذلك ... خلصت هذه القضايا التي حكم أشاعيا (ع) بها للحاكم (ص) بقيام أمارا تهابه اذ هو الزاهد والراكب الذي قد أفنى المفسدين ويفنيهم أبدا بحركة شفتيه بقوله : خذوا رأس فلان ، أو اقتلوه - بعصيانهم وافسادهم ، لم تصح الا فيه ان ذلك لشيء عجاب ...

" لما كانت الدلائل علّى ما بيناه أن الامام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين (ع) هو الذي ينجز الله وعده به لمحمد (ص) • وعلى يده يعود الأمر كليا الى بيت النبوة ، فوجدنا ما يحقق قولنا في قول دانيال النبي (ص) في المدة التي أومأ اليها من أيامه التي هي تاريخ الاسكندرية ، بشارة حيث يقول : أثرى ها محكي ويجيع ليامیم أيلو شلو ش مئوت شلشيم وحمشة •

أي : " طوبَى للموحدين في زمن ألف وثلاثمائة وخمس وثلاثين سنة من زماني " •[1]

واذا كان من اضافة الى ما أورد " عبدالرحمن بدوي " فليس سوَى ما أشار اليه في هامش كتابه من تصحيحه لبعض الألفاظ التي وردت خطأ في كتاب : " مباسم البشارات " ، وأن ما تنبأ به الكرماني في الحاكم بأمر الله لم يتحقق منه شيء مطلقا ، كما وردت استشهادات توراتية للكرماني في كتابه (راحة العقل) •[2]

* — حاتم بن ابراهيم الحامدي :

الداعي الثالث المطلق لفرقة المستعلية (— ٥٩٦)* ان لهذا الداعي كتابا يسمّى (مجالس حاتم)[3] وذكر أنها خمسة عشر مجلسا ، وفي مخطوطة الكتاب المذكور التي عثرتُ عليها في اليمن ما يدل علَى أنها في الأصل أكثر من مائة مجلس ذلك لأنه في بداية كل مجلس يقول المجلس كذا من المائة الأولى •

---

١. مذاهب الاسلاميين ٢/ ٥٨٥ — ٥٨٨ ، ٥٩٠

٢. انظر : المجدوع ص ٢٨٤ وانظر ايضا المجدوع ص ٢٨٤ و ص ٥

* انظر : ترجمته فى اعلام الاسماعيلية ص ١٩٧ وايفانوف • الأدب ••• الاسماعيلى ص ٦١

٣. انظر : ايفانوف ٢٢٥ واعلام الاسماعيلية ص ١٩٩ والمخطوطة الموجودة عندى أقل من ذلك وهى ناقصة

حفلت " مجالس حاتم " باستشهادات من العهد القديم مثل : لا جديد[1] تحت الشمس وتنصيب آدم ابنه شيث[2] ، واقامة يوشع كفيلا لولد هارون[3] ، وادعائه أن زوجة موسى حاربت وصي موسى بعد وفاة موسى ، وأنها أتت في تلك الحرب راكبة زرافة ، وهو يشبه ذلك الحدث لوقعة الجمل التي وقعت بين علي بن أبي طالب وام المؤمنين عائشة بنت الصديق كما ادعى أن بني اسرائيل أيضا حاربوا يوشع بعد وفاة موسى ، وهو بذلك يريد أن يشبه الحدث بما صار بعد وفاة محمد (ص) من عدم مبايعة علي بن أبي طالب بالخلافة ، فأعتبرها حربا لعلي .

ان الادعاء بأن " صفراء " أو " صفورة "[4] حاربت يوشع بن نون لم يثبت في العهد القديم وكذلك الحرب بين بني اسرائيل ويوشع ولكن فيه أن بني اسرائيل أخطؤوا في اغضاب يوشع بن نون[5] .

وادعى أن يوشع بن نون سلم الأمر الى فنحاس بن هارون ، بينما الذي في العهد القديم هو فنحاس بن اليعازر بن هرون[6] وأما التسليم اليه فلا وجود له في العهد القديم . وهكذا يتضح أن الغرض اذا كان تأييد الدعاوى الباطنية ، فان الدعاة على استعداد أن يستدلوا بأي مرجع ويزيدوا من عندهم ما ينقص .

* كتاب مجالس الحكمة : مخطوط باطني مجهول المؤلف ، والنسخة متأخرة النسخ ولم يذكر ايفانوف هذا الكتاب مطلقا بل ذكر مجالس الحكمة والبيان وهو من تراث السليمانية[7] وليس بمستبعد أن يكون كتاب مجالس الحكمة من مؤلفات

---

١. انظر : مخطوطة مجالس حاتم ق ق ٦ أ ، ٣١ ب ، ٣٣أ ، ٣٧أ .
٢. انظر : سفر التكوين ٤/ ٢٥ ، ٢٦
٣. انظر : سفر العدد ٢٧/ ١٨ وسفر التثنية ٣١/ ١٤
٤. انظر : اسماني : سفر الخروج ٢/ ٢١ ، ٤/ ٢٠
٥. انظر : يشوع ٧/ ١-٢١
٦. انظر خروج ٦/ ٢٥ والأيام الأول ٦/ ٥٠
٧. انظر ايفانوف ص ٤٦٨ .

الداعي الكرماني[١]، وهذا المرجع حافل بالاستدلال من العهد القديم على النحو الباطني السابق الذكر الذي يعتمد على التحريف والتأويل[٢]. نجد في مجالس الحكمة :

ان "تارح" هو اسم أبي ابراهيم الخليل وليس "آزر" كما ذكر ذلك في القرآن الكريم* وهذا مأخوذ من العهد القديم الذي يسمي أبا ابراهيم "تارح"[٣] وتقول مجالس الحكمة انه جده لأمه وذلك كي يستقيم مع ما ذهب اليه الباطنيون من أن ابراهيم تلقّى عن أبيه الذي كان اماما مقيما وأن جده "ناحور" كان آخر أئمة دور "نوح"[٤]، وهذا لا يستقيم أبدا مع القرآن الكريم الذي فيه يقول رب العزة (وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ..)** وهكذا نجد حقيقة هذا المذهب الذي يرفض القرآن الكريم من حيث الاستدلال به باعتباره كتابَ الله تعالَى الَى المسلمين .

وأطلقت مجالس الحكمة على "أبراهيم الخليل" اسما آخر هو "ناحور" والاسم وان كان موجودا في العهد القديم الا أنه اسم لأحد اخوة ابراهيم وهو اسم لجده أيضا[٥].

وعن اختتان "ابراهيم": يقول العهد القديم انه كان لما بلغ تسعة وتسعين عاما من عمره[٦] ولكن لغرض خفيّ حرفت مجالس الحكمة ذلك فقالت : انه اختتن وقد كمل له تسعة وتسعون داعيا .

---

١. انظر : الأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٤١ـ فقد ذكر مجالس الحكمة للكرماني .
٢. انظر ذلك في ق ق : ١ ب ، ٤٤ ب ، ٦٦ ب ، ١٧٦ أ ، ٢٤٦ ب ، ٢٥٠ أ ، ٢٦٦ أ من مجالس الحكمة .
* سورة الانعام ٧٤ ٣ـ انظر : التكوين ١١/ ٢٧
٤. انظر : تاريخ الدعوة الباطنية ط ٣ ، ص ص ٦٨ ، ٧٠
** سورة التوبة ١١٤ ٥ـ انظر : التكوين ١٠/ ٢٤ ـ ٢٦ ، ٢٤/ ١٠
٦. انظر : التكوين ١٧/ ١ ، ٢٢

يرى صاحب " مجالس الحكمة " أن تولية يوشع بن نون أمور بني اسرائيل بعد وفاة موسى ليس الا لكونه كفيلا على ولد هرون (ر. ص ٣٩٠) فهو يعني أن يوشع بن نون كان غريب النسب والامامة ليست له بل هي في الأصل لولد هرون، ولكي يجعل من القصة نموذجا لما يصوره الباطنيون من أمر بداية ظهور فرقتهم تلك القصة التي أقحموا فيها موضوع " ميمون القداح " على أنه كفيل محمد بن اسماعيل تبريرا لما قام به من تأسيس الفرقة الاسماعيلية الباطنية ، أورد القصة على مايلي :-

ان هرون أمر ولدين له بتقديم قرابين لله على طريقة ما كان من هابيل وقابيل . ليتبين من هو الامام منهما ، فنزلت نار من السماء وأحرقت ولدي هارون. [١] أن قصة احتراق ولدي هارون وردت في العهد القديم وهما " ناداب " و " أبيهو " . وهكذا استمر صاحب " مجالس الحكمة " في سرد القصة على ما في العهد القديم ، فذكر صعود هرون الى جبل الطور ليموت هناك [٢] ، ثم ذكر أن موسى أظهر يوشع بن نون لبني اسرائيل [٣] .

ولتتلاءم القصة مع ما يريد صاحب مجالس الحكمة أشعر قارئيه أنه بعد احتراق ولدي هرون كان ابنه -الذي يفترض فيه أن يكون الامام- مازال دون السن التي تؤهله لتبوء ذلك فنصب " موسى " يوشع بن نون كفيلا ، ولكن هذا تحريف لما في العهد القديم الذي فضلا عن كونه لم ينص على ذلك ، فان أولاد هارون كانوا كهنة لبني اسرائيل حتى مع وجود يوشع بن نون ، فحتى حين احترق " ناداب " و " ابيهو "

---

١. انظر : سفر اللاويين ٩/ ٢٤
٢. انظر : سفر العدد ٢٠/ ٢٥ - ٢٩
٣. انظر : سفر العدد ٢٧/ ١٨

فان اخوانهما هم الذين قاموا بالطقوس اللازمة نحو المحترقين [١] ، ولكن الباطنيين يبغون تكيف ما ورد في العهد القديم ليتلاءم مع أهداف خاصة تبرر ما لفقوا لأنفسهم من تاريخ .

الى جانب ما يضيفه كتاب " مجالس الحكمة " في تأكيد أثر الفكر اليهودي في تراث الدعاة الباطنيين فان هذا الكتاب أضاف الى ذلك: أن المهدي عبيد الله ليس فاطميا ، بل من الممكن القول أنه أعطانا بطريقة غير مباشرة صورة قد تكون جديدة لفترة الستر التي في تاريخ الباطنيين وهي أن ميمون القداح كان كفيلا لمحمد بن اسماعيل علَى ما عرفنا وأن الأمر بقي في أيديهم أي القداحيين حتَّى سلم المهديّ ذلك للقائم بأمر الله أي ما يقرب من قرن ونصف [٢] ، ومن ذلك يمكن استنباط الكثير .

* مجموعة الوثائق الفاطمية :

ان كتاب مجموعة الوثائق الفاطمية مجهود قام به جمال الدين الشيال لجمع الوثائق الرسمية التي صدرت عن الخلفاء العبيديين ، وهي في مجموعها تمثل وجهة النظر الرسمية لخلفاء الدولة العبيدية ، وهذه الوثائق بالاضافة الى ذلك توضح لنا جانبا من عقائد خلفاء هذه الدولة ، وهو جانب هام لمن أراد دراسة الفرق الباطنية وعقائدها كما يراه أئمة هذه الفرق باعتبارهم سلالة علي بن أبي طالب كما يزعمون . ولسنا في مجال دراسة هذه الوثائق كي يتم لنا الوقوف علَى أهميتها التي لاتخفَى علَى أولي الألباب ، ولكن لابد من الاشارة الى أنها قد تكون أكثر قيمة من الانتاج الفكري

---

١. انظر: سفر اللاويين ١٠/٦، ١٢، ١٦–١٩
٢. انظر: مخطوطة مجالس الحكمة ق ٢٦ أ

للدعاة لا سيما وأن أكثرها صُدِّر بقلم الأئمة العبيديين أنفسهم . وأعني بهم هنا الذين تولوا الخلافة بعد وفاة المستعلي (- ٤٩٥) .

وفي هذه الوثائق نجد بكل وضوح تأثيرا واضحا للفكر اليهودي على الدعوة الباطنية ، وقبل الحديث عن ذلك لابد من الاشارة الى أن أحد كتاب الخليفة الآمر بأحكام الله بن المستعلى (- ٥٢٤)* كان يهوديا وهو : ابن أبي الدم.[١] وفيما يلي بعضا من ذلك : ٥

١- الهداية الآمرية في ابطال الدعوة النزارية :

هذه رسالة صادرة عن الخليفة العبيدي الآمر بأحكام الله وقد نشرها لأول مرة : آصف بن على أصغر فيضي (كلكتا ١٩٣٨)[٢] ، وموضوع هذه الرسالة يبدو من عنوانه ، وهو ابطال ما ادعته فرقة النزارية التي ظهرت بعد وفاة المستنصر (- ٤٨٧) (ر. ص ص ١٥٠ ، ١٥١) . ١٠

والذي يُهِمنا هنا من أمر هذه الرسالة استعانتها ببعض ما ورد في العهد القديم في تأييد دعوى الفرقة المستعلية (ر. ص ١٥٢) صحة امامة المستعلي وفساد امامة نزار ، تقول الرسالة :

وهذه أمور جلية لا يكابر فيها الا من يجحد العيان ١٥

ويدفع البرهان والى هذا أشار الله تعالى بقوله :

(واتبعو ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ...)** وذلك أن مولانا

---

* انظر ترجمة وافية لحياته في : المقريزي . اتعاظ الحنفاء ٣/ ٣١- ١٣٣ .

١. انظر الوثائق الفاطمية ١/ ١٤١ وانظر : اتعاظ الحنفاء ٣/ ١٣٣

٢. انظر : الوثائق الفاطميه ١/ ٤٧ ، ٥٠ ، ٢٠٣

** البقره ١٠٢

المستنصر بالله من دوره بمنزلة سليمان من دور بني
اسرائيل ، وهو المشار اليه بسليمان ، وقد قال النبي
[ص] (كائن في امتي ما كان في بني اسرائيل ...)
فسليمان هذه الأمة هو مولانا المستنصر بالله ، لأنه
واقع في الرتبة والعدد من أئمة دوره موقع سليمان ... ٥
وأيضا فانه أوتي ملكا لم يوت مثله أحد من آبائه
طولا وتمكينا كما أوتي سليمان ، وسخرت له الريح
والشياطين كما سخرت لسليمان ، ... وقوله "وما كفر
سليمان" أي ما كفر مولانا المستنصر بالله ولا جحد
حقيقة علمه في معنى الامام من بعده ، بل عقد الامامة ١٠
لمولانا المستعلي بالله في يوم النكاح على رؤوس الأشهاد
... وكفر بذلك من اتبع الهوى وآثر الدنيا ، ...
ولهذا قال سبحانه : "ولكن الشياطين كفروا"
أي هؤلاء الذين شطئوا عن الحق وبالغوا في
الحيلة ، فضلوا وأضلوا . ١٥

ومما يعضد هذا التأويل ما ورد في أسفار بني
اسرائيل من أن سليمان نص بالامامة على ولده رحبعون
كما نص مولانا المستنصر بالله على مولانا المستعلي
بالله ، فحسده يربعون ، فخرج عليه . وكانت الدائرة
على يربعون ... وكانت العاقبة لابن سليمان .[١] ٢٠

ان قصة رحبعون ويربعون وردت في العهد القديم ، ولكن اسمهما لم
يكن كذلك بل : رحبعام ويربعام ولما راجعت العهد القديم لم أجد

---

١. مجموعة الوثائق الفاطمية ١/٢١٧ - ٢١٩

فيه ما يدل علَى أن يرجعام كان أخا ليربعام كما ظن البعض ، بل ان رحبعام هو ابن سليمان فقط كما سيتبع . ولا يفهم أيضا من نص الهداية الآمرية ان يربعون كان أخا لرحبعون .[1]

وان يربعام هذا كما في العهد القديم هو :

يربعام بن ناباط افرايمي من صرده عبدٌ لسليمان واسم امه صروعة وهي امرأة أرملة .[2]

والقصة موجودة بكاملها في سفر الملوك الأول من الاصحاح الحادي عشر الى الخامس عشر . وهي لا تنسجم تماما مع ما ذهبت اليه الهداية الامرية ، الا أنها توضح لنا بالاضافة الى الأثر الفكري اليهودي عند الباطنيين ، أنهم كانوا يدعمون عقائدهم بأي دليل يعثرون عليه ولا يهمهم من ذلك قوة الدليل .

٢- رسالة (ايقاع صواعق الارغام في ادحاض حجج أولئك اللئام) :

وهي رسالة نشرت مع الهداية الآمرية في مجلد واحد[3] وهي رد آخر من المستعلية علَى النزارية الذين مما يظهر أن امامهم نزار بن المستنصر (-٤٨٨)* قتل بأمر أخيه المستعلي فشنع النزاريون ذلك على المستعلية في الوقت الذي اعتبروا ذلك ظلما جَرى على امامهم .[4]

وقد ردت هذه الرسالة - ايقاع صواعق الارغام - على ذلك برد يجد الباحث فيه التأثير اليهودي في فكر المستعلية ، تقول الرسالة :-

---

١. انظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ١/٥٦

٢. سفر الملوك الأول ١١/٢٦ وأنظر أيضا ١٢/١ ، ١٥ ، ١٤/٧-٩ ، ١٥/١

٣. انظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ١/٢٣٠

* انظر أعلام الاسماعيلية ص ٥٨٣ فما ، وفيها انكار لمقتل نزار في هذه السنة .

٤. انظر : مجموعة الوثائق الفاطمية ١/٢٣٥.

وأما قولهم : ان يزيد اللعين [يعني ابن ابي سفيان] قتل الحسين وأن ابن آدم قتل أخاه وكانت هي اشارتهم الى أن القاتل ظالم والمقتول مظلوم ، وهذا قول من لا ينظر بنور ، ولا يعرف قبيلا من دبير ، ذلك أنه ليس كل مقتول مظلوم ولا كل قاتل ظالم ، ألا ترى أن داؤد قتل ابنه أشلوم لما خرج عليه ، فهل تقول ان داؤد هو الظالم البعيد عن الله ، وابنه هذا أشلوم المظلوم القريب من الله ؟ .[1]

واذا عدنا الى العهد القديم فان ابن داود الذي تدور عليه القصة لم يكن يسمّى أشلوم كما ورد في النص الباطني بل كان اسمه أبشلوم[2] ، وقصته أنه ثار لأن أخا له اغتصب أخته العذراء فدبر أبشالوم مكيدة لقتل أخيه انتقاما وتطور الأمر حتّى قُتل أبشالوم علَى يد شخص اسمه يوآب فحزن داود على ابنه القتيل وبكاه .[3]

وهكذا يتضح أن القصة وان كان لها أصل من العهد القديم الا أن الباطنيين المستعليين استشهدوا بها علَى طريقتهم الخاصة ، مثل ما كان منهم في كثير من الاستشهادات التي ساقوها من العهد القديم .

بالاضافة الى ما سبق فان الباطنيين رووا في تدعيم عقائدهم روايات نسبوها الى التوراة كقولهم :—

---

١. مجموعة الوثائق الفاطمية ١/ ٢٤٥
٢. انظر : سفر صمويل الثانى ١٣/ ١
٣. انظر : سفر صمويل الثانى ١٣/ ١ — ١٥ ، ٢٨ ، ٢٩ و ١٨/ ١٤ ، ٣٣

ورد فى التوراة قول الله تعالى حيث قال :

اطعنى يا ابن آدم أجعلك مثلي حيا لا تموت عزيزا

لاتذل غنيا لا تفقر.[١]

ومن العجيب أن بعض المحققين للمصادر الباطنية أعتبر ذلك

حديثا قدسيا.[٢] ٥

وتعج المصادر الباطنية بحكم وأقوال أخرى غير منسوبة الى العهد

القديم ولكن مما يشتم منها أنها ذات أصل يهودي ، كقول بعض الدعاة :-

قال بعض الحكماء : لاتحاول اصلاح من قوي

فساده فهو الى أن يجذبك اليه أقرب من أن تجذبه

اليك.[٣] ١٠

---

١. مقدمة تأويل الدعائم ٤٢/١ والأنوار اللطيفة (محمد حسن الأعظمى) ص ٦

٢. انظر : المجالس المؤيدية ، فهرست الأحاديث المنسوبة الى النبى (ص) ص ٣٧٥ .

٣. رسالة تحفة المرتاد ، (شتروثمان . أربعة كتب) ص١٦٠ .

الفصل الثالث : تاريخ الدعوة الباطنية

ان الدعوة الباطنية سرية ، لايشك أحد في اتباعها هذا الأسلوب ، خاصة بعد ما مضى من هذا البحث ، وهذه الدعوة قامت على أكتاف دعاة مجهولين في معظم الأحوال ، الا أن تعميم صفة السرية وتعليق جميع الأحداث عليها ضرب من المبالغة أو التهرب من مواجهة شيء ما . ففي ٥ هذا التاريخ ما هو جدير بملاحظة الباحثين وادامة التأمل ، وقد مرّ .

وتاريخ الدعوة الباطنية منذ نشأتها حتى زوال الدولة العبيدية بفترتين رئيسيتين :

الأولى : فترة الستر وهي تبدأ بوفاة جعفر بن محمد سنة ١٤٨ كما يزعم الباطنيون حتى ظهور عبيد الله المهدي على المغرب سنة ٢٩٦ ، والمفترض ١٠ أن تكون هذه الفترة سرية بمعنى الكلمة لا سيما فيما يختص بالأئمة ومشاهير الدعاة .

الثانية : فترة الظهور أو دور الاشهاد ، وهي التي تبدأ بما انتهت به فترة الستر وتنتهي بانتهاء الدولة العبيدية ويفترض في هذه الفترة أن تكون علنية بخلاف فترة الستر لاسيما ما يختص بمرتبة داعي الدعاة ١٥ (ر. ص ٣٦٨) . وما يختص أيضا باعلان النسب الفاطمي الذي غلفته السرية في فترة الصمت .

وهذا الفصل يوضح لنا بطريقة أخرى تاريخ هذه الدعوة انطلاقا من النقطة الحرجة فيها الا وهي نسب الخلفاء العبيديين .

علاقة النسب الفاطمي بتاريخ الدعوة الباطنية : ٢٠

ان الفرق الباطنية في مجموعها تدعوا الى امامة محمد بن اسماعيل - عدا فرقة النصيرية - ، وقد تبين لنا من خلال ترجمة المذكور وترجمة أبيه

أن لا دور لهما في العقائد الباطنية وان كان لهما من دور في الدعوة فهو انها تحمل اسم اسماعيل ومحمد بن اسماعيل (ر٠ ص ص ٢٦٨، ٢٧٥)

ولما قامت دولة العبيديين ادعَّى خلفاؤها الانتساب الى محمد بن اسماعيل بطريقة لازالت موضع خلاف شديد بين المؤرخين والدارسين فتفرقوا بين مثبت لهذا النسب وناف له٠ ٥

وارتباط هذا النسب بتاريخ الدعوة الباطنية ينطلق من خلال وجهة نظر الذين نفوا هذا النسب الذي ادعته طائفة منهم لميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون ، وهما اللذان قامت هذه الدعوة على أكتافهما، وهو بالتالي ينسجم مع وجهة نظر من اعتبر الخلفاء العبيديين قداحيين في حقيقة أمرهم ٠ ولا يخفى علينا أن هناك طائفة ممن اثبتت صحة النسب ١٠ الفاطمي لأولئك الخلفاء تدعي أن القداحيين شخصيات وهمية وأسماء حركية للأئمة المستورين الذين ينحدرون من ذرية محمد بن اسماعيل وهنا يصبح الفاطميون أنفسهم هم حاملي لواء الدعوة الباطنية ٠

وهكذا تصبح مسألة النسب الفاطمي جزءًا لايتجزأ عن تاريخ هذه الدعوة٠ ١٥

المنكرون للنسب الفاطمي :

ان المنكرين للنسب الفاطمي يدّعون أن العبيديين في أصلهم من ذرية ميمون القداح ، وقد ذكر " برنارد لويس " أن أول من أشار الى ذلك كان " ابن رزام " (عاش تخمينا في أوائل القرن الرابع) ، وهي اشارة الى أن أهل السنة هم أول من قال بذلك ، وقد انتشرت هذه الفكرة عن أهل السنة عند كثير ٢٠

---

١. انظر : أصول الاسماعيلية ص ٥٧

من الباحثين المعاصرين مع الأسف ، وان كان بعضهم بدأ في حصر التهمة في الخلفاء العباسيين وهو أيضا خطأ شنيع ، لأن أول تشكيك[1] في نسب الخلفاء العبيديين لم يصدر عن أية طائفة اسلامية قبل صدوره من الباطنيين أنفسهم ، فان ابا عبدالله الشيعي (— ٢٩٨) المؤسس الفعلي لدولة العبيديين في المغرب ، وأخاه أبا العباس كانا أول من شك في نسب عبيد الله المهدي " كما تقول مصادر باطنية (ر٠ ص ٤٠٧) ولكن قبل أن نتحدث عن أبي عبدالله الشيعي باعتباره المؤسس الحقيقي للدولة العبيدية ، وما كان منه من الشك في المهدي عبيد الله لابد أن نتحدث عن وصوله الى المغرب كيف ولماذا كان ، وهذا حديث له علاقة بظاهرة ارسال الدعاة الباطنيين الى البلاد المختلفة لنشر الدعوة ٠

ارسال الدعاة الى البلاد المختلفة :—

تحدثنا في الفصل السابق عن دعاة الجزائر ، وعددهم وكيفية ارتباطهم بالامام عن طريق داعي الدعاة وأسماء جزرهم ٠٠٠ الخ (ر٠ ص ٣٦٩) ولكن هناك ظاهرة أخرى في تاريخ الدعوة الباطنية وهي ظاهرة ايفاد الدعاة الى أماكن مختلفة ، وغالب الظن أن هذا خارج عن مسألة داعي الجزيرة التي ذكر الباحث احتمال وجود ذلك التنظيم الخاص بالدعوة على النحو المعقّد الذي يطيب لبعض الدارسين المعاصرين أن يصوروا نظام الدعوة الباطنية عليه في الفترة المسماة بدور الستر ٠ ولقول الباطنيين بوجود داع لهم في مصر (ر٠ ص ٤٠٧) وليس في نظام الجزائر جزيرة باسم مصر ٠

---

[1] انظر : مصطفى غالب ٠ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ص ١٦٦

ان لرسال الدعاة بدأ بارسال دعاة لليمن بهدف اقامة أول دولة باطنية يظهر منها المهدى المنتظر (ر٠ ص ٣٣٠) ٠

ورغم أن ذلك تم في فترة الستر (سنة ٢٦٧) الا أن الداعيين الحسن ابن فرح بن حوشب وعلى بن الفضل الجدني يعتبران من أكثر الدعاة شهرة ليس في فترة الستر فحسب بل في فترات الدعوة الباطنية كلها ٠ ٥

ان هذا الظهور لاثنين من الدعاة في هذه الفترة يلقي ظلالا من الريبة علَى مدلول كلمة الستر ٠ كما أنه يشعرنا أن سنة ٢٦٧ كانت البداية الحقيقية للدعوة الباطنية ، وما كان قبل ذلك فلا يتعدى الجانب النظرى للدعوة الا قليلا٠

١٠ أقام الداعيان الحسن بن فرح الشهير " بمنصور اليمن " وعلي بن الفضل أول ما يمكن أن يطلق عليه " دولة الباطنيين " وان يكن الداعيان قد اختصما وتنافرا وتحاربا ٠ حتى قُتل علي بن الفضل بعد ذلك الا أن نجاحهما كان حافزا للمخططين الباطنيين أو " الأئمة المستورين " كي يعيدو التجربة بارسال داع الى المغرب ٠

١٥ أُرسل " أبو عبدالله الشيعي " أول ما أرسل الَى اليمن ليتتلمذ علَى يد منصور اليمن الذي أصبح علَى ما يظهر خبيرا في شئون اقامة الدعوة ، والدولة .أما من الذي أرسل اباعبدالله فهو موضع خلاف ذلك أن القاضي النعمان يزعم أنه الامام المستور[١]، ولكن " جعفر الحاجب " الذي يمكن توثيقه أكثر من القاضي النعمان هنا ، يدّعي أن أبا عبدالله الشيعي لم يقابل ٢٠ الامام المستور الذي بعثه على سبيل المجاز من الكوفة الى اليمن لأنه لم يصل بعد الى المرتبة التي تؤهله لمقابلة الامام[٢] ٠

---

١. انظر : افتتاح الدعوة ص ٣٠
٢. انظر : سيرة جعفر (مجلة كلية الآداب ٠ جامعة القاهرة) ديسمبر ١٩٣٦ ، ص ١٢١

بعد أن قضى " أبوعبدالله " فترة التدريب ، بعثه منصور اليمن مع الحجيج الى مكة لينطلق من هناك الى المغرب ، ومعه شخص مرافق اسمه " عبدالله أبو الملاحف " قد لايعنينا من أمره شيء لاغفال التاريخ له بعد ذلك .

اتصل "أبوعبدالله " في مكة ببعض الحجيج المغاربة من قبيلة " كتامة " البربرية ، فكان أن اصطحبوه معهم الى بلادهم .

كانت مهمة أبي عبدالله بذر أرض الدعوة الباطنية في المغرب ، تلك الأرض التي يقول الباطنيون ان داعيين باطنيين آخرين سبق وأن جاءا اليها لحرثها حسب التعبير الباطني ، قبل خمس وثلاثين ومائة من السنين كما يزعم القاضي النعمان ، الذي ذكر أن أبا عبدالله وجد أفرادا من الشيعة في سوجمار من أرض " سماته " بالشمال الغربي من " بلاد الجريد " المسماة اليوم تونس ، ولابد من اعادة النظر في صحة ارسال الداعيين الحلواني وأبي سفيان أيام جعفر بن محمد كما يدل النص .

اتخذ " أبوعبدالله الشيعي " الأسلوب الباطني ، فبدأ يعمل في الخفاء وركز على " الكتاميين " ، فاظهر لهم التمسك بأهداب الدين مثل :

الاقبال على الصلاة ، والصيام وأعمال الخير ،
وأفعال البر ، وتجنب المعاصي وصلاح الأحوال ،[١]
ما دعاهم الى الدخول في ذلك فأقبلوا اليه من كل وجه .

انتظار المجهول :

يبدو أن أبا عبدالله الشيعي مكث على هذه الحال يبشر بالمهدي المنتظر حتى دان له جزء من افريقية والمغرب الأوسط وبقي بين القوم ينتظر

---

١. افتتاح الدعوة ص ٥٣

المهدي المجهول له ولهم لأن أبا عبدالله لم يعرف المهدي من قبل[1] بل ومن الممكن الاضافة أن أبا عبدالله كان يجهل صفات المهدي بحيث لايستطيع التعرف عليه الا بمعرف ، كما سيأتي (ر. ص ص ٤٠٥، ٤٠٦).

ويبدو أن أبا عبدالله لم يتصل حتى بالامام المستور الذي يفترض أن يكون أبا للمهدي عبيد الله أو شيئا من ذلك ، وهذا ما يؤكد أن السرية التي طبقت مع أبي عبدالله الشيعي لم يطبق مثلها على منصور اليمن الذي حظي بمقابلة الامام المزعوم من أول وهلة ، وهي اشارة الى تعميق السرية بعد ارسال منصور اليمن .

كان على أبي عبد الله الشيعي أن ينتظر المجهول . وقد يدل هذا على أن هناك انقطاعا بين أبي عبدالله والمرجع الأصلي الذي يعمل لحسابه .

الا أن ابن الأثير ادّعَى أن أبا عبدالله أرسل الى المهدي رجالا من "كتامة" من المغرب لتبشيره بما فتح الله عليه فانهم ينتظرونه ،[2] كما ذكر "جعفر الحاجب" الذى رافق المهدي عبيد الله في رحلته الى المغرب أن المهدي :

> أنفذ محمد بن احمد أخا أبي عبدالله الداعي ببلدة كتامة الى القيروان مع من كان معنا من الكتاميين الذين كانوا ينفذون الينا الى سلمية ليصل معهم الى أخيه ببلدة كتامة ، ويعرف قرب المهدي ع م منه .[3]

ولكن هذا يتناقض مع ما ذكره جعفر الحاجب نفسه من أن المهدي حينما كان في طريقه الى أبي عبدالله متنكرا تعرف بشخص يدعَى "ابو القاسم المطلبي" وهو من أهل "القيروان" وقد صاح "عبيد الله المهدي"

---

١. انظر افتتاح الدعوة ص ٢٧٧
٢. انظر الكامل ج ٨ ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٨٥ ، ص ٣٧
٣. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١١٦

هذا المطلبي بأنه المهدي المنتظر وأمره أن يلحق بالداعي ابي عبدالله كي يعرفه بشخصية المهدي ؛

لأن أبا عبدالله الشيعي لم يكن رأى المهدي
... وكان المهدى (عم) قد كتب الى أبي عبدالله
يوصيه بالمطلبي ويأمره بحفظه وصيانته والمبالغة ٥
في الاحسان اليه .[١]

ان هذا التناقض بين الخبرين اللذين أوردهما جعفر الحاجب لابد له من مرجح ، ولا شك أن ما ذكره ابن الأثير يتناسب مع نص جعفر الأول ليصبح لدى أبي عبدالله أشخاص يعرفون المهدي بل انهم رأوه من قبل رؤيا العين هؤلاء الأشخاص هم الوفد الذي أرسله أبوعبدالله الى سلمية لتبشير ١٠ المهدي وطلب قدومه وهو ما ذكره ابن الأثير ، والوفد الذي أرسله المهدي نفسه وفيهم أبو العباس محمد بن أحمد أخو أبي عبدالله الشيعي ، ومهما غاب من الأشخاص أثناء استقبال أبي عبدالله للمهدي وتسليمه الأمور له ؛ فسيظل وجود بعض منهم مسألة ذات اعتبارات عدة ، على أي حال فاننا سنرى ما يحدث بعد ذلك . ١٥

ان المهدي عبيد الله اضطر الى التنكر خوفا من أن يلقَى القبض عليه لأن الباطنيين يدّعون أن السلطات العباسية كانت تتعقبه لتلقي القبض عليه وتسلمه الى مصيره المحتوم ، ذلك لأنهم علموا بما أزمع عليه المهدي من الذهاب الى المغرب وتسلم زمام الدولة من ابي عبدالله الشيعي ، ورغم التنكر الذي قام به المهدي فانه وقع في قبضة اليسع بن مدرار حاكم سجلماسة ٢٠ الذي يناهض أبا عبدالله ، والذي اضطر الى القاء القبض على عدد من

---

١. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الاداب • جامعة القاهرة) ص ص ١٢١، ١٢٣ .

الأشخاص أشتبه فيهم أيهم هو المهدي ، وعلم أبو عبدالله أن المهدي معتقل في سجن اليسع بن مدرار ، فحاصر سجلماسة وطالب اليسع باطلاق سراح المهدي مقابل فك الحصار عن مدينته ، ولما كان اليسع جاهلا بشخص المطلوب ، ورغبة في فك الحصار عن بلدته ، أمر باخراج المعتقلين لديه واحدا واحدا لأبي عبدالله كي ينتقي منهم مهديّه ... المنتظر ، وكان أول من وقع عليه الاختيار تاجرا اسمه ابن بسطام ، الذي توجه على فرس الى حيث جيش أبي عبدالله الذي كان على أحر من الجمر منتظرا .

فلما رآه أبو عبدالله ترجل اليه ، وقدر أنه المهدي (ع م) ، فترجل ابن بسطام لترجل ابي عبدالله ، فلما رآه أبو عبدالله قد ترجل لترجُّله ركب فرسه ولم يلتفت اليه ، ودعا بأبي القاسم المطلبي وقال له : الزم على يميني ولا تفارقني فلهذا وجهك معي الامام {يعني عبيد الله المهدي} ولو كنت معي ما نزلت لرجل من سائر الناس ... قال جعفر فلما زاد البلاء على أهل سجلماسة ورآهم صاحبها لم يلتفتوا الى ابن بسطام بعث الى المهدي (ع م) .. فلما فصل عن سجلماسة وانتهى الى حيث تبين للمتأمل قال المطلبي لأبي عبدالله هذا مولاي ومولاك ومولى الناس أجمعين .[١]

وهكذا سلم أبو عبدالله الشيعي أمر البلاد والعباد الى الشخص الذي قال له أبو القاسم المطلبي انه المهدي المنتظر . وبهذه الطريقة العجيبة أصبح عبيد الله المهدي أول خلفاء الدولة العبيدية التي اشتهرت بالفاطمية بعد ذلك . ولا شك أن ميلاد دولة على هذه الطريقة غير الطبيعية ، أمر يستحق الذكر اذا لم نقل انه في غاية الغرابة . وهو من ناحية أخرى يجعل

---

١. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١٢٥

الصورة أكثر وضوحا بالنسبة للباحث وذلك فيما يختص بالنصين القائلين بوجود
أشخاص في جيش ابي عبدالله يعرفون المهدي أو انهم رأوه رؤيا العين من
قبل (ر ص٤٠٤) وهذان النصان لا يتعارضان مع نص مماثل فحسب
بل ان قصة ظن ابي عبد الله في ابن بسطام أنه المهدي وترجله عن فرسه
له يدلنا كم كانت حجم المعلومات المتوفرة عن المهدي المنتظر عند أبي ٥
عبدالله ، وتصبح قصة أبي القاسم المطلبي النقطة الحرجة وعنق
الزجاجة بالنسبة لتاريخ الدعوة الباطنية عموما ولتكوين الدولة العبيدية
خصوصا •

بداية الشك في شخصية عبيد الله المهدي :

كان لأبي عبدالله الشيعي أخ اسمه محمد بن احمد ويكنّى بأبي العباس ١٠
وكان :

أسن من أبي عبدالله ، وأنفذ ، وأحد ذهنا وأكثر تفننا
في العلوم وأسبق منه سابقة •[١]

وقد سبق الحديث عنه في نص جعفر الحاجب حين زعم أن المهدي
أرسله الى أخيه أبي عبدالله فى وفد من كتامة يخبره بمجيء المهدي ١٥
وقد اتضح لنا أن في النص مالم يحدث •

ان أبا العباس كما يظهر على اتصال بالزعامة الباطنية أكثر من أبي عبدالله
الذي مكث يناضل من أجل تأسيس هذه الدولة ما يقرب من سبعة عشر عاما
في المغرب • وكان أبو العباس يقوم بمهمة صاحب البريد بين أبي عبدالله في
المغرب والقيادة الباطنية في المشرق وخاصة مع أبي علي الداعي الباطني ٢٠
بمصر والامام المستور في المشرق بواسطة شخص ثالث هو الداعي فيروز

---

١. افتتاح الدعوة ص ٢٦٩

الذي كان صهرا للداعي أبي علي ، والذي مهد له لقاء الامام المستور ، كما كان أبو العباس رفيق الدرب في رحلة المهدي عبيد الله الى المغرب الا أنه افترق عنه في افريقية،كما يزعم جعفر الحاجب [1]، مما يدل على أنه لم يحضر عملية تسليم أخيه الأمور الى عبيد الله على أنه المهدي المنتظر ٠ ولكن حضوره بعد ذلك كان ايذانا بأحداث جديدة فبعد أن استتب الأمر تماما لعبيد الله المهدي ، ظهرت في الأفق بوادر ثورة عليه ، وأما سبب هذه الثورة فقد قيل انها كانت نتيجة لسلب عبيد الله المهدي السلطات من بين يدي أبي عبدالله الذي كان بيده كل شيء [2]. فأصبح لا يكاد يكون في يده شيء ان هذا السبب وجيه وممكن الحدوث ولكن هل يتفق هذا مع ما ذكرته المصادر ؟ ٠

عرفنا مما سبق أن أبا عبدالله الشيعي لم يحظ قبل ايفاده الى المغرب بمقابلة الامام المستور زعما أو حقيقة ولا شك أنه يعلم في قرارة نفسه أنه لم يصل بعد الى المرتبة التي تؤهله لذلك (ر٠ ص ٤٠٢) بعكس منصور اليمن الذي ذُكر أنه قابل الامام المستور سواء أكان هذا الامام حقيقيا أو مزيفا الا أن منصور اليمن يعلم أنه حظي بمقابلة الامام ٠

وأن أبا العباس المتميز عن أخيه بالسن والعلم والسبق الى المذهب الباطني ، ثم لكونه بعد ذلك حلقة اتصال بين أخيه في المغرب ومراكز الدعوة في المشرق ، فقد حظي بمقابلة الامام المستور ولكن ذلك لم يتم الا على مرحلتين ، على النحو التالي :—

أخذ عليه [يعني العهد] من خلف ستارة ، ثم رفعت من بعد للأخذ عليه فرأى الامام والمهدي والقائم وهو طفل صغير [3].

---

١. انظر : سيرة جعفر (مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة) ص ١٢٢
٢. انظر : سامي النشار ٠ نشأت الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط ٧ ، ص ٣٧٣
٣. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الاداب ٠ جامعة القاهرة) ٠

ان هذا اذا قوبل بالأحداث التي توالت بعده وأشير اليها آنفا من مرافقة أبي العباس للمهدي في رحلته الى المغرب ثم تخلفه عن حضور تسليم أخيه الأمور الى المهدي عبيد الله ثم اعلان الثورة على المهدي يشير الى أن لأبي العباس يدا في هذه الثورة التي لم يكن سببها الوحيد سلب السلطات من يد ابي عبدالله .

٥

وهذا ما كان حقيقة كما تقول المصادر الباطنية نفسها من أن ابا العباس :

> جعل يرمز لهم [؟] بعد الرمز الى أن صح لمن رأى أن كلامه وقع فيه موقعا ، فطعن لهم في الامامة ، وأدخل فيها الشبهة .[1]

١٠

وفي نص آخر للداعي ادريس يقول فيه :

> حتّى دخل في عقل الشيعي ابي عبدالله أخوه أبو العباس واستزله وقال له ليس هذا هو المهدي .[2]

اذن فان للثورة على المهدي معنًى آخر لا يتعلق بالسلطات التي سلبت من أبي عبد الله وهي في الحقيقة لم تسلب لأنه سلمها كما لم يسلم أحد شيئا.

١٥

ان الثورة تتعلق بالطعن في شخصية المهدي وأنه ليس المهدي ، ولكننا اذا عدنا الى نص جعفر الحاجب نجد أنه يقول ان ابا العباس شاهد الامام والمهدي والقائم ، وهذا يتضارب مع نص القاضي النعمان ونص الداعي ادريس اللذين حددا ماهية ثورة أبي العباس ، وهذا التضارب يضع عدة احتمالات منها :

٢٠

---

١. افتتاح الدعوة ص ٣٠٩

٢. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٨ .

أ ـ صحة نص جعفر الحاجب بحذافيره وهذا الاحتمال يؤدي الى عدم صحة ما ذكره القاضي النعمان والداعي ادريس من أن أبا العباس شكك في شخصية المهدي حتى أصبح لذلك التشكيك صدًى بين الدعاة والمشايخ في الدولة الباطنية الوليدة ، كما ذكر القاضي النعمان أن هارون بن يونس الملقب بشيخ المشايخ الأرباني -ويبدو أنه زعيم من زعماء قبيلة كتامة- قال للمهدي عبيد الله كفاحا : ٥

انا قد شككنا في أمرك ، فأتنا بآية ان كنت المهدي كما قلت .[١]

وقد أشار القاضي عبدالجبار المعتزلي الى موقف هارون ابن يونس هذا[٢] بل ان القاضي النعمان نفسه أكد اتساع رقعة الثورة في أوساط كتامة التي اجتمعت ، ١٠

الا القليل منهم على ما زين اللعين [أبو العباس] لهم حين جمعوا الجموع وأحاطوا بقصر المهدي ليقعوا به .[٣]

ويمكننا هنا اضافة أن جعفر الحاجب لم يأت في سيرته الى الحديث عن هذه الثورة مع معاصرته ومعايشته لها عن كثب ليسقط هذا الاحتمال .

ب ـ ان أبا العباس قابل الامام المستور وابنه القائم فقط وهذا يتفق مع ١٥ وجهة نظر القائلين بأن المهدي عبيد الله ليس الأب الحقيقي لابنه القائم (ر. ص ٤١٩) وهذا يعني أن جعفر الحاجب أو من نسخ سيرته التي وصلت الينا قد أقحم اسم المهدي لحاجة في نفسه . واذا صح هذا الاحتمال فانه يجعل الأمر على صورة أخرى بحيث يصبح أبو العباس عالما بأن القائم بن المهدي هو الامام الحقيقي المستقر ، وأن المهدي ليس مهديا ٢٠ ولا اماما بل هو مربي أو حافظ أو كفيل للقائم حتى يسلمه الأمر ، وهو ينسجم تماما مع مرافقة أبي العباس للمهدي والقائم منذ الخروج من سلمية

---

١. افتتاح الدعوة ٣١٠

٢. انظر تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٣٨٩

٣. افتتاح الدعوة ص ٣١٢

التى ذكرها جعفر وهذه المعلومات التى يفترض أنها كانت لدى أبي العباس هي التي جعلته يثور على المهدي ، وقد أشار الى هذا الاحتمال " فرحات الدشراوي " في تحقيقه لكتاب افتتاح الدعوة .[1][2]

ولكن هذا الاحتمال اذا اصطدم بواقع ثورة أبي العباس التي شككت في المهدي فعليا ذلك التشكيك الذي يدخل فيه ابنه القائم ضمنيا ، ولو كان الأمر خاصا بالمهدي دون القائم لسهلت مهام الثورة ضد المهدي على الثائرين ، ولربما ساهم ذلك في انجاح الثورة لأن القائم سيصبح ورقة رابحة في يد الثوار تسهل الاطاحة بالمهدي لتقام الدولة بزعامة القائم بأمر الله الذي يفترض فيه أن يكون المهدي الحقيقي ، والأمر في ذاته يعبر عن أسمى أماني عبد الله الشيعي ، وعليه فان هذا الاحتمال يسقط من هذا الوجه .

د ـ ان أبا العباس قابل الامام المستور فقط ، بحكم عمل ابي العباس .... والدرجة التي وصلها باطنيا ، وعليه فانه لا المهدي عبيد الله ولا القائم امام ، وهذا يتناسب تماما مع مرافقة أبي العباس لهما طوال الرحلة الى المغرب بل ان عدم حضور ابي العباس عملية تسليم أخيه الأمور الى " المهدي عبيد الله " يعتبر دليلا قويا على أن عبيد الله دبر ذلك قصدا ليضع ابا العباس أمام الأمر الواقع فيما بعد ، وأن ابا العباس لم يدُر بخلده أن المهدي سيدعو لنفسه حينما يستتب له الأمر ، وهو أمر لا يستبعد مع الدهاء الذي اتصف به عبيد الله المهدي ، وقبل توضيح قوة هذا الاحتمال ، لابد من الوقوف على هذه المقدمات :

١ ـ ان مصدر انطلاق ابن حوشب وعلى بن الفضل الى اليمن كان مدينة

---

١. انظر : سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب ؛ جامعة القاهرة) ص ١١٠

٢. انظر : افتتاح الدعوة هامش ص ٣٠٩

الكوفة[1] كما أن مصدر انطلاق أبي عبدالله الشيعي فيما بعد كان الكوفة أيضا[2]، والكوفة أيضا كانت مصدر خروج الداعي أبي علي الى مصر[3]، الا يدلنا ذلك على أن الكوفة مركز للامام المستور ومنهج للدعوة الباطنية على الأقل حتى سنة ٢٨٠ وهي السنة التي وصل فيها أبو عبدالله الشيعي الى المغرب ؟.

٢— قبل سنة ٢٨٠ بما يقرب من مائة عام كان عبدالله الأكبر أحد الأئمة المستورين قد أقام في " سلمية " حين تأسست تلك المدينة فكانت مركزا للامامة الى أن خرج منها المهدي عبيد الله في حوالي سنة ٢٨٩، كما كانت مركزا لتوجيه الدعاة[4].

هنا يقفز سؤال فيه شيء من الخطورة ؛ أيهما كان مركز الدعوة الباطنية الاسماعيلية ؟ أهو الكوفة أم سلمية ؟ وهو سؤال لم يتطرق اليه كما يبدو أحد من الدارسين من قبل . فان كانت السلمية هي المركز فلم كان مصدر الدعاة معظمهم الكوفة ؟ داعيا اليمن وداعي مصر وداعي كتامة بالمغرب، وان كانت الكوفة هي المركز فكيف يبرز عبيد الله المهدي من السلمية ويؤسس دولة في المغرب ؟.

٣— واذا علمنا أن أولاد " زكرويه بن مهرويه " أو " أبي محمد " داعي الكوفة كما يسميه صاحب " استتار الامام " قاموا بالتوجه الى سلمية لغزوها والعزم على قتل المهدي عبيد الله، ومن ثم هرب المهدي وليس معه سوى ابنيه ابي القاسم القائم وجعفر الحاجب وابن بركة الخاضن ويترك كل شيء . ولما وصل أبناء زكرويه الى الشام عاثوا فيها فسادا ؛ وخاصة سلمية التي قتل الكثير من أهلها كل ذلك انتقاما من المهدي الذي عزلهم

---

١. انظر ما قاله ابن حوشب في ذلك في افتتاح الدعوة ص٣، ٩
٢. انظر : افتتاح الدعوة ص٣٠ وانظر تثبيت دلائل النبوه ٢/ ٣٨٩.
٣. انظر سيرة جعفر (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص١٢١
٤. انظر : استتار الامام وسيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ص ٩٥، ٩٦، ص ١٠٩

عن الدعوة الباطنية بالكوفة كما يدّعي صاحب استتار الامام[1] لا شك أن الأمر أخطر من الانتقام من شخص المهدي ، اذ لو كان الأمر كذلك لدبر أبناء زكرويه مكيدة لاغتياله . ولا ننسى أن جعفر الحاجب ينكر أي علاقة بين المهدي عبيد الله وبين أبناء زكرويه الذين يسمي الزعيم منهم بالقرمطي حيث قال :

ولم يكن والله بيننا وبين القرمطي عقد ، ولا لنا في عنقه عهد ولا نعرفه ولا يعرفنا[2] .

ان هذا تهرب من جعفر الحاجب من الحقيقة لأن صاحب (استتار الامام) أثبت وجود اتصال بين القرامطة الذين غزو سلمية أي أبناء زكرويه بن مهرويه وبين عبيد الله المهدي الذي اعتبرهم دعاة من قبل المهدى[3] .

ان " تاريخ الطبري " مرجع معاصر للأحداث هذه بالاضافة الى أنه محايد لايدري عن عبيد الله المهدي شيئا من مسألة ادعائه النسب أو غير ذلك ، ويتلخص كلام " الطبري " في أن زكرويه بن مهرويه أرسل أولاده في أواخر سنة ٢٨٩ فيما بين الكوفة ودمشق وعلى رأسهم ابنه يحيَى الذي زعم أنه أبو عبدالله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وسار بجيشه نحو الشام حيث قتل يحيَى قرب دمشق ، وتولَى الأمر بعده أخوه الحسين بن زكرويه الملقب بأبي شامة وزعم أنه أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل وتسمّى بالمهدي في حمص وسار الى مدن الشام وقتل أهلها وخاصة سلمية التي قتل أهلها جميعا بعد أن اعطاهم الأمان ، واستشرى أمره حتّى قضَى عليه جيش المستكفي في أوائل شوال سنة ٢٩٠ .

---

١. انظر : استتار الامام (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ص ٩٨– ١٠٥ .
٢. سير جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١١٠
٣. انظر استتار الامام (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ص ٩٦ – ٩٩ .

فقم ، فانهم زحفوا اليك وهم عازمون علَى قتلك ، فان لم يجدوا
الى ذلك سبيلا وشوا بك الَى أحمد بن طولون ، وهم يقولون
انك مخالف للمذهب ، ويشهرون أمرك ، فاعمل علَى خلاص نفسك
ولا تقم [كذا] ساعة واحدة .[١]

ان النص في جملته يدل على أن الباطنيين — في هذه المرحلة الحرجة — ٥
صاروا فرقتين ، الأولى : كوفية . والثانية : شامية ، مركزها سلمية ، وأن التي
في الكوفة عازمة علَى تصفية حساب مع التي في سلمية ، والتي يمثلها
من صار يدعَى بعد ذلك " عبيد الله المهدي ".

والنص يزيدنا أن الذين في سلمية كانوا اما أتباعا للكوفيين أو متكافئين
معهم في المستوَى وليس أولاد زكرويه دعاة لعبيد الله كما حكَى من قبل ١٠
صاحب " الاستتار " وهذا ما يستفاد من قوله : (وهم يقولون انك مخالف
للمذهب) . وهذه العبارة لو أخذت من وجهيها فانها تعطي هذا
الانطباع ، أعني لو قلنا ان أبناء زكرويه وصفوا عبيد الله بمخالفة المذهب
ليبرروا ما عزموا عليه من الوشاية به عند ابن طولون ، فانه لن يستقيم مع واقعهم
وهو اعلانهم الخروج على الدولة العباسية الذي هو في حد ذاته خروج ١٥
عن مذهب تلك الدولة فكيف يستساغ منهم اتهام غيرهم بما هم فيه واقعون .
واذا قلنا ان الجملة اعتراضية فان وصمهم عبيد الله بالخروج عن المذهب
ينطبق عليهم باعتبارهم فرقة واحدة خرج عنها عبيد الله فصار مسوغا
لمحاربته . وهنا يتأكد لنا أن عبيد الله ليس اماما للباطنيين لأن الامام
الباطني في عقيدتهم هو المذهب لأنه معصوم . ولنواء هنا أن أبناء ٢٠
زكرويه ادعوا الانتساب الى محمد بن اسماعيل .

---

١. استتار الامام (مجلة كلية الاداب) ص ص ٩٦ ، ٩٧

ان ذلك يجيب على السؤال المطروح آنفا وهو ، أي المدينتين كانت مركز الدعوة الباطنية ؟ أسلمية أم الكوفة ؟ والجواب لا شك أنه الكوفة. وأن أولاد زكرويه الذين خرجوا من الكوفة لحرب عبيد الله المهدي هم أول من ادّعى الانتساب لمحمد بن اسماعيل ، وكذا ادّعى داعيهم أنه المهدي المنحدر من ذرية محمد بن اسماعيل ، وأن له أتباعا بالسواد ٥
والمشرق والمغرب ، وبذلك يكونون هم الذين أرسلوا داعي اليمن وداعي مصر وداعي المغرب ، أبا عبد الله الشيعي .[1]

واذا كان دعاة زكرويه قد فعلوا ذلك أي أنهم هم الذين وجهوا الدعاة الى اليمن . كما يرجح الباحث فان في الرسالة الدرزية الشهيرة " كتاب تقسيم العلوم " ما يؤيد ذلك ، وان لم يكن معتمد هذه النتيجة عليها ١٠
(ر. ص ٤٢٢) .

ومن الممكن من خلال ما ورد في تلك الرسالة القول أن هناك علاقة ما بين أبي زكريا وزكرويه وارسال دعاة الى اليمن ، ما يتأيد به ما توصل الباحث اليه من أن باطنية الكوفة هم الذين أرسلوا منصور اليمن وعلي بن الفضل وكذا أبا عبد الله الشيعي الى اليمن فالمغرب ، وقد ذكر ابن النديم ما يقرب ١٥
من هذا الاستنتاج .[2]

ثمة عبارة أخرى وردت في " استتار الامام " تتعلق بعزم أولاد زكرويه التوجه الى الشام لغزو سلمية ، يقول صاحب " الاستتار " :

> فاتصل ذلك بدعاة بغداد وهم حامد بن العباس وابن العبد وجماعة من الشيعة ، كتبوا الى المهدي ع م (أن) بني ٢٠
> أبي محمد قد عزموا على قتلك ، وقتل أهلك ، فان كنت قاعدا

---

١. انظر تاريخ الطبري ج ١٠ ص ص ٩٥ — ١٠٤
٢. انظر : الفهرست ص ٢٨٠

لا نستغرب بعد ذلك ما قاله " ايفانوف " في تعليقه على زحف أبناء زكرويه الى الشام ، الذي يقول فيه :

ولو أن الظروف واتتهم وتغيرت قليلا عما كانت عليه لتحقق غرضهم ولكانت دمشق عاصمة الفاطميين ومركز حركتهم العلمية بدل القاهرة .[١]

٥

وهكذا يتضح أن رحلة عبيد الله الى المغرب كما وردت في "سيرة جعفر" ليست في حقيقتها الا هروبا من مصيره المحتوم لو وقع في يد خصومه (ابناء زكرويه)؛ فاستغل السرية العميقة للفرق الباطنية استغلال الذكي العالم ببواطن الأمور ، ليقف بعد ذلك أمام أبي عبدالله الشيعي باعتباره المهدي المنتظر .

١٠

وعليه فان أبا العباس الشيعي حين رافق عبيد الله في رحلته ـ اذا صحت تلك المرافقة ـ لم يكن يعلم بما خطط عبيد الله في نفسه من أنه سيدّعي الامامة والمهدية . وهذا ما يجعل لثورة أبي العباس على عبيد الله بعد ذلك معنًى ينسجم مع الأحداث التي وقعت من قبل ومن بعد . والتي لم تستق الا من المصادر الباطنية فقط .

١٥

وهذا يتفق تماما مع التخبط الذي وقع فيه عبيد الله المهدي بعد تسلمه الأمر من يد أبي عبدالله الشيعي ؛ حينما أراد أن ينسب نفسه الى أهل البيت كما يتفق مع ما ذكره المقريزى من أن .. عبيد الله المهدي لم يدع انتسابه لعلي بن أبي طالب ، الا بعد هروبه من سلمية ، وآباؤه من قبله لم يدعوا هذا النسب ؛ وانما كانوا يظهرون التشيع والعلم وأنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل وأنه حي لم يمت ، ان مسألة[٢]

٢٠

---

١. ايفانوف . مقدمته لكتابى استتار الامام وسيرة جعفر (مجلة كلية الآداب) ص ٩١

٢. انظر : اتعاظ الحنفاء ١/ ٢٩

الدعوة الى محمد بن اسماعيل على هذا النحو حينا من الدهر ثابت في رسالة المهدى عبيد الله الى أهل اليمن (ر• الملحق ـ ١) وهو ثابت أيضا في فرقهم التى استمرت على ذلك حتى بعد ظهور الدولة المهدية (ر• ص ٢٨٩) بل ان جعفر بن منصور اليمن الذي عاش حتى أيام المعز لدين الله (ــ ٣٦٥) يقول في مؤلف منسوب اليه بوجه أو بآخر : ٥

فقائم آل محمد سابع النطقاء سابع السبعة النطقاء من آدم وثامن ثمانية من ولد علي •••

فالقائم سابع النطقاء السبعة هو ثامن ثمانية أئمة من ولد علي فأشار الله أيضا الى الثمانية بدلائل في كتابه كثيرة •••

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم للجنة ثمانية أبواب وأراد بالجنة نفسه صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنه أجنّ علم التأويل فلم يظهره الا من أبوابه وهم الأئمة من ولده السبعة وثامنهم الناطق السابع منهم •[١] ١٠

والثامن المقصود هو محمد بن اسماعيل لاعتبارات كثيرة • واذا أردنا مجارات النصوص السابقة وافترضنا الثامن شخصا آخر بعد محمد بن اسماعيل فانه بأي حال سيكون قد هلك قبل أن يولد جعفر بن منصور اليمن الذي يرفع لواء الدعوة اليه • وما الغرض الذي سيقت من أجله تلك النصوص الا القول أن الظروف وان خدمت عبيد الله المهدي كثيرا لحكمة أرادها الله ، الا أنه لم يستطع محو التاريخ ولم يستطع أن يقنع الناس الى اليوم بكل دعاواه وعلى رأس ذلك ادعاءه الانتساب الى فاطمة بنت محمد (ص) • ١٥ ٢٠

١. مخطوطة كتاب الشواهد والبيان ص ٣٢ ، ٤٧ ، ٤٨

ثمة نقطة هامشية حول ذلك وهي : أن المهدي عبيد الله حينما هرب من سلمية كان عازما على الذهاب الى اليمن ، ولما وصل مصر غير وجهته الى المغرب فانسحب على اثر ذلك كبير دعاته ومرافقيه " الداعي فيروز " وهرب الى اليمن وبقي مدة فيها مع منصور اليمن ثم اتجه الى علي بن الفضل الجدني ، وبعد ذلك :

فتن علي بن الفضل وأهل بلده وشعوذ لهم ودعاه وأهل بلده الى نفسه ثم خرج اليهما أبو القاسم منصور اليمن وحاربهما مدة طويلة الى أن ظفر بهما وقتلهما .[1]

ويرى محمد بن مالك اليماني أن علي بن الفضل هو الذي دعا لنفسه تأسيا بأبي سعيد الجنابي الذي خلع القداحيين ودعا الى نفسه ، وقال :

انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها .[2]

وسواء أكان علي بن الفضل قد دعا الى فيروز أو أن فيروز أغراه بالدعوة الى نفسه ، فان الباحث يستغرب أمورا عدة وهي : هروب المهدي من سلمية على النحو الذي علمنا . وما عمله القرامطة ابناء زكرويه في مدينة سلمية . وتخلي فيروز عن عبيد الله المهدي في آخر لحظة . وعدم بقاء فيروز عند منصور اليمن . وما وقع من علي بن الفضل بعد ذلك . وحرب منصور اليمن لهما . وتسليم أبي عبدالله الشيعي الأمور الى عبيد الله المهدي والثورة عليه منه ومن أخيه ثم اعدامهما . ولا بأس من اضافة ما ذكره القاضي عبد الجبار من تسليم أبي طاهر القرمطي الأمر الى ذكيرة الأصفهاني (ر . ص ٣٥٨) .

ان كل احتمال لتفسير هذه الظواهر العجيبة وارد لا سيما في جو ملبد بظلمات الأسرار الكثيفة ، أما المستبعد الى الآن على الأقل فهو كون

---

١. سيرة جعفر الحاجب (مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة) ص ١١٥ وأنظر أيضا ص ١١٠

٢. كشف اسرار الباطنية ص ٣٣

عبيد الله المهدي مهديا حقيقيا أو اماما فاطميا .

ولابد من التنويه أن هذه النتيجة لم تتحقق بالمراجع السنية بل ان للمصادر الباطنية المعاصرة الدور الأكبر في اثبات ذلك ، وكما سيأتى :—

القائم بأمر الله العبيدي :

حينما دخل عبيد الله المهدي المغرب كان معه ابنه محمد . وقد صار بعد وفاة المهدي عبيد الله خليفة بعده فكان ثاني خلفاء دولة العبيديين ، ولقب بالقائم بأمر الله . وقد اختلف في أمر القائم هذا اختلافا شديدا رغم أنه ثاني أئمة دور الاشهاد ، أي أنه لم يكن في دور الستر الذي يحتم السرية المطلقة ، وكونه من دور الاشهاد يعني أنه ينبغي توفر معلومات واضحة عنه .

قيل ان القائم هذا هو ابن المهدي عبيد الله ، وقيل انه ابن زوجته (ربيبه) وقيل انه الامام الفاطمي الأول من ذرية محمد بن اسماعيل وما المهدي في هذه الحالة الا كفيل مستودع له على نمط ما ادعوه من كفالة ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون لمحمد بن اسماعيل (ر. ص ٢٧٠) وعلى الرأى الأخير استند برنارد لويس في قوله بأصل عبيد الله المهدي القداحي اعتمادا على كتابي (غاية المواليد) و (رسالة تقسيم العلوم) [١] . ولنعد الى النص الذي اعتمد عليه لويس ولم يورده في كتابه ، يقول النص :—

لما ظهر النور باليمن وبلاد المغرب ، سار ولى الله في أرضه " على بن الحسين " (صلوات الله عليه) يريد المغرب حتى كان في بعض طريقه ، فأظهر الغيبة ، واستخلف حجته سعيد

---

١. انظر : أصول الاسماعيلية ص ص ١٣٠ — ١٣٢ .

الملقب المهدي (صلوات الله عليه) فثبت قواعد الدعوة ٠وجرى
عليهما من ضدهما بسجلماسة من العمال بالمغرب ما جرى ،
ووقى الله وليه (سلام الله عليه) كيده لما كان من زحف ابي
عبد الله عليه وظفره واستخراجه وليّ الله سلام الله عليه من سجنه ٠
فلما حضرت المهدي النقلة سلم الوديعة الى مستقرها
وتسلمها محمد بن علي القائم بأمر الله تعالى وجرت الامامة
في عقبه (سلام الله عليه) ٠ [١]

ونجد كتاب مجالس الحكمة (ر٠ ص٠ ٣٩ فما) يشبّه عبيد الله المهدي
بيوشع بن نون الذي يزعمون أنه تسلم الامامة على سبيل الاستيداع حتى
يسلمها لأبناء هارون اذا كبروا ، مع أن يوشع هذا غريب النسب ، أي أن عبد الله [٢]
المهدي غريب عن النسب الفاطمي ، وكل هذا يعني أن المهدي عبيد الله أو ٠٠
سعيد الخير كان اماما مستودعا وأن الامام المستقر (الحقيقي) هو القائم
بأمر الله وهو هنا ليس ابنا له بل هو محمد بن علي ٠

ولكن في استتار الامام نجد عكس ذلك تماما :

وولد لأحمد بن عبد الله الامام الحسين وهو لوالد المهدي ٠وسعيد
الخير ٠ وأقام الحسين الى أن ولد له المهدي (ع م) ٠ فلما
أتت نقلته استودع له أخاه سعيد الخير اذ كان ولده يومئذ في حال
الطفولية ، واستبد سعيد بالامامة ، ونص بها على ولده ، فهلك
الولد ، ثم نص على ولده الثاني فهلك ، وكان له عشرة أولاد فلم يزل
ينص على كل واحد منهم الى أن هلكوا بأجمعهم ، فعلم حينئذ
سعيد الخير أن الحق لا يفارق أهله فتاب وأناب الى الله تبارك
وتعالى ، وجمع دعاته وعلمهم بأنه مستودع للمهدي (صلوات الله عليه) ،

---
١. الداعي أبو الخطاب الحجوري ٠ غاية المواليد (ايفانوف ، المنتخب) ص ٣٧
٢. انظر : مخطوطة مجالس الحكمة ق ٢٦ أ

وسلم اليه الامامة ، واعترف له بالوديعة ، وتنصل اليه مما تقدم
منه قبل ذلك ، وصارت الامامة الى المهدي (ع م) . فقال الشاعر

الله أعطاك التي لافوقها * وكم أرادوا منعها وعوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها * اليك حتى طوقوك طوقها[1]

ان نص (استتار الامام) يتحدث عن أحداث صارت في " سلمية " وقد تحدث بنفس القصة كتاب المجالس والمسايرات ولكنه لم يسم أشخاص القصة[2] . والذي يجمع النصين المتضاربين ان سعيد الخير هو الذي كان مستودعا فاعتبره نص غاية المواليد أنه عبيد الله المهدي بينما اعتبره استتار الامام أخا للمهدي أو عمّا له ، وللأهمية يشير الباحث الى أن للمهدي ابناءا آخرين غير القائم وكان عددهم خمسة من الذكور حتى أن الحاكم بأمر الله العبيدي نصب أحد ابناء جده المهدي وليا لعهد المسلمين وهو عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي عبيد الله[3] . وعليه فان احتمال أن عبيد الله صاحب قصة الأولاد الذين ماتوا صعبة المطابقة وبالتالي لا يمكن اعتباره الامام المستودع المعنيّ في هذه القصة .

ويجد الباحث نفسه مرغما أمام هذه المصادر الى القول باحتمال قوة نص الاستتار الذي يعتبر عبيد الله المهدي ليس مستودعا بل انه مستودع للامامة على أكمل صورة لها ، لأن غاية المواليد وان يكن متأخرا الا أنه اعتمد رأيه باستيداع عبيد الله ليثبت رأيا آخر وهو أن امامة نزار بن المستنصر (ـ ٤٩٠) امامة مستودعة وليست مستقرة ، وكتاب غاية المواليد الفه داع مستعلي في عصر الصليحيين ، ومعروف لدى المؤرخين الأحداث التي صاحبت موت ... المستنصر (ـ ٤٨٧) والتى أدت الى انقسام الاسماعيليين الى نزارية ومستعلية

---

١. استتار الامام (مجلة كلية الآداب . القاهرة) ص ص ٩٥ ، ٩٦ .
٢. انظر : كتاب المجالس والمسايرات ص ٤١٠ .
٣. انظر : اتعاظ الحنفاء ٢/١٠٠، ١٠١ وانظر الجزء الأول منه الملحق السادس .

(ر.ص، ١٥، ١٥١) ، ومن ثم فان نص " غاية المواليد " يثبت أن المهدي قداحي النسب ولم يعتبر القائم بأمر الله ابنا له ، كما أنه روى رحلة المهدي الى المغرب بكيفية تختلف عن ما رواه جعفر الحاجب الذي صاحب المهدي في هذه الرحلة ، وتختلف أيضا عن " افتتاح الدعوة ، لأن صاحب " غاية المواليد أضاف الى الرحلة شخصا آخر هو "على بن الحسين " الأب الحقيقي للقائم بأمر الله على حد زعمه . وقد تبع صاحب " زهر المعاني " " غاية المواليد " في ذلك وان يكن قد اعتبر القائم بأمر الله ابنا لأخ المهدي عبيدالله.[١]

وقد أضاف " ايفانوف " نصا آخر من كتاب اسماعيلي نزاري هو كتاب " خطابات عاليه " بأن المهدي عبيد الله من ذرية عبدالله بن ميمون القداح[٢] ، كما تقدم مثل ذلك ما ورد في "مجالس الحكمة " عن غربة عبيد الله المهدي من حيث النسب عن آل البيت ، كما استدل لويس في اثبات ان المهدي قداحي وأن القائم ليس ابنه على نص درزي ، ويقول هذا النص :

> وظهر السماء الخامسة وهو محمد بن عبدالله ويسمى المهدي سترة وهو ايضا من ولد القداح وكان من ولد الحسين . وظهر السماء السادسة وهو من ولد ميمون القداح أيضا .. وظهر السماء السابعة وهو قيام عبدالله بالأمر أبي المهدي [كذا] ... وكان عبدالله قد تسمّى احمد فلذلك تسمّى سعيد بن احمد وهو المهدي الذي تسمّى باسمه تمهيدا له واستئناسا للعالم باسمه ، وكان الكرسي ، فهو الذي استودعه المولّى العمل جل اسمه الوديعة وأمره بخدمة مولانا القائم جل اسمه .[٣]

ولن نتحدث عن أسلوب الأساطير الذي يغلف النص ولنأخذه كما فعل لويس على علاته ، وهو أن المهدي عبيد الله قداحي وأن القائم بأمر الله ليس

---

١. انظر : زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٦٦
٢. انظر :
٣. مخطوط رسالة تقسيم العلوم ق ١٠٨ ، ق ١٠٩ أ

ابنا له ، كما أنه لابد من الاشارة الى أن النص لم يثبت أن القائم بأمر الله من ذرية فاطمة أم من غيرها .

ان النصوص السابقة في أفضل حالاتها لم تستطع اثبات ان القائم بأمر الله فاطميا أو أنه ليس قداحي النسب .

ولابد هنا الأخذ بعين الاعتبار النصوص التي أشارت الى أن المهدي عبيد الله ظل يدّعي النسب الفاطمى لنفسه منذ استيلاءها على الأمور فى المغرب بأن أصدر مرسوما بذلك قرئ على المنابر ، ونصه :-

اللهم فصل على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك عبد الله* أبي محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين كما صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين الذين كانوا يقضون بالحق وبه يعدلون اللهم وكما اصطفيته لولايتك واخترته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعمادا ولبريتك موئلا وملاذا ، فانصره على اعدائك المارقين واشف به صدور المؤمنين وافتح به مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته وأيده على العصاة الظالمين اله الخلق رب العالمين .[١]

كيف يمكننا هنا أن نبرئ ساحة الباطنيين ونتهم غيرهم بأنهم أعداء متعصبين وحسَدَة للفاطميين في حين يدّعي المهدي أنه فاطمى ثم تأتي مصادر باطنية تدعي خلوه من هذا النسب وتعتبره قداحيا وأن الذين جاؤوا بعده من ابناءه هم من آل البيت ؟ ولا شك أن التسليم بهذا ضرب من الغفلة لأن الذي ثبت كذب دعواه النسب الشريف في نفسه كيف نستطيع تصديق دعوى أخرى تقول ان ابناءه من أهل البيت . وأنهم ليسوا ذريته على الحقيقة .

---

١. القاضى النعمان . افتتاح الدعوة ص ص ٢٩٣ ، ٢٩٤

* . ان المصادر الباطنية تطلق على عبيد الله المهدى اسم عبد الله . انظر : "فى نسب الخلفاء الفاطميين" الملحق ـ ١

ولكن هل كان القائم بأمر الله ابنا حقيقيا للمهدي عبيد الله أم غير ذلك ؟

ان جعفر الحاجب الذي تربى مع المهدي عبيد الله ولازمه طوال حياته، يقول عما جرى من قبل في سلمية:

ثم زوج الامام (عم) قبل وفاته المهدي (ع م) ابنة عمه أم القائم (ع م) قال جعفر فأذكر أن المهدي عم تقدم الي بأن لا أبرح في ليلة زفافها عليه من باب المجلس، قال فلزمت النساء حولي الى أن فتح المهدي ع م الباب ورمى الي بالسبنية، قال فنشرتها على رأسي ورقصت بها والنساء حولي يطلبن ويكبرن، قال وكثيرا ما كان يذكر ذلك معي المهدي بالله والقائم بأمر الله والمنصور والمعز لدين الله.[1]

بعد هذا النص لامجال لأي تأويل، فالتي تزوجها المهدي عبيد الله هي ابنة عمه وهي أم القائم ثم هي بكر لم تتزوج قبله والا لما وردت هذه الأقصوصة على هذا النحو، ثم لا شك أن جعفر الحاجب حين كان يروي هذه القصة على مسامع القائم بأمر الله وأبنائه من بعده لم يكن يقصد منها أي شيء يتعلق بالنسب بل انه كان يرويها للتفكه والتندر كما يبدو، ولكنها اثبات قوي لبنوة القائم بأمر الله الحقيقية للمهدي عبيد الله.

وقد سبق في هذا الفصل القول بأن ثورة ابي العباس الشيعي وان استهدفت المهدي في ذاته الا أنها لم تستثن القائم بأمر الله باعتباره الامام الفاطمي المنتظر، ولو فعلت هذه الثورة ذلك لضمنت لنفسها النجاح (ر. ص ٤١١) فأبو العباس وأبو عبد الله الشيعيين أفنيا حياتهما في خدمة من ظنا أنهم أهل بيت رسول الله. والذي يظهر أن ثورة ابي العباس الشيعي على عبيد الله المهدي لم

---

[1] سيرة جعفر الحاجب ص ص ١٠٨، ١٠٩

يَرِد في حسبانهما الاستفادة من القائم بأمر الله علَى هذا الوجه لأنه ثبت أنه ابن للمهدي الذي لم يكن من أهل البيت الشريف •

بين يدي الباحث نصوص مستقاة من كتاب المجالس والمسايرات " تؤكد ما ورد في نص جعفر الحاجب من القول ببنوة القائم بأمر الله الحقيقية للمهدي عبيد الله ، كما تؤكد ما ورد في " استتار الامام " (ر. ص ٤٢١) ٥
من أن المهدي امام باطني حقيقي مستقر ولم يكن مستودعا وانما تسلم الامامة من مستودع بعد ظهور معجزات وبراهين تدل علَى احقيته للامامة في نظر الباطنيين ، وهذا النص وقعت أحداثه في مجلس المعز لدين الله وهو يسأل أحد اتباعه قائلا :

فهل لقنت وحفظت شيئا عن الآباء ؟ ١٠

قال : نعم

قال : فهات ما حفظت •

قال : سمعت المهدي بالله نصَّ على جدك القائم بأمر الله (ص) ، وسمعت جدك القائم بأمر الله عليه السلام نصَّ علَى أبيك المنصور بالله صلوات الله عليه وسمعت المنصور بالله عليه السلام نصَّ عليك • فهذا ١٥
الأصل الذي لايثبت الفرع الا عليه •[١]

والنص واضح في أن الرجل اعتبر ما سمعه دليلا علَى صحة مذهبه في الامامة ذلك الذي يجب فيه علَى الامام أن ينصَّ على امام بعده من أبنائه تحقيقا لقوله تعالى (ذرية بعضها من بعض)* • ومهما يكن من أمر فان المعز لدين الله لم يعترض علَى الرجل في ذلك من حيث أبوة المهدي عبيد الله له ٢٠
وان يكن قد اعترض عليه من وجه آخر لاعلاقة له بهذا المطلب • وهذا نص ثاني :

١. القاضي النعمان • كتاب المجالس والمسايرات ص ٢٢٠ ، وانظر أيضا ص ٤٧٦ •

* سورة آل عمران ٣٤ •

سمعت المنصور بالله (صلع) يقول : أمر المهدي بالله القائم بأمر الله (عم) بالنهوض الى مصر فقال : يا أمير المؤمنين ، قد خولك الله ومكنك وأعطاك من الدنيا ما فيه سعة وكفاية فعلام تغم نفسك وتشغل صدرك ؟ دع هذا حتّى يأتي الله به عفوا . ٥

فقبض (صع) كفه اليسرى وقال : نعم ، هذا المغرب في قبضتى هذه — وبسط اليمنى — ولكن كفي هذه من المشرق صفر . ان ثقل عليك ما أمرتك به خرجت له بنفسي .

قال : بل أنفذ ما أمرت به يا أمير المؤمنين وأسارع به .[١]

١٠ ومن النص نستخرج : استحالة أن يقول امام مستقر لمستودع يا أمير المؤمنين ، واستحالة قوله له (بل أنفذ ما أمرت به يا أمير المؤمنين وأسارع به) لأن المستقر في عرف الباطنيين أفضل من الامام المستودع . وكذا لا يمكن أن يقول امام مستودع لمن هو أفضل منه — أى الامام المستقر — : (ان ثقل عليك ما أمرتك به خرجت بنفسي) . وهذا نص ثالث :

١٥ قال المعز لدين الله (صلع) : لقد عرض لي منذ وقت وجع في جوفي وكنت قد أمرت بتركيب معجون ينفع من ذلك ف(ــت) قدمت في اختيار العقاقير وتجويد عمله بما لم أعلم أن أحدا تقدم في مثله ، فدعوت به لأتناول منه ، فجيء به ومعه مثله مما كان المهدي (صع) أمر بعمله ، فلما رأيته تعاظمت أن أختار الذي عملته أنا على الذي عمله المهدي (صع) ، فتناولت من الذى عمله (عم) وقلت : ٢٠ اللهم انك قد أكرمتني بأبوته ، وجعلته سابقا الى الفضل الذي

---

١. المجالس والمسايرات ص ٢٥٢

خصصتني به وقدمته فيه ، واني اقدم ما كان من أمره على ما كان من أمري فاجعل في ذلك شفاء من الداء . فوالله ما هو الا أن تناولته حتى زال عني ما كنت أجده .[١]

وفي هذا النص اعتراف صريح من المعز لدين الله العبيدي بأبوة المهدي والانتساب اليه ، وفوق ذلك اعتراف بأفضلية المهدي على المعز بالسبق الى ذلك الفضل . وهذا نص رابع :

(قال) : وسمعته يعني المعز لدين الله (ص) يخاطب بعض الأولياء ممن كانت له أسلاف تقدمت لهم رئاسة في أيام المهدي والقائم — صلوات الله عليهما — ثم انقرضوا وزالت تلك الرئاسة — من أسلافهم ، وخمل ذكرهم ، وقلت ذات أيديهم فأراد (ص) أن يحيى ذكرهم ويصرف اليهم العمل الذي كان أسلافهم عمالا عليه ...

فقال (ص) فيما قال لهم : أردنا أن نصل عوارف آبائنا (ص) عند أسلافكم فيكم .[٢]

وأمام هذه النصوص لا يمكن القول الا بأبوة المهدى عبيد الله للقائم بأمر الله وبنوة القائم له بنوة حقيقية لا روحية ولا دينية بل نسبية قبل كل شيء .

واذا ثبتت لنا هذه البنوة ، وقد ثبت لنا من قبل عدم انتساب المهدي عبيد الله للفاطميين فان ذلك بالتالى يثبت لنا بطلان التهمة التى ألصقها البعض بالمحققين من أهل السنة والجماعة حول ذلك لأن المصادر الباطنية الحقيقية أسهمت بشكل واضح في ابطال النسب الفاطمي لخلفاء الدولة العبيدية ، وان ادعت بعض تلك المصادر صحة ذلك النسب لهم فانها لم

---

١. المجالس والمسايرات ص ٢٩٣
٢. المجالس والمسايرات ص ٤٥١

تستطيع اقامة الحجة الدافعة على أخصام الباطنيين حول هذه النقطة بخاصة .

ان تبرئة ساحة الكتاب السنيين هذه توضح لنا قوة مصادرهم ونزاهة مسلكهم .

ويبقى هنا سؤال . من هم العبيديون . ؟؟

النسب الحقيقي للعبيديين :

ان النسب الذي زعمه العبيديون لأنفسهم هو النسب الفاطمي ، حيث انتسبوا الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وقد اتضح لنا أن هذا النسب مختلق . وقد انتسبوا أيضا الى عبدالله بن جعفر بن محمد الشهير بالأفطح (ر. ص ١٤١) ، حينما اعتبر عبيد الله المهدي اسماعيل بن جعفر اسما رمزيا لعبد الله بن جعفر المذكور في رسالته الى أهل اليمن [١] (ر. الملحق-١) وانتسب العبيديون أيضا الى موسى الكاظم بن جعفر الصادق [٢] ، وكل ذلك يدخل في ضمن فساد قولهم بالنسب الفاطمي .

وقد ذُكر أنهم ينتسبون الى ميمون القداح ، وهو ما ثبت في الصفحات السابقة الا ان أهمية هذا النسب بالنسبة لتاريخ الدعوة الباطنية أولا وبالنسبة للبحث عامة يجعلنا في حاجة الى معرفة من هم القداحيون ؟ وما دورهم في الدعوة الباطنية ؟ وهل كانوا حقيقة أم أسطورة لفقها أعداء الباطنيين عليهم ؟ .

القداحيون بين الأسطورة والحقيقة :

ظهر في بعض الأوساط أن القداحين أسطورة ، وهو يذكرنا بما قيل عن عبدالله بن سبأ (ر. ص ١٨) انه أسطورة [٣] . وقد ثبت لنا في هذا البحث أنه شخصية حقيقية . أما ميمون القداح فقد قال عنه سامي النشار احتمالا ربط فيه بينه وبين شخصية عبدالله بن سبأ [٤] .

---

١. انظر : في نسب الخلفاء الفاطميين ، ص ١٠ وانظر : اتعاظ الحنفاء ١/ ٢٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص ص ٦٠ ، ٦١ .
٢. انظر : اعلام الاسماعيلية ص ٢٤٨ ونشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط ٧ ، ٢/ ٣٦٦
٣. انظر: مذكرة ابن جندان المصورة في مركز البحث العلمي بكلية الشريعة بمكة ص ٩٩ . حول كون ميمون القداح مجرد خيال .
٤. انظر : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط٧ ، ٢/ ٢٨٢

وأنكر المستشرق مأمور وجود القداحيين ، وتبعه في ذلك الباطني المعاصر عارف تامر الذي اعتبر القداحيين في الحقيقة الأئمة المستورين .[١] (ر. ص ص : ٢٥٥ ـ ٢٧٩)

ويذهب ايفانوف الى أن محمد بن اسماعيل كان يعرف باسمه السِّري " الميمون " وأحيانا عبدالله بن الميمون .[٢]

وليست هذه الدعاوى الا صدًى لما ورد في الرسالة التى أرسلها عبيد الله المهدي أوعبدالله المهدي الى أهل اليمن بعد استتباب الأمر له في المغرب وتأسيسه مدينة " المهدية " ـ التى دخلها سنة ثمان وثلاثمائة[٣] أي بعد أكثر من عشر سنوات من دخوله المغرب ، وهذا يدل على أنه مضت مدة طويلة قبل أن يُعَرِّف المهدي نفسه ، تقول الرسالة :

فلما أراد الأئمة من ولد جعفر احياء دعوة الحق اخافوا من نفاق المنافقين ، فتسموا ـ صلى الله عليهم ـ بغير أسمائهم ، فجعلوا أسماءهم للدعوة في مقام الحجج ، وتسموا بمبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن في هذه الاسماء .[٤]

أو كما نقل عن المعز لدين الله العبيدي :

ان صاحب الحق لهو الميمون المبارك السعيد قادح زناد الحق ومورِّي نور الحكمة ، فان ذهب من ذهب الى هذا فنعم .[٥]

ولنلاحظ أن فرقا ما بين قول المهدي عبيد الله وقول حفيده المعز لدين الله ، وهو أن المهدي اعتبر المبارك والميمون وسعيد أسماء لأشخاص ثلاثة بينما اعتبرها المعز أسماء لشخص واحد .

وهذه الأقاويل لا تقف بأي حال أمام تاريخ القداحيين . ذلك الذي كتبه الباطنيون انفسهم والذي كتبه غيرهم . والحجة لا تزال قائمة علَى من يدعي النسب الفاطمي لملوك العبيديين.

---

١. انظر كتابه : القرامطة ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د . ت ، ص ١٠٨
٢. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، ص ٢٨١
٣. انظر : افتتاح الدعوة ص ٣٥٨
٤. في نسب الخلفاء الفاطميين ص ص ٩ ، ١٠ ؛ أنظره في الملحق ـ ١
٥. المجالس والمسايرات ص ٤١١

القداحيون في الفكر الباطني :

ان للأسرة القداحية دورا بارزا في تاريخ الدعوة الباطنية بل وفي تأسيس الفرق الباطنية الاسماعيلية . تعرض لهذا الدور كثير من المؤرخين وأصحاب المقالات .

والفكر الباطني ذاته لم يغفل هذا الدور بأي حال . وقد تعرض لويس الى ما ورد في كتبهم عن هذه الأسرة ، خاصة مؤسس الأسرة ميمون القداح وابنه عبدالله ، الذي تحتمل شهرته أكثر من أبيه ، وربما خلط البعض بينه وبين أبيه ميمون . قال لويس :

وقد شاهدنا الاشارات الهامة التي تجعل ميمون القداح قيّما ومستودعا لمحمد بن اسماعيل في كتابات الدروز ، وفي الكتاب الاسماعيلي (غاية المواليد) ... ويذكر دستور المنجمين وهو كتاب اسماعيلي قديم ، ميمونا على أنه من أصحاب الباقر وعبدالله من أصحاب جعفر الصادق . ويقول كلام بير وهفت بابا ابو اسحق بأن عبدالله بن ميمون كان حجة في زمن الستر أي المدة التي تلت وفاة جعفر الصادق ، ويجعله زهر المعاني من أبناء سلمان الفارسي ، ولعله يقصد ذلك من الناحية الروحيه . ويذكر الفلك الدوار — أخيرا — شيئا مختصرا عن عبدالله . وهو كتاب اسماعيلي حديث اعتمد على المصادر السنية اعتمادا ظاهرا .[1]

ان المراجع التي ذكرها لويس في نصه هذا مراجع باطنيه مثل " دستور المنجمين " وهو لمؤلف مجهول في القرن الرابع ، وكلام بير " و " هفت بابي بابا اسحق " (ر. ص ٥٥) و " الفلك الدوار "[2]

---

١. أصول الاسماعيلية ص ص ١٥١ ، ١٥٢ .
٢. انظر في هذه الكتب . ايفانوف . The Gide to... ص ص ٣١ ، ١٤١ ، ١٦٢ ، وأصول الاسماعيلية ص ٢١٢

أما كتاب زهر المعاني فهو أحد الكتب الباطنية التي ذكرت حديث القداحيين وقد أشير في هذا البحث الى ذلك (ر. ص ٢٧٠) .

ويمكن هنا اضافة ما كتبه مرجع باطني لم يذكر في نص لويس ؛ هو كتاب حياة الأحرار — من كتب المستعلية السليمانية السرية — الذي يفسر كلمة " العاديات " من السورة المعروفة بهذا الاسم ؛ بأشخاص ذكر منهم ميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون الذي لقبه بالفتاح .[1]

كما كتب في أمر القداحيين باطنيون معاصرون أمثال مصطفى غالب الذي يؤيد وجودهم وأمين طليع الدرزي .

وفيما يلي دراسة عن الأسرة القداحية وميمون القداح بصفة خاصة كما وردت في المصادر الباطنية ليتمكن الباحث من التعرف على الأصل الذي وصف به الباطنيون هذه الأسرة .

يقول الداعي ادريس :

> ولما آن لاسماعيل الأجل ... وأوصى ... والده الصادق
> عم الأمين أن يقيم لولده حجبا ومستودعا ... فسلمه ، أعني مولانا
> محمد بن اسماعيل ، الى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن
> سلمان الفارسي قدس الله روحه ، فرباه وأخفى شخصه صلع
> وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح قدس الله روحه وهو كفيل
> له ومستودع أمره ، وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد اسحق
> ابن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ .
>
> ... وكتم الصادق منزلة ابن ابنه وأقام له ميمون القداح وابنه عبدالله
> ابن الميمون كفلاء وكتم أمر ذلك على الخاص والعام الا على المخلصين
> العارفين .[2]

---

١. انظر : مخطوطة حياة الأحرار ق ٦

٢. زهر المعاني (ايفانوف . المنتخب) ص ٤٧ ، ص ٤٩ ، وانظر أيضا في نفس المرجع : غاية المواليد ص ٣٦

ان كان من تعليق على النص فهو ما يختص بقوله ان سلمان من أولاد اسحق ابن يعقوب ، ويرى الباحث أن خطأ ما حدث اما في النّسْخ أو في التأليف ـ لأن المقصود لابد أن يكون يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وليس اسحق بن يعقوب (ر٠ ص ٤٤٤) ؛

ان النص الباطني يشير الى أن ميمون القداح وابنه اشتركا في كفالة محمد ابن اسماعيل ، ويمضي النص فيقول : ٥

وسار ميمون وولده في طلب دار هجرة لولى الأمر يأويهما [كذا] ويقيم الحدود والهادين فيها والشيعة في اعتقادهم مختلفون والفضلاء البالغون منهم لولي الأمر عارفون أعلمهم ولى الله بمقام صاحب أمرهم فعلموا وأمرهم أن يكتموا ذلك سترا لخوف الضد فكتموا ٠ واعتقدت فرقة ان الامامة رجعت القهقرى ، وفرقة تعتقد امامة موسى بن جعفر ٠٠٠ ثم اعتقدت فرقة أخرى امامة الأفلح (الأفطح) عبدالله بن جعفر فمات في عصر أبيه ٠٠٠ وفرقة اعتقدت امامة محمد بن جعفر وتفرقوا بعد غيبة اسماعيل وذهب [كذا] أهوائهم [كذا] الأباطيل فلما آن للصادق [يعنى جعفر بن محمد] عليه السلام الأجل وانقضى المهل لبس على الضد أبي الدوانيق [يعنى أبا جعفر المنصور] سترا على ولى الله وصيانة لحدود دينه ٠ [1] ١٠ ١٥

ولا يهمنا هنا الا أن ميمون القداح قام بما قام به من تأسيس الدعوة الاسماعيلية قبل موت جعفر بن محمد (ـ ١٤٨) الذي ترك شيعته يتخبطون فجازاهم جزاء سنمار فعاداهم حين والوه وخيب أملهم حين قصدوه ، وهذا معنى النص ٢٠

---

١. زهر المعاني (ايفانوف ٠ المنتخب) ص ص ٤٩ ، ٥٠

الباطني ، (ر. أيضا ص ٢٧١) في حين انسلّ ميمون القداح وابنه من المدينة المنورة للبحث عن دار لهجرة محمد بن اسماعيل ومركز لدعوته .
حقا ان هذا صعب التصور ولكن ما العمل اذا كان الباطنيون أنفسهم يؤرخون لبزوغ دعوتهم بهذا الغموض والتناقض الذي لا لزوم له في رأي ... ٥
الباحث الا اقحام القداحيين في تاريخ الدعوة الباطنية بشكل مشرف يرفضه واقعهم المريب في تأسيسهم لهذه الدعوة ، ذلك الواقع الذي أوضحته أقلام المؤرخين من أهل السنة والجماعة .

ويمضي الداعي ادريس فيوضح لنا أن محمد بن اسماعيل حينما هاجر من المدينة المنورة ترك ولدين خاليين من الامامة (ر. ص ١٧٤) وهذا القول ١٠
الخاص بوجود ولدين لمحمد بن اسماعيل هما جعفر واسماعيل قول ذو أهمية قصوى بالنسبة للقداحيين والباطنيين بصفة عامة ، لأن حياة محمد بن اسماعيل بعد خروجه من المدينة المنورة ، اندمجت في القداحيين واندمج القداحيون فيه ، ودخل الطرفين كلاهما في غموض يستبعد الباحث فيه حياة محمد بن اسماعيل لا سيما وأن المصادر الشيعية الاثني عشرية تشير الى أنه مات في ١٥
بغداد بعد خروجه من المدينة المنورة أيام الرشيد [١]. ويؤكد ذلك ما ذكره الداعي ادريس من خروجه من المدينة وبعد أن ترك فيها ولدين اسماعيل وجعفر وهما المعروفان عند أهل الأنساب [٢]، وعلى أحد هذين الولدين وهو جعفر ، كان الظن في صحة نسب عبيد الله المهدي ، في أحد قولي ابن الأثير المؤرخ [٣]. الذي نسبه ابن خلدون كذلك الى جعفر بن محمد بن اسماعيل

---

١. انظر : حاشية النوبختي . فرق الشيعة ص ٨٠
٢. انظر : جمهرة أنساب العرب ص ٦٠ وابن خلدون . تاريخ ابن خلدون ج ٤ ، بيروت دار الكتاب العربي ١٩٥٨ ، ص ص ٦٢ ، ٦٤ واتعاظ الحنفا ١/١٥ - ٢٦ ، ٥٠ - ٥٢
٣. انظر : ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، بيروت ، دار صادر ١٣٨٦ ، ص ٢٤

وسار على ذلك كل من أثبت للعبيديين النسب الفاطمي بعد ذلك ، وهو خطأ شنيع يرفضه الباطنيون من خلال ما ذُكر عن الداعي ادريس آنفا ، ومن خلال حديثهم عن الأئمة المستورين (ر. ص ص ٢٧٨ ، ٢٧٩) الذين أشتهر أن أولهم كان عبدالله الرضي — المختلف في اسمه ومكان ميلاده . وقد رفض الامام الباطني الآمر بأحكام الله العبيدي دعوى مماثلة عن وجود ابن لنزار بن المستعلي ولد في خراسان[١] . فكيف يسوغ لغير الباطنيين قبول وجود ابن على هذا النحو لمحمد بن اسماعيل ؟ وعليه يمكن القول ان القداحيين بعد ذلك صاروا هم الذين يتحدثون عن محمد بن اسماعيل فكأنهم هو ، وهذا يوضح لنا من الذي حمل لواء الدعوة الباطنية ومن الذي صنع تاريخها . حسب أقوال نص باطني .

القداحيون عند غير الباطنيين :

ان سيرة القداحيين — خاصة ميمون وابنه عبدالله — موجودة في كتب أهل السنة ، أما كتب الشيعة الاثني عشرية فانها لم تهتم كثيرا الا بميمون القداح وابنه عبدالله بن ميمون ، وأشار لويس الى أن كتبهم ذكرت ميمونا وابنه باعتبارهما :

> في مستهل حياتهما على الأقل محدثين شيعيين موثقين معروفين ولم يكونا ديصانيين ثنويين أو ما شابه ذلك .
>
> ... ويبدو أيضا أن المصادر الشيعية متفقة على نسبة ميمون وابنه الى مكة ... وقد رأى بعضهم أن عبدالله بن ميمون القداح الوارد ذكره في كتب الشيعة الاثني عشرية كان طوال عمره شيعيا اثني عشريا متحمسا ولا علاقة له

---

١. انظر : الوثائق الفاطمية ١/ ٢٢٧

بالاسماعيلية . واذا كان هناك رجل اسماعيلي بهذا الاسم فانما هو شخص آخر غيره . والأرجح أن القداح الاسماعيلي شخصية خيالية مفترضة اختلقها الاسماعيليون أنفسهم أو مناوئوهم الكارهون وأن ما دفع الاسماعيليين على هذا الاختلاق هو رغبتهم في أن يسبغوا على حركتهم الاحترام والاجلال باقران [؟] شخص معروف محترم من أصحاب .. الأئمة بها .

ولكن لتأكيد الكتب الاسماعيلية الكبيرة على نشاط ميمون القداح كأحد الاسماعيلية لا يترك لهذا الافتراض مجالا ولا يسمح للشك أن يتطرق الى اسماعيليته ، كما أن الاشارة الى عبدالله بن ميمون بأنه محدث اثنى عشرى لاتمنع نسبته الى الاسماعيلية أخيرا [١] .

ان فرضيات لويس كانت مدعاة لحديث طويل لاثبات أن شخصية ميمون غير مختلقة من الباطنيين ولا من غيرهم ، ولكنه استدرك على نفسه فلم يسمح لافتراضه أن يتخذ بعدا أو مجالا ، ولكن مسألة التشابه في الأسماء التي افترضها لازالت على قوتها - ولن ننسى التشابه بين القاضي أبي حنيفة النعمان الباطني وأبي حنيفة النعمان السني (ر. ص ٣٨٣) - فربما أصبحنا أمام ميمونين قداحيين اثنين أحدهما الذي تحدث لويس أن كتب الشيعة ذكرته على أنه مكيّ مخزومي أوما الى ذلك ، وأنه جعفري - لصعوبة نسبته الى الاثني عشرية - ، أو زيدي [٢] . وغالبا ما تكون له علاقة بالشخص الذي أشار اليه الذهبي بقوله :

---

١. أصول الاسماعيلية ص ١٥٠
٢. انظر : الاسترابادي . مخطوط منهج المقال ، دمشق ، المكتبة الظاهرية ٧٥٧٣ ، ص ٥٩ .

عبدالله بن ميمون القداح المكّي . عن جعفر بن محمد وطلحة بن عمر ، قال ابو هاشم متروك ، وقال البخاري : ذاهب الحديث . وقال ابن حبان : لا يجوز أن يحتج بما انفرد به . . . . وقال مؤمل بن اهاب : حدثنا عبدالله بن ميمون المكي مولَى جعفر بن محمد . وقال أحمد بن برد الأنطاكي : حدثنا عبدالله بن ميمون مولَى آل الحارث بن ربيعة المخزومي .[١]

واذا أردنا الدقة بعد نص الذهبي فان عدد من تسمّى بعبدالله بن ميمون يزيد ، وهو أمر لا يعنينا كثيرا اذا علمنا أن شخصا باطنيا يسمّى ميمون القداح وله ابن اسمه عبدالله بن ميمون ، على النحو الذي تحدثت عنه كتب الباطنيين من قبل وأن هذين الشخصين لهما علاقة وثيقة بتاريخ الدعوة الباطنية وأن هذا الشخص وابنه مما ورد ذكرهما في كتب أهل السنة علَى النحو ذي العلاقة بالدعوة الباطنية ونشأة الفرق الباطنية من الفرق الشيعية الغالية كالخطابية والمباركية (ر. ص ١٤٤ فما) .

كما قال ابن رزام وابن الأثير المؤرخ[٢] ، وكما ذكر لويس :

ويقول النويري رواية عن ابن شداد بأن ميمونا من أصحاب أبي الخطاب ، وكانوا يقولون بالتأويل الباطني . وبأن الحركة التي بثها ميمون وابنه كانت في جوهرها حركة أبي الخطاب نفسه ويجعل رشيد الدين أبا الخطاب مؤسسا وميمونا وابنه عبدالله تابعين له .[٤]

---

١. ميزان الاعتدال ، ج ٢ ، تحقيق البجاوي ، مكة المكرمة ، دار البازه ١٣٨٢ ص ٥١٢ وانظر : تهذيب التهذيب ج ٢ ، تصوير عن طبعة حيدرأباد ١٣٢٦ ، ص ٤٩

٢. انظر : ابن النديم . الفهرست ص ٢٧٨

٤. أصول الاسماعيلية ص ١٠٢

مما يدل أن مراجع غير الباطنيين تقول بأن ميمون وابنه كانا في الأصل يدينان بالخطابية وهو أمر ممكن فكريا لوجود أكثر العقائد الخطابية في الفرق الاسماعيلية خاصة وفي الباطنية عامة وهو ممكن أيضا اذا اعتمدنا على ما ذكره صاحب زهر المعاني حول علاقة ميمون وابنه بمحمد بن اسماعيل، ليس من وجهة كونه بابا أو كفيلا لمحمد بن اسماعيل ولكن من حيث وجوده في هذه الفترة التاريخية ، وحينئذ يصبح ميمون القداح أحد الخطابيين الذين نجوا من المذبحة التي صُلب علَى اثرها أبو الخطاب في دار الرزق بالكوفة (ر• ص ١٢٨) فأسس الفرقة الاسماعيلية علَى نحو ما أشير اليه من قبل (ر• ص ١٤٧ فما) •

وعلى ذلك فان قصة القداحيين والامامة المستودعة والأئمة المستورين ليست الا دعاوَى عاجزة عن الصمود أمام ما ذكره أهل السنة عن تاريخ الدعوة الباطنية •

وعليه فان القداحيين هم أصحاب الدعوة الباطنية حقيقة ، ادعوا وجود امام اسمه محمد بن اسماعيل ، الذى من المحتمل جدا-كما أشير في ترجمته- أنه مات ولم يعلم بأمر الدعوة اليه (ر• ص ص ٢٧٦ - ٢٧٨) لعدم وجود أي أثر عقدي ينسبونه اليه • ولا حجة لهم بادعاء السرية لأن القداحيين لم يستطيعوا الغاء وجودهم التاريخي رغم تلك السرية ، كما لم يستطع احفادهم العبيديين اثبات انتسابهم لفاطمة الزهراء رغم محاولتهم الاستناد علَى الأئمة المستورين والسرية •

أصل القداحيين :

قيل ان أصل ميمون القداح فارسي وقيل انه يهودي الأصل • فأما القول

بأنه فارسي فقد ورد في فهرست ابن النديم عن ابن رزام :

قال : ان عبدالله بن ميمون ، ويعرف ميمون بالقداح ، وكان من أهل " قورج العباس " بقرب مدينة الأهواز[١] .

كما ذكر القاضي عبدالجبار المعتزلي في حديثه عن عبيد الله المهدي أنه زُعم أنه من ذرية :

ميمون القداح بن ديصان بن سعيد الغضبان الخرمي[٢] .

وربما كانت نسبته هذه الى "خرم شهر" وهي مدينة تقع في منطقة الأهواز حاليا . وقد سبقت الاشارة الى الأصل الفارسي لميمون القداح في نص باطني ، نسبة الى سلمان الفارسي (ر. ص ٤٣١) .

ان نسبة ميمون القداح الى سلمان الفارسي أمر فيه نظر من وجهين : أحدهما أن آباء ميمون حسب قول من نسبه الى سلمان هم على التوالي : غيلان وبيدر ومهران ، وأحسب أن اسمي بيدر ومهران مما يصعب على الباحث التصديق بهما انطلاقا من كونهما من ذرية سلمان الفارسي الذي يفترض فيه أن يطلق على أبنائه أسماء اسلامية ، وقد ينسحب هذا الرأي على اسم غيلان ، وان كان في ذلك بعض الشك . الثاني : ان وجود ذرية لسلمان الفارسي أمر مشكوك فيه بحد ذاته ، لأن " ماسنيون " الذي أجرى بحثا عن سلمان الفارسي أشار الى اعقاب مزعومين لأخي أو لبنات سلمان ، وهو يعني عدم وجود أبناء ذكور له . ويقول " عبدالرحمن بدوي " تعليقا على ذلك : ان الأخبار القديمة وعليها جرى " القلندرية " تقول ان سلمان مات ليس فقط دون أن يتزوج ، بل وأيضا وهو عارعن شهوة الجنس[٣] .

---

١. الفهرست ص ٢٧٨ .
٢. تثبيت دلائل النبوة ص ٥٩٧
٣. انظر : عبدالرحمن بدوي ، شخصيات قلقة في الاسلام ، ط ٣ ، الكويت ، وكالة المطبوعات ، ١٩٧٨ ، ص ١٠

وأما ما ظن " لويس " في هذا الموضوع في أن تكون نسبة القداح الى سلمان الفارسي ، انما هي من حيث النسب الروحي ، وليس الحقيقي ؛[1] فان " زهر المعاني " — الذى استند عليه لويس في أمر نسبة ميمون القداح الى سلمان — ذكر لميمون أبا وجدا وأب جد من ذرية سلمان وبهذا لا يستقيم النص الباطني مع ما ذهب اليه " لويس " وعلى أيٍ فان هذا جانب مما قيل عن أصل ميمون القداح .

أما القول بأصل القداحيين اليهودي ، فقد نعته " لويس" بالأسطورة اليهودية.[2] وسيأتي الباحث فيما يلي تلخيصا لمقالة لويس في ذلك :

انه يزعم أنها محاولة من مؤرخي أهل السنة ليجعلوا للخلفاء الفاطميين أصلا يهوديا . وكان لويس بذلك يريد أن يقول ان المؤرخين السنيين يريدون تشويه أولئك الخلفاء بنسبتهم الى اليهود .

ان لويس نقل عن مستشرق آخر هو " ليس أوريلري " أربعة أشكال لهذه الدعوى — الأسطورة :

الأول : ما يتصل بكون عبد الله بن ميمون القداح يهوديا من ولد الشلعلع ذكرها محمد بن مالك بن ابي الفضائل (القرن الخامس) .[3]

الثاني : يتلخص في أن الحسين القداحي ، تزوج من أرملة يهودية وتبنّى ابنها سعيد — عبيد الله المهدي ، فيما بعد — . وأحسب أن القاضي عبد الجبار (-٤١٥) ذكر ذلك من هذا الوجه والأمر لا يتصل بأصل القداحيين الا أنه ذو علاقة خاصة بعبيد الله المهدي والعبيديين . وان يكن فان المشكلة من هذا الوجه تعتبر العبيديين يهودي الأب قداحيي الأم لأن القاضي

---

١. انظر : أصول الاسماعيلية ص ١٥٢
٢. انظر : أصول الاسماعيلية ص ص ١٥٣ — ١٥٦.
٣. أنظر : كشف أسرار الباطنية ص١٧

عبدالجبار يقول بأن عبيد الله المهدي باعتباره يهوديا تزوج بنت زوج أمه القداحي .[1]

الثالث : أن جد سعيد - عبيد الله المهدي - ابن أمة لجعفر الصادق ، أحبها يهودي فحملت منه ، ويصبح العبيديون هنا ابناء غير شرعيين من أصل يهودي .

الرابع : أن سعيد - عبيد الله المهدي - قتل في السجن ، فاستبدل أبوعبدالله الشيعي به عبدا يهوديا ، وهذا مستبعد جدا أذا عدنا الى شخصية أبي عبدالله وعقيدته في أهل البيت ، وما قام به بعد ذلك من ثورة على المهدي عبيد الله حتّى قُتل بسبب ذلك (ر. ص ٤٠٩) .

ان الذى يهمنا من كل ما ذكره " لويس " الشكل الأول لهذه القضية وهو الذي ذكره محمد بن مالك بن ابي الفضائل ، الذي يقول :

> وكأن هذا الملعون [يعني عبدالله بن ميمون] يعتقد اليهودية، ويظهر الاسلام . وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب ،وكان صائغا يخدم شيعة اسماعيل ابن جعفر الصادق ... وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية لما ركب في اليهود من عداوة للاسلام وأهله والبغضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلم يرَوجهًا يدخل به علَى الناس حتّى يردهم عن الاسلام ألطف من دعوته الى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد خرج في أيام قرمط البقار... ولذلك نسب الى أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون الى قرمط لأنهما اجتمعا وعملا ناموسا يدعوان اليه .[2]

---

١. انظر : تثبيت دلائل النبوة ٢/٥٩٧

٢. كشف أسرار الباطنية ص ص ١٧ ، ١٨

من النص السابق يمكن استنباط النقاط التالية :—

١— كون ميمون القداح وابنه عبدالله يهوديي العقيدة .

٢— تظاهرهما بالاسلام لهدمه ، الأمر الذي يكرر عودة الطريقة التي سار عليها عبدالله بن سبأ .

٣— أنهما من ولد الشلعلع ، وكأن ابن ابي الفضائل يخبر أن ولد الشلعلع هؤلاء انما هم جماعة أو قبيلة يهودية تسكن سلمية ، ولكن المعروف أن أبا الشلعلع — وان كان في اسمه ما ينبىء عن يهوديته بعض الشيء — أحد القداحيين . وهو أحمد بن محمد بن عبدالله بن ميمون القداح[١] .

ان ابن أبي الفضائل هنا نسب الأصل القداحي الى فرعه الذي اعتبره يهوديا ، وهذا غريب الا أن يكون أبا الشلعلع هذا قد تكنّى بأحد أجداده . ويوجب هذا القول وجود جماعة يهودية بهذا الاسم سكنت الشام ، ومدينة سلمية بالذات ، وهي مدينة لم تتأسس الا في أيام عبدالله الأكبر كما تقول رسالة استتار الامام[٢] ، وعبدالله هذا لم يكن من أهل هذه المدينة بل انتقل اليها بعد تأسيسها . وكل ذلك لا يتناسب مع مقولة ابن ابي الفضائل بأن القداح كان صائغا في خدمة شيعة جعفر الصادق .

٤— ان القداحي الجد كان من فلاسفة اليهود الذين درسوا الأديان . وهذا القول يعود بنا الى ما يمكن نسبته الى فيلون الاسكندري اليهودي الذي تعلق بالفلسفة اليونانية في القرن الأول من ميلاد المسيح (ر. ص ١٨٣ فما

٥— ان القداحي اجتمع مع قرمط لاستنباط المذهب الباطني ، وهذا لا يتناسب مع كون ميمون القداح خطابي المذهب في الأصل ، كما أن

---

١. انظر : ابن النديم . الفهرست ص ٢٧٩ وانظر : مخطوطة رسالة تقسيم العلوم ، دار الكتب المصرية ، كلام النحل الاسلامية ٥٤ ، ق ١٠٥ ب

٢. انظرها في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ديسمبر ١٩٢٦

المعروف أن قرمط (حمدان بن الأشعث) استجاب لدعوة عبدالله بن ميمون القداح . كما يقول ابن رزام [١]، أما الذي تواطأ مع القداحي فهو عند ابن النديم محمد بن الحسين الملقب بزيدان أو داندان أو بندار ، الذي يبدو أن له دورا ما في تطوير العقيدة الباطنية قد يعادل دور ابن ميمون القداح [٢]، وخلاصة القول ان اعتبار حمدان قرمط مساويا في دوره لميمون القداح أو ابنه عبدالله صعب التصور على الباحث .

ان الباحث يجد نفسه هنا مدعوا الى مناقشة النقطة الأهم في تصوير ابن ابي الفضائل للقداحيين ، تلك التي تقول بيهوديتهم . وأن ميمون القداح تظاهر بالاسلام لهدمه ، لما ركب في اليهود من عداوة للاسلام .

ان ظاهرة تظاهر اليهود باعتناق الأديان الأخرى لهدمها معروفة ، وأجلى مثال على ذلك : عبدالله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالاسلام ، وابتدع التشيع السبئي الذي وجدت آثاره عند الغلاة من الشيعة ثم في الفرق الباطنية ، وعلى ذلك فان مقالة ابن ابي الفضائل من هذا الوجه غير مستغربة الا من حيث انفراده بها دون من تقدمه ممن درس هذه الظاهرة . الأمر الذي يجعل التسرع في الحكم على القداحيين غير لائق بمن يرجو وجه الله في نشدان الحقيقة ، رغم ما ثبت لدينا في هذا البحث من وجود الأصابع اليهودية في العقائد الباطنية وفي الدعوة الباطنية وأساليبها . كما أن اهمال ما قاله ابن ابي الفضائل غير ممكن لاسيما وأننا اذا عدنا الى قول الداعي الباطني ادريس (ر. ص ٤٣١) لوجدنا أنه ينسب ميمون القداح الى (اسحق) عن طريق سلمان الفارسي . الذي سماه : اسحق بن يعقوب . ان اسم اسحق على هذا النحو فيه مقالة ستأتي بعد سطور . أما ما ذكره من انتساب

---

١. انظر : ابن النديم . الفهرست ص ٢٧٩ .
٢. انظر ايضا : الفهرست ص ٢٨١ وأنظر : تثبيت دلائل النبوة ص ٣٨٦ ، والكامل في التاريخ ٨/ ٢٩ .

ميمون الى سلمان الفارسي فقد قيل أنه ليس لسلمان الفارسي ذرية من الذكور (ر. ص ٤٣٨) ، ولكن للباحث أن يفترض وجود ذرية فهل كان سلمان من ذرية اسحق أي هل كان سلمان يهوديا في أصله ؟ .

ان الباطنيين يعتقدون ذلك مما ورد في نص الداعي ادريس ، وكذا ورد في مرجع باطني آخر ، نسب سلمان الفارسي الى سليمان بن داود عليهما السلام جسمانيا ودينيا على حد قول المرجع[١] . وعند اليهود نجد أن سليمان بن داود من ذرية فارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق[٢] .

ولكن المعروف في التاريخ الاسلامي أن سلمان الفارسي فارسي وليس من اليهود . وقد جمع " ماسنيون " ما قيل في أصل سلمان الفارسي من المصادر الاسلامية ، كما يلي :—

سلمان أصله من فارس من اسرة نبيلة من أساورة فارس (أبو اسحق السبيعي اسماعيل والسدي) ... من دهاقين جَيّ بالقرب من أصفهان (عبيد المكتب وابن اسحق وسيار العنزي) ... ونشأ على دين المزدكية باسم مابه بن بودخشان (في قول ابن منده) أو روزبه بن مرزبان — ثم اعتنق المسيحيه[٣] .

وهذا يجعلنا نستبعد أن تكون أسرة سلمان الفارسي . المزدكية الديانة يهودية الأصل ، ولوكان سلمان يهودي الأصل لما استحى من اظهاره ، فحينما أسلم لم يُخفِ شيئا من أصله ودياناته السابقة .

وهذا يجعلنا في طمأنينة تامة اذا قيل ان اقحام سلمان الفارسي في نسب ميمون القداح مما يصعب الاقتناع به صعوبة الاقتناع بوجود نسب يهودي لسلمان الفارسي .

---

١. انظر : مسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ٩٢
٢. انظر : سفر اخبار الأيام الأول ٢ / ١ — ١٥
٣. شخصيات قلقة في الاسلام ص ١٣

ويصبح لدينا في أمر نسب القداح الى ما قاله الداعي ادريس من أنه من ذرية اسحق بن يعقوب (أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ) ولنقل ان الداعي ادريس لا يعني اسحق بن ابراهيم عليهما السلام بل شخصا آخر اسمه يعقوب بن اسحق .

اننا اذا وقفنا بالأمر في هذه النقطة يصبح الأمر عاديا ، ولكن وصف ذرية اسحق هذا بأهل الاستيداع ... الخ يجعلنا نقلب صفحات المراجع الباطنية ، فنجد أن الداعي الحارثي يقول :

كل مستودع ينسب الى اسحق . [١]

واذا عدنا الى نص آخر للداعي المذكور (ر. ص ص ١٧٦ ، ١٧٧) نجد أن المقصود هو اسحق بن ابراهيم وليس اسحقا آخر غيره يقول عن سليمان ابن داود بعد أن تحدث عن النملة التي خاطبته قال :

وسليمان كان من أولاد اسحق ، واسحق وأولاده هم دعاة اسماعيل وأولاده في الآفاق ، وهم أهل الاستيداع لاسماعيل وأولاده مطاح ما للحقل العاشر من الشعاع . [٢]

وبذلك يتأكد أن المقصود هو اسحق بن ابراهيم ، وحيث ان الدعوة الباطنية قائمة على فرض امامة أهل البيت من ذرية اسماعيل بن جعفر وهم أهل البيت النبوي جميعهم من ذرية اسماعيل ، فان الباطنيين يرون أن مما لابد منه أن يكون لأئمتهم أئمة آخرين يستودعونهم الامامة ولابد أن يكون هؤلاء من ذرية يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم ، وعليه اختار جعفر بن محمد (الصادق) لحفيده محمد بن اسماعيل شخصا من ذرية يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وهو ميمون القداح . بعبارة أخرى : ذلك هو كل ما كان يريد الداعي ادريس أن يقوله لقراءه ، ويصبح الاسم

---

١. الأنوار اللطيفة (الأعظمي . الحقائق الخفية) ص ١٢٣
٢. مخطوطة حياة الأحرار ق ١٨ أ

المذكور في كتابه : (اسحق بن يعقوب) اسما مغلوطا اما من ناسخ الكتاب أو من مؤلفه ، ولم ينبه لهذه النقطة — مع الأسف — المستشرق ايفانوف الذي نشر جزءا من كتاب زهر المعاني المقصود بما قيل — في متن الكتاب .

ان هذا يجعلنا أمام نقطة هامة من نقاط البحث قد تحل لنا لغزا محيرا ، وهذا اللغز هو التاريخ العجيب للامامة الباطنية الذي نجده في كتبهم عن أئمة مزعومين من ولد اسماعيل بن ابراهيم كانوا قبل البعثة النبوية وأن لهم دعاة ومستودعين من بني اسرائيل ومن أولئك الدعاة والمستودعين رسلا مثل موسى وعيسى وأنبياء مثل داود وسليمان وشعيب حتى لقد وصل الأمر بالمصادر الباطنية الى اعتبار أولئك الرسل والأنبياء الذين شرفهم الله بالرسالة والنبوة وذكرهم في القرآن الكريم أتباعا لأئمتهم الوهميين أمثال : قيدار وحمل ونبت والهميسع وأدد وأد الذين ليس لهم ذكر وتعظيم الا في المصادر الباطنية .[١] (ر. ص ١٧٦) . ماذا يريد الباطنيون من ذلك التاريخ ؟

هل كانوا يريدون القول بأن دعوتهم صحيحة وهى دعوة الأنبياء والمرسلين؟ أم أن لهم هدفا آخر يريدون منه معالجة مشكلة وقعوا فيها فيما بعد حين تبين لهم أن ميمون القداح يهودي الأصل .

اذا كانوا يريدون الأولى فان الانقاص من قدر الأنبياء والمرسلين يجعلهم أتباعا أو دعاة أو مستودعين لأئمة لا وجود لهم في تاريخ ولا دين ، فلا شك أنهم اختاروا لذلك الطريقة التي لا توصل الى الهدف أبدا ، فضلا عن أنها تؤدي الى هدف أقل مافيه التقليل من شأن الرسل أصحاب الديانات السماوية .

---

١. انظر : رسائل مجموعة من الحقائق (شتروثمان . أربعة كتب) ص ١٠٢ ، ورسالة تحفة المرتاد (شتروثمان . أربعة كتب) ص ص ١٦٤ — ١٦٦ ومصطفى غالب . تاريخ الدعوة الاسماعيلية ط ٣ ص ص ٧٠ ، ٧٢

وان كانوا يريدون تبرير وجود الفكر اليهودي الذي ظهر جليا في عقيدتهم وطريقة دعوتهم والخروج من مأزق وجود أشخاص قاموا بدعوتهم من أصل يهودي أمثال ميمون القداح ، فتلك طامة كبرى . بل هي النتيجة التي توصّل الباحث اليها من خلال نسبتهم ميمون القداح الى يعقوب بن اسحق وهذه النتيجة حلّت لغزا كان محيرا فغدا بذلك شبه قضية مسلّمة ، لاسيما وأن المراجع الباطنية التي وقعت في يد الباحث والتي مجدت ذرية اسحق بن ابراهيم على هذا النحو مراجع متأخرة ، فليس في مصادر الباطنيين المتقدمة أمثال : " الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا " وكتابات الداعي القاضي النعمان مثل ذلك ، الأمر الذى يدل أن التاريخ الباطني للدعوة الباطنية انما حيك على هذا النحو بعد ظهور الدراسات التي قام بها مخالفيهم من أهل السنة حول ميمون القداح وأولاده .

ولكن هل انتهى الأمر بالنسبة للقداحيين على هذا النحو ، أعني هل كان جدهم ميمون القداح يهودي الأصل أراد افساد الاسلام على النحو الذي ذكره ابن ابي الفضائل وأيده عليه الداعي الباطني ادريس ؟ .

ان الباحث لا يملك أن يقول بذلك الا علّى سبيل أن بعض المراجع الباطنية تؤدي في مفهومها الى نتيجة كهذه فيصبح الأمر كما يلي :—

ان هناك نسبين يتصارعان في أمر ميمون القداح : أحدهما : النسب الفارسي المجوسي وهو ما قال به كثير ممن تعرض لميمون بالبحث والدراسة . الثاني : النسب اليهودي وهو الذي بدأ الحديث عنه ابن أبي الفضائل ، وأشار اليه بطريقة لطيفة الداعي الباطني ادريس ، وصدر عن المراجع الباطنية ما يشبه التأييد لقوله على النحو الذي فصله الباحث .

وهذا لا يقدم ولا يؤخر في الأمر شيئا وان كان الذي لاشك فيه هو : التشابه بين القداح وابن سبأ من حيث العمل علّى افساد الاسلام .

وفي ختام هذا الباب يتضح لنا :

١- أن السرية تعتبر منهجا أساسيا في الدعوة الباطنية وقد اتخذ الباطنيون وسائل عديدة للحفاظ على سرية مذهبهم ، وهو ما نجده في الفكر اليهودي الذي يسير الباطنيون على طريق مشابهة له .

٢- ان من أساليب الدعوة الباطنية التدرج فيها شيئا فشيئا، حتى أنهم كونوا سبع درجات لا يرتفع أحد فيها الى أخرى حتى يكمل الدرجة التي سبقتها ، وقد وجدنا الجمعيات الماسونية تسير على نفس المنهج . وقد اتضح وجود علاقة وطيدة بين الماسونية والفكر اليهودي .

٣- ان الدعاة الباطنيين اعتبروا الفكر اليهودي من منابع فكرهم ، فاستشهدوا به في قضايا عقدية باطنية .

٤- ان النسب الفاطمي الذي قامت عليه الدعوة الباطنية فكان عمودها الفقري مشوب بالغموض والبعد عن الواقعية ، وأن أول من شكك في كون عبيد الله المهدي فاطميا هم الذين سلموه الأمر في بلاد المغرب حينما أعلن ظهور دولته ، وليس للعباسيين ولا لأهل السنة عامة الأسبقية في ذلك . ومن استقصاء المصادر الباطنية تبين خلو عبيد الله من النسب وانتسابه حقيقة الى ميمون القداح وأن خلفاء الدولة العبيدية أبناء للمهدي عبيد الله على اليقين.

٥- ان ميمون القداح جد الأسرة العبيدية مجهول الأصل ويتنازعه أصلان احدهما أنه يهودي والآخر أنه فارسي مجوسي .

الخاتمـــــة

لقد من الله على باكمال هذا البحث على هذه الصورة التي من الواجب عليّ القول بأنها لم تكن الصورة التي تمنيت أن يكون عليها هذا البحث في نهايته ٠

ومع أن هناك من الأعذار ما يدعوني الى أن عدم استكمال جوانب البحث لم يكن برغبة مني ورضا ، الا أن ذلك لا يعفيني أبدا من قول الحقيقة والعمل على استكمال النقص مستقبلا انشاء الله ومدّ في العمر وأعان ٠ ٥

وقد ختمت كل باب من أبواب البحث بالنتائج التي وفقني الله الى الوصول اليها ، وفيها بحمد الله ومنته مالم أعثر عليه بعد ، وعلى الأخص فيما رجعت اليه من المصادر المختلفة التي توفرت لي ٠

وليسمح لي القارئ الكريم — قبل الحديث عن النتائج العامة للبحث — بالاشارة الى نقاط وجدتها على البحث : ١٠

(١) ان البحث يفتقر الى باب خاص عن الطريقة التي تعامل بها اليهود مع الاسلام منذ أن تبلغوه من رسول الله (ص) ٠ وكنت قد أعددت لذلك الباب عدته وقمت بحصر الآيات القرآنية : التى تحدثت عن أن اليهود كانوا مطالبين بالايمان بالرسالة الاسلامية المحمدية ٠ والتي تحدثت عن أن رسول الله (ص) انما هو الرسول الموجود اسمه في التوراة والانجيل ، وهو الرسول الذي جاء مصدقا لهما[١] ٠ كما بدأت في حصر الآيات التي وضحت لنا طريقة تعامل اليهود مع المسلمين على ضوء ايمانهم بالدين الاسلامي[٢] ذلك التعامل العدائي الواضح ٠ ١٥

---

١. انظر سورة المائدة ١٥ ، ١٩ ، سورة الأعراف الآيات ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، سورة النمل آية ٧٦٠

٢. انظر سورة البقرة الآيات ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، سورة آل عمران الآيات ٦٤ ، ٦٩ — ٧٢ ، ٩٨ ، ٩٩ ، سورة المائدة آية ٥٩ ، ٨٢٠

واني وان لم أكن حينئذ قد جمعت معلومات عن تعامل اليهود مع رسول الله (ص) من نقضهم لعهده وما لأتهم لأعدائه واثارتهم الفتنة القبلية في المدينة المنورة بين قبيلتي الأنصار ، الا أنني بدأت جمع معلومات كثيرة عن ظاهرة الاسرائيليات وقطعت في ذلك مرحلة لا باس بها . وفيها تبين لي عمق المخاض الذي خضته . فاستنصحت أحد أصحاب الفضل في العلم عليّ وهو الدكتور مجاهد الصواف ، الذي نصحني بكلمة لاتزال ترن في مسمعي حينما قال لي :

— اذا لم تكن واثقا من أنك ستأتي بجديد فيما عزمت عليه فلا حاجة لأن تكرر أقوال السابقين ونتائج بحوثهم .

فصرفت النظر عن ذلك الباب جملة وتفصيلا اكتفاء بما في بقية الرسالة . وهو ما يختص بصلب موضوعها ، حتى حين .

وتبين لي أن في الرسالة من المواضيع التي كان من المستحسن ابرازها في فصول خاصة بها . لا أن ترد في سطور مشتتة بين بقية الفصول ، مثل :

(٢)

التناسخ : وهو عقيدة وجدت عند الباطنيين ، وقد أثرت هذه العقيدة في جوانب أخرى من فكرهم ، كما أثرت على أسلوب الدعوة تأثيرا واضحا ، وقد توصلت الى ذلك أخيرا — للأسف الشديد — واني اذ أشكر الله على أن توصلت الى ذلك ، وأعتبره نتيجة هامة من نتائج البحث ، الا أني ندمت كثيرا على ما فرطت في حق بحث التناسخ ، والسبب في ذلك يعود الى أني أخذت برأي لأحد المعاصرين يدعي فيه أن بعض الفرق الباطنية لم تقل بالتناسخ ، ففهمت مراده أن يقول أو قد قال : ان اعداء الباطنيين هم الذين وصموهم بتلك الوصمة التي ليست فيهم . ثم تبين لي أن عقيدة القول بتناسخ الأرواح موجودة في الفكر الباطني بعامة على نحو يضيق ويتسع ، مما يسمح للباحث القول بان أكثر الفرق

الباطنية تحفظا واعتدالا تقول بتناسخ الأرواح بكيفية ما • رغم اعترافي بالحاجة الى احاطة أوسع بالموضوع•

ومن نافلة القول الاشارة الى أن لعقيدة التناسخ أصلا يهوديا قد يكون مقتبسا من ديانات وثنية أو شبه وثنية قديمه • وقد تبين لنا ذلك في البحث (ر• ص ص ٦٠ ، ٢٠٦ - ٢١٠ ، ٢٩٣) • ٥

(٣)

الضد : كلمة أطلقها الباطنيون علَى مخالفيهم • وقد تعمقت الفكرة فبلغت بهم غورا بعيدا ، وتشعبت فأثَّرت على عقائدهم ودعوتهم كثيرا • وبلغ بهم القول الى اعتبار الضد شيطانا بالفعل أو بالقوة ، وقد قالوا بمثل ذلك في صحابة رسول الله (ص) مثل أبي بكر وعمر وعثمان ، وكثير من سلف الأمة الاسلامية الصالح • وقد وردت نتف من ذلك في ١٠ البحث ، كما ورد فيه أن أول من سن سبّ السلف الصالح من الصحابة هو عبدالله بن سبأ اليهودي •

والذي اتضح لنا أن مدلول كلمة (الضد) ترادف (الغوييم) أو الأميين عند اليهود ؛ حيث اعتبروا الغوييم من ذرية الشياطين أو الحيوانات • ١٥

والبحث وان لم يخل من الحديث عن ذلك الا أني لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأفردت لذلك فصلا خاصا بين عقائد الباطنيين•

ومن المواضيع التي يمكن اعتبارها مكملة لجوانب البحث ولم ترد فيه •

(٤)

ايراد تراجم لبعض الشخصيات الباطنية ، مثل دعاة عُرف الكثير عنهم وعن حياتهم برغم وجودهم في دور الستر الذي أوجب الباطنيون فيه علَى ٢٠ أنفسهم السرية • وآخرين ظلوا مجهولين رغم ما كان لهم من أثر ظاهر بارز علَى

الفكر الباطني ورغم وجودهم في دور الاشهاد الذي لا يحتم عليهم الكتمان والسرية •

(٥)

كما أن البحث اقتصر في الحديث عن الأئمة المستورين الذين جاءوا — بزعم الباطنيين — بعد محمد ابن اسماعيل فلم يكتمل الحديث عنهم بالرغم من أهمية ذلك ، لا سيما وأن البحث تكلم بالتفصيل حين ترجم لاسماعيل بن جعفر ومحمد بن اسماعيل اللذين تبين أنهما لم يؤثرا في الفكر الباطني ولا في دعوته ،فلم أجد بدا من أضافة ملحق الى البحث يتضمن رسالة المهدي عبيد الله الى أهل اليمن ،وهي مما قد يلقي بعض الضوء على جزء من ذلك •

(٦)

ان الدولة العبيدية باعتبارها أعظم الدول الباطنية على الاطلاق حفلت بظهور شخصيات يهودية تسنمت فيها مراكز عليا ، كما كان لهذه الدولة اسلوبا خاصا في التعامل مع اليهود أشارت اليه تفصيلا دائرة المعارف اليهودية • وقد باشر الباحث في تجميع المادة العلمية لذلك ، الا أنه تبين أن البحث — من حيث اهتمامه بالناحية الفكرية — لا يستوعب ذلك ، بالاضافة الى أنه يبتعد به عن هدفه الذي انحصر في العقيدة والدعوة الباطنية ، وهذا القول قد لا ينسحب على يعقوب بن كلس الذي يعتبر بحق ظاهرة فريدة لأن الذي قيل فيه أنه ألف في فقه الباطنيين وربما في العقيدة الباطنية وأصول دعوتها • وعليه فيمكن اعتباره من ضمن ما ورد في هذه الخاتمة في الفقرة (٤) منها •

(٧)

ان الفرقة النصيرية فرقة باطنية بكل مافي الكلمة من معنى وان لم تكن اسماعيلية • وقد أشير الى ذلك في البحث ، الا أن هذه الفرقة لم تحظ بما حظيت به بقية الفرق الباطنية من حيث شخصياتها التي أسستها والظروف المصاحبة لذلك في الفصل الخاص بتاريخ الدعوة

الباطنية ، لا سيما وأن بصمات الفكر اليهودي واضحة فيها ، ولعل مرد
ذلك كان قلة أثر هذه الفرقة . وضعف الدراسات الحديثة عنها وهو
عامل مهم استند عليه الباحث كثيرا بالنسبة للفرق الباطنية الأخرى .
وقلة المراجع النصيرية حيث لم يتوفر لديّ منها بعد البحث الا ثلاثة
مراجع .   ٥

نتائج البحث :

ان الدور اليهودي في الفرق الباطنية واضح وثابت خاصة الناحية
الفكرية منه ، وهذا الدور لم يكن وليد الصدفة المحضة ، بل كان علَى
ما يبدو نتيجة جهود يهودية خفية من شخصيات آلت على نفسها أن تعمل
علَى افساد الدين الاسلامي ، والانتصار علَى المسلمين — وهو مالم يحدث   ١٠
تماما والحمد لله الا أنه أعقب آثارا ساهمت حقيقة في الحد من انطلاق المسلمين
نحو هدفهم السامي؛ وهو هداية البشرية واصلاح العالم .

والدور اليهودى لم يكن وحيدا في الساحة لأن هناك من اتفقت أغراضهم
مع اليهود على هدم الدين الاسلامي .

ولا يملك الباحث الحكم على مدَى تعاون اليهود مع غيرهم على ذلك   ١٥
الهدف ، كما لا يملك القول بوجود ذلك التعاون ، الا أن بالامكان القول
— اضافة الى ما سيأتي — بوجود عقائد غير يهودية في الفكر الباطني .

وقد استنتج الباحث أن الدور اليهودي قديم ، ووجوده يمتد الى
ما قبل ظهور الفرق الباطنية ، حين ظهر عبدالله بن سبأ اليهودي — وهو
شخصية حقيقية — بعقائده الغالية التي يمكن اعتبارها على العموم يهودية   ٢٠
الأصل . تلك العقائد التي صارت علما علَى الغلو الشيعي والفرق الباطنية
بعد ذلك .

ولم يتوقف ظهور العقائد ذات الأصل اليهودي على العقائد السبئية
بل اننا وجدنا عند غلاة الشيعة عقائد ذات أصل يهودي لم يؤثر — فيما وقف

عليه الباحث من المصادر ـ عن ابن سبأ القول بها • (ر• ص ص ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٥، ١٣٥ ـ ١٣٨) • وهذا يوضح لنا أن الدور اليهودي لم يتوقف عند ابن سبأ ، وهو دليل على أن ابن سبأ لم يفعل ما فعل من تلقاء نفسه ، وأنه لم يكن ظاهرة فردية •

أما بالنسبة للفرق الباطنية فان الدور اليهودي لم يظهر في عقائدها فحسب ، بل انه ظهر في أساليب الدعوة الباطنية وتنظيمها ، كما ظهر في الكتابات المذهبية للدعاة الباطنيين ، الذين استمدوا الكثير من فكرهم من أصول غير اسلامية ، كان أجلاها ما أنبأنا عن ثقافتهم ذات التكوين اليهودي •

ان ثقافة الدعاة الباطنيين ذات التكوين اليهودي ذهبت بالدعاة مذهبا غريبا ، وأعني بذلك قول الدعاة الباطنيين بانتساب دعاتهم الى بني اسرائيل : يعقوب بن اسحق •

ان الباحث لا يدري أيصف ذلك بأنه يعبر عن حقيقة الدعاة الباطنيين من حيث أصلهم ، أم أنه يعبر عن ذلك من حيث انتمائهم الفكري •

وليت شعري ما الذي ذهب بهم هذا المذهب حتى احتالوا له الحيل وكونوا له الأخبار وأرخوا له التواريخ فصارت عقيدتهم ثابتة على وتدين أحدهما يتصل باسماعيل بن ابراهيم جد العرب والآخر باسحق بن ابراهيم جد اليهود •

هذا المذهب الذي استنتج الباحث منه احتمال كون ميمون القداح يهوديا في أصله حيث نسبه الباطنيون الى يعقوب بن اسحق •

وقد استنتج الباحث ـ من المصادر الباطنية ـ أن العبيديين الذين انتسبوا الى فاطمة الزهراء ليسوا الا من ذرية عبيد الله المهدي الذي كان من ذرية ميمون القداح •

كما استنتج أن مسألة النسب الفاطمي وبطلانه بالنسبة للعبيديين لم تكن في أصلها من أقاويل أعدائهم عليهم بل كانت من أتباعهم كما تقول المصادر الباطنية .

ومن نتائج البحث : ان المحققين من أهل السنة لم يكونوا متجنين علىَ الباطنيين في كثير مما كتبوه عنهم ؛ لأن المصادر الباطنية التي ظهرت أخيرا أثبتت أن أهل السنة كانوا على اتصال بمصادرهم رغم السرية التي أحيطت بها تلك المصادر ، وعلى ذلك فان الواجب حيال مالم يثبت بعد على الباطنيين من أقوال أهل السنة فيهم ، عدم حمله علَى محمل سوء الظن بأهل السنة ، حتى يثبت عكس ما قالوا ؛ لأن فى ذلك تجن لا يقبله العلم ولا أهله . مع الأخذ بعين الاعتبار أن كثيرا من المصادر الباطنية لازال طي الكتمان ، كما تبين من البحث أن السرية التى اتبعها الباطنيون تحتم عليهم عدم كتابة كل اعتقاداتهم بين السطور .

وعلى ضوء تلك النتائج العلمية لعقائد الفرق بعامة والفرق الباطنية بخاصة فالفكر الباطني لازال قائما بكيفية ما ، كما أن دواعي ذلك لاتزال ماثلة .فان الباحث يقترح :

ان تعمل الجهات الاسلامية التي تقلدت نشر الدعوة الاسلامية - مشكورة - على بيان المذهب الباطني والنقاط التي ابتعد فيها عن جوهر العقيدة الاسلامية ، منعا لأي التباس قد يحدث .

ان تقوم احدَى الجهات العلمية في بلادنا المقدسة بالخطوة الأولى نحو اعادة كتابة التاريخ الاسلامي وترتيب أوراقه وأعني وضع مخطط شامل يوضح السبيل الى ذلك الهدف .

وقد تبينت للباحث الحاجة الماسة الى ذلك من خلال ما ورد في البحث.

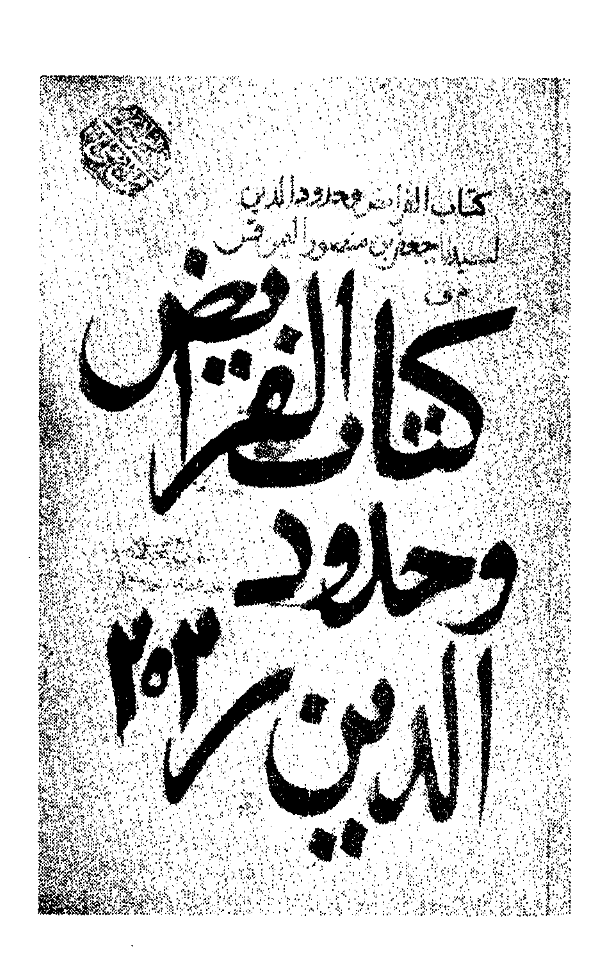
وهنا يقف بي قلمي ، كما وقف جهدي فان يكن صوابا فمن الله سبحانه وان يكن خطأ فمن نفسي ومن الشيطان . واني أعوذ بالله من نفسي ومن الشيطان . وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والله أعلم

تم بحمد الله

في الساعة الثانية عشرة والربع من بعد فجر يوم الخميس المصادف للعشرين من شهر جمادى الأولى من شهور السنة الأولى من القرن الخامس عشر المبارك .

ملحـــــــق ـــ ١



أسماء الائمة المستورين كما وردت في رسالة المهدي عبيد الله الى أهل اليمن وهي التي ذكرها الداعي جعفر بن منصور اليمن في كتابه • (الفرائض وحدود الدين) • ونشرته لأول مرة الجامعة الامريكية بالقاهرة على يد • حسين فيض الله الهمداني وذلك سنة ١٩٥٨

[illegible]

٥

من ولد [illegible] من ولد الحسين وهو الذي [illegible]
[illegible] في زمان الدجال [illegible]
[illegible] يعني [illegible]
ولا [illegible] وهو آخر الدنيا وقال مولانا [illegible]
ولابد بين كل ناطقين من امام [illegible] بالسلطان
الظاهر والسيف [illegible] الامر [illegible] وكان [illegible]
بين آدم ونوح وكان [illegible] بن [illegible] بين نوح وابراهيم
وكان [illegible] بين ابراهيم وموسى وكان
[illegible] بين موسى وعيسى وكان [illegible]
[illegible] بين محمد وبين صاحب القيامة
[illegible] قال [illegible]
[illegible]
[illegible] بالسيف
[illegible] يعني بين الامام
[illegible] بن محمد والامام الذي يظهر بالسيف [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه [illegible]
جعفر بن محمد صلوات الله عليه [illegible] مولانا [illegible]
[illegible] الذي [illegible] الناطق

[illegible]

٦

[illegible] وقد ذكر [illegible] الائمة الذين [illegible]
[illegible] صلوات الله عليه
[illegible]
[illegible] الناطق [illegible]
[illegible] المؤمنين
[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
العالمين [illegible] محمد [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

٤٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

ورد هذا المعنى المشروح فى كتابنا إلى ناحيتنا باليمن من مولانا الإمام عبد الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعد نزوله فى المهديّة المباركة .

لمّا اشتدّت المحنة وعظمت التقيّة فى أيّام جعفر بن محمد صلوات الله عليه كتم اسم الإمام من ولده تقيّة عليه . فلم يطّلع عليه فى حياة جعفر بن محمد ولا بعد وفاته صلوات الله عليه ، إلا أوثق الثقاة من شيعته ؛ وكان يقول : « التقيّة دينى ودين آبائى ، ومن لا تقية له فلا دين له » .

فتعلّقَ كلٌّ فرقة من الشيعة بواحد من أربعة من ولد جعفر بن محمد ، وهم : موسى وإسماعيل ومحمد وعبد الله . وكلٌّ منهم على غير عَقْد مُؤَكَّد منه . وكان صاحب الحق منهم عبد الله بن جعفر صلوات الله عليه ، فلم يكن عِلْم مقامه إلا عند الأبواب والثقاة تقيّةً عليه . وقد تعلّق به قوم [على] غير هذه الحقيقة تَوَهُّماً منهم .

فلمّا أراد الأئمة من ولد جعفر إحياء دعوة الحق خافوا من نِفاق المنافقين ، فتَسمَّوْا — صلى الله عليهم — بغير أسمائهم ، فجعلوا أسماءهم

للدعوة فى مقام الحُجج، وتَسَمَّوْا بمُبارَك ومَيْمون وسَعيد للفأل الحسن فى هذه الأسماء .

وأشاروا بالإمامة إلى عبد الله، وتَسَمَّى بإسماعيل، ودعوا إلى أن المهدى صلوات الله عليه اسمه محمّد بن إسماعيل، لأنه محمد وهو من ولد عبد الله الذى تسمَّى بإسماعيل . فنافَقَ جماعة ممّن دُعِى، فذكروا إسماعيل ومحمد بن إسماعيل، وهما لا يوجدان، وأصحاب الحقّ سالِمون آمِنون .

فكان كلّما قام منهم إمام تَسَمَّى بمحمد، والإشارة فى الدعوة إلى محمد بن إسماعيل . والمراد بإسماعيل عبد الله؛ والمراد بمحمد كل من كان فى عصره إلى أن يظهر صاحب الظهور وهو محمد، فتزول التقيه . والأمر منتظم بهذه التسمية .

فقال مولانا صلوات الله عليه فى كتابه حين ذكر هذا المعنى من التقية فى الأسماء، قال : فجعل الله فى ذلك خيرا كثيرا . فكان الإمام عبد الله بن جعفر، ثم بعده [محمد] بن عبد الله، [ثم عبد الله بن محمد]،[1] ثم أحمد بن عبد الله، ثم محمد بن أحمد . فكل

(١) فى الأصل : ثم بعده عبد الله بن عبد الله . والظاهر أن العبارة ناقصة . وقد ذكر المؤلف فيما سبق اسم محمد بن عبد الله (= محمد بن إسماعيل)، فأضفنا إلى الأسماء التى وردت في الأصل اسمى محمد بن عبد الله وابنه عبد الله بن محمد .

هؤلاء تَسَمَّى بمحمّد محمّد ، خلا عبد الله بن جعفر ، فإنه تسمَّى بإسماعيل . هكذا قال مولانا صلوات الله عليه فى كتابه .

فكان ورد كتاب من محمد بن أحمد صلوات الله عليه ، فيه رسالة أوّلها : من محمد بن محمد . فجعلها عند المؤمنين إشارة وحجّة وتذكرة إلى وقت ظهور هذا البيان .

ثم أَوْصَى محمد بن أحمد إلى ابن أخيه ، وأعطاه باختيار الله أمره كلّه ، وتسمَّى سعيد بن الحسين . فجرت الدعوة إليه زمانا [بعد] ذلك[١] . فلمّا ظهر أظهر مقامه ، وأظهر اسم عبد الله ، فهو مولانا عبد الله الإمام صلّى الله عليه .

وظهر معه مولانا أبو القاسم صلوات الله عليهما ، اسمه محمد . فصَحَّت الإشارة إلى القائم [بن] المهدىّ[٢] محمد بن عبد الله أبى القاسم ، الإمام المُنْتَظَر لِعِزِّ دولة الدين والجهاد برايات المؤمنين .

فكتب مولانا عبد الله صلى الله عليه بمعنى هذا الشرح ، وإن كان لم يُحْفَظ على انتظام الكلام على النسق . ثم نَسَبَ نفسه فقال : والولىّ الآن (يعنى نفسه) علىّ بن الحسين بن أحمد بن عبد الله الثانى

---

(١) فى الأصل : بذلك .

(٢) فى الأصل : إلى القائم المهدى .

[ابن محمد] بن عبد الله[١] بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على صلوات الله عليهم أجمعين . واسمه[٢] الظاهر عبد الله بن محمد ، لأنه ابن محمد بن أحمد فى الباطن . فهذا النسب هكذا كان فى كتاب مولانا عليه السلام على هذا النسق .

ثم ذكر فى كتابه هذه الرواية عن جعفر بن محمد عليه السلام، فقال: جاء رجل من الشيعة إلى جعفر بن محمد عليه السلام ، فقال : يا ابن رسول الله ، كان من بنى أمية كذا وكذا من ملك ، و بنى العباس كذا وكذا من ملك، وليس يكون منكم إلا مهدىّ واحد تقوم الساعة منه . فقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه : لقد قلّل الله آل محمد أن لم يكن منهم إلا مهدىّ واحد ، وإنما نُبشِّركم بالمهتدى المنتظر الذى يَعز الحق على يده ، أول من يصعد على منبر جده ، ويُجاهد برايات المؤمنين على أخذ حقه ، ويزول به المحنة عن أهل شيعته ، ويعز جميع المؤمنين فى دولته . ويكون بظهوره عِزّ آل محمد إلى آخر الدنيا ، ويكون ولده[٣] هداة

---

(١) فى الأصل : والولى الآن يعنى نفسه على بن الحسين بن على بن أحمد ابن عبد الله بن عبد الله ثانيه . نقول : إن الأسماء بهذا النسق لا توافق بما سبق من الأسماء المستورين . والظاهر أنه وقع الخلط فى هذا الموقع .

(٢) فى الأصل : واسم .

(٣) فى الأصل : ويكون من ولده . وقد يكون القراءة : ويكون بعض أو جماعة من ولده .

مهديّـين مؤيَّدين إلى أن تقوم الساعة . فمنّا المهدىّ ، ومنا الهادى، ومنا المهتدى به ، ومنا من تطلع الشمس على رأسه . فإن كنت تريد الذى قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله : تقوم القيامة ومُلك الدنيا فى يدى رجل من ولدى من ولد الحسين ، وهو الذى يُصلى خلفه عيسى ابن مريم ، فإنما يكون ذلك فى زمان الزلزال وخِداج الأعمال ، فلا يتبعه[1] إلا واثِق بعلمه، يعني أنه لا ينفع فى أيامه عملٌ حادِث ولا تُقبَل توبة ، وهو آخر الدنيا .

وقال مولانا أيضا فى كتابه :[2] ولا بد بين كل ناطقين من إمام مملّك يظهر بالسلطان الظاهر والسيف عند تقية الأئمة وعُلوّ الظلمة . فكان إدريس بين آدم ونوح ، وكان فالع بن عابر بين نوح وإبراهيم ، وكان يوسف بن يعقوب بين إبراهيم وموسى ، وكان داود وسليمان بين موسى وعيسى، وكان بخت نصر بين عيسى ومحمد . فيعنى أن المهدىّ بين محمد وبين صاحب القيامة .

ويروى عن على بن أبى طالب صلوات الله عليه أنه قال : يكون بعد السابع المهدىّ فترة تأرِز العِلم بين المسجدين ، كما تأرِز الحية فى

---

(١) فى الأصل : فلايتمنه ، فيه تحريف وتصحيف .

(٢) فى الأصل: كتاب .

جحرها؛[1] ثم لا يَروعكم إلا صاحبكم يدعوكم إلى نفسه بالسيف. فيعنى تأرِز يستخفى وينحجز؛ وبين المسجدين يعنى بين الإمامين، بين جعفر ابن محمد والإمام الذى يظهر بالسيف، وعدد[2] هؤلاء السبعة من رسول الله صلى الله عليه وآله . فالسابع جعفر بن محمد صلوات الله عليه .

وأجاب مولانا عبد الله وقد سئل عن الشرح[3] الذى كان بين الناطق إلى الناطق سبعة أئمة ، وَقدذُكر العدد فى الأئمة الذين ذُكروا[4] من آبائه عليهم السلام بعدد أكثر من سبعة ، فقال فى كتابه[5] صلوات الله عليه : إنما هى سبع مراتب ، تدور كما تدور الأيّام ، يكون فيها من الأئمة ما شاء الله، حتى يظهر الناطق بَغتةً متى أراد الله سبحانه .

فهذا المعنى كتب به إلى ناحيتنا باليمن مولانا أمير المؤمنين عبدالله صلوات الله عليه ، بلا زيادة فى معنى الشرح ولا نقصان، وبالروايات التى فيها ، إلا أن يكون لفظة زادت، أو لفظة نقصت ، ولا تُحيل المعنى لأن الكتاب لم يُحفَظ على النسق .

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على النبى محمد والصفوة من آله وسلم تسليما .

---

(١) روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الإيمان بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ؛ فطوبى للغرباء . إذا فسد الناس ، والذى نفس أبى القاسم بيده ، ليَأرِزَنّ الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز الحية فى جحرها .

(٢) فى الأصل : وعد. (٣) كذا فى الأصل . وإنما نرجح أن يكون اللفظ نكرة .

(٤) فى الأصل : ذكر . (٥) فى الأصل : فى كتابه له ثانى .

الملحـــق ـ ٢

جريدة المراجـــع

ملحوظة : ان ترتيب المراجع هنا حسب التسلسل الهجائي . وفي حالـــة عدم ذكر المؤلـف فان عنوان الكتاب يأخذ مكانه حسب أول حرف مـــن حروفـه ، مع اهمال (ال) التعريف والكنيـة وما شابـه .

أولا :

القرآن الكريـــم

ثانيا :

المراجع الأخرى

ابن الأثير (ـ ٦٣٠) ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني

الكامل في التاريخ . بيروت . دار صادر . ١٣٨٥ .

الاسترابادي (ـ ١٠٢٨) ، محمد بن علي بن ابراهيم

منهج المقال . مخطوط . دمشق . المكتبـة الظاهرية . رقم ٧٥٧٣

ادريس (ـ ٨٧٢) ، الداعي عماد الدين

زهر المعاني . نشر جزءا منه . ايفانوف في: Ivanow.

RISE OF THE FATIMIDS, Inda. 1942.

الأذني ، سليمان

الباكورة السليمانيـة . ط بيروت . قديمة . مصور عن نسخة في مكتبـــة كلية الالهيات . جامعة أنقرة .

الأشعري (ـ ٣٣٠) أبو الحسن علي بن اسماعيل .

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة . د . ت .

الأشعري ـ القمّي (ـ ٣٠١) سعد بن عبد الله بن أبي خلف.

كتاب المقالات والفرق . تحقيق محمد جواد مشكور . طهران . مطبعـــة حيدري . ١٣٤١ ش

الأصفهاني (ـ ٣٥٦) ، أبو الفرج علي بن الحسين

الأغاني . بيروت . تصوير دار الفكر . د . ت .

الأصول الماسونيـة للمحافل المصرية الوطنيـة . القاهرة . مطبعة الآداب . ١٨٨٩

الألوسي (ـ ١٣٤٢)، محمود شكري

مختصر التحفـة الاثنى عشرية . ط ٢ . القاهرة . المطبعة السلفية . ١٣٨٧

الامام المستور ، أحمد بن عبدالله بن محمد بن اسماعيل (الباطنى) .

الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا . تحقيق مصطفى غالب . بيروت . دار صادر . ١٣٩٤

الأنصارى، عبد الواحد

مذاهب ابتدعتها السياسة في الاسلام . بيروت . مؤسسة الأعلمي . ١٣٩٣

ايمار وزميلته

روما ـ امبراطوريتها . بيروت . عويدات . ١٩٦٤

ايفانوف ، و

الأدب الاسماعيلي (باللغة الانجليزيـة) . ط ٢ . طهران . مطبعـة جامعة طهران . ١٩٦٣

Ivanow, ISMAILI LITERATUR. Tehran. 1963

وهو المعروف باسم : THE GUIDE TO =

الاسماعيليون والقرامطـة . (ترجمـة الى العربية مسعود على مسعود) . مكتوب بالقلم في مكتبـة سليمان السلومي .

البخاري (ـ ٢٥٦) ، الامام أبوعبدالله محمد بن اسماعيل

صحيح البخاري . كما ورد في : فتح الباري لابن حجر . القاهرة . المطبعة السلفيـة . ١٣٨٠

ابن بدران (- ١٣٤٦) عبدالقادر بن أحمد

تهذيب ابن عساكر ، ج ٧ • دمشق • المكتبة العربية . ١٣٥١

عبدالرحمن بدوي

شخصيات قلقة في الاسلام • ط ٣ • الكويت • وكالة المطبوعات . ١٩٧٨

مذاهب الاسلاميين - ج ٢ - بيروت - دار العلم للملايين - ١٩٧٣•

البغدادي (- ٤٢٩)، عبدالقاهر بن طاهر

الفرق بين الفرق • ط ٢ • بيروت • تصوير دار الآفاق • ١٩٧٧

" " " القاهرة • محمد على صبيح • د • ت •

تاريخ العالم • ج ٤ • (الترجمة العربية) • القاهرة • وزارة التربية والتعليم •
د •ت•

التميمي ، اسماعيل بن محمد بن حامد الدرزى

كتاب تقسيم العلوم • مخطوط الخزانة التيمورية • دار الكتب المصرية • عقائد
- ٦٦٢ •

ابن تيمية (- ٧٢٨) ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم

مجموع الفتاوى • ج ٣٥ • جمع ابن قاسم • مكة • مطبعة الحكومة • د • ت

الجاحظ (- ٢٥٥)، أبو عثمان عمرو بن بحر

البيان والتبيين • تحقيق • عبدالسلام هارون • القاهرة • الخانجي • ١٣٩٥

جعفر بن منصور اليمن (عاش حتى أواخر القرن الرابع)

أسرار النطقاء • (نشر جزءا منه ايفانوف) فى : the RISE ...

الشواهد والبيان • مخطوط في الخزانة التيمورية • عقائد - ١٨٤

كتاب الفرائض وحدود الدين (نشر جزءا منه • الهمداني • بعنوان : في
نسب الخلفاء الفاطميين) الجامعة الأمريكية • القاهرة • ١٩٥٨

الجعفي ، المفضل بن عمر (راوى الكتاب)

الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق (ع) • تقديم وتحقيق •
مصطفى غالب • بيروت • دار الاندلس ١٩٦٤

جمال الدين ، محمد السعيد ـ

دولة الاسماعيليين في ايران • القاهرة • سجل العرب • ١٣٧٥

ابن جندان (حضرمي معاصر كان يعيش في اندونيسيا)

السهم الرامي • مكتوب بالقلم ومصور في مركز البحث العلمي • مكة كلية
الشريعة •

الجندي ، أنور

المخططات التلمودية ••• في غزو الفكر الاسلامي • القاهرة • دار الاعتصام
١٩٧٧•

ابن الجوزي (ـ ٥٩٦) ، عبدالرحمن

تلبيس ابليس • تحقيق • الاسلامبولي • بيروت ١٣٩٦•

جولد زيهر ، اجناس

العقيدة والشريعة • ط ٢ • (الترجمة العربية) • القاهرة • دار الكتاب
العربي • د • ت •

الجويني (ـ ٦٨١) عطاء الملك

تاريخ جهانگشاي • (ترجم جزءا منه محمد السعيد جمال الدين• دولة
الاسماعيلية في ايران) •

الحارثي (ـ ٥٨٤) ، الداعي محمد بن طاهر

الأنوار اللطيفة في الحقيقة • (نشر • محمد حسن الأعظمي • الأسرار الخفية
عن الشيعة الفاطمية والاثنى عشرية) القاهرة • الهيئة المصرية
العامة • ١٩٧٠

حافظ ، عبدالله

منهج النقد عند المحدثين . رسالة علمية قدمت الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة ١٣٩٢.

الحامدي (-٥٩٦) ، الداعي حاتم بن ابراهيم

رسالة زهر بذر الحقائق .(نشر عادل العوا . منتخبات اسماعيلية)

دمشق . الجامعة السورية . ١٣٧٨

المجالس الحاتمية . مخطوطة مصورة في حوزة الباحث وتختلف كليا عن غيرها وهي ناقصة .

مجالس حاتم .(نشر مجلسا منها . ايفانوف في ... the RISE)

الهند . ١٩٤٢

الحِبشي ، عبدالله

مصادر الفكر العربي والاسلامي في اليمن . صنعاء . مركز الدراسات اليمنية . د.ت .

ابن حجر (- ٨٥٢) ، أحمد بن علي العسقلاني

لسان الميزان . بيروت . تصوير مؤسسة الأعلمي . ١٣٩٠

الحجوري (- ٥٣٣) ، الداعي الخطاب بن الحسن الهمداني

غاية المواليد .(نشر جزءا منه . ايفانوف في ...... the RISE ...)

الهند . ١٩٤٢.

ابن ابي الحديد (- ٦٥٥) ، عبدالحميد بن هبة الله

شرح نهج البلاغة . ج ٢ . القاهرة . مصطفى الحلبي وأخويه .د.ت

ابن حزم (- ٤٥٦) ، أبو محمد على بن أحمد

جمهرة أنساب العرب . تحقيق عبدالسلام هارون . القاهرة . دار المعارف ١٩٧٧.

الفصل في الملل والأهواء والنحل • ج ٤ • بيروت • تصوير دار المعرفة
١٣٩٥ •

حسن ، سعد محمد —

المهدية في الاسلام • القاهرة • دار الكتاب العربي • ١٣٧٣

حسين ، محمد كامل —

طائفة الاسماعيلية — تاريخها ، نظمها ،عقائدها — القاهرة • مكتبة
النهضة المصرية • ١٩٥٩

طائفة الدروز • القاهرة ١٩٥٢•

في أدب مصر الفاطمية • القاهرة • دار الفكر العربي ١٩٦٣

حمزة بن علي (— ٤٣٣) مؤسس مذهب الدروز) •

رسالة التحذير والتنبيه • مخطوطة في الخزانة التيمورية — عقائد ٦٦٢

رسالة خمّار • مخطوطة بالخزانة التيمورية — عقائد ٦٦٢

ابن خزيمة (— ٣١١) ، محمد بن اسحق •

صحيح ابن خزيمة • ج ٤ • تحقيق محمد مصطفى الأعظمي • دمشق • المكتب
الاسلامي • ١٣٩٩•

ابن خياط (— ٢٤٠) ، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري •

تاريخ خليفة بن خياط ط ٢ • تحقيق أكرم العمري • بيروت • مؤسسة
الرسالة ١٣٩٧

دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة الانجليزية) ج ١ • ط • ليدن

دائرة المعارف اليهودية • ط نيبورك
The JEWISH ENCYCLOPEDIE; VOL. IX. New York. 1903

دائرة المعارف اليهودية العامة
The UNIVERSAL JEWISH ENCYCLOPEDIA; Landman, New York.

دي بور

تاريخ الفلسفة الاسلامية . ترجمة . أبو ريدة . القاهرة . لجنة التأليف
١٣٥٧

الديلمي (ـ ٧١١) ، محمد بن حسن

قواعد عقائد آل محمد . القاهرة . عزت العطار . ١٣٦٩

الذهبي (ـ ٧٤٨) ، الحافظ شمس الدين محمد بن احمد

تهذيب التهذيب . ج ٢ . مصور عن مطبعة حيدر اباد ١٣٢٦

ميزان الاعتدال . ج ٢ . تحقيق البجاوي . مكة المكرمة . الباز ١٣٨٢

الرازي (ـ ٣٢١) ، الداعي أبو حاتم احمد بن حمدان

كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية ـ (نشر جزءا منه عبدالله سلوم
السامرائي في كتابه . الغلو والفرق الغالية في الحضارة الاسلامية). بغداد . دار
الحرية . ١٣٩٢

الرازي (ـ ٦٠٦) ، فخر الدين محمد بن عمر

اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية
.١٣٥٦

الرازي (ـ ٦٦٦) ، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر

مختار الصحاح . بيروت . دار الفكر . ١٣٩٨

ـــــ رسالة الانصناء (درزية) . مخطوطة في دار الكتب المصرية . عقائد
النحل ـ ٤٥

رسالة الايقاظ والبشارة .(درزية) . مخطوطة في دار الكتب المصرية
عقائد النحل ـ ١٣٨.

الرسالة الموسومة بالرضى والتسليم .(درزية) . مخطوطة . دار الكتب المصرية . علم كلام النحل - ٥٤

رسالة الصبحة الكائنة .(درزية) . مخطوطة . دار الكتب المصرية عقائد النحل - ٥٤

رسالة النساء الكبيرة . مخطوطة درزية . في الخزانة التيمورية . عقائد - ٢٦٦.

الزركلي ، خير الدين

الاعلام . ط ٣ . تصوير . بيروت . ١٣٨٩

الزعبي ، محمد علي

الماسونية فى العراء . ط ٢ . بيروت . مؤسسة الزعبي . ١٣٩٥

السجستاني (- قبل ٣٨٦) الداعي أبو يعقوب السجزي

كتاب اثبات النبوات . تحقيق . عارف تامر . بيروت . المطبعة الكاثوليكية .١٩٦٦

السجلات المستنصريه . تحقيق . عبدالمنعم ماجد . القاهرة . دار الفكر العربي . ١٩٥٤.

سزكين ، فؤاد

تاريخ التراث العربي جـ ٢ . ترجمة محمود حجازي وزميله . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٧٨.

شاروبيم ، ميخائيل (بك)

التثليد في مذهب أهل التوحيد . القاهرة . مطبعة رعمسيس . د . ت .

الشكعة ، مصطفى -

اسلام بلا مذاهب . ط ٤ . بيروت . ١٣٩٩

شلبي ، أحمد -

المسيحية . ط ٤ . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧٢

اليهودية . ط ٤ . القاهرة . مكتبة النهضة المصرية . ١٩٧٤

الشهرستاني (– ٥٤٨) ، محمد عبدالكريم

الملل والنحل • تحقيق الكيلاني • القاهرة • مصطفى الحلبي • ١٣٨٧

الشيال ، جمال الدين –

الوثائق الفاطمية – ١ • ط ٢ • القاهرة • دار المعارف • ١٩٦٥

الشيبي ، كامل مصطفى

الصلة بين التصوف والتشيع • ط ٢ • القاهرة • دار المعارف • ١٩٦٩

الفكر الشيعي والنزعات الصوفية • بغداد • مكتبة النهضة • ١٣٨٦

الطبري (– ٣١٠) ، محمد بن جرير

تاريخ الأمم والملوك • المعروف بتاريخ الطبري • تحقيق أبو الفضل ابراهيم • القاهرة • دار المعارف • ١٩٧٠

طه حسين

الفتنة الكبرى – علي وبنوه • ط ٨ • دار المعارف • ١٩٧٥

الطوبان ، الأب – ؟

كشف الفضائح الدرزية • مخطوط مصور في الخزانة التيمورية • عقائد – ١٦٣

الطيبي ، الداعي شمس الدين

رسالة الدستور ودعوة المؤمنين الى الحضور • (نشر عارف تامر • في أربع رسائل اسماعيلية) • بيروت • دار الكشاف • ١٩٥٢

ظفر الاسلام خان

التلمود – تاريخه وتعاليمه • ط ٢ • بيروت • دار النفائس • ١٩٧٢

عارف تامر

أروى بنت اليمن • (سلسلة اقرأ – ٣٣٠) • القاهرة • دار المعارف • ١٩٧٠

الامامة في الاسلام • بيروت • دار الكتاب العربي • د • ت •

القرامطة • بيروت • مكتبة الحياة • د • ت •

عبدالباقي ، محمد فؤاد

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم • بيروت • تصوير دار الفكر • د • ت

مفتاح كنوز السنة • لاهور • تصوير سهيل أكيديمي • ١٩٧١

ابن عبد ربه (ـ٣٢٧) ، أحمد بن محمد القرطبي

العقد الفريد • تحقيق أحمد أمين وزميليه • القاهرة • لجنة التأليف •

١٩٧٥•

عبدالسلام ، محمود أحمد

النبي أشعيا وأزمة الكيان الصهيوني • رسالة علمية • جامعة الاسكندرية

كلية الآداب • ١٩٧٨•

عبدالعليم عبدالعظيم

الأحاديث الواردة في المهدي • رسالة علمية • كلية الشريعة بمكة •

١٣٩٨

العسكري ، مرتضى ـ

عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى • ط ٣ • بيروت • دار الكتاب • ١٣٨٨

علم الاسلام ثقة الامام (لقب لداع باطني مجهول)

المجالس المستنصرية • تحقيق محمد كامل حسين • القاهرة • دار الفكر

العربي • د • ت

عنان ، محمد عبدالله ـ

الحاكم بأمر الله • القاهرة • دار النشر الحديث • د • ت

العهد القديم

(الترجمة العربية) • دار الكتاب المقدس بالعالم العربي • ١٩٧٨

الغزالي (ـ٥٠٥) ، أبوحامد محمد بن محمد بن محمد

فضائح الباطنية • ط ٢ • تحقيق عبدالرحمن بدوي • الكويت • دار

الكتب الثقافية • د • ت •

الفاتح ، زهدي ـ

فضح التلمود . سلسلة اليهود والعالم ـ ١١ . بيروت . ١٣٩٤

اليهود . بيروت . ١٣٩٢

فلوتن ، فان ـ

السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات فى عهد بنى أمية . ترجمة حسن ابراهيم حسن . القاهرة . مطبعة السعادة . ١٩٣٤.

أبو فراس (ـ ٩٣٧) ، الداعي شهاب الدين بن ابراهيم

الايضاح . تحقيق عارف تامر . بيروت . المطبعة الكاثوليكية . ١٩٦٥

مطالع الشموس في معرفة النفوس .(نشر عارف تامر . أربع رسائل اسماعيلية) بيروت . دار الكشاف . ١٩٥٢

مناقب الولي راشد الدين.(نشر مصطفى غالب . شيخ الجبل الثالث . بيروت . دار اليقظة العربية . د . ت

فريد لاندر ، اسرائيل

ابتداعيات الشيعة عند ابن حزم مقالة باللغة الانكليزية . نشرت في مجلة : J.A.O.S. Vol XXIX . 1910

ابن ابي الفضائل (ـ أواسط القرن الخامس) ، محمد بن مالك اليماني

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة . القاهرة . عزت العطار . ١٣٥٧

فلهاوزن

أحزاب المعارضة السياسية والدينية في الاسلام . ترجمة عبدالرحمن بدوي . القاهرة . مكتبة النهضة . ١٩٥٨.

فهرس الموضوعات الكتابية . ط ٢ .(فهرس للكتاب المقدس) . القاهرة. دار الثقافة المسيحية . ١٩٧٠

القاضي عبدالجبار (ـ ٤١٥) ، عبدالجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي

تثبيت دلائل النبوة . تحقيق عبدالكريم عثمان . بيروت . دار العربية ١٣٨٦

القاضي النعمان (ـ٣٦٣) ، النعمان بن حيون المغربي (داعى الدعاة)

أساس التأويل • مخطوط غير مرقم • في مكتبة جامع صنعاء ـ الغربية

افتتاح الدعوة • تحقيق فرحات الدشراوي ، تونس • الشركة التونسية للتوزيع • ١٩٧٥•

تأويل الدعائم • تحقيق محمد حسن الأعظمي • القاهرة • دارالمعارف• د • ت •

دعائم الاسلام • ط ٣ • تحقيق آصف فيظي • القاهرة • دار المعارف • ١٣٨٩•

شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار • (نشر ايفانوف: ...the RISE) الهند • ١٩٤٢

ابن قتيبة (ـ ٢٧٦) ، عبدالله بن مسلم

المعارف • ط ٢ • تحقيق ثروت عكاشة • القاهرة • دار المعارف ١٩٦٩

ابن قرة الصابي (ـ ٣٦٥)

تاريخ أخبار القرامطة • تحقيق سهيل زكار • بيروت • دار الأمانة • ١٣٩١•

كاشف الغطاء (ـ ١٣٧٦) ، محمد الحسين

أصل الشيعة وأصولها • ط ١٠ • القاهرة • المطبعة العربية • ١٣٧٧ و ط • نائب بغداد • ١٣٦٣•

الكرماني (ـ ٤١٢) ، الداعي حميد الدين أحمد بن عبدالله

الرسالة الواعظة في نفي ألوهية الحاكم بأمرالله • تقديم محمد كامل حسين ، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة • مايو ١٩٥٢•

كتاب الرياض • تحقيق عارف تامر • بيروت • دار الثقافة • ١٩٦٠

الكشي (ـ ٣٤٠) ، محمد بن عمر

معرفة أخبار الرجال • نشر الحاج الحائري • بومبي • د • ت •

لويس ، برنارد ـ

أصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو وزميله ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د ، ت ،

مجالس الحكمة ، مخطوط ، متأخر النسخ ، ناقص ، مصور لدى الباحث ،

المجدوع (ـ القرن الثاني عشر) ، اسماعيل بن عبدالرسول الأجيني ،

فهرست الكتب والرسائل ، تحقيق عليتقي منزوي ، طهران ، مطبعة الجامعة ، ١٩٦٦ ،

مجهول

مجموعة حقيقة حق اليقين في معرفة سرأسرار مولانا أمير المؤمنين مخطوط بجامعة كامبرج رقم : BROWN. Ms. E2

مجهول

مسائل مجموعة من الحقائق العالية ، (نشره شتروثمان ، أربعة كتب اسماعيلية ـ) جوتجن ، ١٩٤٢

مسعد ، بولس حنا ـ

همجية التعاليم الصهيونية ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٩ ،

المسعودي (ـ ٣٤٦) ، أبو الحسن على بن الحسين

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ٥ ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار الفكر ، ١٣٩٣ ،

مسلم (ـ ٢٦١) ، ـ بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

صحيح مسلم ، بشرح النووي ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، د ، ت ،

مصطفى غالب

أعلام الاسماعيلية ، بيروت ، دار اليقظة العربية ، ١٩٦٤ ،

تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، دمشق ، دار اليقظة ، د ، ت ، و ط ٣ بيروت ، دار الأندلس ، ١٩٧٩ ،

سنان راشد الدين — شيخ الجبل ٠ بيروت ٠ دار اليقظة العربية ١٩٦٧

المقريزي (— ٨٤٥) ، أحمد بن علي

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ٠ القاهرة ٠ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠ ١٣٩٣٠ وكذلك ط ١٣٧٨٠

المكرمي ، علي بن سليمان

حياة الأحرار ٠ مخطوط مصور لدى الباحث ٠ نسخ في سنة ١٠٥٣ في حياة مؤلفه

المهدي بالله المرتضى (— ٨٤٠) ، أحمد بن يحيى

المنية والأمل في الملل والنحل ٠ مخطوط في مكتبة صنعاء الغربية ٠ علم الكلام ١٥٣٠

موسوعة تاريخ الحضارات العام — الحضارة اليونانية والديانة اليهودية ٠ بيروت ٠ عويدات ٠ ١٩٦٤

المؤيد في الدين (— ٤٧٠) ، هبة الله أبو نصر بن موسى الشيرازي (داعي الدعاة)

ديوان المؤيد في الدين ٠ تحقيق وتقديم محمد كامل حسين ٠ القاهرة دار الكتاب المصري ٠ ١٩٤٩٠

السيرة المؤيدية ٠ تحقيق وتقديم محمد كامل حسين ٠ القاهرة ٠ دار الكاتب المصري ٠ ١٩٤٩٠

المجالس المؤيدية ٠ تلخيص حاتم بن ابراهيم ٠ تحقيق محمد عبدالقادر عبدالناصر ٠ القاهرة ٠ دار الثقافة ٠ ١٩٧٥٠

ابن ميمون (— ٦٠٢) ، أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي اليهودي ٠

دلالة الحائرين ٠ تحقيق حسين آتاي ، أنقره ٠ مطبعة جامعة أنقرة ٠ ١٩٧٤٠

الناشىء الأكبر (ــ ٢٩٣) ، عبدالله بن محمد

مسائل الامامة . تحقيق يوسف فان اس . بيروت . المعهد الألماني للدراسات الشرقية ١٩٧١

ابن النديم (ــ ٣٧٨) ، أبو الفرج محمد بن اسحق

الفهرست . القاهرة . المكتبة التجارية الكبرى . د . ت

النشار ، علي سامي ــ

نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام . ج ٢ . ط ٧ . القاهرة . دارالمعارف .١٩٧٧

نصر الله ، يوسف حنا

الكنز المرصود في قواعد التلمود . ط ٢ . تقديم مصطفى الزرقا . بيروت .١٣٨٨

النوبختي (ــ ٣١٠) ، أبو الحسن محمد بن موسى

فرق الشيعة . ط ٤ . النجف . المطبعة الحيدرية . ١٣٨٨.

النيسابوري (كان يعيش في أواخر القرن الرابع) ، أحمد بن ابراهيم (أو ابن محمد) .

استتار الامام . لنشر ايفانوف . مجلة كلية الآداب . جامعة القاهرة ديسمبر ١٩٣٦.

ابن الوليد الأنف (ــ ٦١٢) ، الداعي على بن محمد

دامغ الباطل وحتف المناضل . مخطوط في مكتبة صنعاء ــ الغربية ــ غير مرقم .

رسالة الاسم الأعظم . (نشر شتروثمان . أربعة كتب اسماعيلية) جوتنجن . ١٩٤٢

رسالة الايضاح والتبيين في تسلسل ولادتي الجسم والدين . (نشر . شتروثمان أربعة كتب اسماعيلية) . جوتنجن ١٩٤٢

رسالة تحفة المرتاد وغصة الأضداد • (نشر شتروتمان • أربعة كتب اسماعيلية) جوتنجن • ١٩٤٢•

اليعقوبي (ــ بعد ٢٩٢) ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر

تاريخ اليعقوبي • بيروت • دار بيروت ١٣٩٠

اليماني (ربما كان على قيد الحياة في ٣٦٥) ، محمد بن محمد

سيرة جعفر الحاجب • نشر ايفانوف • مجلة كلية الآداب • جامعة القاهرة • ديسمبر ١٩٢٦•

المحتــــوى

	رقم الصفحة
المقدمة	
التمهيد	
الباب الأول :	
الغلو الشيعي والفرق الباطنية	١-١٥٥
تمهيد	
التشيع . ظهور التشيع	١
الفصل الأول : الصحابة والغلو في أهل البيت	٣-١٤
مجتمع عصر النبوة	٣
محبة الصحابة لآل رسول الله (ص)	٤
موالاة علي بن أبي طالب	٥
علي والخلافة	٧
السلف الصالح لأهل البيت والتشيع	٩
علي والتشيع	١١
الحسن بن علي ..	١١
الحسين بن علي ..	١٢
حقيقة التشيع	١٣
الفصل الثاني : ظهور الغلو	١٤ - ٥٦
تعريف الغلو الشيعي	١٤
تصنيف الغلاة اجمالا	١٤
عبدالله بن سبأ : من هو	١٦
نشأته	١٧
هل كان ابن سبأ اسطورة	١٨
المستشرقون وابن سبأ	١٩

رقم الصفحة

مؤسس الكيسانية ٧١

نفى وجود الكيسانية ٧٤

عقائد الكيسانية ٧٤

ب - الكربية ٧٦

عقائد الكربية ٧٦

كثير عزه ٨٠

السيد الحميرى ٨١

حمزة بن عمارة البربرى ٨٢

صائد النهدى ٨٧

ج - الهاشمية ٨٩

عقائد الهاشمية ٨٩

١- البيانية ٩١

عقائد البيانية ٩٢

٢- الحربية ٩٣

عقائد الحربية ١٠٠

٣- العباسية أو الروندية ١٠٠

عقائد العباسية ١٠٣

٤- الجناحية أو المعاوية ١٠٣

عقائد الجناحية ١٠٥

٥- فرقة من الكيسانية غير معروفه باسم معين. ١٠٦

كيسنة القرامطة ١٠٦

خاتمة الحديث عن الكيسانية ١٠٨

عقائد السبئية والفرق الحنفية الكيسانية على ضوء الفكر اليهودى. ١٠٨

رقم الصفحة

الباحثون العرب وانكار شخصية ابن سبأ	٢١
١ ـ مناقشة المنكرين لعبدالله بن سبأ	٢٦
١ ـ المنكرون لابن سبأ استنادا على تجريح سيف بن عمر	٢٦
٢ ـ انكار طه حسين لابن سبأ	٣٨
٣ ـ المنكرون لدور ابن سبأ السياسي	٣٨
بعض التحركات المصرية ضد عثمان	٤١
٤ ـ المنكرون يهودية ابن سبأ	٤٤
٥ ـ انكار وجود ابن سبأ واحالة الدور الذى قام به الى عمار بن ياسر •	٤٥
ابن سبأ فى الفكر الباطنى	٥٤
الفصل الثالث : الغلو بعد عبدالله بن سبأ	٥٧ ـ ١٣٨
الغلاة وفرقهم تفصيلا	٥٧
١ ـ السبئية	٥٩
عقائد السبئية	٥٩
أ ـ القول بحلول اللاهوت فى الناسوت	٥٩
ب ـ المهدية والرجعة	٦٠
جـ ـ الوصاية والامامة	٦٣
د ـ النيل من صحابة رسول الله (ص) وتكفيرهم •	٦٥
هـ ـ العلم الخفى والتأويل الباطنى	٦٦
٢ ـ الغلاة فى محمد بن الحنفية	٦٩
أ ـ الكيسانية	٧٠

رقم الصفحة

١- القول بحلول الجزء الالهى فى البشر ١٠٨

٢- المهدى المنتقم ورجعته ١٠٩

٣- القول بالامامة والوصاية ١١٠

٤- التأويل الباطنى ١١٠

٥- تجسيد الله وتشبيهه بالخلق ١١٠

٦- القول بجواز البداء على الله ١١٢

ثالثا : الغلاة فى ذرية الحسنين ١١٢

أ - الغلاة الحسنيون ١١٢

المغيرية ١١٢

عقائد المغيرية ١١٤

ب - الغلاة الحسينيون ١١٧

١- المنصورية ١١٧

تلخيص عقائد المنصورية ١٢٢

الفكر اليهودى فى عقائد المنصورية ١٢٣

٢- الخطابية ١٢٥

الفرق الخطابية ١٢٨

١- المعمرية ١٢٩

٢- البزيعية ١٢٩

٣- العميرية ١٢٩

٤- الخطابية المطلقه ١٢٩

تلخيص عقائد الخطابية ١٣٤

عقائد الخطابية على ضوء الفكر اليهودى ١٣٤

١- قولهم انهم أبناء الله واحباؤه ١٣٥

٢- انكارهم الثواب والعقاب فى الآخرة ١٣٥

٣- اباحتهم شهادة الزور على مخالفيهم ١٣٧

رقم الصفحة

الفصل الرابع : ظهور الفرق الباطنية من الغلاة ١٣٩
١- الناووسية ١٤٠
٢- الشمطية ١٤١
٣- الفطحية ١٤١
٤- الموسوية ١٤٢
النصيرية ١٤٢
٥- الاسماعيلية ١٤٣
أ - الاسماعيلية الأول ١٤٤
١- الاسماعيلية الخالصة ١٤٤
٢- العباركية ١٤٥
ب - الاسماعيليون العبيديون ١٤٦
ظهور الاسماعيلية ١٤٦
تفرق الاسماعيلية ١٤٩
الدروز ١٥٠
ظهور النزارية والمستعليه ١٥٠
النزارية ١٥١
المستعلية ١٥٢
الحافظية ١٥٢
الطيبية ١٥٢
١- الداودية ١٥٣
٢- السليمانية ١٥٣
نتيجة الباب الأول ١٥٥
الباب الثانى : عقائد الفرق الباطنية ١٥٦ - ٣٠٤
تمهيد ١٥٦

رقم الصفحة

الفصل الأول : التأويل الباطنى	١٥٨ ـ ١٩٨
تمهيد	١٥٨
ما هو التأويل الباطنى	١٥٨
أهمية كل من الظاهر والباطن عند الباطنيين	١٥٩
ما هية الظاهر عند الباطنيين	١٦٥
سقوط العمل بالظاهر	١٦٨
أصل التأويل الباطنى	١٧٤
تاريخ الباطن عند الباطنيين	١٧٤
تاريخ الباطن عند غير الباطنيين	١٨٠
اليهود والتأويل الباطنى	١٨١
التأويل الباطنى عند الغلاة	١٨٨
العوامل المشتركة عند اليهود والباطنيين فى التأويل	
الباطنى كونه علما سريا	١٩٠
تعدد تأويل العبارة الواحدة عند كل	١٩٠
ان باطن النص هو المقصود .	١٩٢
نماذج من التأويل الباطنى للقرآن الكريم	١٩٣
آية الكرسى	١٩٣
قصة ابنى آدم	١٩٥
نماذج أخرى وردت فى البحث	١٩٨
الفصل الثانى : التسبيع	١٩٩ ـ ٢١١
تمهيد	١٩٩
التسبيع عند الباطنيين	٢٠٠
عقيدة الأدوار السبعة	٢٠١
التقاء عقيدة التسبيع مع عقيدة تناسخ الأرواح	٢٠٢
فشل الباطنيين فى اثبات نظريات التسبيع واقعيا	٢٠٢م

	رقم الصفحة
معجزات الأنبياء عند الباطنيين	٢٤٦
معجزات الأئمة	٢٤٧
٥ـ عصمة الأئمة	٢٤٨
نفى اليهود الخطأ عن خاماتهم	٢٤٩
٦ـ اتصال الوحى بالأئمة	٢٥٠
٧ـ الأئمة بعد موتهم	٢٥٠
استمرار الامامة	٢٥٢
القول بأئمة ظاهرين	٢٥٣
دور الستر	٢٥٤
١ـ المقصود بدور الستر	٢٥٥
٢ـ أسباب القول بالامام المستور	٢٥٥
الفصل السادس : الأئمة المستورون	٢٥٨ ـ ٢٧٩
١ـ اسماعيل بن جعفر	٢٦٠
مولده ونشأته	٢٦١
امامته	٢٦٣
وفاته	٢٦٤
ظهوره بعد موته	٢٦٥
الاسماعيلية بعد اسماعيل	٢٦٧
دور اسماعيل فى الفكر الباطنى	٢٦٨
٢ـ محمد بن اسماعيل	٢٦٨
مولده ونشأته	٢٦٩
امامته	٢٦٦
دور محمد بن اسماعيل فى العقيدة الباطنية	٢٧٥
٣ـ الأئمة المستورون بعد محمد بن اسماعيل	٢٧٨
الفصل السابع : قائم الزمان (= المهدى المنتظر)	٢٨٠ ـ ٤٠٣

	رقم الصفحة
اصل التسبيع وعلاقته بالفكر اليهودى	٢٠٥
الفصل الثالث : الاله عند الباطنيين	٢١٢ - ٢٢٢
قصة الخلق والعقول العشرة	١١٢
الكروبيون عند الباطنيين واليهود	١١٥
الاشتراك اللفظى فى اسم الله عند الباطنيين	١١٨
" " " " " عند اليهود	٢٢١
تألية النصيرية لعلى بن ابى طالب	٢٢٢
حلول روح الله فى البشرعند الدروز والاسماعيليين	٢٢٢
الفصل الرابع : عقيدة الباطنيين فى سيدنا محمد (ص) وفى كونه خاتم الانبياء والمرسلين	٢٢٣ - ٢٣٢
آخر الرسل عند الباطنيين	٢٢٧
نسخ شريعة محمد (ص)	٢٢٨
شخصيته (ص) ومكانته عند الباطنيين	٢٢٩
علاقة هذا الفصل بالبحث	٢٣٢
الفصل الخامس : الامامة	٢٣٣ - ٢٥٧
تعريف الامامة	٢٢٣
الشيعة والامامة	٢٢٣
الامامة عند الباطنيين	٢٣٦
خصائص الأئمة	٢٣٦
١ - تكون الامام من لاهوت وناسوت	٢٣٧
الأصل اليهودى للفكرة	٢٣٨
٢ - وصف الامام بصفات الله	٢٤١
٣ - وصف الائمة بأنهم يعلمون الغيب والسر	٢٤٢
٤ - الاتيان بخوارق العادات	٢٤٦

رقم الصفحة

تمهيد : ٢٨٠

المهدى عند أهل السنة ٢٨٠

المهدي عند الشيعة ٢٨٤

المهدية المبنية على الرجعة ٢٨٤

المهدى الباطنى ٢٨٩

أفضلية القائم المنتظر على المرسلين ٢٨٩

القائم يعنى القيامة ٢٩١

الآراء الباطنية فى الثواب والعقاب ٢٩٤

١- كون الثواب والعقاب غير جسمانيين ٢٩٤

٢- الثواب والعقاب عند قيام قائم القيامة المنتقم ٢٩٥

القائم المنتقم عند الغلاة واليهود ٢٩٧

٣- الثواب والعقاب فى الدنيا - (صورة للتناسخ) - ٢٩٩

الأصل اليهودى لذلك ٣٠٣

نتيجة الباب الثانى

الباب الثالث : الدعوة الباطنية ودعاتها ٣٠٥ - ٤٤٧

تمهيد :

الفصل الأول : الدعوة الباطنية ٣٠٨ - ٣٥٢

عماد الدعوة الباطنية ٣٠٨

١- وجود الضد المخالف ٣٠٨

٢- تحقيق هدف الايمان والعمل بالباطن المحض ٣٠٨

الركنان الأساسيان فى الدعوة الباطنية ٣٠٩

١- السرية ٣٠٩

متى ظهر الباطنيون بها ٣١٢

العامة ٣١٤

المستجيبون ٣١٥

	رقم الصفحة
الوسائل السرية الباطنية	٣١٦
الطريقة الشفهية عند الباطنيين	٣١٦
" " عند اليهود	٣١٨
الكتابة السرية	٣٢٠
التلغيز عند الباطنيين	٣٢٤
عند اليهود	٣٢٥
٢ـ التدرج فى الدعوة	٣٢٦
أهمية أخذ العهد	٣٣٣
دور القمع الفكرى فى الدعوة الباطنية	٣٣٥
صيغة العهد	٣٣٨
العهد الماسونى	٣٤٣
التوافق بين الماسونية والباطنية	٣٤٩
يهودية الماسونية	٣٥١
الفصل الثانى : الدعاة الباطنيون	٣٥٣ ـ ٣٩٨
التنظيم الباطنى للدعاة	٣٥٣
الدعاة الباطنيون والأعداد	٣٥٤
مراتب الدعاة الباطنيين	٣٥٩
١ـ الحجة	٣٦٤
٢ـ الباب	٣٦٦
٣ـ داعى البلاغ	٣٦٧
٤ـ داعى الدعاة	٣٦٨
٥ـ دعاة الجزائر	٣٦٩
منظمة داعى الجزيرة	٣٧١
حجج الليل	٣٧٢

رقم الصفحة

مظاهر فى الدعاة الباطنيين	٣٧٣
تجلونات الدعلة والعقائد الباطنية	٣٧٥
الفكر اليهودى فى تراث الدعاة الباطنيين	٣٧٩
الداعى أبو يعقوب السجستانى	٣٨٢
القاضى النعمان	٣٨٢
الداعى أبو فراس	٣٨٤
الداعى حميد الدين الكرمانى	٣٨٦
حاتم بن ابراهيم الحامدى	٣٨٩
كتاب مجالس الحكمة	٣٩٠
مجموعة الوثائق الفاطمية	٣٩٣
الفصل الثالث : تاريخ الدعوة الباطنية	٣٩٩ - ٤٤٧
علاقة النسب الفاطمى بتاريخ الدعوة الباطنية	٣٩٩
المنكرون للنسب الفاطمى	٤٠٠
ارسال الدعاة الى البلاد المختلفة	٤٠١
انتظار المجهول	٤٠٤
بداية الشك فى شخصية عبيد الله المهدى	٤٠٧
بين الكوفة وسلمية	٤١٢
القائم بأمر الله العبيدى	٤١٩
النسب الحقيقى للعبيديين	٤٢٨
القداحيون بين الاسطورة والحقيقة	٤٢٨
" فى الفكر الباطنيين	٤٣٠
" ضد غير الباطنيين	٤٣٤
اصل القداحيين	٤٣٧
نتيجة الباب الثالث	٤٤٧
الخاتمة	٤٤٨
ملحق - ١ رسالة المهدى عبيد الله الى أهل اليمن	٤٥٦
ملحق - ٢ جريدة المراجع	٤٦٦
المحتوى	٤٨٢